

اقتربت الساعة وانشق القمر
استتباع
قبض ونقض
التداعي
صراع
وهَن
تحريش
منافسة
غثاء
حروب
حب الدنيا
الأسس والمنطلقات
في
تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات
وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات
المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات
بقلم خادم السلف
أبي بكر العدني ابن علي المشهور
عفا الله عنه
العلم
بعلامات
الساعة
أركان
الدين
الأربعة
الإسلام
الإيمان
الإحسان
دار المعين للنشر والتوزيع


الأسس والمنطلقات

الأسس والمنطلقات ، في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات، وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات ، المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات
تأليف: أبوبكر بن علي بن أبي بكر المشهور

الطبعة الثالثة ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
قياس القطع: ١٧ x ٢٤
الرقم المعياري الدولي ISBN :

يمكن مراسلة المؤلف على موقعه الشخصي
alhabibabobakr.com

تصميم الغلاف : محمد سالم الكثيري

الأسس والمنطلقات

في

تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات
وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات
المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

المَطْلَعُ القُرْآنِيُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

ٱلْمَطْلَعُ ٱلنَّبَوِيُّ

عن عبـدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العـاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال : نادى مُنادي رسـولِ اللـهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «الصّلاةَ جامِعـةً» ؛ فاجتمعنا إلى رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال :

« إنّه لم يكُن نبيٌّ قبلي إلا حقّاً عليه أن يدُلَّ أُمَّته على خيرِ ما يعلمُه لهم ، ويُنذِرَهم شَرَّ ما يعلمُه لهم ، وإنّ أُمَّتكم هذه جُعِـلَ عافِيتُها في أوَّلِها ، وسـيُصِيبُ آخرَهـا بلاءٌ ، وأُمورٌ تُنكِرونهـا ، وتجيءُ الفِتنـةُ فيُرَقِّقُ بعضُهـا بعضاً ، وتجيءُ الفِتنةُ فيقولُ المؤمنُ : مُهْلِكَتِي ثُم تَنْكَشِفُ وتجيءُ الفِتنَةُ ، فيقُـولُ المُؤمِـنُ : هَـذه هَذه ، فمَـن أحَـبَّ أنْ يُزَحزَحَ عن النّـارِ ويدخُلَ الجنَّةَ ، فلْتأتِـهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤمِـنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ...».

رواه مسلم (١٨٤٤)

ٱلْمَطْلَعُ ٱلْأَبَوِيُّ

«لا تخلـو الأرضُ مِـن قائِم للّهِ بِحُجَّةٍ إما ظاهرٍ مشـهورٍ أو خائِفٍ مغمورٍ لِئلّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيِّناتُهُ ، وكم وأين أولئك؟ أُولَئِـكَ الأقَلُّونَ عَدَداً الأَعْظَمُونَ عِنْـدَ اللَّهِ قَدْرَاً، بِهِـمْ يَدْفَـعُ اللّهُ عَـنْ حُجَجِـهِ حَتَّـى يُؤَدُّوهَا إِلـى نُظَرائِهِمْ ويَزْرَعُوهَا في قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ»

الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أخرجه أبونعيم في «الحلية» (١:-٧٩) في وصيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للكميل بن زياد (٢٤٣) وأخرجه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٥: ٤١٧) في ترجمة الكميل ، **وابن عساكر في «تاريخ بغداد»** (**٥٠: ٢٥٥**) ، وللحافظ ابن القيم رحمه الله شرح مفيد على هذه الوصية في كتابه «مفتاح دار السعادة» (١٦٣-١٢٣:١)

شَاهِدُ الحَال

عن حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «واللهِ ما أدري أَنَسِـيَ أصحابي أم تناسَـوا، واللهِ ما تركَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قائِدِ فِتنـةٍ إلى أن تنقضِيَ الدُّنيـا يبلُغُ مَن معه ثلاثَ مِئَةٍ فصاعِداً إلا قد سمَّاهُ باسمِهِ واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلَتِهِ»

رواه أبو داود (٤٢٤٣)

«موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة» ص٣٤٣

مُلاحَظَةٌ

لا أدَّعي العِلـمَ والاجتِهَـادَ ، ولا حتّى أنْ أوصَفَ بِفَقيهٍ أو مُتَفَقِّهٍ، أنا طالـبُ عِلمٍ، وخلالَ طَلَبي ودِرَاستي المتواصِلةِ جمعتُ ما تهيّأَ لـي صوابُهُ مُستَدِلّاً حسَبَ فَهمي بما هو مُثبَتٌ في بحثي هذا.

ولا شـكَّ أنّ كثيراً مِن مواضيعِ البحثِ مُثيرٌ للنُّفوسِ – أو بعضِها – ولكنّها في نفسِ الوقتِ عاملٌ مساعِدٌ لآخرينَ كـي يخرُجوا من الحَيرَةِ الضّاربةِ على العُقولِ والأذهانِ.

فعسى أن أكـونَ – بإذنِ اللّٰهِ – مُوَفَّقاً فيما أشرتُ إليهِ وبحثتُ شأنَهُ، وأستغفرُ اللّٰهَ من سَوْرَةِ نَفسِي أو أن أخالِفَ منهجَ العُلَماءِ الأثباتِ الذين خدموا الشريعةَ ونشروها بين الشُّعوبِ .

قال الإمامُ الجُوَيْنِيُّ (ت ٤٧٨ هـ) في «البرهان في أصول الفقه» (٢: ١١٤٧): إن السابقَ وإن كان له حقُّ الوضعِ والتأسيسِ والتأصيلِ ؛ فللمتأخِّرِ الناقدِ حقُّ التتميمِ والتكميل..فيكون المتأخرُ أحقَّ أن يُتّبعَ لجمعه إلى ما حَصَّلَ السابقُ تأصيلَه.. وهذا واضحٌ في الحِرَفِ والصناعاتِ ، فضلاً عن العُلُومِ وَمَسَالِكِ الظُّنُونِ.

وقال الإمام ابنُ قُتَيْبَةَ الدِّينَوَرِي (ت ٦٧٢ هـ) في مقدمة كتابه «إصلاح الغلط» ص٦٤-٧٤ : قد كُنا زماناً نعتذرُ من الجهلِ، فقد صِرنا الآن نحتاجُ إلى الاعتذارِ من العلمِ! وكنا نُؤمِّل شُكرَ الناسِ بالتنبيهِ والدلالةِ، فصِرنا نرضى بالسلامةِ، وليس هذا بعجيبٍ مع انقلابِ الأحوالِ، ولا يُنكَرُ مع تغيُّرِ الزمان، وفي اللّٰهِ خَلَفٌ، وهو المُستَعَانُ.

وَٱللَّهُ مِن وراءِ ٱلقصدِ..

ٱلْإِهْدَاءُ

أُهدي إلى أُمّتنا المرحومة — مُنطلقاتٍ بالهُدىٰ مزمومة
مِمّا أتىٰ في قولِ ربّي وكذا — مِن سُنّةٍ واضحةٍ مفهومة
تُحيي الرُّبوعَ والعُقولَ أملاً — بما جرىٰ في أُمّةٍ مظلومة
خُذها وحَقِّق ما تراهُ وٱصطَبِر — في البحثِ تلقىٰ الوَصفةَ المعدومة
رُكنٌ جديرٌ درسُهُ كرابعِ الـ — أركانِ يُبدي شامةً مكتومة
كُبرىٰ ووُسطىٰ ثُمّ صُغرىٰ شأنُها — تُنبيكَ عن سلبيّةٍ مشؤومة
وعن بِشاراتٍ تُعيدُ للورىٰ — خيرًا تَليدًا يُصلِحُ المنظُومة
يُزيلُ إشكالَ الزّمانِ كُلَّهُ — فينا وفي أهلِ الرُّؤىٰ المسمومة
مِمَّن يَظُنُّ أنّهُ مُجاهِدٌ — في ٱللّٰهِ يُحيي السُّنّةَ المرقومة
لٰكِنّهُ مُستغفَلٌ بِعِلمِهِ — مُسَيَّسٌ يَصعُبُ أن تلومه
أو مَذهبيٌّ عَصَبيٌّ جامِدٌ — مُشتغِلٌ بفُرقَةٍ مَحمومة
أو غيرُهُ من أُمّةٍ تفرّقَت — في شأنِها كأنّها مهزومة
تاهت وضاعت في ٱختلافِ هاتِكٍ — قد أَجّجَتهُ فِرقَةٌ مَدعُومة
يا قارئي مهما تكُن مُستغرِقًا — في لُجّةِ الحَضارَةِ المزعومة
فَلْتَستفِق وٱنظُر فهٰذا خبرٌ — نَقَلتُهُ عن حُجّةٍ مَعصُومة
تَدعُو الجميعَ عودةً لِما أتىٰ — في رابعِ الأركانِ مِن معلومة
أصولُها تفصيلُها نتاجُها — بينَ الشُّعوبِ أوذُرىٰ الحكومة

مَن رام فيها مَدخَلاً مُحقّقًا ... فليقرأِ الأسَاسَ بالدّيمومَة

هديّةٌ مِنّي لِكُلِّ حاكمٍ ... وعالمٍ مُحقّقٍ علومَةْ

وطَالبٍ وبَاحثٍ ودارسٍ ... أو حائرٍ في الحالةِ المأزومَة

لا أدَّعي فيها اجتهادًا مثلَما ... قد يدَّعي ذو نزعةٍ موسومَة

وإنَّما مِن نَصِّ طَهَ المُصطفى ... بحُجّةٍ بيّنَةٍ محسُومَة

أرجو بها تكامُلاً مُوصَّلاً ... كما أتى عن طَيّبِ الأُرُومَة

سألتُ ربِّي أن تكونَ حُجّةً ... تنفعُنا في الفِتنَةِ المضرومَة

وحُسنَ عَونٍ يَومَ نَلقَى رَبَّنا ... في عَالمٍ أَخبارُهُ مكتومَة

وأن يُزيلَ كُلَّ جهلٍ مُفسدٍ ... أوْدَى بنا لحالةٍ مذمومَة

ويَجمعَ الإسلامَ في أتباعِهِ ... عَلَى الهُدَى والمِلَّةِ المزمومَة

والختمُ بالمُختارِ طَهَ المُصطفى ... مَن جاءَنا بِشرعةٍ مخدومَة

والآلِ والأصحابِ ثُمَّ تابعٍ ... على الطَّريقِ واضِحًا مفهومَة

المُؤلِّف

المقدّمة

تعريف فقه التحولات

اعتنى الإسلامُ بِفقهِ المراحِلِ وبِتاريخِ الأُمَمِ والشُّعوبِ، شأنُهُ شأنُ الرِّسالاتِ السَّماوِيَّةِ السّابقةِ، بل صار القُرآنُ العظيمُ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ مع ما لَهُ مِن الوظائِفِ الشَّرعِيَّةِ والتَّكليفاتِ التَّعبُّدِيَّةِ وثيقةً شرعيّةً لِعَرضِ وحِفظِ ما سارت عليه الأُمَمُ والشُّعوبُ من الخَيرِ أو الشَّرِّ، وهذا ما نحن بِصَدَدِ الاهتِمامِ به وإعادَةِ دِراستِه والنَّظَرِ الواعي في مكنوناتِ عِلمِهِ الشَّرعِيِّ المُثبَتِ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ ﷺ. وذلك مِن خِلالِ الرَّبطِ العِلمِيِّ بين (الدِّيانةِ والتّاريخِ)

التعريف

سواءً فيما يتعلَّقُ بالتاريخِ الإنسانيِّ السابقِ أو التاريخِ الإسلاميِّ اللاحِقِ، وهو ما سُمِّيَ في هذهِ الدِّراسةِ (بِفقهِ التَّحوُّلاتِ) والعِلمِ (بعلاماتِ السّاعةِ)، ولأنَّ هذا المُسمَّى جديدٌ في تناوُلِهِ بهذه القاعِدةِ فإنَّنا نرجو من المُطَّلِعينَ على مواضيعِهِ وأقسامِهِ حُسنَ النَّظَرِ وكمالَ التَّأنِّي وعُمقَ القِراءَةِ الواعِيَةِ. عسى أن نخرُجَ معاً بما يجدِّدُ لنا المعاني ويُعيدُ ترتِيبَ المفاهِيمِ بما يخدِمُ الإسلامَ والمسلِمِين مِن داخِلِ دِيانَتِهِم الشَّرعِيَّةِ المُبارَكَةِ.

إنّ دراستَنا للحياةِ الإسلاميَّةِ بالخُصوصِ بَدْءاً من عهدِ البَعثَةِ إلى عهدِ الفَناءِ الموعودِ بالسّاعةِ أمرٌ مُهِمٌّ وضروريٌّ لنا كأُمَّةٍ خاتِمَةٍ تحمَّلت مسؤولِيَّةَ رسالةٍ خاتِمَةٍ عُهِدَ إليها حَملُ الأمانَةِ والمُحافَظَةُ عليها حتى يومِ الشَّهادَةِ العُظمَى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٩].

أهمية الألفاظ في ضرورة إعادة النصوص إلى أصولها الأولى ساعة الوقوع أو التدوين

ولا بأسَ هنا من الإشارَةِ إلى أهمِّيَّةِ الدِّراسَةِ الجذرِيَّةِ، وهي إعادَةُ العُلومِ وثَمَراتِ القِراءَةِ والتَّصوُّراتِ النّاتِجَةِ عنها إلى أُصولِها الأساسيَّةِ ساعَةَ وُقُوعِها الزَّمَنِيِّ، أو ساعَةَ تدوينِها المرحليِّ، والنَّظرِ إلى هذه الثَّمراتِ مِن خلالِ (النَّصِّ النَّبَوِيِّ ذاتِهِ) أو (النَّصِّ الأَبوِيِّ[1] المُعتَمَدِ)، حيثُ إنَّ التَّفرُّعاتِ والجُزئِيّاتِ التي

---

(١) لفظ (الأبوة في الدين) واضح ومعلوم، وهو من مميزات هذه الأمة، فليست كالنصارى جعلوا أبوتهم في الكنيسة وأعطوا البابا من الصلاحيات الألوهية الوضعية الكثير، بل تظهر الأبوة بمعناها الشرعي في تسلسل العلم بالأسانيد «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**»

ضياع الحق بين ركام الأقلام والتعريفات الجزئية

انحدرت إليها الأقلامُ وغرابَةُ التَّحليلِ وكثرَةُ التَّعليلِ قد خلطَ الأُمورَ خَلطاً يصعُبُ معـه التَّمييزُ الواعي ، وضاعَ الحَقُّ البَلَجُ بما اكتنفَهُ عبرَ الزَّمَنِ من ضبابيّاتِ الباطِلِ وأهلِهِ ، وحَذفِ وإضافاتِ حَمَلَةِ الأقلامِ وَفقَ انتماءاتِهم وتوجُّهاتِهم الفِكريَّةِ .

عوامل التجني على التاريخ: الخلط المتعمد والأحكام العمومية

ويبـدو لـي ـ والله أعلـم ـ أنَّ هناك عواملَ معيَّنـةً تُؤدِّي إلى هذا التَّجنِّي المشـارِ إليـه ، ويجبُ أن يُفتَحَ الحوارُ بشـأنِهِ ليتَّضِحَ الأمرُ جَليّاً، ومِـن ذلك عدمُ النَّظَرِ في جُزئيّـاتِ المرحلَـةِ المعنِيَّـةِ ونقاطِ النُّـورِ فيها ، كإصـدارِ الأحـكامِ العُموميَّةِ على المرحلَةِ أو المجموعَةِ أو الفِئَةِ ، مِمّا يُؤدِّي إلى الخَلطِ المُتَعَمَّدِ في إضفاءِ الجُنوحِ علـى الكُلِّ ممـا يُصعِّبُ التَّمييـزَ بين طَرَفَـيِ الإفـراطِ والتَّفريطِ وطَـرَفِ الاعتدالِ والسَّـلامَةِ فـي المجموعَةِ الواحِـدَةِ والمرحَلَـةِ المُحَـدَّدَةِ ، فهناك مَن ينسـب إلى مرحلـةِ بنـي أُمَيَّةَ مثلاً كافَّـةَ مُخرجاتِ المرحلةِ ومـا فيها ومَن فيهـا، فيعتبِرُ أنَّ كُلَّ نَتـاجٍ عِلمِـيٍّ واجتِهادٍ مذهبيٍّ بـرزَ في هذه الفترَةِ إنَّما هو خِدمَةٌ لسياسَـةِ بني أُمَيَّةَ.. مع العلمِ أنَّ هذهِ المرحلَةَ على سـبيلِ المثالِ شَـمَلَت إفراطاً وتفريطاً ومجموعاتِ اعتـدالٍ داخلَ دائِرَةِ المُلـكِ العَضوضِ، والمُلكُ العَضوضُ خاصٌّ باعتبارِ سُـلطةِ القرارِ كقولِه ﷺ : «**أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرُوتٌ**»[1]، أمّا حالُ الرَّعايا فغيرُ ذلك ، وفيهم حَمَلَةُ الأمانَةِ ورِجالُ النَّمَطِ

«**مسـند البـزار**» (**٩٤٢٣**) حتـى تتجنب (الخطر الداهم) ممن سـماهم النبـي ﷺ: «الأئمة المضليـن» «**سـنن أبي داود**» (**٤٢٥٢**) و«**سـنن الترمـذي**» (**٢٢٢٩**) و«**صحيـح ابن حبان**» (**٤٥٧٠**) و«**المسـتدرك على الصحيحين**» (**٨٣٩٠**) **بقوله** ﷺ : «**وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين**» . وهم أهل الفتن المعروفون بعلماء الفتنة في كل عصر وزمان .

ويؤكد هذه الأبوة وكونها مرتبطة بالتسلسـل الشـرعي للإسـناد في مقابلـة أئمة الضلال الحديـث السـابع في مقدمـة «صحيح مسـلم» : «**يكون في آخـر الزمان دجالـون كذابون، يأتونكـم من الأحاديث بما لم تسـمعوا أنتـم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهـم، لا يضلونكم ولا يفتنونكـم**». **والمقصود بالنص الأبوي ما ورد من آثار عن آل البيت والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين** .

(١) «**سـنن الدارمي**» (**٢١٤٦**) وتمامه : «**يسـتحل فيها الخمر والحرير**»، إسـناده جيد، «تخريج أحاديث المصابيح» للمناوي (٤ : ٤٤٣) ، وانظر «إتحاف الجماعة» التويجري (١ : ٢١٠).

الأوسَطِ[1].

قراءة التاريخ على منهجين

وهذه الأمانةُ المُشارُ إليها متنوِّعَةُ المسؤوليّاتِ والتّكليفاتِ ؛ ولكنّها مجتَمِعةٌ في قاعِدَةِ الرَّبطِ الشَّرعِيِّ بينَ (الدِّيانَةِ والتَّاريخ)[2] ، حيثُ نجدُ أنَّ في العالَمِ قراءَتَين :

القراءة المادية العقلانية

الأولى : قِراءَةٌ تاريخيَّةٌ مادِّيَّةٌ عَقلانِيَّةٌ مُجرَّدَةٌ .. وهي ما نُسَمِّيها في فِقه التَّحوُّلات (بالقِراءَةِ الأَنَوِيَّةِ الإبليسِيَّةِ الوضعِيَّةِ) ، وما تفرَّعَ عنها مِن المفاهيم النِّفاقِيَّةِ والانتِقائِيَّةِ المُسَيَّسَةِ لمصلَحَةِ الانحِرافاتِ الكافِرَةِ والمُلحِدَةِ الموسَّدَةِ ، المَعنِيَّةِ بحديثِ : «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانتظرِ السَّاعةَ**» قال : وكيفَ إضاعتُها يا رسولَ الله؟ قال : «**إذا وُسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ**»[3].

القراءة الشرعية الموجهة

الثَّانيةُ : قراءَةٌ شرعيَّةٌ غيبيَّةٌ مُوجَّهةٌ . وهي ما نُسَمِّيها في فِقه التَّحوُّلات (بالقراءَةِ الأَبَوِيَّةِ النَّبوِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ المُسنَدَةِ) ، ومفتاحُها قولُهُ تعالى في أوَّلِ آيةٍ أُنزِلت على رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق:١] وما تفرَّعَ عنها من تأصيلٍ وتفصيلٍ شرعيٍّ مدعوم بأدلَّتِهِ ودلالاتِهِ ممَّا يدخُلُ تحت معنى قولِهِ ﷺ : «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**»[4].

القراءة لا تكون إلا باسم الرب

فالقراءَةُ في تاريخِنا الإسلاميِّ لا تكونُ إلا باسمِ الرَّبِّ ، وهي ما أُطلِقَ عليه

من هم النمط الأوسط؟

(١) أهلُ النَّمَطِ الأوسَطِ هم الأئِمَّةُ العُلَماءُ والعارفون الأثباتُ من آل البَيتِ النَّبويِّ والصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم العُدولِ والتّابِعين ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أوعيةُ الكتاب والسُّنَّةِ والأخلاقِ النَّبوِيَّةِ الذين يندَرِجون في معنى قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ، وفي قوله ﷺ : «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**» .

وهم الذين سلكوا مسلَكَ الهُدى والسَّلامَةِ ولم يُنازِعوا قراراً شرعيّاً ولا عالماً أو إماماً أَبَوِيّاً نَبوِيّاً رَبَّانِيّاً . هم الخُلَفاءُ الرَّاشِدون المهدِيُّون عَبرَ تاريخ التَّسلسُلِ الشَّرعِيِّ المُسنَدِ ، مَن حصَّنَتهم النُّصوصُ ونالوا بها مراتِبَ الخِلافَةِ والإمامَةِ ، أو مَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّينِ على نهجِهِم وهَديِهِم غيرَ مُبدِّلين ولا مُحرِّفين .

(٢) وهذا ما نحن بصدد إظهاره وإبرازه في كافة المراحل.

(٣) «صحيح البخاري» (٥٩) .

(٤) «**مسند البزار**» (**٩٤٢٣**) إسناده صحيح ، «شرف أصحاب الحديث» ص ٥١ للإمام أحمد .

مفهـومُ (الرَّبـطِ بين الدِّيانَـةِ والتَّاريخِ) وبها تُفَسَّـرُ كافَّةُ شُـؤونِ الحياتَينِ ولا فصلَ بينَهُما . ومن شـروطِها دِراسَةُ الحياةِ الإنسانيَّةِ والإسـلاميَّةِ دِراسةً نَصِّيَّةً .. ومعنى (الدِّراسَـةِ النَّصِّيَّـةِ) اعتِناؤُهـا بالنُّصوصِ المُثبَتةِ كأصـلٍ في قراءَةِ الحيـاةِ من كافَّةِ أوجُهِهـا .. ثُمَّ عـرضُ الأحداثِ والتَّحَوُّلاتِ عليهـا . وتصنيفُها من حيثُ علاقَتُها بالنُّصوصِ ، وليس العكسَ كما هو الآنَ قائِمٌ في تفسيرِ الحياةِ والتَّاريخِ لدى كثيرٍ من المسلمين وغيرِ المسلمين [1] .

أهمية القراءة النصية

وبهذه الدِّراسةِ والقراءَةِ الشرعيَّةِ تُقسَّمُ الحياة بِعُمومِها إلى **أقسام** :

أقسام التاريخ في القراءة الشرعية :

مرحلة الرسالة المحمدية

القسـمُ الأول : هي مرحَلَةُ الرِّسـالةِ المُحَمَّدِيَّةِ المبارَكَةِ خـلالَ حياتِهِ ﷺ ما بين

(١) المقصود بهذا أن كثيراً من المسـلمين يصفون الإسـلام والعلاقات والمحبة والبغض على سير الأحداث وما جرى في المراحل من التحولات .

والأصـل أن ما جرى من الاختلاف في المراحل والأحداث المترتبة على ذلك لا يكون أسـاس الولاء والبـراء ، وإنما يكون الولاء والبـراء بالنصوص القرآنيـة والنبوية ، ويضاف إليهـا بعد ذلـك مجريات الأحـداث بشـروط . وأن المختصيـن بالنص وإن جـرت عليهم الفتنة كأصحاب الجمل من كبار الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فإن حصانتهم تلزم المسلم عدم القدح فيهـم . وأمـا غيرهم فالقـدح أيضا يكون بالنص فيهـم ، كما هو في قتلة عمار بن ياسـر في قولـه ﷺ : «**عمار تقتله الفئـة الباغية**» «**صحيح البخـاري**» (٤٤٧) (٢٨١٢) ، وقول النبي ﷺ : «**بشـر قاتل ابن صفية بالنار**» «**مسـند أحمد**» (٦٨١) و«**المستدرك على الصحيحين**» (٥٥٨٠) وابـن صفيـة هـو الزبير بن العوام وقـد قتله أحد تابعي الإمـام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجاء يخبر الإمام بقتله ، فقال له الإمام علي بقول النبي ﷺ فغضب وقال : (إن قاتلناكم في النار وإن قاتلنـا من يقاتلكم ففـي النار) ، فأمر الإمام علي بقتله قصاصا بدم الزبير بن العوام لأن الإمـام أخـذ بالنص وإن كان الرجل من أتباعه، ونقل البرزنجي في «الإشـاعة» ص ٥٤ عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله عن قتلى صفين : (قتلانا وقتلاهم في الجنة) ولفظه في «**مصنف ابن أبي شـيبة**» (٣٧٨٨٠) ، وقـال: (من كان يريد وجـه الله منا ومنهم نجا) .اهـ. «**تاريخ دمشـق**» **لابن عسـاكر** (١: ٣٤٦) وهذا يحفظ شـرف كثير من القتلى فيمن سماهم في النص الآخر (الفئة الباغية).

مَكَّةَ والمدينَةِ، وقوامُ هذه المرحلةِ في الهَديِ الشَّرعِيِّ (الوَحيُ والعِصمَةُ)، وهو الأساسُ، ويليها النُّبُوَّةُ، أي: الأخلاقُ والمعجِزاتُ، وكان البَدءُ بها باعتبارِها القاسِمَ المُشتَرَكَ في الدِّراسةِ الشَّرعيَّةِ للرَّبطِ بين (الدِّيانة والتاريخِ) عبرَ الأزمنةِ السَّابقةِ والأزمنةِ اللاحِقَةِ.

القِسمُ الثّاني: مِن عهدِ الوفاةِ لِرسولِ اللهِ ﷺ إلى قِيامِ السَّاعةِ، وتُعدُّ هذه المرحلةُ مِن أصعَبِ مراحِلِ التَّحوُّلِ الإيجابيِّ والسَّلبيِّ. وكُلُّها مجموعةٌ في أركانِ العِلمِ بِعلاماتِ السَّاعةِ الكُبرَى والوُسطَى والصُّغرَى.

مرحلة ما قبل البعثة

القِسمُ الثّالِثُ: وهي الدِّراسَةُ النَّصِّيَّةُ مِن بَعثَةِ النَّبيِّ ﷺ نَصّاً إلى عهدِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وابنِهِ قابيلَ وهابيلَ وما ترتَّبَ على تعليم آدمَ الأسماءَ وسُكناهُ الجَنَّةَ وخلقِ حَوَّاءَ وتسليطِ الشَّيطانِ للغِوايَةِ، وما تلاهُ من التَّحَوُّلاتِ في العُصورِ المُتَلاحِقَةِ.

حصانة المراحل على أنواع

وسيأتي هذا التقسيم مفصلا أكثر في كلامنا عن أقسام العلم بعلامات الساعة.

ويُستفادُ من دِراسَةِ أحاديثِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ أنَّ حصانَةَ المَراحِلِ تأتي على الكيفِيَّةِ التَّاليةِ:

- مرحلةُ الرِّسالَةِ.. الوحيُ، العِصمَةُ، المُعجِزاتُ، الأخلاقُ
- مرحلةُ الخلافةِ الرَّاشِدَةِ، الاجتهادُ، نُصوصُ النُّبُوَّةِ، مواقِفُ الخُلَفاءِ.
- مرحلةُ المُلكِ العَضوض وحتّى مرحلةِ الغُثاءِ، حِفظُ بَيضةِ الإسلامِ، إقامةُ فرضِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

ولا حصانَةَ لمرحلَةِ الغُثاءِ ورُموزِها بعد نقضِ الحُكمِ والعِلمِ، وإنَّما يبقى الحِفظُ العامُّ للأُمَّةِ على صِفَةِ العُمومِ من قولِهِ ﷺ: «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ: لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**»[1] وعلى صِفَةِ الخُويصَةِ والخاصَّةِ في قولِهِ ﷺ: «**فعليكَ بِخُويصَةِ نفسِكَ**»[2].

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٨٦٩) قال الألباني: حسن صحيح، و«صحيح ابن حبان» (٧٢٢٦) إسناده صحيح، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧: ٤٩٣).

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١١) (١٢) (١٣: ١٢) إسناده صحيح لغيره، «موسوعة

الدراسة النصية أساس حوار الحضارات وتقارب الأديان

إنّ الدِّراسَـةَ النَّصِّيَّةَ هي أساسُ الحِوارِ بين الحضاراتِ ، وأساسُ التَّقارُبِ بين الأديانِ ، وأساسُ مُعالجةِ الانهياراتِ المتلاحِقةِ في الجَسَـدِ الإسلاميِّ ، منذ وفاةِ نبيِّ الأُمَّةِ ﷺ حتَّى قيامِ السَّـاعةِ ، مروراً بِمرحَلَتِنا المعاصِرَةِ المقيَّدَةِ نَصَّاً بِمُسَـمَّى (عهدِ الغثائِيَّةِ) .

وهـذا مـا جمعناهُ وفصَّلناهُ في دراسَـتِنا الجديدةِ المسـمَّاةِ بـ (فِقهِ التَّحوُّلاتِ) وهو العِلمُ القائِمُ على دِراسةِ (الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ والحاوي على العِلمِ بِعلاماتِ السَّاعةِ) .

لا أجزم بتمام نجاح هذه الفكرة كليا ولكن جزئيا في معالجتها لكثير من المبهمات

وأعتقِـدُ -واللـهُ أعلَـمُ - أنّ هـذه الدِّراسَـةَ مُسـتقاةٌ مـن عُمـقِ القِـراءَةِ للواقِـعِ الإسـلاميِّ المُمَـزَّقِ ، مـن عـرضِ هذه القـراءَةِ على ما سـبق لِرسـولِ الله ﷺ أن تكلَّمَ عنه واسـتعرضه مِن سابقِ الحوادثِ ولاحِقِها . ولا أجزِمُ بِتمامِ نجاحِ الفكرَةِ المُشـارِ إليها (بِفِقـهِ التَّحوُّلاتِ) كُلِّياً ، وإنَّما أجزِمُ بنجاحِهـا جُزئِيّاً ومعالجَتِها ولو مِن زاوِيَتِي الخاصَّةِ لكثيرٍ من مُبهماتِ الأحداثِ والتَّحوُّلاتِ .

مع المؤلف في مسيرة المعاناة

وكانـت بدايةُ هذا الأمرِ معاناتي الخاصَّةِ ، حيثُ كنـتُ وليدَ ثقافَةِ الأُبُوَّةِ الذَّوقِيَّةِ والمذهبِيَّةِ التقليدِيَّةِ وأحدَ المُنتَمين إلى آل البَيتِ النَّبَويِّ من ذراري الإمامِ المهاجِرِ أحمدَ بنِ عيسى المنتمي إلى الإمامِ الحُسَينِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُم أجمعين .

مع المؤلف في المرحلة الاشتراكية والتحصيل الأكاديمي

ورأيتُ في مَسيرَتي العَمَلِيَّةِ والعِلمِيَّةِ ما أقلَقَنِي وأذهَلَ عَقلي ، وشَوَّشَ مُدرَكاتي بَادِئَ ذي بَدءٍ وخاصَّةً في مَرحَلَتِي الدِّراسِـيَّةِ الشَّرعِيَّةِ وربطِها بالدِّراسَةِ الأكادِيمِيَّةِ الحديثَـةِ .. وكانت اليَمَنُ حينَها مُجَزَّأَةً إلى شَـطرَينِ وثقافتَينِ وأيدُلُوجِيَّتَينِ .. وأما ذاتـي وعَقلي وثقافَتـي فَمُتَمحوِرَةٌ في مدرَسَـتِي الأبويَّةِ النَّبوِيَّةِ الشَّـرعِيَّةِ وبإحكامِ والتـزامٍ أَبوِيٍّ تَربَوِيٍّ صارِمٍ ، وكان لابُدَّ لـي في تِلكُم المرحلَةِ من الارتباطِ بِعَجَلَةِ الحياةِ العِلمِيَّةِ الحديثَةِ مِثلَ غيري مِمَّن يطمَحون في الحياةِ ويحلُمون بالاستقرارِ .. فـكان لي حَظُّ الالتحاقِ المُتَدَرِّجِ بالمدرَسَـةِ الأكاديمِيَّةِ حتـى تخرَّجتُ من الكُلِّيَّةِ بامتيازٍ .

أحاديث الفتن وأشراط الساعة» للدكتورين همام وابنه (١٦٤٤) .

معنى التخرج درجة الامتياز عند المؤلف

ولعلَّ فَهمِي لِدَرَجَةِ الامتيازِ غيرُ فَهم المُوَقِّعين على شهادَةِ الكُلِّيَّة .. فالامتيازُ الذي أنا بِصَدَدِهِ هو انتِصارُ الدِّراسَةِ الأَبوِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ على سلبيّاتِ الدِّراساتِ الإنسانِيَّةِ الوضعِيَّةِ ، وأيضاً على مجموعَةِ الثَّقافاتِ والعاداتِ والعلاقاتِ الطَّبعِيَّةِ.. ولم يكن الانتصارُ معرَكَةَ الضِّدِّ للضِّدِّ .. وإنما هي معركةُ التَّزاوُجِ والتَّداخُلِ وإغناءِ إيجابيَّاتِ المدرَسَتَينِ في دوائرِ العَقلِ والقَلبِ بما يُناسِبُ الزَّمانَ والمكانَ والمواهِبَ والقُدُراتِ والإمكانَ، وشاء الحَقُّ سبحانَهُ وتعالى أن يُهَيِّئَ لي الرِّحلَةَ المُقَدَّرَةَ إلى أرضِ الحَرَمَينِ الشَّريفَينِ حيثُ كان بها مَنبَتُ الفِكرَةِ وظُهورُ التَّصَوُّرِ الإيجابِيِّ ، ورأيتُ في تلك البِيئَةِ ما لا يُحَدُّ ولا يُحصَى من المتناقِضاتِ والتَّناقُضاتِ ، والتزمتُ القِراءَةَ الواعِيَةَ للمدرسةِ الإسلاميَّةِ الإعلامِيَّةِ المُعاصِرَةِ .

المؤلف يشهد الاعتراضات والاحتجاجات اليومية بين الأمة.. لماذا ؟..

وفي رحابِ المسجِدِ الذي كنتُ فيه إماماً والمنبرِ الذي وقفتُ فيه خَطيباً والدُّروسِ العِلمِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ للمُحيطِ الخاصِّ والعامِّ ومجالسَةِ ومناقَشَةِ الخواصِّ وخواصِّ الخواصِّ والعوامِّ وكافَّةِ أجناسِ المسلمين القادِمين من كُلِّ فَجٍّ وحَدَبٍ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ وزيارَةِ النَّبِيِّ مُحمَّدٍ عليه أفضلُ الصّلاةِ والسّلامِ والاعتراضاتِ والاحتِجاجاتِ اليومِيَّةِ وشبهِ اليومِيَّةِ فيما بيننا وعَشَراتِ المُتَعَلِّمينَ والمُعتَرِضين والمُوافِقِين والمُخالِفِين مِن أُمَّةِ الإسلامِ ؛ مع كل ذلك تَكَوَّنَ هَمٌّ في الذّاتِ وأَلَمٌ في الإحساسِ.. يُسائِلُني : أهكذا الدِّينُ ..؟ أهكذا الإسلامُ ..؟ أهكذا تكونُ الدِّيانَةُ..؟ أهكذا تكونُ الأمانَةُ ..؟ هل صوفِيَّتُنا حَقٌّ أم باطِلٌ ! هل مذهَبِيَّتُنا عِلمٌ وشرعٌ أم تولِيفَاتَ مراحِلٍ ! هل انتِماؤُنا لِآلِ بَيتِ رَسولِ اللهِ ﷺ شَرَفٌ أم قادِحٌ شامِلٌ ! ..

مع المؤلف في تساؤلاته الذاتية : من نحن ؟ وأين الحق ؟ وماذا يدور؟

ماذا يدور في الواقعِ ..؟ وماذا يطرُقُ القلبَ والمسامِعَ ؟ إرجافٌ وإسفافٌ واستهزاءٌ واستخفافٌ!.. وتجرُّؤٌ على الأولياءِ والعُلَماءِ واحتقارٌ واستِنكافٌ !! حَيرَةٌ بين المُصلِّين وهمٌّ وغمٌّ وخِلافٌ واختِلافٌ...!

بداية الانطلاق في فقه التحولات

وبين هذا وذاك .. كانت الفِكرةُ تتزاحَمُ لتبلُغَ مداها العُمريَّ الموعودَ .. وكنتُ يومَها في درسِ الحديثِ والقارئُ يقرأُ في «صحيحِ مُسلمٍ» من بابِ الفِتَنِ حديثَ :

«يوشِكُ أهلُ العراقِ أن لا يُجبَى إليهم» وفي روايةٍ: «يجيء[1] ـ قفيزٌ ولا دِرهمٌ، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَلِ العَجَمِ يمنعون ذاك[2]..» الخ الحديثِ، وكانت المعركةُ الدائرةُ في الواقعِ المُعاشِ ما عُرِفَ حينَها بالحصارِ الاقتصاديِّ على العراقِ.. فسألتُ شيخَنا العلّامَةَ الحبيبَ عبدَالقادرِ بن أحمدَ السَّقّافِ ـ رَحِمَهُ اللّهُ رَحْمَةَ الأَبْرَارِ ـ في المجلِسِ: سيِّدي.. هل الحديثُ ينطَبِقُ على ما يجري الآنَ في العراقِ؟.. فسكتَ هُنيهَةً ثُمَّ قال: نعم، راجِعْ أطرافَ الأحاديثِ وشُرُوحَها.

فراجعتُ وراجعتُ أيّاماً ولياليَ فوجدتُ عجائِبَ الأحداثِ وغرائِبَ المعرِفَةِ، بل إنَّ الإمامَ النَّوويَّ قال في شرحِ الحديثِ: (وهذا قد وُجِدَ في زمانِنا في العراقِ)[3].

واعتنَيتُ بعد هذا بأبوابِ السَّاعةِ وعلاماتِها، وانفتَحَ لي بابٌ جديدٌ وتعلُّمٌ شرعيٌّ مُفيدٌ..

لست أدعي الاجتهاد

ولستُ بِمُدَّعٍ اجتهاداً، ولا أرغَبُ ولا أسعى في الأرضِ فساداً، وإنَّما أحببتُ أن أعيشَ العِلمَ الشَّرعِيَّ من داخِلِهِ وأتجنَّبَ الإفكَ الوضعِيَّ وغوائِلَهُ.. فقرأتُ فيما قرأتُ حديثَ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ومرَّةً بعدَ أخرى كان يشغَلُني تركيزُ الجميعِ على أركانِهِ الثَّلاثةِ وإهمالُ المعادِلِ الرَّابعِ، وخَشِيتُ أن أركَبَ شَطَطاً إن قلتُ: إنَّ الرُّكنَ الرابِعَ من أركانِ الدِّين هو العِلمُ بِعلاماتِ السَّاعةِ.. ولكن وجدتُ القائِلَ لهذا هو رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو المُؤَكِّدُ عليه. فأخذتُ في دراسةِ الرُّكنِيَّةِ وملابُساتِ العُصورِ التي حجزت السَّابِقين عن الاِهتمامِ به.. فكان لي معرِفَةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ومُتَعَلَّقاتِهِ، وها أنا ذا أَضَعُهُ في هذا الكتابِ الذي أسميتُهُ بـ«الأُسُسِ والمُنطَلَقاتِ» بعد زَمَنٍ طويلٍ من الجَمعِ والتَّرتيبِ والحَذفِ والتَّركيبِ آملاً أن ينفَعَ اللهُ به مَن هَيَّأَ له النَّفعَ والاستفادَةَ، وأن يُلهِمَ قارِئَهُ الصَّوابَ إلى ما جاءَ في السُّنَّةِ والكتابِ

المدخل إلى معرفة الركنية الرابعة

(١) في «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٤٠٠).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٩١٣).
(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٨: ٢٠).

بعيداً عن الغُلُوِّ والإفرَاطِ والتَّفرِيط..

مقدمات هامة لقراءة علامات الساعة

وأعتَقِـدُ أنَّ من الواجبِ وضعَ بعضِ المُقَدِّمـاتِ الهامَّةِ التي فَهِمتُها خلالَ وضع هذه الدِّراسَـةِ لتكونَ مَدخَلاً مُفيداً وتمهيداً سَديداً للقارئِ المُبتَدِئ .. وسَنَداً أكيداً للمُتَعَمِّـقِ المُتَخَصِّـصِ .. حيـثُ نحتـاجُ لِرَأيِهِ ومعرِفَتِهِ وحُسـنِ مُلاحَظَتِـهِ ، واللهُ المُوَفِّقُ .

فأقولُ : مع كثرةِ التَّناولِ لعلاماتِ السَّـاعةِ حصلَ بعضُ التَّجاوُزِ في تعليلِ الظَّواهرِ واسـتعجَلَ بعـضُ الكُتَّـابِ والباحثين في تفسـيرِها ممَّا أثـارَ أهلَ العِلـمِ الحريصين على سـلامةِ الدِّيانةِ من العَبَثِ والجرأةِ ، وصدرت جُملةٌ من الرَّسـائلِ الحاويةِ على الـرَّدِّ المُتفاوِتِ بينَ الاعتدالِ وبيـنَ الغُلُوِّ في النَّقدِ للمُتَكَلِّفيـن والمُتَناوِلين هذا الفَنَّ المُعَقَّـدَ ، وقـد أجمـلَ بعضُ الباحِثِيـن المسـائِلَ[1] التي يكثُـرُ فيها الطَّيـشُ والخَلطُ ووضع لها الضَّوابطَ التاليةَ نذكر هنا مجموعة منها:

تبقى الأشراط في دائرة التوقع المظنون

* أن تبقَـى هذه الأشـراطُ فـي دائـرةِ التَّوقُّعِ المظنـونِ دون أن نتكلَّـفَ إيجادَها بإجراءاتٍ من عند أنفُسِـنا ، وأنَّها أمورٌ كونيَّةٌ قَدَريَّةٌ واقعةٌ لا محالةَ ، ولم نُخاطَب باستخراجِها من عالَمِ الغَيبِ إلى عالم الشَّهادَةِ .

تبقى الأشراط في دائرة التوقع المظنون

* أن يُراعـى التَّرتيـبُ الزَّمنِيُّ لتسلسُـلِ الأشـراطِ طِبقاً لما دَلَّـت عليه نُصوصُ الوحـيِ الشَّـريفِ وعَـدَمُ القَطعِ بِزمـانٍ أو ترتيبِ مـا لا دليلَ على زمنـهِ وترتيبِهِ إلا بِالظَّـنِّ والتَّخميـنِ ، فمـن الأشـراطِ التـي قطعـت النُّصـوصُ بتعييـنِ ترتيبها مثل الدَّجَّالِ ، ويليه نزولُ عيسى، يليه يأجُوجُ ومأجوجُ .

وأخـرى مـن العلاماتِ مقدِّماتٌ إجماليَّـةٌ ذُكِرت دون تعيينِ ترتيبها بالنِّسـبَةِ لما يُتَوَقَّعُ من الأشـراطِ ، كانحسـارِ الفُراتِ عن جَبَلٍ من ذَهَبٍ ، وعودةِ أرضِ العَرَبِ مُرُوجاً وأنهاراً ، وغيرِ ذلك[2].

عدم تأثير الترقب على واجب الوقت

- أن لا يُؤَثِّر هذا التَّرَقُّبُ سَلباً على أداءِ واجبِ الوقتِ وتكاليف الشَّرعِ كالدَّعوةِ

(١) في كتاب «فقه أشراط الساعة» لمحمد إسماعيل المقدم .

(٢) «المصدر السابق» ص١٨٧ .

وطَلَبِ العِلمِ والجِهادِ انتظاراً لوُقوعها .

ثم قال الباحث : فقد كان هَديُ السَّلَفِ رحمهم الله – أنهم لا يُنَزِّلونَ أحاديثَ الفِتَنِ على واقع حاضر ، وإنما يرونَ أصدقَ تفسيرٍ لها وقوعَها مُطابِقَةً لِخَبَرِ النَّبيِّ ﷺ ، ولذلك نُلاحِظُ أنَّ عامَّة شارِحي الأحاديثِ الشَّريفَةِ كانوا يُفيضون في شرحِها ، واستنباطِ الأحكامِ منها ، حتى إذا أَتَوا على أبوابِ الفِتَنِ وأشراطِ السَّاعَةِ أمسَكُوا أو اقتَصَدوا في شرحِها للغايةِ ، ورُبَّما اقتَصَروا على تحقيقِ الحديثِ واكتَفَوا بشرحِ غريبِهِ .اهـ .

هدي السلف أمام فقه التحولات

وقال : ولا بُدَّ من أن تكونَ النُّصوصُ التي يُطَبَّقُ عليها هذا الضَّابِطُ ممَّا يطرُقُ دِلالَتَهُ الاحتمالُ ، بِخلافِ النُّصوصِ المُحكَمَةِ التي دَلَّ الدَّليلُ على المرادِ منها بحيثُ لاتلتَبِسُ على أَحَدٍ ، فإنها تخضَعُ لهذا الضابطِ ، مثلَ نُزُولِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماءِ عند المنارَةِ البيضاءِ بِدِمِشْقَ ، وصلاتُهُ الصُّبحَ خلفَ المهدِيِّ ، ومثلَ خُروجِ الدَّجَّالِ بِصِفَتِهِ التي أخبر عنها النَّبيُّ ﷺ .

النصوص وعلاقتها بما يطرقه الاحتمال

* ما أشكلَ عليك فكِلهُ إلى عالِمِهِ ، وقال أبو حامدٍ الغزاليُّ : (لوسكتَ مَن لا يعرِفُ قلَّ الاختِلافُ ، ومن قَصُرَ باعُهُ وضاقَ نظرُهُ عن كلام عُلماءِ الأُمَّةِ والاطِّلاعِ فما له وللتَّكَلُّمِ فيما لا يدريهِ والدُّخولِ فيما لا يعنيهِ ، وحقُّ مِثلِ هذا أن يلزَمَ السُّكوتَ) .

تبقى الأشراط في دائرة التوقع المظنون

* لا نُعَطِّلُ السُّننَ والأسبابَ بحُجَّةِ انتظارِ المهدِيِّ ، وما أصدَقَ ما نُسِبَ في هذا إلى جعفَرٍ الصَّادِقِ رحمه الله من قولِهِ لمن خاض في الأحكام القَدَرِيَّةِ وانشغَلَ بها عن واجبِ الوقتِ : (إنّ اللهَ أراد بنا أشياءَ وأرادَ مِنّا أشياءَ، فما أراده بنا أخفاهُ عَنَّا، وما أراده مِنَّا بَيَّنَهُ لنا ، فما بالُنا ننشغِلُ بما أرادَهُ بنا عمَّا أراده مِنّا) [1].

تبقى الأشراط في دائرة التوقع المظنون

قلتُ ـ والله أعلم ـ : ومع هذا التأصيلِ المُفيدِ والهامِّ الذي نقلناه عن الحريصينَ ـ إن شاء الله ـ على كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِهِ مِن العَبَثِ الانفعاليِّ فإنَّ الأَقلامَ ذاتَها بإدراكٍ أو بغيرِهِ لم تسلَم من الوُقوعِ فيما يُنتَقَدُ لدى الآخَرين خلالَ التَّناوُلِ

رأي المؤلف فيما سبق من الضوابط

---

(١) ص٢٠٣ «المصدر السابق» .

لمواضيعِ السَّاعةِ وعلاماتِها بِصورةٍ أو أخرى .

ولسنا هنا بِصَدَدِ المُدافعَةِ عما يراه البعضُ باطلاً ولا ملاحَقَةِ ما وجدناه من الجُنُوحاتِ في الموضوعاتِ المطروقةِ ، وإنما نرغَبُ في نزعِ فَتيلِ الاشتعالِ المُعتادِ بين الغَيورين على الحَقِّ النَّاصِعِ لِيُستَفَادَ من الجُهودِ المُشترَكَةِ في خِدمَةِ الأُمَّةِ وإصلاحِ ما يُمكِنُ إصلاحُهُ وإنقاذِ ما يُمكِنُ إنقاذُهُ ، والنَّظَرِ إلى الأهدافِ العُليا من دراسةِ العلاماتِ والأشراطِ وتجاوُزِ الجُزئيَّاتِ والانفعالاتِ إلى ما هو أولى وأجدى ، والذي هو أولى وأجدى أن يتفهَّم الجميعُ مقولاتِ الحبيبِ ﷺ وأحاديثَهُ الصَّحيحةَ في الموضوعِ حتى لا نُفَوِّتَ الحقيقةَ بسببِ الاختلافِ على طريقِ الوُصول إليها .. وحاجةُ الناسِ اليومَ إلى من يكشِفُ حقائقَ العلاماتِ على بساطِ المعرفةِ أكثرُ من حاجتهم إلى مَن يُشَوِّشُ العلاقةَ بين الباحثين عنها .

متابعة الأحاديث أيسر وأولى من متابعة تعقيدات العلماء

وبما أنَّني قد اشتغلتُ بهذا الموضوعِ على مدىً زَمَنِيٍّ طويلٍ فإنِّي أَجِدُ أنَّ متابعةَ الأحاديثِ ذاتِها واستِقراءها الواضِحَ أيسَرُ وأنفَعُ من متابَعَةِ التَّعقيداتِ التي وضعَها البعضُ من حَمَلَةِ الأقلامِ حِرصاً على ما يقالُ عنه أنَّه عَبَثٌ بالعلاماتِ والأشراطِ ، فالعابثون بالأشراطِ كفاهم فَشَلُ مقولاتهم التي تعجَّلُوها حرصاً على الشُّهرَةِ والظُّهورِ ، والتَّلميحُ في معاتَبَتِهم خيرٌ من التَّصريحِ والتَّشنيعِ لأنَّ التَّصريحَ

التلميح خير من التصريح في المعاتبة

والتَّشنيعَ بابٌ خطيرٌ لو أراد المخلِصُونَ الصَّادقونَ فتحَ بابِهِ ضِدَّ المُتَقَوِّلينَ على غيرِهم في المرحَلَةِ المُعاصِرَةِ .. وقد تَصِلُ المسألَةُ إلى ما لا يُرضِي العديدَ من المُتَحَدِّثينَ اليومَ باسمِ الدِّفاعِ عن السُّنَّةِ والكتابِ وخاصَّة عند تناوُلِ العلاماتِ والأشراطِ بِتَفَقُّهٍ واعٍ ونَظَرٍ عميقٍ لأقوالِ مَن لا ينطِقُ عن الهوى ﷺ مما يزيدُ الطِّين بَلَّةً والتحدِّيَ أُواراً واشتعالاً .

ظاهرة الاحتناك والاحتكار للسلامة

إنَّ ظاهِرَةَ الاحتناكِ والاحتكارِ للسَّلامَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ وظاهِرَةَ النَّبزِ والتَّشَفِّي ، وظاهِرَةَ التَّركيزِ على العُيوبِ وغَمطِ المحاسِنِ علامةٌ من علاماتِ السَّاعةِ رُبَّما لاحَظَها القارِئُ في مُتابَعَتِنَا لهذه النَّماذِجِ في كتابنا هذا عند تناوُلِنا لِمَظاهِرِ الغُثائِيَّةِ وشُمولِ الوَهَنِ والتَّداعي ، وأنَّ الاشتغالَ بها داخِلَ حظيرَةِ المُصَلِّينَ ـ من كُلِّ نماذِجِ المذاهِبِ ـ تحريشٌ شيطانيٌّ ، إلا إذا جاءت على صِفَةِ الحِكمَةِ والموعِظَةِ

الحَسَـنَةِ ، والحِكمَةُ والموعِظَةُ الحَسَـنَةُ مِن مظاهِرِهـا التَّلَطُّفُ مع المُخطِئِ فضلاً عن المُصِيبِ ، وأمّا ما نحاهُ حَمَلَةُ الأقلامِ من توجيهِ المراحلِ وسيرِها الملحميِّ[1] لصالِحِ المُتَّجهاتِ الفِكريَّةِ فأمرٌ يربطُنا بعلاماتِ السَّاعَةِ وأشراطِها السَّلبيَّةِ .

الأشراط المجهولة وموقعنا من معارضتها

وبعضُ الأشـراطِ والعلاماتِ مجهولةُ التَّحديـدِ الزَّمَنِيِّ والمكانيِّ ، وأما بعضُها فيمكِنُ معرِفَتُهُ بالمُلاحَظَةِ والاستقراءِ المُتأنِّي ..

كمـا وردَ عـن جُملـةٍ مـن أصحاب رسـولِ اللـهِ ﷺ فـي الفِتَنِ التـي وقعت في عُصورِهم، كانوا على عِلمٍ بالوُقوعِ ولكن يجهلونَ الزَّمَنَ والشُّخوصَ ، فلمَّا رَأَوها عَيانـاً قـال قائِلُهـم ـ وهو حُذيفَةُ بـنُ اليمـانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : «**إِنْ كُنْتُ لأَرَى الشَّـيْءَ قَدْ نَسِيتُ ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ**»[2].

وعـن الحسـن قـال : قـال الزُّبيرُ بـنُ العـوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «نزلـت هذه الآيـةُ ونحنُ مُتوافِرون مع رسـولِ اللـه ﷺ ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] فجعلنا نقولُ : ما هذه الفِتنَةُ؟ وما نشعُرُ أنَّها تقعُ حيثُ وقعت» [3].

لماذا تناول النبي ﷺ العلامات؟ لم لم يسكت عنها أو يخفف من إشهارها؟

ومـا تناولَهـا ﷺ وخطَبَ بها أمامَ الملأِ وفي مُناسـباتٍ جمّـة إلا لتُصبِحَ إحدى مـوادِّ الفقهِ الإسـلاميِّ بصرفِ النَّظَـرِ عمَّا تحملُهُ من إحراجـاتٍ وتحدِّياتٍ .. وإذا كانت الإحراجَاتُ والتَّحدِّياتُ عاملاً شـرعِياً يُلزِمُنا إغفالَ العلاماتِ والأشـراطِ ، فقـد كان ﷺ أولى بإغفالِها والسُّكوتِ عنهـا أو حتى التّلميحِ مـن أجلِ تجاوُزِها والصَّمتِ حِيالَها..

مرحلة الرسول ﷺ تأصيل

لقد كانَت مرحلةُ رسولِ الله ﷺ مرحلةَ تأصيلٍ عَمَلِيٍّ لأسلُوبِ المعاملاتِ وبِناءِ المواقِفِ بين مَكَّةَ والمدينةِ بما يتناسَبُ مع التَّحَوُّلاتِ وسَيرِ الأشراطِ والعلاماتِ ،

---

(١) الملحمـي مـن الملاحـم وهـي الحـروب العامة والفتـن الكبـرى الجائحـة ، وخاصة بين المسلمين والكفار .

(٢) «صحيح البخاري» (٦٦٠٤) .

(٣) «**مسـند أحمـد**» (١٤٣٨) ، وإسـناده صحيح انظر تحقيق «السـنن الواردة فـي الفتن» لأبي عمرو الداني للدكتور محمد إدريس المباركفوري (١: ٢٠٥) .

والأشـراطُ جُـزءٌ من الرِّسـالةِ المُنزَلَةِ على النَّبـيِّ ﷺ ، فـكانَ ﷺ يخصُّها بخُطَبٍ وتعريفاتٍ واختباراتٍ ومواقفَ تُؤَكِّدُ أهمِّيَّةَ الأوعيَةِ الحامِلَةِ هذا النَّموذَجَ الشَّرعِيَّ من تفسيرِ الحوادثِ ، وأهمِّيَّةَ الأُسلوبِ المبلِّغِ للشُّعوبِ حِيالَها .

فقه التحولات اليوم من أهم أركان الدين

بـل إنَّنـي أعتَقِدُ ـ والله أعلـم ـ أنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ اليومَ يُعَدُّ مـن أَهَمِّ أركانِ الدِّينِ الأربعـةِ ؛ لأنَّ الأركانَ الثلاثـةَ قـد خُدِمَـت وحُفِظَـت وقُـرِّرَت واسـتوعبها كافَّـةُ المُسلِمين وغيرُ المُسـلِمين ، وأكثَرُوا فيها الكتابَةَ والتَّصنيفَ والتَّأصيلَ والتَّفريعَ ، وهي ـ بلا شَكٍّ ـ مادَّةُ الأعمالِ والطاعَةِ ؛ أما علاماتُ السَّاعَةِ ـ باعتبارِها رُكناً ـ فهي وِعـاءُ المادَّةِ ، وكم مِن وِعاءٍ لم تُعرَف حقيقةُ سـلامتِهِ ونزاهَتِـهِ ظَلَّ حامِلاً لأركانِ الدِّيـنِ الثلاثـةِ وهـو لا يَدِينُ بها حقيقةً وإنمـا مُجاملةً أو تَقِيَّةً أو نِفاقاً أو سياسـةً أو تسييساً ، بل رُبَّما كان يعملُ على خدمةِ الدَّجَلِ والدَّجاجِلَةِ داخلَ خيمةِ الإسلامِ !!

ولكنَّنـا عند دراسـةِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ وعلاماتِ السّـاعةِ نعرِفُ بالعلامـاتِ تِلكُم الأوعيةَ كما نعرِفُ تصنيفَ العدالَةِ من فاقِدِيها والسّـلامةِ عن الانحرافِ والإيمانِ من النِّفاقِ سواءً في حياتِنا العامَّةِ أو في قراءَةِ التَّاريخِ المكتوبِ، والتاريخُ المكتوبُ يحتاجُ إلى إعادَةِ رَبطٍ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ.

وخاصَّةً أنَّ غالِبَ الذين كتبوا أو قرؤوا التَّاريخَ وأحداثَه ـ بعيداً عن قراءَةِ علاماتِ السَّـاعةِ وفِقهِ التَّحـوُّلاتِ ـ يَقَعون بإدراكٍ أو بغيرِ إدراكٍ في مُشـكِلَةِ الحُكمِ الذَّاتيِّ علـى المرحلـةِ أو الرُّمـوزِ فيها بما يُوافِقُ المفهـومَ لديهم من خِـلالِ الحياةِ ذاتِها ، بَـدءاً من عَصرِ الرِّسـالةِ ومُجرَياتهـا التاريخِيَّةِ ونهايـةً بالصِّراعِ الفِكـريِّ الدَّائرِ في الحيـاةِ الدِّينيَّـةِ والدُّنيويَّةِ عبرَ الأزمِنَةِ إلى اليومِ ، وليسَ من مواقِفِ النَّبيِّ ﷺ حيالَ الشُّخوصِ والمراحلِ ، وما نَصَّ عليه تاريخُ الحديثِ النَّبَوِيِّ الخاصِّ بالتَّحوُّلاتِ .

نصوص فقه التحولات تُعنى بمسيرة الحكم والعلم

حيثُ إنَّ نُصوصَ فِقهِ التَّحوُّلاتِ تُفصِحُ عن مسيرَةِ الحُكمِ والعِلمِ وعن فِقهِ سيرِ الأحداثِ المُقَدَّرَةِ في عِلمِ اللهِ ، سواءً في حياتِهِ أو بعدَ وفاتِهِ ﷺ ، وما سيؤُولُ إليه أمـرُ الأُمَّةِ من انحرافاتٍ وجُنوحاتٍ ، أو ما يترتَّبُ عليه من نماذِجِ الابتلاءِ وتحوُّلِ المواقِـفِ أو تضييـعِ الأمانةِ ، أو ما سـيبرُزُ من صبرٍ لدى فريقٍ آخـرَ من أجلِ إنفاذِ

مُرادِ اللهِ المُقَدَّرِ وفقَ النُّصوصِ الخاصَّةِ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ .

إنَّ نُصوصَ التَّشريعِ والأحكامِ والمعاملاتِ والسُّلوكِ والعقائِدِ تُعنَى ببناءِ القِيَمِ والعباداتِ والعاداتِ والمعاملاتِ المضبوطةِ بالوَحيِ والعِصمَةِ في عصرِ الرَّسولِ ﷺ وما يبنيه ﷺ في أصحابِهِ وآلِ بيتِهِ ومُحبِّيه في الشُّعوبِ ، على أفضلِ الصُّوَرِ والعلاقاتِ القائمة بأُسُسٍ على فقهِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ وما تفرَّعَ عنها بعد ذلك من أقوالٍ واجتهاداتٍ مذهبِيَّةٍ وتأصيلٍ وتقعيدٍ وتفريعٍ .

أما فِقه التَّحوُّلات فيضَعُ خريطةَ المستقبلِ وما يكونُ من أمرِ الحُكمِ والعِلمِ والمواقفِ وموقعِ العدالةِ منها أو الجنوحِ والشَّططِ المُستَبِدِّ بالأمرِ بين حَمَلَةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والأخلاقِ وسلامةِ المراحلِ أو فسادِها .

حياة النبي ﷺ قراءة واعية للأحداث حاضرا ومستقبلا

بل إنَّ مُلاحِظَ الوقائعِ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ عند عرضِها بوعيٍ وحُسنِ قراءةٍ تكشِفُ له أموراً هامَّةً مما ستؤولُ إليه الأُمَّةُ إلا أنَّه ﷺ لم يعترض عليها ، وإنما كشفَ أحداثَها ووقائِعَها دون إصدارِ حُكمٍ أو ثَلبِ فردٍ أو لَعنِهِ او استنقاصِ مَوقِفِه ، بينما في مواقِفَ أخرى تجري ألفاظُ اللَّعنِ والسَّبِّ والثَّلبِ والاستنقاصِ منه ﷺ في حَقِّ آخرينَ دون مُجاملةٍ أو تردُّدٍ أو توريَةٍ .

إضافةً إلى أنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ وعلاماتِ الساعةِ مشحونٌ بالعَشَراتِ من الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ المُشيرَةِ إلى ما يستَجِدُّ من اكتشافٍ واختراعٍ وعُلومٍ صِناعيَّةٍ وزراعيَّةٍ وفضائيَّةٍ لم يكن بها سابقُ عِلمٍ ولا معرفةٍ ، وفي هذا البابِ نَجِدُ أَنَّ الشَّيخَ العلَّامةَ أحمدَ بنَ محمَّدِ بن الصِّدِّيقِ الغُمارِيَّ الحَسَنِيَّ[1] قد ألَّفَ كتابَهُ «مُطابَقَةُ

(١) هو العلامة المجتهد الحافظ مجدد علم الحديث أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق بن أحمد بن قاسم بن محمد بن عبد المؤمن الغماري الحسني الإدريسي المغربي.
كان والده رحمه الله تعالى معتنيا به أشد الاعتناء ويذاكره في شتى الفنون ويحثه على الطلب والتعب في التحصيل، ولما أمر والده الإخوان المتجردين بالزاوية الصديقية أن يحفظوا القرآن الكريم كتب كتابا في فضل القرآن الكريم وحفظه وتلاوته سماه «رياض التنزيه في فضل القرآن وحامليه» وهو أول ما صنف وكان دون العشرين .
وفي سنة ١٣٣٩هـ وصل للقاهرة للدراسة على علماء الأزهر المعمور حسب توجيهات

الاختراعـاتِ العصريَّـةِ لما أخبر به سـيِّدُ البريَّةِ» ويكادُ أن يكونَ هـذا الكتابُ أَوَّلَ كتابٍ عُرِفَ في تنزيلِ الأحاديثِ الواردةِ على الُمستَجِدِّ من ظواهرِ العِلمِ الحديثِ وتغيُّـراتِ المراحـلِ، جـزاهُ اللهُ خيـرَ الجزاءِ، وقد بسـط في كتابه المذكـورِ فوائدَ جليلـةً وخاصَّـةً في النَّظَرِ إلى تفسـيرِ بعضِ آيـاتِ القرآنِ وعلاقتِها بالُمسـتَجِدِّ من العُلومِ وبالأحاديثِ النَّبويَّةِ وكشفِها العجيبِ لأسرارِ المُستقبَلِ وما يكونُ فيه .

فقه التحولات علم ضابط لمواقف الرجولة

إنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ عِلمٌ ضابطٌ لمواقـفِ الرُّجولَةِ أمامَ الأحـداثِ والتَّحوُّلاتِ ، وعِلـمٌ يُدينُ الإفراطَ مـن كُلِّ وُجوهِهِ إدانـةً على مُرادِ اللهِ ورسـوله ﷺ كما يُدينُ التَّفريـطَ مـن كافَّةِ وُجوهِهِ إدانَـةً على مُرادِ اللهِ ورسـولِهِ في جميـعِ مراحِلِ الحياةِ الإنسـانيَّةِ والإسلاميَّةِ ، وليس كما نراه ونفهمُهُ بِعُقولنا وانتماءاتِنا الطَّبعِيَّةِ أو فهمِنا الذَّاتيِّ للقضايا التاريخيَّةِ.

حاجتنا لهذا العلم أكثر من حاجتنا للماء والغذاء

وكأنَّنـا في حاجَتِنا لهذا العِلمِ اليـومَ أكثرَ من حاجَتِنا للماءِ والغِذاءِ والدَّواءِ ؛ لأنَّ

والده ، فعاود قراءة الفقه المالكي ثم الشـافعي . ومن شـيوخه بمصر الشيخ محمد إمام بن إبراهيم السـقا الشـافعي وكان يتعجب من ذكائه وسـرعة فهمه وشـدة حرصه على التعلم ، وكان أحيانـا يقـول له لما يرى حرصه على قـراءة الكتب التي تدرس في أقرب وقت : أنت تريـد أن تشـرب العلم ، وله مشـايخ آخرون بمصـر منهم مفتي الديـار المصرية ومفخرتها الشيخ محمد بخيت المطيعي ، وقرأ على المسند المحدث عمر حمدان التونسي المدني .

وفي سنة ١٣٥٤هـ رجع إلى المغرب بسبب وفاة والده رحمه الله تعالى فاستلم الزاوية وقـام بالخلافـة عن والده واعتنى بتدريس كتب السـنة المطهرة مـع بعض كتب المصطلح وأقرأ بعضا من كتب التخريج والأجزاء والمشيخات والمسلسلات وأملى مجالس حديثية بالجامع الكبير بطنجة . وحث الناس على العمل بالسـنة الشـريفة . وكان يحارب السـفور والمـدارس العصريـة والتشـبه بالكفـار وله في ذلك جزء سـماه «الاسـتنفار لغزو التشـبه بالكفار» جمع فيه الأحاديث التي تنهى عن التشبه بالكفار .

ولـم يكن صاحب الترجمة رحمه الله تعالى من الذين قصروا أنفسـهم على العلم فقط ؛ بل حارب الاسـتعمار وسـعى في إخراجه، وسـجن بسـبب ذلك لعدة سـنوات ، وفي يوم الأحـد غـرة جمادى الثانية سـنة ١٣٨٠ انتقل رحمه اللـه تعالى ودفن بالقاهـرة رحمه الله تعالى وأثابه رضاه .

فـي هذا العِلم سَـدَّ كافَّةِ الثَّغـراتِ التي دخل منها تحريشُ الشَّـيطانِ بين الُمصلِّين، وقـد جعلَ الشَّـيطانُ بها من عِلمِ العُلمـاءِ واجتهادِ المُجتهِدين وقـودَ فِتنَةٍ بين أهلِ المِلّةِ الواحدةِ والرِّسالَةِ الواعِدَةِ .. لماذا؟

لأنَّ الذين لم يُعيدوا الاحتكامَ في مثلِ هذه المسائلِ إلى نصوصِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ اصطدموا بالتَّحليلِ الطَّبعِيِّ من عند أنفسِهم للأمورِ والحوادِثِ بعد قراءَةِ نُصوصِ المناقِبِ والفضائِلِ كنُصوصٍ صحيحـةٍ وصريحةٍ؛ ولكنَّ الأحـكامَ في مُجرَياتِ التَّحـوُّلِ التَّاريخِـيِّ لم تصـدُر بها ولا مِن خلالها، وإنَّما جـاءت على نُصوصِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ الصَّـادِرَةِ من لِسـانِ من لا ينطِـقُ عن الهوى ﷺ، فبها يعـارِضُ النَّصُّ النَّـصَّ أو يُوقِفُ الخُلفاءُ العَمَلَ بالنَّصِّ كمـا فعل الأئِمَّةُ الأطهارُ بنصوصِ مناقِبِهم وارتَضَوا سـلامَةَ الأُمَّةِ، وكفى بالاقتداءِ بهم حُجَّةً كي يحفَظَ المُسـلِمُ لسانَهُ وقلبَهُ وحاضِرَهُ ومستقبلَهُ من الوُقوعِ في الفِتَنِ المُضِلَّةِ وينالَ بركةَ الجميعِ وثوابَ مواقِفِ السَّـلامَةِ لدى أهلِ السَّـلامةِ، ويَكِلَ أمرَ القضاءِ والقَدَرِ فيما يجري على البَشَرِ إلى المولى سبحانه وتعالى وهو حسيبُ عبادِهِ ووكيلُ أمرِهم سبحانه وتعالى.

المُؤلِّفُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المُنطلَق

الحمـدُ للهِ الذي جمع في الأصلَينِ ومعادِلِهما الثَّالِثِ علاجَ الأوائِلِ والأواخِرِ، وأسـاسَ العِلـمِ لـكُلِّ أمـرٍ باطِنٍ وظاهِـرٍ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ على سَـيِّدِ المباهِجِ والمفاخِـرِ، مُحَمَّـدِ بـنِ عبدِ اللِه رَسـولِ الله الموهوبِ مـن رَبِّهِ أفضَـلَ المعارِفِ وأشـرَفَ العُلـومِ، صلـى اللهُ عليه وعلـى آلِهِ وأصحابِـه أهل الشَّـجاعةِ والفُهومِ، وعلى التَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ اللِّقاءِ المعلومِ..

العودة إلى الأساسيات من أهم المهمات

وبعـدُ: فـإنَّ مـن أهـمِّ المُهمَّـاتِ في هـذا الزَّمانِ ومـن ألـزَمِ الضَّـروراتِ عودَةُ المسلمين إلى الأساسيَّاتِ، وهي تجديدُ قراءةِ كتابِ اللهِ الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾، وإعادةُ دراسةِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ التي صَحَّت سَنَداً ومتناً عن من لا ينطِقُ عن الهوى ﷺ، ودراسَةُ مواقِفِه الذَّاتيَّةِ المُشتَمِلةِ على ما يُعرَفُ بالنُّبُوَّةِ وهي خُصوصِيَّاتُ سُـلوكِهِ ﷺ، ففي هذه الإعادَةِ خروجُ الجميعِ مـن ظاهرةِ الاحتـدامِ والاختلافِ على فرعِيَّاتِ المسـائِلِ ورُكامِ التَّفرِقَةِ الذي حلَّ بالمسـلمين حتى اكتسـبَ بعضُهم لِبعضٍ العـداوةَ وتوارَثُوا الحِقـدَ والبغضاءَ إلى رَحـبِ الأخلاقِ وسَـعَةِ الآدابِ والأذواقِ، وما كان ذلك الاحتدامُ والاختلافُ إلا لأنَّهم خلطوا عُلومهم بنتائِجِ مُفرَزاتِ طِباعهم فَتغلَّبَ الطَّبعُ على الشَّرعِ وتراكمت فُهـومُ الاختلافـاتِ جيـلاً بعد جيـلٍ واخترَقَ الشـيطانُ بذلـك عُقولَهُـم وقُلُوبَهم بوسواسِـهِ وتحريشِه حتى ﴿ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. اللهُمَّ اجعلنا من هذا الفريقِ المُستثنَى بِمَنِّكَ وفَضلِك وكرمِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين.

ولأنَّ الإعادَةَ الصحيحةَ لقراءَةِ الأصلَينِ ومعادِلهما عِلمٌ مُميزٌ؛ فلا بُدَّ من معرفةِ

وسائلِ القِراءَةِ ، وهي تنقَسِمُ إلى قِسمَينِ :

قراءة العلماء لأصول الديانة كانت على ضوء الثوابت الثلاثة

١ – قراءَةٍ لما قد سبق للعُلَماءِ أن خدموه ووسَّعوا البحثَ فيه ، وهو ما يخدِمُ عِلمَ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ، وما عُرِفَ لدى العُلماءِ في علمِ الأُصولِ : بالسُّنَّةِ الفعليَّةِ والقوليَّةِ والتَّقريريَّةِ ، وما تفرَّعَ من خِدمتها العِلميَّةِ .

قراءتنا لعلامات الساعة تأتي على أنها ركن خاص بالتحولات

٢ – ما لم يسبِق للعُلَماءِ تأصيلُهُ وخدمتُهُ ودراستُهُ بتفصيلٍ وتبيينٍ ، وهو ما يتعلَّقُ بالعِلمِ بعلاماتِ السَّاعةِ ومواقِفِ رِجالِ النَّمَطِ الأوسَطِ وعُدولِ الأُمَّةِ ، وما ترتَّبَ على دراستِها من إبرازِ فقهٍ خاصٍّ يُعرَفُ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ . وسُنَّتَان خَاصَّتَان هما سُنَّتَا المواقِفِ والدِّلالَةِ ، تَتَبَّعتُ دِراسَتَها وبحثَها على مدىً زَمَنِيٍّ طويلٍ ، مُبتدئاً بدراسةِ علاماتِ السَّاعةِ من حديثِ جبريلَ ، وهو أحدُ أركانِ الدِّينِ الأربعةِ على ما ورد في نصِّ الحديثِ الشَّريفِ الذي رواهُ سيِّدُنا عمرُ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأخرجه مسلم ، ثُمَّ تابعتُ ما اجتمعَ عليه من زياداتٍ وإضافاتٍ في كُتُبِ السُّنَنِ والمسانيدِ وغيرِها من تفصيلِ أخبارِ علاماتِ السَّاعَةِ وما يترتَّبُ عليها من بيانٍ وإيضاحٍ لكثيرٍ من أمورِ الحياةِ المعقَّدَةِ،الذي سُيِّسَ فيه الاختلافُ وخرجَ عن مبدأِ القواسِمِ المشتَرَكة في الإسلامِ إلى مبدأٍ آخرَ تَحكُمُه سياسَةُ التَّحريشِ والتَّفرقةِ والعداوةِ المُركَّبَةِ التي تنطلِقُ من وُجهةِ نظرِ الشَّيطانِ الدَّاعي إلى المبدَأِ المعروفِ (فرِّق تَسُد) .

وبهذا المبدأِ الشَّيطانِيِّ تحقَّقت السِّيادَةُ الإبليسِيَّةُ على كُلِّ المُصلِّين ، واستطاع هذا المخلوقُ المُعادي أن يَصِلَ إلى أهدافِهِ في المسلمين باختلافِهم ، كما وصل إلى استعبادِ الكُفَّارِ والمشركين بِكُفرِهم ، حيث إنَّ للشَّيطانِ عقيدتَينِ :

عقائد الشيطان في البشرية

١ – الكُفرُ ، وهو ما يمارسهُ مع الشُّعوبِ الوثنيَّةِ والمُلحِدَةِ وأهلِ الكتابِ الذين كفروا بمخالفتهم دعوةَ أنبيائِهم وحرَّفُوا كُتُبَهم وأثبتَ القرآنُ انحِرافَهُم .

٢ – التَّفرِقَةُ والاختِلافُ ، وهو ما يمارِسُهُ مع الشُّعوبِ المسلمةِ (التَّحريشُ) .

وبهذين العُنصُرَينِ يتحقَّقُ للشيطانِ في الحياةِ الإنسانيَّةِ الاحتناكُ والقُعودُ على الصِّراطِ المستقيم .

البشرية كلها هدف تاريخي للشيطان

والبشريَّةُ كُلُّها رجالاً ونساءً هَدَفٌ تاريخيٌّ للشّيطانِ منذ استخلافِ الحَقِّ سبحانه وتعالى لآدَمَ في الأرضِ، ومنذ أن قال اللهُ تعالى للملائكةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، والاختلافُ والتَّفرقةُ قد يُؤدِّي في دائرةِ الإسلامِ إلى الموتِ على غيرِ دِينٍ وخصوصاً إذا بلغ الأمرُ إلى الانحرافِ الفِكريِّ كالإلحادِ أو الرَّفضِ للدِّيانَةِ استحساناً لما عند الكُفَّارِ أو الصِّراعِ العَقَدِيِّ وما ترتَّبَ عليه من التَّكفيرِ والتَّشريكِ والقطيعةِ بين الأرحامِ وعُقوقِ الوالِدَينِ وغيرِها من الكبائرِ.

وبطبيعةِ حالِ الإنسانِ فهو مخلوقٌ مُستجيبٌ ومُوجَّهٌ سواءً كان في دائرةِ الوَعيِ الإسلاميِّ الشَّرعِيِّ أو في دائرةِ الوعيِ الإنسانيِّ الوضعيِّ، وما من دعوةٍ في هذَينِ الجانِبَينِ إلا ولِكِلا الدائِرَتَينِ فيها موقِعٌ ومكانٌ، وقد اختلط الحابِلُ بالنَّابِلِ في هذا العصرِ الأخيرِ وهو الذي سمَّاهُ ﷺ بـ(عصرِ الغُثاءِ والوَهَنِ) و (عَصرِ تداعي الأُمَمِ) و (عصرِ نَزعِ المهابةِ من قُلوبِ الأعداءِ)[1]، وغيرِها من المُسمَّياتِ التي لا تُعرَفُ ولا تُقرَأُ إلا بدراسَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتِ الساعةِ، وبها يَتبيَّنُ بوضوحٍ موقِعُ الرَّجُلِ وموقِعُ المرأةِ وموقِعُ الأُسرَةِ وموقِعُ الأُمَّةِ وموقِعُ المرحلةِ أيضاً من مبدأِ السَّلامةِ والالتزامِ به، ومبدأِ التَّحريشِ والارتكاسِ فيه، ولأجلِ هذا صار مِنَ الوُجوبِ علينا بمكانٍ أن نُظهِرَ ونُبرزَ العِلمَ بالرُّكنيَّةِ الرَّابعةِ مِن أركانِ الدِّينِ كما دعا إلى ذلك سيِّدُ المُرسلين ﷺ في قولِه: «**إذا لعنَ آخرُ هذه الأمَّةِ أوَّلها فمَن كان عنده عِلمٌ فليُظهِرهُ فإنَّ كاتِمَ العِلمِ يومئذٍ ككاتِمِ ما أُنزلَ على مُحمَّدٍ**»[2]، وحديثِ:

إظهار العلم بالعلامات مهمة شرعية

---

(1) أخذا من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، قال: قلنا: يا رسول الله.. أومن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهْن**»، قال: قلنا: يا رسول الله وما الوهْن؟ قال: «**حب الحياة وكراهية الموت**». «مسند أحمد» (٢٢٣٩٧)، و«**السلسلة الصحيحة**» (٩٥٨)، وانظر «موسوعة أحاديث الفتن» (٩٥٠).

(2) «الكامل» لابن عدي (٥: ٣٥٥) وفي رواية أخرى رجال إسنادها ثقات: «**فمن كتم حديثا**

«**إذا كَثُرت الفِتَنُ وسُبَّ أصحابي فمَن كان عنده عِلمٌ فليُظهِره**»[1].

ومـن معاني هذا الحديـثِ ـ كما فهِمناهُ ـ وجوبُ إظهارِ العِلم بعلاماتِ السَّـاعَةِ وربطِهـا بأركانِ الدِّيـنِ وتأصيلِها كمنهجٍ لفِقهِ الدَّعوَةِ وخِدمَةِ فُروعِهِ المُبيِّنَةِ سَـيرَ العلاماتِ والأشراطِ والفِتَنِ ومُضِلَّاتِ الفِتَنِ والملاحِمِ والبِشاراتِ وغيرِها، لأنَّها في أساسِـها تخدُمُ فِقهَ الدَّعوةِ الإسـلاميَّةِ على مدى تاريخِ البشـرِيَّةِ منذ البَعثَةِ إلى قيامِ السَّاعةِ حيثُ يقولُ فيها ﷺ: «**بُعثتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين**»[2] وهذا ما يُشيرُ إليه (فِقهُ التَّحوُّلاتِ)، وفِقهُ التَّحوُّلاتِ هو الفِقهُ المؤصَّلُ من الكِتابِ والسُّـنَّةِ لِدراسَـةِ كافَّـةِ شُـؤونِ التَّحَوُّلِ فـي الحياةِ البشـرِيَّةِ من عهدِ آدَمَ إلـى يومِ البَعثِ والنُّشُـورِ، ومادَّتُهُ: ما تقرَّرَ في هذا الشَّأنِ من كتابِ اللهِ تعالى ومِن سُنَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وما خَدَمَهُ العُلَماءُ من تقسيمِ العلاماتِ والتَّصنيفِ فيها.

قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»

وقد كانَ ﷺ يعتني بالعلاماتِ ويُشيرُ إلى أهمِّيَّتِها، وما خدمه العلماء من تقسيم العلامات والتصنيف فيها على قسمين:

اعتناؤه ﷺ بالعلامات التي تخص حياته

١ـ **آيات وأحاديث استباقية** تصف الأحداث والوقائع قبل حدوثها.

٢ـ **آيات وأحاديث استقرائية** تصـف الأحـداث والوقائـع التي جـرت في الأمم والشعوب من عصر الرسالة إلى عصر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتكوينه الأزلي.

ومنهـا العلامـاتُ التـي تَخُصُّـهُ في مجـرى حياتِـهِ ﷺ، ومن ذلك مـا رواه عبدُ الرَّزاقِ والشَّـيخانِ وابنُ سعدٍ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورواهُ غيرُهُم «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ منـذ نزلـت عليهِ السُّـورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ كان لا يقـومُ ولا يقعُدُ ولا يذهَبُ ولا يجيءُ إلا قال ـ وفي لفظ لعائشة: كان يكثر في آخر عمره من قول ـ: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[3].. قالت

فقد كتم ما أنزل الله»، «تهذيب السنن» (١٠: ٩٣).

(١) «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني تحقيق المباركفوري (٢٨٧).

(٢) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٦٥٠٤)(٦٥٠٥) و«صحيح مسلم» (٧٦٨) (٢٩٥١).

(٣) «مسند أحمد» (٣٧٩١).

عائشـةُ : فقلتُ : يا رسـولَ اللهِ تُكثِر من قولِ : سـبحان اللهِ وبحمدِهِ أسـتغفرُ اللهَ وأتـوبُ إليـه ما لم تكن تفعَلُه قبـل اليومِ ؛ فقال : «**إنَّ ربِّـي أخبَرَني بعلامةٍ في أُمَّتي فقـال : إذا رأيتَها فَسَـبِّح بحمدِ رَبِّك واسـتغفِرهُ ، فقد رأيتُهـا ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ إلخ السورة** »[1] .

(١) «**تفسـير الطبري**» (٢٤ :٦٧٠) ، «سـبل الهدى والرشـاد» (١٢: ٢٣٠) وأصل الحديث في «البخاري مع الفتح» (٨: ٩٥١-٩٥٢) .

تَعۡرِيفُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا

تعريف الساعة

قال الرَّاغِبُ في «المفردات» : السَّاعةُ جُزءٌ من أجزاءِ الزَّمانِ ويعبَّرُ بها عن القيامةِ ، قال تعالى : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥][1] .

قلتُ ـ والله أعلم ـ : ويفهَمُ من سياقِ المعنى في الآية أنَّ الساعَةَ المُشارَ بها إلى يوم القيامةِ هي تعريفٌ لآخرِ لحظةٍ في الحياةِ البشريَّةِ ، وأما لفظةُ السَّاعةِ ـ أي : الجزءُ من الوقتِ ـ فهو الوقتُ المُتَعارَفُ عليه من الزَّمنِ ، قال تعالى : ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٍ﴾[الروم: ٥٥] .

فالأُولى في الآيةِ بمعنى القيامةِ والثانيةُ في الآيةِ بمعنى الوقتِ القليلِ من الزَّمانِ.

أوجه لفظ «الساعة» الكبرى والوسطى والصغرى

وقال بعضُهم : السَّاعةُ التي هي القيامَةُ على ثلاثِ أوجهٍ :

١- السَّاعَةُ الكُبرَى ، وهي بَعثُ الناسِ للمُحاسبةِ .

٢- السَّاعةُ الوسطى ، وهي موتُ أهلِ القَرنِ الواحِدِ ، ويؤيِّدُهُ قولُ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : كانَ الأعرابُ إذا قَدِمُوا على رسولِ الله ﷺ سألوه عن السَّاعةِ ، متى السَّاعةُ فنظرَ إلى أحدثِ إنسانٍ منهم فقال : «**إن يَعِش هذا لم يُدرِكهُ الهَرَمُ قامت عليكُم ساعتُكم**»[2] ، والمراد بِساعَتِهم: موتُهم ـ أي : ساعَةُ المخاطَبين آنذاك ـ كما جاء في «فتح الباري» .

٣- الساعةُ الصُّغرَى ، وهي موتُ الإنسانِ ، فساعةُ كُلِّ إنسانٍ موتُهُ ، وهي المشارُ إليها بقوله : ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً﴾[الأنعام ٣١].

أقسام القيامة

قال القُرطُبيُّ رحمه الله : (قال علماؤُنا : واعلم أنَّ كُلَّ مَيِّتٍ فقد قامت قيامَتُه ولكنَّها قيامةٌ صُغرى وكُبرَى ، فالصُّغرَى هي ما يقومُ كُلُّ إنسانٍ في خاصَّتِهِ من خروجُ رُوحِهِ وفراقِ أهلِهِ وانقطاعِ سعيِهِ وحصولِهِ على عَمَلِهِ إن كانَ خيراً فخيرٌ

---

(١) «المفردات» للراغب ص٢٤٨.

(٢) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٦٥١١) و«صحيح مسلم» (٢٩٥٢) .

وإن كان شَرّاً فَشَرٌّ ، والقيامَةُ الكُبرَى هي التي تَعُمُّ النَّاسَ وتأخُذُهم أَخذَةً واحدةً).

قلتُ ـ والله أعلم : ولا يُستبعَدُ في المعنى أن تكونَ القيامَةُ الوُسطى الموتُ الجماعِيُّ إذا أخذنا ما قاله العلماء بالمَعنيَين السَّابِقَين ، فيكونُ التَّرتيبُ على النَّحو التالي :

تقسيم آخر وضعه المؤلف لأنواع القيامات

١- القيامةُ الكُبرى : هي التي تَعُمُّ الناسَ وتأخُذُهم أخذَةً واحِدَةً.[1]

٢- القيامةُ الوُسطَى : هي الهَرْجُ والمَوتُ المجهزُ المنصوصُ عليه في العلاماتِ وهو الإباداتُ الجماعِيَّةُ وهي من علاماتِ السَّاعَةِ .

٣- القيامةُ الصُّغرى : هي خُروجُ رُوحِ المرءِ وفراقُ أهلِهِ.[2]

وهذه المعاني الثَّلاثَةُ تدورُ حول مفهومِ السَّاعَةِ التي هي اللَّحظَةُ الأخيرَةُ في حياة البَشَرِيَّةِ التي لا زَمَنَ بعدها .اهـ.

وقَسَّمَ الإمامُ البَرزَنجِيُّ في «الإشاعة» (ص٢٧) الأماراتِ إلى ثلاثَةِ أقسامٍ :

انقسام الأمارات إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانتهى وقسم لم ينته وقسم يسبق العلامات الكبرى

١- قسمٌ ظهر وانقضى وهي الأماراتُ البعيدةُ .

٢- قسمٌ ظهر ولم ينقضِ بل لا يزالُ يتزايدُ ويتكاملُ .

٣- وقسمٌ تعقُبُه السّاعةُ وهي الأماراتُ الكبيرةُ ..

كما تنقسمُ العلاماتُ في تعريفِها إلى أقسامٍ :

١- فِتَنٌ

٢- وأشراطٌ

٣- وعلاماتٌ

٤- وأماراتٌ وملاحِمُ

٥- وبِشاراتٌ

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (١ : ٥٤٨) نقلًا عن «فقه أشراط الساعة» د. محمد أحمد إسماعيل المقدم ص١٥ .

(٢) نقلت الفكرة مع شيء من التصرف من كتاب «فقه أشراط الساعة» للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم .

معنى الفتن

١ - الفِتَـنُ : إمّا (فِتَنٌ أو مُضِلّاتُ فِتَنٍ) ، والمقصودُ بالفِتَنِ هي الابتلاءاتُ العامّةُ التي تُصيبُ الفردَ أو الأُمَّةَ ويكونُ بها حصولُ انحرافٍ أو تحوُّلٍ مُخالِفٍ لأمرِ الشّريعةِ ، ومن الفِتَنِ ما هو اختبارٌ للمسلم ينالُ به الثّوابَ والأجرَ عند صبرِهِ واحتسابِه للهِ تعالى كما هو في فِتنَةِ الأهلِ والمالِ والوَلَدِ ، ومن هذا النَّموذَجِ ما أشار اللهُ به للأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وقال تعالى لسَيِّدنا موسى عليه السلام : ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠] .

معنى مضلات الفتن

وأما مُضِلّاتُ الفِتَنِ فهي ما خرج به الفردُ أو الجماعةُ أو الأُسرةُ أو القبيلةُ أو الأُمَّةُ عن جادّةِ الطَّريقِ المشروعةِ إلى خِدمةِ الشَّرِّ والدَّجّالِ والشَّيطانِ ، وقد أمر النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتعوُّذِ من مُضِلّاتِ الفِتَنِ ومن فِتنَةِ المحيا والمماتِ ومن فِتنَةِ المسيخِ الدَّجّالِ ، وكان يقولُ صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أحاديثِهِ الحاوِيَةِ على الدُّعاءِ : «**وإذا أردتَ بعبادِك فِتنَةً فاقبِضني إليك غيرَ مفتونٍ**»[1] .

معنى الأشراط

٢ - الأشراطُ : جمعُ شَرَطٍ (بفتحتين) وهي العلامَةُ ، وأشراطُ الشَّيءُ أوائِلُهُ ، (وأشراطُ السّاعةِ علاماتُها) قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨] .

قال الحافظُ ابن حجرٍ : (والمراد بالأشراط هي العلاماتُ التي يعقُبها قيامُ السّاعةِ) [2] .

بل هو القرآن

وقد أطلقَ بعضُهم على الأشراطِ اسمَ الآياتِ ، والآياتُ هي الأماراتُ الدَّالَّةِ على الشيءِ كالأماراتِ التي تُنصَبُ في الصَّحراءِ دالَّةً على الطَّريقِ أو توضعُ على الشَّاطئِ لِتهدي السُّفُن . اهـ[3] .

ووصفت أيضاً بلفظ المَشارِيط في بعض روايات الحديث ، ففي «مسند أحمد»

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٢٣٣) ، انظر تحقيق «الطرق الحسان» لابن رجب لأبي أنس عادل بن سعد محمد مطاوع ص ١٣-١٥ .
(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٧٧) .
(٣) ص١٣ المصدر السابق بتصرف .

(٢٣٣٠٦) عن حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال : «**علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ؛ ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها**» .

وبالجملةِ فالمقصودُ بها : الظاهرةُ الكونيَّةُ أو الظاهرةُ المرحليَّةُ المرتبطةُ بالتَّحوُّلاتِ المنصوصِ عليها في الأحاديثِ الشَّريفةِ .

معنى العلامات

٣- العلاماتُ : جمعُ علامةٍ ، وهي السِّمَةُ المُمَيِّزَةُ سُلوكَ فردٍ أو جماعةٍ أو مرحلةٍ بما يتطابقُ مع ما ذَكَرَهُ ﷺ في أحاديثِ علاماتِ السّاعةِ .

معنى الأمارات

٤- الأماراتُ : جمعُ أمارةٍ ، والأمارةُ هي الحَدَثُ المطابقُ لحالةٍ أو كيفيَّةٍ أخبرَ عنها ﷺ في «شؤون السّاعةِ وتحوُّلاتها» .

معنى البشارات

٥- البِشاراتُ : هي التَّنفُّساتُ المرحليَّةُ التي يُجري اللهُ فيها نُصرتَهُ وتأييدَهُ لعباده الصّالحين وتمكينِهم في الأرضِ .كظُهورِ الإسلامِ في عصرِ الرِّسالةِ ، وخلافةِ عُمرَ بن عبد العزيزِ في بني أُمَيَّةَ ، وصُلحِ الإمامِ الحَسَنِ بعد احتدامِ الأمرِ ، وظهورِ صلاحِ الدِّين الأيُّوبيِّ وهزيمته للصَّليبيِّين ، وظهورِ الخلافةِ العثمانيَّةِ بعد تَمَزُّقِ القرارِ الإسلاميِّ ، وظهورِ الإمامِ المهديِّ بعد شُمولِ الجَورِ في العالم .

هذه التقسيمات مفيدة في تحديد هوية المراحل وعلاقتها بالسلامة أو العكس

وفائدةُ هذه التَّعريفاتِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ ضبطُها الشَّرعيُّ لظواهرِ المراحلِ ، وتحديدُ هُويَّةِ التَّحوُّلاتِ وعلاقتِها بالسَّلامةِ المرجُوَّةِ أو العكسِ من ذلك ، فحيثُما كان نَصُّ التَّحوُّلات يُشيرُ إلى فردٍ أو جماعةٍ أو منهجٍ في سَيرِ الأزمنةِ والأمكنةِ ويصفُه بالسَّلامَةِ أو التَّجديدِ أو العَدلِ فالأمرُ كذلك ، وإلا فإنّ دعوى السَّلامِ من فردٍ أو جماعةٍ مردودةٌ عليهم بِحُكمِ النَّصِّ الذي يُفَسِّرُ المراحلَ ومَن فيها .

فالخوارِجُ مثلاً كانوا يَدَّعون السَّلامةَ ويَرَون في مواقِفهم العِزَّةَ والنُّصرَةَ للهِ ولرسولِه ﷺ ، وماتوا وهم على تلك الدَّعوى الكاذِبةِ ، لكنَّ نُصوصَ التَّحوُّلاتِ وفِقهَ علاماتِ السّاعةِ يُبرِزُ للمُتأمِّلِ كَذِبَهم وعدمَ سلامَتِهم وجُنوحَهم عن الحَقِّ وتَعدِّيهم على أهلِه ، وهكذا في أشباهِهم وأمثالِهم في كُلِّ مرحلةٍ وعصرٍ وزَمَنٍ ، والقولُ الفَصلُ يرجعُ إلى ما قاله ﷺ من العلاماتِ والظواهِرِ ، وبها يكونُ الحَقُّ جَليّاً والباطلُ قَصِيّاً على مَمَرِّ الأزمانِ ، وإلى أن يقضِيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً .

مِحْوَرُ الْمَوْضُوعِ حَدِيثُ جِبْرِيلَ «أُمُّ السُّنَّةِ»

عـن عُمَرَ بـنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بينمـا نحن جُلُوسٌ عند رسـولِ اللهِ ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شـديدُ بياضِ الثِّيابِ شديدُ سوادِ الشَّعَرِ لا يُرى عليه أَثَرُ السَّفرِ ولا يعرفُـه منّا أَحَدٌ حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسـندَ رُكبَتَيـهِ إلى رُكبَتَيهِ ووضعَ كفيه على فَخِذَيهِ وقال: يا مُحَمَّدُ أخبرني عن الإسلامِ؟

دراسة حديث جبريل

قال رسـول الله ﷺ : «**الإسـلام أن تشـهدَ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً رسـولُ اللـهِ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتؤتـي الزَّكاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتحُجَّ البَيتَ إن اسـتطعْتَ إليه سـبيلاً**» ، قال : صدقتَ . قال : فعجِبنا له يسـألُهُ ويُصدِّقُه ، قال : فأخبرني عن الإيمانِ؟

قال : «**أن تؤمِنَ باللهِ ، وملائكتهِ ، وكُتُبِه ، ورسلِه ، واليومِ الآخِرِ ، وتؤمن بالقَدَرِ خيرِهِ وشَـرِّهِ**» ، قال : صدقتَ ، قال : فأخبِرني عن الإحسـانِ ؟ ، قال : «**أن تَعبُدَ اللهَ كأنَّـكَ تـراهُ ، فإن لم تكن تـراهُ فإنَّه يراكَ**» ، قـال : فأخبِرني عن السَّـاعةِ ، قال : «**ما المسـؤولُ عنها بِأعلَمَ من السَّـائِلِ**» ، قال : فأخبِرني عن أماراتِها ؟ ، قال : «**أن تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتها ، وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُون في البنيان**» .

قال : ثم انطلقَ فَلبِثْتُ مَلِيّاً ، ثم قال لي : «**يا عُمرُ أتدري مَن السّائلُ**» قالَ : قُلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : «**فإنه جبريلُ أتاكُم يُعلِّمُكم دينِكم**»[1] .

وفي لفظِ مُسلمٍ وأصحابِ السُّنَنِ : «**فإنَّهُ جِبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم أمور دينكم**» [2] .

وفي روايةٍ : «**هذا جبريلُ جاءَ لِيُعَلِّمَ الناسَ دينَهم**» [3] .

وفـي روايةٍ قال : «**سَـلُوني**» ، فهابُوه ، فجاء رجلٌ فجلس عنـد رُكبَتَيهِ ، فقال : يا

---

(١) «**صحيح مسلم**» (٨) .

(٢) «سـنن الترمـذي» (٢٦١٠) و«سـنن النسـائي المجتبـى» (٤٩٩٠) بلفـظ : «**أمـر دينكم**» ، وبلفظ : «**معالم دينكم**» في «**سنن ابن ماجه**» (٦٣) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٧٧٧) و«صحيح مسلم» (٩) عن أبي هريرة .

رسـولَ اللهِ ما الإسـلامُ ؟ وذكر نحوه إلى أن قال : «**هذا جبريلُ أراد أن تَعلَموا إذا لم تَسأَلوا**» [١].

وفـي روايـةِ أحمدَ من طريق آخرَ «**هـذا جبريلُ جاءَ لِيُعلِّمَ النّـاسَ دينَهم ، والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه ما جاءني قَطُّ إلا وأنا أعرِفُه إلا أن يكون هذه المَرَّةَ**»[٢].

وفـي «المعجـم الكبيـر» للطبراني عن ابـن عمر : «**مَـا جَاءَنِي فِي صُـورَةٍ قَطُّ إِلَّا عَرَفتُهُ إِلّا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ**»[٣] .

ولا شكَّ أنَّ قراءَتنا لحديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما هو بين أيدينا يفتَحُ لنا آفاقاً واسعةً مـن التأمُّلِ والمُتابَعَـةِ، التي تبلُغ بنا في النهايةِ إلى فهمِ التَّرابُطِ الموضوعِيِّ في هذا الحديـثِ من كُلِّ جوانبه ، وما يترتَّـبُ على هذا التَّرابُطِ من أهمِّيَّةٍ مُحقَّقَةٍ لعلاماتِ السّـاعةِ ودخولِهـا فـي العديدِ من أبـوابِ وفُصـولِ العلـومِ والتَّقريراتِ الشَّـرعيَّةِ المُتداوَلَةِ .

فوائد حديث جبريل

ولعلَّ مِن أهمِّ ما أوضحَهُ الحديثُ لنا :

١- الصِّفَةُ التي ظهرَ بها جبريلُ على القومِ صورةً ولباساً وكيفيَّةً وسُلوكاً .

٢- أسلوبُهُ في الجلوسِ والمخاطبةِ لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٣- كونه يسألُهُ ويصدِّقُهُ .

٤- قولُـه: ليـسَ المسـؤولُ عنهـا بأعلمَ من السَّـائلِ ، وفـي هذه اللفظـةِ إيضاحٌ للسـامعين عـن هُويَّـةِ جبريـلَ فـي علمِـهِ بالأمرِ أو عَـدَمِ عِلمِـه ، وكشـفٌ لحقيقةِ المخاطِبِ لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

٥- تأكيدُ طَلَبِهِ معرفةَ الأماراتِ وليسَ معرفةَ نهايةِ الكونِ .

٦- تحديدُ العلاماتِ بِنموذَجَينِ فقط : «**أن تَلِدَ الأَمَةُ.. وأن ترى الحُفاةَ**» .

٧- انطلاقُ جبريلَ بعد هذا البيانِ دون إيضاحاتٍ إضافيَّةٍ .

---

(١) «صحيح مسلم» (١٠) .

(٢) «مسند أحمد» (١٧١٦٧) .

(٣) «**المعجم الكبير**» **للطبراني** (١٣٥٨١) .

٨- جهلُ الصحابةِ رَضِيَالِلّهُعَنهُم بوقائعِ الأمرِ المشارِ إليه في جُملَةِ الأحاديثِ حتى برز سُؤالُ النَّبيِّ صَلَّىالِلّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لسيِّدنا عُمَرَ بقوله : «**أتدري مَن السّائلُ**»؟.

٩- ردُّ عمرَ رَضِيَالِلّهُعَنهُ بقوله : (اللهُ ورسولُه أعلَمُ) .

١٠- ويُستفادُ من هذا سكوتُ الصحابةِ رَضِيَالِلّهُعَنهُم عن مُجرياتِ الأمرِ كُلِّه وعَدَمُ مُساءَلَةِ بعضِهم البعضَ في شخصِيَّةِ جِبريلَ أو ما طرأ عليهم من غفلةٍ في عدم معرفتِه ، مع ظُهورِ الإشاراتِ بحقيقتِه، مع أنَّ بعضَ الرِّواياتِ تُشيرُ إلى أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىالِلّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ سأل عُمَرَ رَضِيَالِلّهُعَنهُ بعد ثلاثةِ أيّام من مُحادثةِ جِبريلَ .

١١- تأكيدُ رسولِ اللهِ صَلَّىالِلّهُعَلَيهِوَآلِهِوَسَلَّمَ على أن مُهِمَّةَ جِبريلَ في هذا الحديثِ وما قيل فيه له وظيفةٌ محدَّدَةٌ ، وهو تعليمُكُم أمرَ دينِكُم ، أو «**يُعَلِّمُكُم دِينكُم**» .

١٢- واللَّفظُ النَّبَويُّ من قولِه : «**يُعلِّمُكم أمرَ دينِكم**» فيه إشارةٌ واضحةٌ إلى تمازُجِ (الأركانِ الأربعةِ المذكورةِ في الحديثِ) وأنَّها كُلَّها أمورُ دينِ الأمةِ ، ولا فصلَ بين رُكنٍ وآخرَ .

١٣- ولأنَّ هذه الحقيقةَ لا غبارَ عليها نَجِدُ العُلومَ الشّرعيَّةَ المخدومةَ في تفصيلِ الأركانِ الثلاثة متمازِجَةً كُلَّ التَّمازُجِ بالرُّكنِ الرَّابعِ ومُتَداخِلٌ بعضُها في بعضٍ برغم أنَّ العُلماءَ قد تركوا حَيثِيَّةَ الرُّكنِ الرَّابعِ بعيداً عن الأركانِ الثلاثةِ الأخرى ، ولكنه فرضَ موقِعَه ومكانه على التَّدوينِ وعلى أهل الأُصولِ والفُروعِ ، فما من بابٍ من أبوابِ العلمِ إلا وأحاديثُ علاماتِ السّاعةِ عالِقَةٌ به مُرتَبِطَةٌ بتفصيلاتِه، ومن ذلك ما نَجِدُهُ من استدلالِ الفقهاءِ في كُتُبهم بأحاديثَ تَخُصُّ علاماتِ السّاعةِ كما هو في :

- بابِ العِلمِ
- كتابِ الحدودِ
- كتاب الفرائض
- كتابِ الذِّكرِ
- كتابِ المُعاملاتِ
- عِلمِ التَّفسيرِ

- عِلمِ العقائدِ والتَّوحيدِ
- أبوابِ الرُّؤيا
- أبوابِ الجهادِ والغزوِ في سبيلِ اللهِ
- أبوابِ الفِتَنِ
- بابِ الزَّكاةِ

فإذا ما استَدَلَّ العُلماءُ لواحِدٍ من هذه الأبوابِ بحديثٍ من أركانِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ شَفَعوه بِجُملةٍ من الأحاديثِ المُعبِّرَةِ عن نقضِ العِلمِ أو قبضِهِ أو كثرَةِ الجهلِ وفُشُوِّ الزِّنا وقِلَّةِ الرِّجال وكثرَةِ النِّساءِ ، وعند الحديثِ عن الأذكارِ تأتي أحاديثُ الاستعاذةِ مِن الفِتَنِ المُضِلَّةِ والفِتنَةِ في المالِ والأهلِ والولدِ ، والاستعاذَةُ من فِتنَةِ المحيا والمماتِ، ومن فِتنَةِ المغرَمِ والمأثَمِ ومن فِتنَةِ الدَّجَّالِ، وفي المعاملاتِ يأتي خلال دُروسِ البُيوعِ ومعاملاتِه في أحاديثِ الرِّبا والغَشِّ وما يؤولُ إليه المسلمون من أصنافِ المعاملاتِ الحرامِ التي لابُدَّ من ذكرِها في نماذِجِ المعاملاتِ.

وعند دُروسِ الحدودِ الشرعيَّةِ تأتي جُملةُ الأحاديثِ التي تتناولُ إسقاطَ الحدودِ في آخرِ الزَّمانِ والتَّحايُلِ على الرِّبا وعلى الخمرِ بتسمِيَتِهِ بغيرِ اسمِه ، وإلى غير ذلك .. وكم سيكونُ مُفيداً لو تجرَّدَ بعضُ طَلَبَةِ العِلمِ للنَّظَرِ في مواضيعِ الثَّلاثَةِ الأركانِ الشَّرعِيَّةِ وما جَمَعَتهُ أحاديثُ الثَّوابِتِ في ضبطِ أركانها الشرعيَّةِ وما تناولَهُ العُلماءُ من التَّقعيدِ والتَّفصيلِ في هذه الأبوابِ ، وحصرِ أحاديثِ علاماتِ السّاعةِ وفِقهِ التَّحوُّلاتِ في كُلِّ بابٍ وفَصلٍ ، وعلاقةِ العلاماتِ بهذه الأحكامِ والتَّشريعاتِ ، ليتأكَّدَ للأُصولِيِّين ولأصحابِ الفُروعِ حُضورُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في كافَّةِ نماذِجِ العِلمِ وأبوابِه .

ومِن جانبٍ آخرَ نَجِدُ فِقهَ التَّحوُّلاتِ والعلمِ بعلاماتِ السّاعةِ يتداخَلُ معَ علمِ الإحسانِ تداخُلاً تامّاً بحيثُ يصيرُ علمُ الإحسانِ للعالم بعلاماتِ السّاعةِ عامِلاً مُرجِّحاً لحُسنِ التَّصرُّفِ وطُولِ النَّظَرِ في مُجرياتِ القضاءِ والقَدَرِ ، لأنَّ عِلمَ الإحسانِ هو عِلمُ التَّحَقُّقِ بِثَمَراتِ الطاعَةِ والعبادَةِ وسلامةِ النظرِ للعبادِ بِحُسنِ

الخُلُـق، وكان غالـبُ عُلماءِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ من رجالِ علمِ الإحسـانِ في عَصرَي صدرِ الإسـلامِ والخلافةِ الرَّاشِـدَةِ ، ومِمَّن يُقتَدى بهم ويُهتَـدى بهديِهم ، فما ترى سُـلوكَهم ومواقِفَهـم إلا شـاهِدَةً علـى عُمـقِ أَدَبِهم مع مُـرادِ الله في خلقِـه ، بينما نَجِـدُ أقمـاعَ الفِتَـنِ ورُموزَ الصِّـراعِ هم من حَمَلَةِ القُـرآنِ والسُّـنَّةِ أحياناً ولكن من غيرِ ارتباطٍ بعِلمِ الإحسـانِ ولا بعلمِ علاماتِ السّـاعةِ، ممّا يجعلُهم هدفاً للشَّيطانِ والتَّحوُّلاتِ ومُضِلّاتِ الفِتَنِ ، بل سبباً في الاعتراضِ على اللهِ وعلى قضائِهِ وقَدَرِه في مُجرياتِ التَّحوُّلِ والتَّغَيُّرِ .

وحتّـى لا يطـولَ بنا التأمُّلُ والتَّدَبُّـرُ في مِحوَرِ الموضوعِ نبدأُ فـي تناوُلنا لمفهومِ الرُّكنِيَّةِ التي نحنُ بِصَدَدِها ، واللهُ المُوفِّقُ .

أركانُ الدِّينِ الثَّلاثَةُ وعلاقَتُها بالرُّكنِ الرَّابع

الوحدة الموضوعية بين الأركان الأربعة

مِـن واجباتِ المُسـلمِ الموقِنِ بأمرِ الدِّينِ أن يعلم بـأنَّ أركانَ الدِّينِ أربعةٌ بِاعتبارِ وَحدَتِهـا الموضوعِيَّـةِ فـي الحديـثِ الآنفِ ذكـرُهُ، وتنقَسِـمُ إلى قِسـمَينِ : ثوابتٍ ومُتغيِّراتٍ .

فالثَّوابِتُ : هي ما اشـتملت عليه أركانُ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسـانِ وما تفرَّعَ عن هذه الثَّلاثَةِ من عُلومِ العقيدةِ والشَّريعَةِ ومراتبِ السُّلوكِ .

والمُتَغيِّراتُ : ما اشتمل عليها العلمُ بعلاماتِ السّاعةِ . على أوجُهِها الثَّلاثَةِ :

الثوابت والمتغير

١- مُتَغيِّراتٌ على عَهدِ الرِّسالَةِ .

٢- مُتَغيِّراتُ ما بعد عهدِ الرِّسالةِ إلى قِيامِ السّاعةِ .

٣- مُتَغيِّراتُ ما قبلَ الرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ تصاعُدِيّاً إلى عهدِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وعلـى هـذا التَّرتيـبِ الشـرعيِّ تُعتبَـرُ أركانُ الدِّيـنِ أربعـةً ـ كما هو فـي النَّصِّ ـ وليـسَ ثلاثةً كمـا يتناوَلُها بعضُ العُلمـاءِ ، ودليلُنا علـى رُباعِيَّـةِ الأركانِ (الوِحدَةُ الموضوعيَّـةُ) مـن لَفظِ النَّبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ حيثُ ورد فـي النَّصِّ قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد ذهابِ جِبريلَ : «**يا عُمَرُ أتدري مَن السَّائِلُ**»؟ قال : اللهُ ورسولُه أعلَمُ ، قال : «**ذاك جِبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم أمورَ دينِكُم**» ، وفي روايةٍ : «**يُعلِّمُكم دينكم**» . أخرجه مسلم وأصحاب السنن[1] .

فاللَّفظُ النَّبَوِيُّ في هذا النَّصِّ يأتي بعد أربعةِ ثوابتَ وليس ثلاثةً ، وبهذا يَتأَكَّدُ أن أركانَ الدِّيـنِ ـ كمـا يُعبَّرُ عنهـا ـ أو أصولَ الدِّينِ أو ثَوابِـتَ الدِّين أربعةٌ كما هو في سياقِ الحديثِ الشَّريفِ .

---

(١) «صحيح مسـلم» (٨) «مسـند أحمـد» (١٨٤) «مسـند أبي يعلى» (٢٤٢) «سـنن النسـائي المجتبى» (٤٩٩٠) «سـنن أبي داود» (٤٦٩٥) «سنن الترمذي» (٢٦١٠) «سنن ابن ماجه» (٦٣) .

الأصول الثلاثة وتدرج المكلف فيها

فالأصولُ الثَّلاثَةُ الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ أصولٌ ثابتةُ المدلولِ والمعنى يتدرَّجُ بها المُكلَّفُ في شُؤونِ العقيدةِ والشَّريعةِ ومراتِبِ السُّلوكِ وينشأُ عليها الأجيالُ باعتبارِها العِلمَ الفَرضِيَّ الواجِب .

أما الأصلُ الرَّابعُ (فمُتَغَيِّرٌ) أي : إنَّهُ غيرُ مُرتَبِطٌ بِمُتَعلَّقاتِ التَّدرُّجِ في التَّكليفِ وإنَّما يختَصُّ بأمرَين :

الركن الرابع هو كشف مجريات التحولات

١- كشفِ مُجرياتِ التَّحوُّلاتِ الكونِيَّةِ والعلاماتِ والأشراطِ الكائنةِ بأمرِ اللهِ قبل قيامِ السّاعةِ .

٢- سردِ وتعليلِ الحوادِثِ وما يرتَبِطُ بها من صِحَّةٍ وفِسادٍ ، وما يترتَّبُ على ذلك من إشاراتٍ نبويَّةٍ ودلالاتٍ شرعيَّةٍ للتَّمييزِ بين أحوالِ الكُفَّارِ والمُنافِقين وأشباهِهم وموقِعِهم من التَّحوُّلاتِ ، وبين المسلمين المؤمنين وموقِعِهم أيضاً من السَّلامةِ في الدُّنيا والآخرةِ .

ولأهمِّيَّةِ حديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وما تَطرَّقَ إليه من شُؤونِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ والعلمِ بعلاماتِ السّاعةِ صار من اللازمِ على المُسلمِ أن يعرِفَ هذه الأركانَ الأربعةَ معرِفَةً تتلاءَمُ مع أهمِّيَّتِها وارتباطِ بعضِها بِبَعضٍ ، فهي أساسُ مُقوِّماتِ الأمانةِ التي قال عنها سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الركن الرابع يبرز النكسات والأزمات التي تتعرض لها الثوابت الثلاثة ولذلك فإن الفصل بينهما خطير

وما اعتنى فِقهُ التَّحوُّلاتِ بالأركانِ الأربعةِ مُجتَمِعَةً إلا لإبرازِ خُطُورةِ الفَصلِ بين الأركانِ الثّلاثةِ الثابتةِ والرُّكنِ الرَّابعِ المُتغيِّرِ ، فالإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ عبرَ تاريخِ البِناءِ الشَّرعِيِّ للدِّيانَةِ تعرَّضَ لِنكساتٍ وأَزماتٍ كالقَبضِ والنَّقضِ والخِداعِ والتَّحريفِ والتَّسييسِ وما شابه ذلك ، ممَّا أوجَدَ هُوَّةً سحيقةً بين المسلِمِ مع أخيه المُسلمِ في قضايا فَهمِ الإسلامِ كعَقيدَةٍ ودِيانَةٍ وبين المُؤمنِ مع أخيه المُؤمنِ في مفهومِ الإيمانِ كالتصديقِ باليقينيّاتِ الكونيَّةِ التي لا تقبَلُ الشَّكَّ ولا النَّقضَ ، ومثلُهُ في مفهومِ الإحسانِ كزُهدٍ وعُلومٍ ذوقِيَّةٍ وقِيَمٍ وآدابٍ ، وهي التي صارت

في زمانِنا مُستقبَحَةً في صُوَرِها وحقائِقِها العَمَلِيَّةِ المُمارَسَةِ لدى البعضِ وسبباً في النِّزاعِ المُفتَعَلِ .

دراسة الركن الرابع مهمة لأنها إعادة اعتبار للإسلام والإيمان والإحسان

ولهـذا فإنَّ دِراسَـةَ الرُّكـنِ الرَّابعِ مـن أركانِ الدِّين هي إعادَةُ اعتبارٍ شـرعِيٍّ لهذه الثَّوابِتِ على الوجهِ الأصَحِّ والأتَمِّ وتَبيينٌ مُدلَّلٌ على مواقِعِ الجُنوحِ في المسلمين بابتعادِهم عن معرِفَةِ هذه الثَّوابِتِ .

ومـا ترتَّـبَ علـى هـذا البُعدِ مـن تعليلٍ خاطـئٍ في الحاضـرِ والماضي لسُـلوكِ المسـلمين ضِـدَّ بعضِهـم البعـضِ وما صـدر ويصـدُر من بعـضِ أهلِ العِلـمِ ضِدَّ مخالِفِيهم في المذهبِ والنَّهجِ والرُّؤى .

لقد غاب عن عقول بعض العلماء فضلاً عن الدهماء معرفة رموز الإنحراف وأسباب الانحدار

فعنـد المقارنـةِ بين علاماتِ السّـاعةِ التـي أخبرَ عنهـا ﷺ وبين واقـعِ الأُمَّةِ في نقائـضِ العقائِـدِ والعاداتِ والعبـاداتِ والقِيَـمِ والآدابِ نَجِدُ أنّ مـا أخبرَ عنه ﷺ فـي الرُّكـنِ الرَّابعِ وما تفرَّعَ عنـه حقيقةٌ واقعةٌ في كافَّةِ شُـؤونِ الأُمَّةِ مـع جهلٍ بَيِّنٍ بالأسبابِ والنَّتائِجِ ، وذلك لِفُقدانِ دراسةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعَدَمِ الرَّبطِ بين الأركانِ الأربعـةِ ، لهـذا غابَ عن عُقولِ بعـضِ العُلماءِ ـ فضلاً عن الدَّهمـاءِ ـ معرِفَةُ رُموزِ الانحـرافِ ومواقِـعِ الانحـدارِ وأسـبابِها وحيـرَةِ أهلِ اللـهِ وأهلِ العِلمِ في تفسـيرِ انحرافاتِ وفسادِ شُؤونِ بعضِ ما يدورُ في الواقعِ المُعاصِرِ ، مع صُعوبةِ الرَّبطِ بين الأماراتِ والأشراطِ والظواهرِ والوقائعِ الكائنةِ المُطابِقَةِ لما قاله ﷺ .

إنَّ القـراءَةَ الواعِيَـةَ لِفقهِ التَّحوُّلاتِ المُختَصِّ في تحليـلِ الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّيـنِ (علاماتِ السّـاعَةِ) علمٌ شـرعِيٌّ واسـعُ المـدى ومُدلَّلٌ بالبراهيـنِ ، ومبيِّنٌ المسـافَةَ الزَّمَنِيَّةَ والمسـافَةَ المعنَوِيَّةَ التي انحدرت فيها الأُمَّةُ عن ثوابتِ الإسـلامِ وثوابتِ الإيمانِ وثوابتِ الإحسـانِ ، ومبيِّنَةٌ أيضاً البدائِلَ السَّـيِّئَةَ التي وصلت إليها أُمَّةُ القُرآنِ مِثلَ غيرِها من الأُمَمِ من انحدارٍ في كافَّةِ شُؤونِ حياتِها الدِّينِيَّةِ والدُّنيوِيَّةِ .

رؤوس الأقلام المبينة مهمات الركن الرابع

ولأجلِ دِراسَةِ هذا الأمرِ بالتَّفصيلِ لابُدَّ من وضعِ رُؤوسِ الأقلامِ المُبيِّنَةِ مُهِمّاتِ دِراسَةِ الرُّكنِ الرَّابعِ وما يترتَّبُ عليه ومنها :

١ - الدِّراسَـةُ الواعِيَـةُ لحديـثِ جبريلَ ، وخاصَّةً فـي ركنِهِ الرَّابـعِ ليُعرَفَ بذلك

موقِعُ الثَّوابِتِ وأهمِّيتُها ، ثم معرِفَةُ نقائِضِها من الرُّكنِ الرَّابِعِ المُتَغَيِّر .

٢- دراسةُ الأحاديثِ الخاصَّةِ بالأجيالِ المُتحَوِّلَةِ وعلاقتُها بمفهومِ حديثِ جبريلَ ، وقولُه ﷺ : «**أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**»[1] . أو «**رَبَّها**»[2] في روايةِ مُسلمٍ .

٣- دراسةُ شُؤونِ الحضارَةِ المادِّيَّةِ الطَّاغِيَةِ على المجتمعاتِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ بالخُصوصِ وموقِعِها من حديثِ جِبريلَ في قولِه ﷺ : «**أن تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاةِ يتطاولون في البُنيانِ**»[3] وما تفرَّعَ عن هذا الحديثِ من العلاماتِ والأماراتِ وغيرِها من الأحاديثِ التي تربِطُ بين الدُّنيا والتَّوسُّعِ في الأخذِ بها وما يترتَّبُ على ذلك من انحرافاتٍ ودمارٍ وهلاكٍ مُحَقَّقٍ .

٤- دراسةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في الآياتِ الواجبِ العلمُ بها والأحاديثِ المنصوصِ عليها في سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ كعلاماتٍ كُبرَى ووُسطَى وصُغرَى .

وقد خدم هذا البابَ الإمامُ البَرزَنجِيُّ في كتابه «الإشاعة» ، كما فَصَّلَ كثيراً من هذه الأقسامِ إجمالاً العديدُ من عُلماءِ الحديثِ في كُتُبِ الصِّحاحِ والمسانيدِ والسُّنَنِ وبَوَّبوا لها أبواباً خاصَّةً منها : بابُ علامات السّاعةِ، باب الفِتَنِ والملاحم ، وغيرُ ذلك ، كما أفرد بعضُ العلماءِ كنُعَيمِ بنِ حمَّادٍ كتاباً خاصّاً يحمِلُ اسمَ (الفِتَنِ) وكتابُ أبي عمرٍو الدَّاني المعروفِ «بِالسُنَنِ الوَارِدَةِ فِي الفِتَنِ» وغيرها . إلا أنَّ هذه الكُتُبَ جمعت بين الصَّحيحِ والحَسَنِ والضَّعيفِ والموضوعِ ، ويمكِنُ الاستفادَةُ من هذه الكُتُبِ بمجموعِها لوضعِ أُسُسِ فِقهِ عِلمِ التَّحوُّلاتِ بما يُناسِبُ كُلَّ مرحلةٍ وتحوُّلٍ مع مراعاةِ مراتِبِ الأحاديثِ من حيثُ الصَّحيحُ والحَسَنُ والضَّعيفُ .

---

(١) «صحيح مسلم» (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
(٢) «صحيح مسلم» (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) «صحيح مسلم» (٨) .

أركانُ العِلمِ بعلاماتِ السّاعةِ

لما صارَ العلمُ بعلاماتِ الساعةِ أمراً لازماً باعتبارِ موقعِه من الأركانِ فإننا نحتاجُ إلى خدمةِ هذا الركنِ الرابعِ وإعادةِ تأصيلِ مواضيعِه الكثيرةِ ؛ ليصبحَ عِلْماً مستقلاً من كلِّ الوجوهِ ، له أركانُه وثوابتُه وتفريعاتُه.

فكان ـ بادئَ ذي بدءٍ ـ النظرُ في العلاماتِ ذاتِها وتقسيمِها باعتبارِه مادةَ العلمِ الواسعِ بهذه الأمور ، وقد رَجَعْنَا إلى ما كَتَبَهُ العلماءُ في هذا الصددِ فلم نجدْ شيئاً يُبْرِزُ مفهومَ الركنيةِ لدى أحدٍ منهم ، فأَخَذْنَا على عَاتِقِنَا وَضْعَ هذا التعليلِ خدمةً للإسلامِ والمسلمينَ ، بعدَ الاستقراءِ التامِّ للعلاماتِ .

وعلى هذا الاستقراءِ تأتي أركانُ العلمِ بعلاماتِ الساعةِ على النحوِ التالي :

الركنُ الأولُ : «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**» أو «**رَبَّهَا**» ، وهو ما يختصُّ بنَقْضِ قَرَارِ العِلْمِ والاعتقادِ وما تَفَرَّعَ عنهما .

والمقصود بالنقض نقض أساليب المعرفة كالفصل بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله ، والفصل بين الديانة والتاريخ ، والفصل بين أساليب الدعوة إلى الله وبين الحكمة والموعظة الحسنة وهكذا ، بل إن تغيير أسلوب التعليم للمبتدئين من الطريقة الجزئية والأبجدية إلى الطريقة الكلية الغازية نوع من أساليب النقض للعلم .

الركن الثاني : «**أَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ**» ، وهو ما يختصُّ بنَقْضِ قَرَارِ الحُكْمِ والاقتصادِ وما تَفَرَّعَ عنهما .

والمقصود بالنقض هنا خروج قرار الحكم العام من دائرة الإسلام في مسماه الشرعي إلى مسميات أخرى تمثل سياسة الكفر وسقفه الوضعي كالجمهورية والديمقراطية والحزبية والمنظمات السياسية التي نقلت في نهجها السياسي من عالم الغرب والشرق ، مثلها أساليب وأنظمة الاقتصاد والمال وتصريف الأعمال

خاصة تلك الأساليب والأنظمة المعارضة للشرع كالبنوك الربوية وغسيل الأموال ونظـام الأسـهم العائم وبعـض القوانين الاقتصادية المشـبوهة ، بـل ويدخل فيها مفهوم التطاول السلبي في الأسواق وتعدد المعارض الكبيرة القائمة على المنافسة والأبراج والشاليهات والمتنزهات ذات الصبغة المشبوهة في المعاملات والقيم .

العلم بعلامات الساعة

«ركنا العلم بعلامات الساعة»

«أن تلد الأمة ربتها »

نقض وخلل في قرار العلم والاعتقاد

«أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»

نقض وخلل في قرار الحكم والاقتصاد

وَتَحْتَ دِرَاسَةِ هٰذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ لِعَلَامَاتِ السَّاعَةِ تُدْرَسُ حَصِيلَةُ الأَحَادِيثِ الجَامِعَةِ لِلْعَلَامَاتِ الصُّغْرَى وَالوُسْطَىٰ وَالكُبْرَىٰ ، وَتَحْتَ هٰذِهِ العَلَامَاتِ وَمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ جُمْلَـةِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ يُـدْرَسُ مَا يُعْرَفُ اصْطِلاحاً بِفِقْـهِ التَّحَوُّلَاتِ في عُلُومِهِ الخَمْسَةِ:

- عِلْـمُ النَّوَاقِـضِ وَالنَّقَائِضِ وَمُضِـلَّاتِ الفِتَنِ وَأَسْـبَابِ الوِقَايَةِ مِنْهَـا في الحُكْمِ والعِلْم والاعْتِقَادِ الاقْتِصَاد.
- عِلْمُ مُسْـتَجَدَّاتِ العُلُـومِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّـةِ وَالثَّقَافَاتِ ، وَمَـا يَخُصُّ الإِعْجَازَ العِلْمِيَّ وَالمَعَارِفَ المُتَنَوِّعَةَ السَّلْبِيَّةَ وَالإِيجَابِيَّةَ (النَّظَرِيَّاتِ وَآلِيَّاتِ التَّطْبِيقِ).
- عِلْمُ الإِشَارَاتِ وَالبِشَارَاتِ وَالنَّذَارَاتِ وَفِقْهُ الحَصَانَاتِ وَشَرَفِ العَدَالَةِ وَالسَّنَدِ.
- عِلْمُ الأَشْرَاطِ الكَوْنِيَّةِ وَالمَلَاحِمِ.
- عِلْمُ الرَّبْطِ الشَّـرْعِيِّ بَيْنَ الدِّيَانَةِ وَالتَّارِيخِ ،وهو ما يخص قراءة التاريخ الأبوي النبـوي الشـرعي ، ومعرفـة ما يقابله من قـراءة التاريخ الأنـوي الطبعي الوضعي ،

تاريخ النارية الإبليسية وماديتها المجردة .

وتحت كل قسم من هذه الأقسام الخمسة علم واسع يربط بين الركنينِ وفقه التحولات ، وهذا شرحها .

* تَفْصِيلُ عِلْمِ النَّوَاقِضِ وَالنَّقَائِضِ «الفِتَنِ ومُضِلاَّتُها»

تفصيل علم النقائض والنواقض

النواقض من النقض «لتنقضن عرى الإسلام»

وهو أحد فروع علم المتغيرات . والنواقضُ **في اللغة** جمع ناقض وهو ما يزيل الشيء من أصله ، وهي **في اصطلاحنا** مأخوذةٌ من النقضِ المقررِ في حديثِ : «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَىٰ الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً**»[1] ، وَمِنْهُ : نَقْضُ العُرَىٰ ، ونَقْضُ الأعمالِ ، ونَقْضُ القِيَمِ .

النقائض جمع نقيض وهو الضد والمعاكس

والنقائضُ مأخوذةٌ من صيغةِ المفاعلةِ : نَاقَضَ يُنَاقِضُ ، وهي في اللغة ما يخالفُ المألوفَ والسائدَ بديلاً معاكساً له ولمدلوله ، أي : يَفُكِّكُ التَّرْكِيبَ المُبْرَمَ ويأتي بضدِّه أو ما يُبْطِلُهُ .

فالعاملون على صفةِ السلبيةِ يشتغلون بنقضِ العرى وإشاعةِ الفرقةِ بالمتناقضاتِ والخلافياتِ حتى يبلغوا أهدافاً محددةً في الشعوبِ المستغفلَةِ خدمةً للشيطانِ والدجالِ . (وهي نوع من الفتن المضلة) ، وأما العاملونَ على صفةِ الإيجابيةِ فيدرسون عِلْمَ النواقضِ والنقائضِ من أصولِه الشرعيةِ التي تحدَّث عنها من لا ينطقُ عن الهوىٰ ﷺ ، وهو «فقه التحولات» ، فيتعرفون به على موقعِ السلامةِ وموقع الندامةِ ، ويستطلعون ما أخبر به ﷺ في الأمة من العلاماتِ والأشراطِ والفتنِ ومضلاتِها . فيحذَرون ويحذِّرون ، كما جاء في حديث سيدِنا حذيفةَ بنِ اليَمَانِ : «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[2] .

ولهذا العلمِ تأصيلاتٌ وتفريعاتٌ كثيرةٌ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بعمقِ قراءة معاني

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) «**المستدرك على الصحيحين**» (٨٦١١) .

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٠٦) «صحيح مسلم» (١٨٤٧) .

القرآنِ ومعاني السُّنةِ الشريفةِ ، ذاتِ العلاقة بالفتنِ والعلاماتِ والأشراطِ والملاحم . كما أن لهذا العلم قاموساً اصطلاحياً خاصاً يربطُ بين المسمياتِ الشرعيةِ التي نَطَقَ بها ﷺ في هذا العلمِ وبَينَ ما طابقها من شؤونِ الواقعِ وأوعيتِه ، ومنها التحريشُ[1] ، والمنافسةُ ، والتوسيدُ ، وضياعُ الأمانةِ ، والقبضُ والنقضُ ، والتداعي ، والوَهَنُ ، وأَكَلَةُ القَصْعَةِ ، وهَلُمَّ جراً .. وسنضع لهذه المصطلحات قاموساً في نهاية الكتاب .

وكلُّ هذه المسمياتِ وردتْ في أحاديثِ من لا ينطقُ عن الهوى ﷺ ؛ ولكنّها لم تُطبَّق على الواقعِ المتحوِّلِ إلا ببروزِ علم فقهِ التحولاتِ . بل ظَلَّتْ على مَرِّ الزمانِ حبيسةَ النصوصِ غيرَ منطبقةٍ في عقولِ العلماءِ قبلَ الدهماءِ على الواقعِ المعاشِ ، بل ربما نفى العديدُ منهم تطابقَ العلاماتِ مع زمنِه وعصره وأنكرَ على المتناولينَ لشيءٍ من ذلك وظنَّ أنها آياتٌ لم يَحِنْ وَقْتُها . ولا حاجة لذكرها وإعلان خبرها .

❁ تَفْصِيلُ مَرَاتِبِ عِلْمِ مُعَالَجَةِ شُؤُونِ الحَيَاةِ (النَّظَرِيَّاتُ وَآلِيَّاتُ التَّطْبِيقِ) ومستجدات الثقافة والعلوم الإيجابية والسلبية

علم معالجة شؤون الحياة يمثل كافة العلوم النظرية وآليات التطبيق

ويُطلقُ هذا التعريفُ على مجموعِ العلومِ المعروفةِ بعلومِ الآلةِ ، كاللغاتِ والعلوم الثقافيةِ والاجتماعيةِ والإنسانيةِ ، وكذلك العلومُ النظريةُ والتطبيقيةُ الماضيةُ والحاضرةُ والمستقبليةُ ، وما تَفَرَّعَ عنها من ثمراتٍ واختراعاتٍ واكتشافاتٍ وخدماتٍ متنوعةٍ ، وكذلك علوم التنجيم والسحر والحرف والكف والطلاسم وغيرها .

مراتب العلم هي موقعه من أمر الدنيا والآخرة وما يترتب على العلم به من طلب ثواب أو خوف عقاب

والمقصودُ **بمراتبِ العلم** : (موقعُ العلمِ من أمرِ الدنيا ، وموقعُه من أمرِ الآخرةِ ،

---

(١) يؤخذ التحريش من حديث: «**ولكن في التحريش بينهم**» في «صحيح مسلم» (٢٨١٢) ، والمنافسة مأخوذة من حديث : «**أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم**» في صحيحي «البخاري» (٣١٥٨) و«مسلم» (٢٩٦١) .

وما يترتبُ على العالِمِينَ به من طلبِ ثوابٍ وخوفِ عقابٍ، وتسخيرِ الجهودِ العلميةِ في إيجابياتِ البناءِ والتطورِ والنفعِ الخاصِّ والعامِّ، وفي الدفاعِ عن الحقِّ الإلهيِّ في العبادِ والذودِ عنه بالسلاحِ والمالِ والوسائلِ التكنولوجيةِ المتنوعةِ، وتوظيفِها توظيفاً إنسانياً واعياً لخدمةِ الحياةِ الإنسانيةِ اقتصاداً وعلماً وتعليماً وطباً وصناعة وأمناً وإيماناً ومواقفَ إيجابيةً).

وهذه هي نقطةُ التباينِ بين علماءِ الدياناتِ الشرعيةِ وعلماءِ التوليفاتِ الإنسانيةِ الوضعيةِ، ﴿وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ﴾[البقرة:١٤٨].

المستثمرون للتباين الحاصل بين أصحاب العلوم الشرعية وأصحاب العلوم الوضعية

والمستثمرون لأطرافِ التبايُن جِهَتَانِ:

❁ الأولى دعوة الصراط المستقيم، وهي الدعوةُ الإلهيةُ العليا على ألسنةِ الأنبياءِ والرسلِ ومن ارتبطَ بهم من العلماءِ الصالحينَ والأتباعِ المؤمنين من أهل الحصانة والعدالة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ومصيرهم إلى السلامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

❁ الثانية جهةُ الشيطانِ الرجيمِ وما ابْتَلَى اللهُ به العبادَ من آثارِ دعوتِه السلبيةِ على ألسنةِ الدجاجلةِ والكفارِ والوكلاءِ العباقرةِ من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض ومن تبعهم من المستغفلين من أمة الإسلام بعلم وإدراك وتسييس متعمد إلى يوم الدين ومصير من لم يتب منهم ومن لم يتغشاه المولى بواسع رحمته إلى جهنم وبئس المصير.

وتحتَ هذا البابِ تأصيلٌ خطيرٌ لا يُدركُ إلا بالتعمقِ في آياتِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وطولِ النَّظَرِ في المدلولاتِ والمواقفِ الشرعيةِ والمدلولاتِ والمواقفِ الوضعيةِ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف:٢١].

علم البشارات والإشارات

❁ تفصيلُ مراتبِ علمِ البشاراتِ والإشاراتِ وأسبابِ السّلامةِ من الفتنِ وحصانةِ السّندِ والعُدولِ

ويطلقُ هذا التعريفُ على ما تناثرَ من أحاديثِ علاماتِ الساعةِ المتناولةِ بشاراتٍ وإشاراتٍ وتنفساتِ المراحلِ، سواءً ما كان منها على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ أو ما كان من بعدِه، ومنها ما تناولَ شأنَ البشاراتِ للآلِ والصحابةِ وبعضِ تَنَفُّسَاتِ المراحلِ وامتدادِ الإسلام في الأرض، ومنها ذِكرُ بعضِ الأفرادِ بخيرٍ فيما يأتي من الزمان إما بالاسمِ أو الدلالةِ والإشارةِ، كبشارته بباقر العلم في آل البيت، وبعالمِ مكةَ ـ وفي رواية: عالمِ قريشٍ ـ يملأُ طباق الأرض علماً، وبالإمام المهديِّ وعيسى، وغيره من نماذج البشارات بالأفراد والشخوص.

وتدخلُ هذه البشاراتُ في بابِ الحصانةِ والسندِ والعدالةِ أيضاً، وخاصة عند احتدام الأمور وصدور القذف والتهمة من بعض المسلمين لبعض آل البيت والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فتكون أحاديث البشارات والحصانة وسلامة التلقي خير حماية لأولئك من ألسِنة أهل الفتن والفتن المضلة ومنها أحاديث السلامة من الفتن وتوجيهات الرسول في شأن ما يفعله المسلم إذا أسيلت الدماء بين المسلمين، واحتدم أمر الناس واختلفوا على كرسي الحكم والعلم.

واعتنت هذه الأحاديث بصفة العلم والمواقف الواجبة فيها كقوله ﷺ: «**إذا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ وَدَعْكَ مِنْ أَمْرِ العَوَامِّ**»[1].

وكتوجيهه ﷺ بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال، ويدخل فيها كل ما يتعلق بالتحصن من الفتن كالأدعية الواردة في ذلك والآيات المجربة للحفظ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٣٤١) بلفظ: «**فَعلَيكَ بنَفسِكَ**» و«سنن الترمذي» (٣٠٥٨) بلفظ: «**بِخَاصَّةِ نَفسِكَ**» و«سنن ابن ماجه» (٤٠١٤) «**فَعَلَيكَ خُوَيصَةَ نَفسِك**».

والحماية من الإنس والجن باعتبار علاقة ذلك بالفتن الظاهرة والباطنة .

وقد سمى النبي ﷺ الفتنَ ومضلاتِها ، وأشار إلى أئمتها ورجالها ، وبيَّن بعض علاماتها وعلاماتهم ، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢] .

وتحت هذا القسم أمورٌ كثيرة لا تكفي لها مثل هذه العجالة .. وقد صنف العلماء في باب الفتن ومضلاتها عشرات المؤلفات الجامعة ، وهي مادةٌ مرجعيةٌ لهذا العلم الواسع بدءاً من عصر آدم ونهاية بالنفخ في الصور .

من هذا العلم ما يخص السند والعدالة

ومن نماذج هذا القسم ما يخص علم الحصانة والسند والأئمة العدول ، وهو علم خاص بفقه التحولات يؤخذ من النصوص ومعاني آيات الارتباط السندية ومعاني (الأئمة العدول) ، كقوله تعالى على لسان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مدافعاً عن منهج تلقيه الأبوي السندي : ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف:٣٨]. وكتوثيق الحق سبحانه لمن يعنيهم معنى الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩] ، وكقوله في الإشارة إلى الموطن والأصل الثابت : ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨].

ومن ذلك قوله ﷺ في حصانة السند المتصل: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[1] .

أنواع الحصانة

و**الحصانةُ** أنواعٌ :

- حصانةُ أفرادٍ ، كما هو في أحاديث المناقب .
- حصانةُ مراحلَ ، كما هو في أحاديث حصانة مرحلة الخلافة .
- حصانةُ فئاتٍ كما هو في حصانة أهل بدر والشجرة وآل البيت .

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٩١١) ، و«مسند البزار» (٩٤٢٣) ، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٩) .

ولكل حصانةٍ شروطٌ[1].

❁ تَفْصِيلُ عُلُومِ الكَوْنِيَّاتِ وَالكَوَارِثِ وَالأَشْرَاطِ

علوم الكونيات والكوارث والأشراط

وهـو ما يخص الأحاديث والآيـات في التغيرات والتحولات المشـار إليها في أحاديـث علامـات السـاعة بالخسـوفات والكـوارث والبراكين كالنـار والدخان والخسـف والقـذف والمسـخ ، والدجـال ويأجـوج ومأجـوج والدابـة ، والنـار الحاشرة ، وهدم الكعبة ، وطلوع الشمس من مغربها ونحوه .

❁ تَفْصِيلُ عُلُومِ (رَبْطِ الدِّيَانَةِ بِالتَّارِيخِ)

علوم ربط الديانة بالتاريخ

وهـو العلـم الذي يخص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشـرعي منذ بداية الحياة الـى نهايتهـا ، ومـن نهايتها إلى عالم الأبدية فـي الجنة أو النار ، مـن خلال القرآن والسـنة الشـريفة ، وما يقابلـه من قراءة التاريـخ الأنوي الطبعـي الوضعي وتاريخ الفصـل بيـن الديانة والتاريخ ، وهذا العلم يعيد قراءة القرآن قراءةً تاريخيةً شـرعيةً مفصلةً فيما يناسب **الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ** ، من مثل :

---

(١) حصانة المراحل على أنواع :

١- مرحلةُ الرِّسالَةِ، وحصانتُها الوحيُ ، والعِصمَةُ ، والمُعجِزاتُ، والأخلاقُ

٢- مرحلةُ الخلافةِ الرَّاشِدَةِ، وحصانتُها الاجتهادُ ، ونُصوصُ النُّبُوَّةِ ، ومواقِفُ الخُلَفاءِ.

٣- مرحلـةُ المُلـكِ العَضوض وحتّى مرحلـةِ الغُثاءِ، وحصانتُها حِفظُ بَيضةِ الإسـلامِ، وإقامةُ فرضِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

٤- ولا حصانَـةَ لمرحلَةِ الغُثـاءِ ورُموزِها بعد نقضِ الحُكمِ والعِلم، وإنَّمـا يبقى الحِفظُ العامُّ للأُمَّـةِ علـى صِفَةِ العُمـومِ من قولِهِ ﷺ: «**مَثَلُ أُمَّتِـي كَالمَطَرِ يَجعَلُ اللَّهُ فِي أَوَّلِـهِ خَيراً وَفِي آخِرِهِ خَيـرَاً**» «المعجم الكبيـر» للطبرانـي (١٣ : ٣١) (٦٥) وعلى صِفَةِ الخُويصَـةِ والخاصَّةِ في قولِهِ ﷺ : «**وعليكَ بِخُويصَةِ نفسِكَ**» «المعجم الكبير» (١٣: ١٢) (١١) .

- دِرَاسَـةُ التكوينِ الآدميِّ ، وما يَخُصُّه من الآيات والأحاديث ، وموقفُ إبليسَ من السجودِ لآدمَ وما ترتب على ذلك .
- دراسـةُ مرحلـةِ سَـكَنِ الجنـةِ وبَـدْءِ مرحلـةِ الأوامـر والنواهي ، وفقـهِ عداوةِ الشيطان وأثَرِهِ على الإنسان .
- دراسـةُ مرحلةِ الإهباطِ إلى الأرضِ ووظائفِ الفُرَقَاء في الحياة مَا بَيْنَ الأَجَلِ والأَمَـلِ ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤] .
- دراسةُ حياةِ البرزخِ والبعثِ والنشورِ.
- دراسةُ الحياةِ الأبديةِ في عالمِ الجنةِ أو في عالمِ النارِ.

وسيأتي تفصيلُها على أربعةِ عَوَالـمَ وعُلُومٍ:

❁ **عَالَـمُ وَعِلْـمُ الأَزَلِ** ، ومِنْهُ علمُ السَّـوَابِقِ وَالخَوَاتِيم ، وعالم التَّكوينِ وما قبل خلافةِ آدمَ في الأرض، وهو قسمانِ:

١- قِسْمٌ خَاصٌّ بِالحَقِّ ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة:255].

٢- قِسْمٌ خَاصٌّ بِالخَلْقِ ، وهو ما أُطْلِقَ عَلَيْهِ مُسَمَّى (عِلْمِ السَّوَابِقِ وَالخَوَاتِيمِ).

❁ **عَالَمُ وَعِلْمُ الأَجَلِ وَالأَمَلِ** ، وهو عالم الخلافةِ إلى الوفاةِ وقيام الساعة.

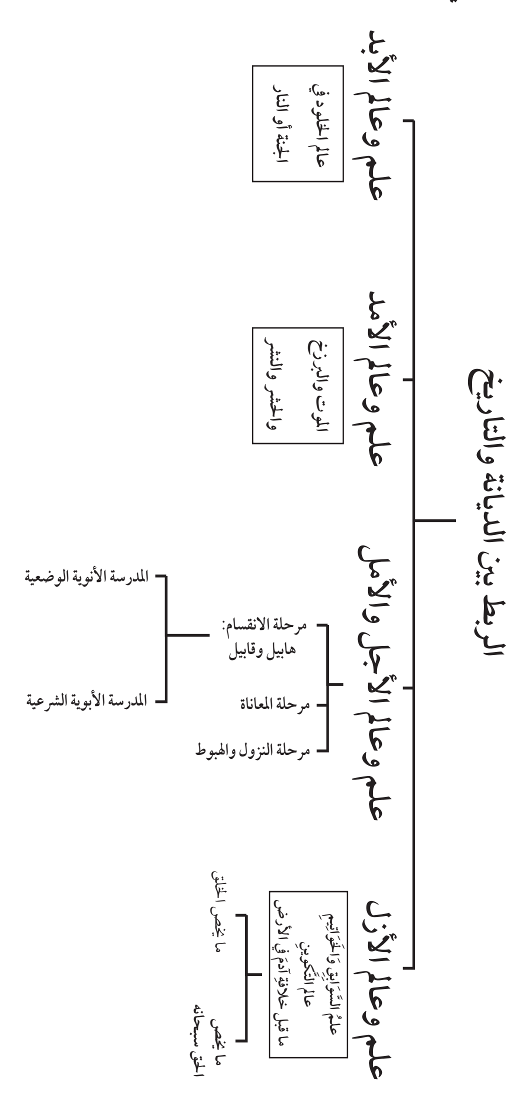
❁ **عَالَمُ وَعِلْمُ الأَمَدِ** ، وهو عَالَمُ البَرْزَخِ والحشر والنشر.

❁ **عَالَمُ وَعِلْمُ الأَبَدِ** ، وهو عالمُ الخلودِ في الجنة أو النار.

وهذا العلم يعيد قراءة القرآن والسـنة ويلحق به ما ترتب على افتراق المدرستين مدرسة الأبوة الشـرعية ومدرسة الأنوية الوضعية في سير العالم الإنساني ، وتميز المدرسـة الأبويـة النبوية برسـالة آدم وموقـف هابيل وما تفـرع بقراءته من الكتب المنزلـة والرسـل والأنبياء عبـر الأزمنة والمراحل مـن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومـن نـوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومن

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ومن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى عهد محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو العهد الذي يمتد إلى قيام الساعة وفق الدراسة العلمية الشرعية لفقه التحولات .

وفـي الوجـهِ المقابلِ: دراسـةُ المرحلة الأنوية ، من مرحلةِ كفـرِ إبليس ، وإغواءِ آدمَ وحـواءَ ، وتحريـضِ قابيـلَ على قتلِ أخيـه هابيلَ ، وما تفرَّعَ مـن موقفِ الكفر والانحرافِ التاريخيِّ بعد ذلك.



أقسام العلم
بعلامات الساعة

أقسامُ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ

تَنْقَسِمُ دِرَاسَةُ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

❁ **المَرْحَلَةُ الأُصُولِيَّةُ الأَسَاسِيَّةُ**، وَهِيَ مَرْحَلَةُ الرِّسَالَةِ النَّبوِيَّةِ مِنْ مَبْعَثِهِ ﷺ إلى وَفَاتِهِ ﷺ، مِنْ خِلَالِ مَرْحَلتَيْنِ: المَرْحَلَةُ المَكِّيَّةُ وَالمَرْحَلَةُ المَدَنِيَّةُ.

❁ **المَرْحَلَةُ الِاسْتِبَاقِيَّةُ**، وَهِيَ مَا تَنَاوَلَهُ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ ابْتِدَاءً مِنْ عَهْدِ وَفَاتِهِ ﷺ، وهي:

- العِلمُ بالعلاماتِ الكُبرَى، وهي العلاماتُ العَشرُ الكُبرى، وسيأتي تفصيلُها.
- العِلمُ بالعلاماتِ الوُسطى، وهي العلاماتُ الحاملةُ صِفَةَ التَّوسُّطِ الزَّمَنِيِّ بين ما سبقَها مِن بعضِ العلاماتِ الصُّغرى وما يأتي بعدَها من العلاماتِ الكُبرى، وسيأتي تفصيلُها.
- العِلمُ بالعلاماتِ الصُّغرى، وهي مُجمَلُ العلاماتِ المُتَنوِّعَةِ التي أخبرَ عنها النَّبيُّ ﷺ مُبتَدِئةً بما قبل ميلادِه ونهايةً بالنَّفخِ في الصُّورِ.. وقيامِ السّاعةِ، وسيأتي تفصيلُها.

❁ **المَرْحَلَةُ الاستقرائية**، وتمتد من مبعثه ﷺ تصاعديا إلى عهد آدم تكوينا وخلافة في الأرض.

وَلِكُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الأَقْسَامِ مَا يَخُصُّهُ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّحْلِيلِ.

الفرقُ بين السّاعةِ والعِلمِ بعلاماتِ السّاعةِ

مشكلة الخلط بين الساعة وبين العلم بعلاماتها

خَلَطَ كثيرٌ من الباحثين بين مفهومِ السّـاعةِ وبين العِلمِ بعلاماتِ السّـاعةِ ، وترتَّبَ علـى هـذا الفهـمِ رَبطُ السّـاعةِ والعلامـاتِ بمسـألةِ الإيمـانِ باليومِ الآخِـرِ ، وكتبَ بعضُهم في هذا الأمرِ تحت هذا المفهومِ : (الإيمانُ بعلاماتِ السّاعةِ ركنٌ من أركانِ الإيمان) وجمعَ بين أسماءِ يوم القيامةِ وبينَ أشراطِ السّاعةِ . وكتب آخَرُون : الإيمانُ بأشراطِ السّاعةِ داخلٌ ضِمنَ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ فهي من الإيمانِ بالغَيبِ .

والأصلُ أنّ العِلمَ بعلاماتِ السّـاعةِ لا علاقةَ له بِرُكنيَّةِ اليوم الآخِرِ وإنما علاقَتُهُ بالإيمانِ باليومِ الآخِرِ من حيثُ أصلُ الإيمانِ بالغَيبِ فقط ، أما حقيقتُه فعِلمٌ مُفَصَّلٌ في نُصوصٍ خاصَّةٍ به ، ويُؤكِّدُ ذلك حديثُ حُذيفةَ بن اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القائلِ : «واللهِ إنِّـي لأَعلَـمُ النَّاسِ بِـكُلِّ فِتنَةٍ هي كائِنَـةٌ فيما بيني وبيـن السّـاعةِ»[1] ، فذكرَ حذيفةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الحديثِ عِلماً خاصّاً مُستَقِلّاً ، وهو ما تَضَمَّنَهُ حديثُ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ وهو قوله : (أخبِرني عن أماراتِها؟) وذكرَ الحديثَ .

وأمـا السّـاعَةُ كنِهايةٍ للكـونِ وما بعدَه فهـو عِلمٌ يرتَبِـطُ باليومِ الآخِـرِ باعتبارِ أنَّ النَّفخـةَ فـي الصُّورِ هي علامةُ نِهايَةِ الحياةِ الإنسـانيَّةِ وأن سـاعةَ المـوتِ هي نهايةُ حياةِ الفَردِ بالنسـبةِ للإنسـانِ ، كما أنَّها مُبتدأُ ما بعد الحيـاةِ المعروفِ باليومِ الآخِرِ وما يترتَّبُ عليه .

النصوص دلت على أن الساعة غير العلم بعلاماتها

والآيـاتُ تَـدُلُّ علـى أنَّ السّـاعَةَ ـ وهـي نِهايَـةُ الكـونِ ـ غيـرُ العِلـمِ بعلامـاتِ السّـاعَةِ ، وهـي الوَقائِعُ والأحداثُ السّـابِقَةُ لها ؛ قـال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] . وقال تعالـى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ [النازعات : ٤٢-٤٣] .

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) .

كُلُّ هـذه الآيـاتِ تَدُلُّ على أنَّ السّـاعةَ يقصدُ بهـا نهايةُ الكونِ ، وأنَّهـا تختَلِفُ في فِقهِها عن العِلمِ بعلاماتِ السّـاعةِ ، وهي الوقائِعُ والأحداثُ السّـابِقَةُ لِنِهايَةِ الكونِ ، وقد فَصَّلت الأحاديثُ هذا المفهومَ تفصيلاً تامًّا ، كحديثِ حُذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي رواه الإمامُ مُسـلمٌ قال : «أخبَرَني رَسُـولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما هو كائِنٌ إلى أن تقومَ السّـاعَةُ»[1] ، وحديثِ : «لقد خَطَبَنا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خُطبَةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيامِ السّاعَةِ إلا ذَكَرَه»[2] .

الأشراط في حديث مكحول

بهذا يُعلَمُ أنَّ العِلمَ بعلاماتِ السّـاعةِ رُكنٌ شَـرعِيٌّ مُسـتَقِلٌّ ينطوي تحت الرُّكنِ الرَّابِـعِ من حديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ويختَصُّ بما سـبق ذِكرُهُ من الأشـراطِ والأماراتِ والعلامـاتِ والفِتَـنِ ومُضِلَّاتِ الفِتَـنِ والملاحِمِ والبِشـاراتِ . ويؤيِّدُ هذا حديثُ مكحـولٍ : قـال أعرابيٌّ : يا رسـول الله متى السّـاعةُ ؟ فقال رَسـولُ اللـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : **«ما المسـؤولُ عنها بِأعلَمَ مِن السَّـائلِ ، ولكِنَّ أشـرَاطَها : تقارُبُ الأسواقِ ، ومَطَرٌ ولا نبـاتَ ، وظهورُ الغِيبَةِ ، وظُهـورُ أولادِ الغيَّةِ[3] ، وتعظيمُ رَبِّ المالِ ، وعُلُوُّ أصواتِ الفُسَّـاقِ في المسـاجِدِ ، وظهورُ أهلِ المُنكَرِ على أهلِ المعروفِ ، فمَن أدرك ذلك الزَّمانَ فليَفرَغ بِدينِهِ وليكُن حِلساً من أحلاسِ بيتِه»**[4] .

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) .

(٢) «صحيح البخاري» (٦٦٠٤) .

(٣) أي: أولاد الزنا.

(٤) «الفِتَن» لنعيم بن حماد (١٧٩٦) .

تَعرِيفُ مُصطَلَحِ (فِقهِ التَّحوُّلاتِ)

مفهوم فقه التحولات

يُعَرَّفُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ المُمَثَّلُ في جُمْلَةِ النُّصُوصِ القُرْآنِيَّةِ وَالحَدِيثِيَّةِ الخَاصَّةِ بِعِلْمِ عَلامَاتِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا بهذا التعريفِ:

هُوَ الفَهْمُ الشَّرْعِيُّ لِمَا يَقْضِي اللّٰهُ وَيُدَبِّرُ في العَالَمِ الأَزَلِي وَمَا جَرَىٰ وَيَجْرِي مِنْ سُنَنِ التَّغَيُّرَاتِ وَالمُتَغَيِّرَاتِ في الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ، وَمَا طَرَأَ وَيَطْرَأُ مِنْ مُسْتَجَدَّاتِ العِلْمِ النَّظَرِيِّ وَالتَّطْبِيقِيِّ وَالثَّقَافَةِ وَالحَوَادِثِ وَالفِتَنِ في مَرَاحِلِ الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ عُمُوماً وَمَرَاحِلِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ خُصُوصاً إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ ، وَمَا تَلاهَا مِنْ عَالَمِ الأَمَدِ وَالأَبَدِ وَالخُلُودِ.

اشتقاق اللفظة

والتَّحوُّلِ : مُشتَقٌّ من (تَحوَّل ، يتحوَّلُ)، أي : (تَغيَّر، يتغيَّر) ، ومعناه ـ كما سبق ذكرُه ـ تحوُّلٌ زَمَنِيٌّ من حالٍ إلى حالٍ ، أو تحوُّلٌ فِكريٌّ من رُؤيةٍ إلى أخرى ، ويُقاسُ عليه كُلُّ ما يتعلَّقُ بأمرِ التَّحوُّلِ والتَّبدُّلِ ، قال تعالى في هذا المفهومِ :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]

مادة فقه التحولات

ويعتمِدُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ في تأصيله وسردِ وقائِعِه على جُملَةٍ من الآياتِ القرآنيةِ وَأحاديثِ السّاعةِ والفِتَنِ ومُضِلّاتِها التي تكلَّم عنها ﷺ .

وأما كَلِمَةُ الفِقهِ في اللُّغَةِ فهي الفَهمُ .

الفقه في اللغة والاصطلاح

وفي الاصطِلاحِ العَامِّ : إدراكُ المقصودِ المُترتِّبِ على نوعِ العِلمِ المُقرَّرِ ، قال ﷺ : «**مَن يُرِدِ اللهُ به خَيراً يُفَقِّهُهُ في الدِّينِ**»[1] .

فالفِقهُ هنا لا ينحَصِرُ على فِقهِ العِباداتِ وفِقهِ المُعامَلاتِ وفِقهِ الجِناياتِ أو غيرِها من الفِقهِ المَذهَبيِّ المُندَرِجِ تحت علمِ الأُصولِ ، وإنما يُفهَمُ الفِقهُ في تأصيلِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بأنَّ كَلِمَةَ الدِّينِ في الحديثِ تدُلُّ على كافَّةِ عُلومِ الدِّينِ

---

(١) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٧١) و «صحيح مسلم» (١٠٣٧) .

والتَّدَيُّـنِ المُنطَوِيَـةِ تحت مفهـومِ أركانِ الدِّيـنِ الأربعةِ ، وفي ذلك يقولُ سـبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

فالإسـلامُ هنا أوسَـعُ من مفهوم أركانِهِ الخَمسَةِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

الإسلام في معناه الكلي

إذ المعنى العامُّ للإسلامِ هنا كالمعنى العامِّ للدِّينِ ، وهو كُلُّ ماجاءت به الرِّسالَةُ المُحَمَّدِيَّةُ هو الدين .

الإسلام اصطلاحاً في معناه الجزئي هو الالتزام بالأركان الخمسة

وأما عندما نُفسِّرُ الإسلامَ والدِّينَ في المفهومِ الجُزئيِّ فيسمَّى ـ كما عَرَّفَه العُلماءُ :ـ (الانقيادُ للأحكام الشَّـرعِيَّةِ والالتِزامُ بالأركانِ الخَمسَـةِ) ، ولا زال التّناوُلُ لهذ المُسـمَّى (فِقـهِ التَّحـوُّلاتِ) فـي أوَّلِ مرحلـةِ الأَخذِ به ، ولهـذا فهنـاك الكَثيرُ من القُصـورِ المَعرِفِيِّ الذي يحتاجُ فيه هذا العِلمُ إلى مُتابعةٍ وتأصيلٍ لما لم يُؤصَّل منه ورَبطٍ عِلمِيٍّ بين الظَّواهِرِ والأحاديثِ ، وخاصَّةً أنَّ كثيراً من المُؤلِّفينَ قد تجاوَزوا الحَدَّ المشـروعَ في تفسيرِ علاماتِ السّاعةِ والرَّبطِ بينها وبين وقائعِ الأحوالِ حتى أدَّى ذلك إلى مالا تُحمَدُ عُقباهُ في التَّحليلِ والتَّعليلِ .

ثمرة العلم بعلامات الساعة هي جمع الأمة على القواسم المشتركة ورفع وعي الخاصة والعامة

إنَّ العِلمَ بعلاماتِ السَّاعةِ عِلمٌ شرعِيٌّ مُوثَّقٌ في كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وفيـه من التَّبيينـات والتَّفصيلاتِ والتأصيلاتِ ما يُفصِحُ عن أُسُـسِ المُعالَجَةِ الصَّحيحةِ لمشـاكلِ الحياةِ على المُستوى المَحَلِّيِّ والإقليمِيِّ والعالَمِيِّ ، وخاصَّةً عندما يعودُ العُلماءُ الى دراسَةِ هذا الفِقهِ برَوِيَّةٍ وتأنٍّ وحُسنِ أَدَبٍ مع النَّصِّ النَّبَوِيِّ وسـلامةِ تَوَجُّهِ النِّيَّاتِ في العلاقةِ باللهِ سـبحانه وتعالى لخدمَةِ هذا العِلمِ ، فيكونُ به إيضاحُ الحَقِّ من الباطلِ وجمعُ كَلِمَةِ العُلماءِ من هذه الأُمَّةِ على قَواسِـمَ شرعيَّةٍ واعِيَةٍ تُسـهِمُ في رَبطِ الشُّـعوبِ والأجيالِ بعالَمِيَّةِ [1] مَنهَجِ النُّبُوَّةِ السَّديدِ ـ ولو مِن

(١) العالميـة فـي منهج النبوة يقابل في معالجته واسـتيعابه الواسـع مراحـل العلمانية والعلمنة والعولمـة باعتبار أن هذه التعريفات مراحل جزئية وضعتها الظروف السياسـية المتحولة ، أمـا عالميـة منهج النبوة (العالمية) فهي كلام الله تعالى وسـنة نبيـه ﷺ المحصن بالوحي والعصمة .

بعضِ الوُجوهِ[1] ـ حيثُ إنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أعذر الشُّعوبَ في آخِرِ الزَّمانِ وخاطبَ الجيلَ الأوَّلَ بهذا الإعذارِ مِن مِثلِ قولِه ﷺ : «**إِنَّكُمْ في زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ نَجَا**»[2] .

الأساس في النجاة هو العمل

والأساسُ في النَّجاةِ هو العَمَلُ ، وهذا موضوعٌ هَامٌّ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ وهو موضوعُ (المبادَرَةِ بالأعمالِ) حيثُ يُستعاضُ عن الأعمالِ الصَّالِحَةِ في آخرِ الزَّمانِ بالجَدَلِ والمُحاجَجَةِ والبَغيِ وما تَرَتَّبَ عليها من عوامِلِ النِّزاعِ والصِّراعِ والاختلافِ المُفضِي إلى الحربِ والاقتتالِ ، وفي هذا البابِ أحاديثُ كثيرَةٌ فنذكرُ منها قولَهُ ﷺ :

«بادروا بالأعمال» وما يترتب على مفهوم المبادرة

١ - «**بادِرُوا بالأعمالِ فتناً كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم ، يُصبِحُ الرَّجلُ مؤمناً ويُمسي كافراً ، أو يُمسي مؤمناً ويُصبِحُ كافراً ، يبيعُ [أحدُهم] دينَه بِعَرَضٍ من الدُّنيا قليلٍ**»[3] .

٢ - «**بادِروا بالأعمالِ سبعاً ، هل تنتَظِرون إلا فَقراً مُنسِياً ، أو غِنىً مُطغِياً ، أو مَرَضاً مُفسِداً ، أو هَرَماً مُفنِّداً ، أو موتاً مُجهِزاً ، أو الدَّجَّالَ فَشَرُّ غائِبٍ يُنتَظَرُ ، أو السّاعَةَ والسّاعَةُ أدهى وأَمَرُّ**»[4] .

وقد تناوَلَ شُرَّاحُ الحديثِ معانِيَهُ باستفاضَةٍ ولكنَّا مِن واقعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ نزيدُ الموضوعَ جلاءً وبياناً :

يرى البعض أن نصوص هذا الفقه تحمل تشاؤماً وصوراً قاتمةً للمستقبل وهذا وهمٌ

الأَوَّلُ : إنَّ مِثلَ هذه الأحاديثَ لا تحمِلُ تشاؤُماً ولا صورةً قاتِمةً للمُستقبَلِ

---

(١) والمقصود بقولنا : ولو من بعض الوجوه ، أي : من جهة تأصيل منهجية الدعوة إلى الله الجامعة لأمة الإسلام على قواسمها المشتركة ، ولو اختلفت فهومها واستنباطاتها الفقهية باختلاف اجتهاداتها ، فإن للدعوة إلى الله في هذه القاعدة المتنوعة المتباينة وجوه جامعة ووشائج متداخلة ، يمكن بها رأب الصدع وإصلاح الطبع ، والتزام أدب الشرع .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٢٦٧) .

(٣) «صحيح مسلم» (١١٨) .

(٤) «سنن الترمذي» (٢٣٠٦) .

حيثُ يظُنُّ البعضُ مثلَ هذه الأوهامَ النَّاتِجةَ عن الجَهلِ بالمعاني الشَّرعِيَّةِ التي يكشِفُها ﷺ للأُمَّةِ كي تتوَقَّى الخَطَرَ والهلاكَ ، فالإفصاحُ البَيِّنُ عن هذِهِ الأُمُورِ يدخُلُ تحت مبدأِ (الوِقايَةُ خيرٌ من العِلاجِ) والنَّبيُّ ﷺ مُنذِرٌ مأمورٌ ومأذونٌ له من عند ربِّهِ ، فكيفَ يكونُ بيانُهُ تشاؤُماً .

الثَّاني : أنَّهُ ﷺ يأمُرُ العِبادَ في المرحلَةِ التي يقودُها ويأتَمِرُ النَّاسُ فيها بأمرِهِ ورِسالَتِهِ أن يكون هَمُّهم في حياتِهم العَمَلَ الصَّالِحَ والمُبادَرَةَ إليه ، والعملُ الصَّالِحُ لا يقتَصِرُ فقط على العباداتِ الشَّرعِيَّةِ بل يَشمَلُ مفهومَ العَمَلِ في شُؤونِ الدِّيانَةِ وفي شُؤونِ الحياةِ الدُّنيويَّةِ التي لا بد منها ، حيث يُشيرُ الحديثُ ذاتُهُ الى هذا المفهومِ من خلالِ الإشاراتِ التي أخبرَ عن وُقوعِها ، فكأنه ﷺ ـ كما في الحديثين السابقين ـ[1] يقول : **فهل تنتَظِرُون** ـ عندَ انقطاعِ المُبادَرَةِ للأعمالِ وعَدَمِ النَّظَرِ الواعي الى المُرادِ المُترتِّبِ على المبادَرَةِ والمسارعَةِ ـ إلا أموراً خطيرَةً وشُؤوناً تُدَبَّرُ في الخفاءِ ضِدَّكم في كافَّةِ شُؤونِكم ـ وكأنَّه يُشيرُ ضِمناً إلى سياسةِ الشَّيطانِ وأتباعِهِ وعُمَلائِهِ الذين يعملون على احتناكِ الشُّعوبِ بالتَّجويعِ والتَّرويعِ والتَّطبيعِ والتَّطويعِ ـ حتى يمتَلِكون رقابَكم وحاضِرَكم ومُستَقبَلكم فيجرِّعُونكم غُصَّةَ الفَقرِ المُنسي ـ كما سَمَّاه ﷺ ـ والغِنَى المُطغي .. إلخ .

الإشارة النبوية إلى ما يحل بالأمة عند انقطاع الأعمال

وهذا ما تعيشُه الأُمَّةُ اليومَ ويعيشُهُ العالم كُلُّهُ من سِياساتِ الدَّجْلِ الاقتصادِيِّ الرِّبَويِّ والدَّجَلِ الإعلاميِّ والتَّعليمِيِّ والثَّقافِيِّ والسِّياسِيِّ والدِّينِيِّ وإلى غيرِ ذلك، فالمُتَنَفِّذون مِن حَمَلَةِ القَرارِ السِّياسِيِّ الاقتصاديِّ في العالم يُعِدُّون العُدَّةَ لهذا الفَشَلِ المُبرمَجِ والنَّبيُّ ﷺ يُحذِّرُ الشُّعوبَ من هذه المهالكِ بِكَلِماتٍ وَجيزَةٍ وعِباراتٍ قصيرَةِ المبنى عميقةِ المعنى .

معنى «الفقر المنسي»

(١) وهما في الصفحة الماضية قوله ﷺ : «**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل**» وقوله ﷺ : «**بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**» .

ولعلَّ من معاني الفَقرِ المُنسـي ما يعيشُهُ المُسلمون وجماهيرُ العَرَبِ والأعرابِ فـي تفعيـلِ الصِّراعِ الاقتصـاديِّ داخِلَ المُجتمعـاتِ المُتهالِكَةِ بالاقتصـادِ الرِّبَوِيِّ الرَّأسماليِّ والاقتصادِ السِّياسِيِّ الشُّيوعِيِّ وما شابه ذلك من التَّوليفاتِ الاقتصادِيَّةِ المُنسِـيَةِ لِشعوبِ الأُمَّةِ قواعِدَ الآدابِ والقِيَمِ والدِّيانَةِ من أجـلِ لُقمَةِ العيشِ وفي سـبيلِ تحصيلِهـا، فهذا يَضْطَرُّ للحيلَةِ والرَّشـوَةِ والكَـذِبِ، وذاك يَقَعُ فـي الخِيانَةِ للأمانَـةِ والنَّهبِ والسَّـلبِ . بـل وتَجِدُ المُسـلِمَ المُصَلِّيَ الصَّائِمَ يُدافِعُ عن نظرِيَّةِ الاقتصادِ الاشـتراكيِّ أوالرأسماليِّ وكأنَّها من مِلَّةِ صاحبِ الدِّيانَةِ الإسلامِيَّةِ نتيجَةَ الفَقرِ الْمنسي المُشارِ إليه في الحديثِ .

معنى «الغنى المطغي»

وكذلـك الغِنـى المُطغـي القائِمِ علـى نَهبِ ثـرَواتِ الشُّـعوبِ، وإقامةِ التوسُّـعِ السِّياسِـيِّ بِالحُـروبِ ، وصـرفِ الأمـوالِ الطائِلَـةِ للاسـتثماراتِ ذاتِ الطَّابِـعِ الاسـتهلاكيِّ والتَّسـييسِ الإعلامِيِّ والثَّقافـيِّ المُدَمِّرِ للقِيَـمِ الشَّـرعِيَّةِ، والرَّاعي للنَّوازِعِ والشَّهواتِ الطَّبعِيَّةِ، سواءً في المُجتمعاتِ غيرِ المُسلِمَةِ أو في المجتمعاتِ الإسلامِيَّةِ ذاتِها، وخاصَّةً عند النَّظَرِ في طُغيانِ رجالِ المالِ والأعمالِ فيما يُنفِقُونه علـى الشَّـهواتِ واللَّذائِذِ وأسـبابِ الحيـاةِ المُترَفَةِ كالمشـاريعِ السِّـياحِيَّةِ ومواقِعِ اللَّهـوِ والغِناءِ، والنَّظَرَ أيضاً في مدفوعاتِ الأنظِمَةِ للثَّقافاتِ المُنحَلَّةِ والمشـاريعِ الاقتصاديَّةِ المستنزفة للأموالِ دون عائِدٍ اعتبارِيٍّ مَصيرِيٍّ .

تَرَكْنَا العائد المصيري وهو ما يرفع شأن الأمة أمام أعدائها كالزراعة والصناعات التحويلية وكافة أشكال الإنتاج

والاعتِبـاريُّ المصيـريُّ مـا يرفَعُ شـأنَ الأُمَّةِ أمـام أعدائِهـا كالاهتِمـامِ بالزِّراعَةِ ومُنتَجاتِها وصِناعاتِها التَّحويلِيَّةِ وإقامَةِ مبدأِ الاكتِفَاءِ الذَّاتِيِّ في الشُّعوبِ بديلاً عن الاعتمادِ على الغَيرِ الذي تُمارِسُـهُ الأُمَّةُ اليوم بما هو معروفٌ في سِياسَةِ الاستيرادِ لِكُلِّ شـيءٍ حتى صار العالَمُ العَرَبِيُّ والإسـلاميُّ مُجَرَّدَ سُـوقٍ استهلاكِيَّةٍ للبضائِعِ والصِّناعـاتِ الخارجِيَّةِ مـع ضعفٍ في المـواردِ الدَّاخِلِيَّةِ وإهمـالٍ للزِّراعَةِ وتربيةِ الحَيَوانِ، وكُلُّ هذا يدخلُ في هذا المعنى المُشارِ إليه بـ«الغِنى المُطغي».

تركنا للصناعات الإنتاجية والثروات وهجرنا لمبدأ الاكتفاء الذاتي جعلنا (سوقا استهلاكيا) وهذا ما أدى إلى الغنى المطغي

أصحاب الغنى المطغي أعطوا العدو حق الاعتداء على العزل في فلسطين وغيرها ودعموه بالمال والسلاح

ويـزدادُ خَطَرُ الغِنى المُطغي عندما يَجِدُ المُسـلِمُ أَنَّ القضايـا المصيريَّةَ ـ كقَضِيَّةِ فِلَسـطينَ ـ قد تظافَرَ علـى إضاعَتِها أصحابُ "الغِنى المُطغـي" وإعطاءِ الاحتلالِ الصُّهيونِيِّ موقِعَ الحَقِّ في حربِهِ البَهيمِيَّةِ على الشَّـعبِ الأعزَلِ في فِلَسـطينَ ، حتى شَهِدَ العالَمُ عَلَناً وفي غيرِ وازِعٍ ولا رادِعٍ بَطشَ العَدُوِّ الصُّهيونيِّ بالعُزَّلِ من الرِّجالِ والنِّسـاءِ والأطفالِ في «غَـزَّةَ» خلال مَرحَلِتَنا المُعاصِرَةِ وما قبلَها ، وما قد سـيأتي بعدهـا من خُطَطِ البَطشِ والسَّـلبِ والنَّهبِ والاعتِدَاءِ الذي لا تسـتطيعُ أمامَهُ دُوَلُ العالَمِ العَرَبِيِّ والإسـلامِيِّ أن تَتَّخِذَ قراراً مُشـتَرَكاً ضِدَّ طُغيـانِ العَدُوِّ المُحتَلِّ ، بل وحتـى بَقِيَّـةِ دُولِ العالَمِ الإنسـانِيِّ ، بِصَرفِ النَّظَـرِ عن كونِها مُؤَيِّـدَةً أو غيرَ مُؤَيِّدَةٍ لوقائعِ الحالِ .

معنى (المرض المفسد)

إنَّ عبـارَةَ النَّبـيِّ ﷺ في مِثلِ هـذا الحديثِ تحمِلُ مضامِينَ خَطيـرَةً تُبدي حقيقةَ الاهتِمامِ الذي شَـغَلَ الرَّسـولَ ﷺ حول مُسـتقبَلِ الأُمَّةِ ، إذ هو لم يَقِف عند الفَقرِ المُنسـي والغِنى المُطغي ، بل أشـارَ إلى ما يترتَّبُ عليه ويرتَبِطُ به فقال : «**أو مَرَضاً مُفسِدًا**» والمَرَضُ المُفسِدُ : الذي يُفْسِدُ حياةَ الأُمَمِ والشُّعُوبِ ولا يَقِفُ عند الآفاتِ والأوبِئَةِ الحِسِّـيَّةِ ، بل يشمَلُ أمراضاً ناتِجَةً عن سُمومِ الموادِّ الكيماوِيَّةِ ومُخلَّفاتِ الصِّناعَـةِ وعَبَـثِ العُلماءِ بالجينـاتِ الوِراثِيَّةِ وغيرِها مِمَّا يَـدورُ خلفَ الكواليسِ ، إضافةً إلى الأمراضِ المعنويَّةِ الناتِجَةِ عن انعدامِ التَّربِيَةِ الرُّوحِيَّةِ والتَّزكِيَةِ الشَّـرعِيَّةِ ، وهـي أمراضٌ اجتماعيَّةٌ خطيرةٌ يتفَجَّرُ بها الواقِعُ الإسـلامِيُّ والإنسـانِيُّ لانعِدامِ العِـلاجِ لهـا، مع حصول فساد لـدى بعـض المرضى فـي علاقتهم بالله والدين والمجتمع ، لقلة ثبات الإيمان وحصول فساد آخر بالإحباط وغير ذلك .

معنى (الهرم المفند)

«**أو هَرَمًـا مُفَنِّـدًا**» الهَرَمُ هـو الكِبَرُ والعَجْزُ ، قـال أهلُ اللغةِ : الفَنَـدُ في الأصلِ : الكَذِبَ ، يقال : أفندَ الرجلُ ، إذا كبر حتى يتكلّم بما لا يُحتاج إليه ، وفنَّدت الرجلَ تفنيداً ، إذا خطّأته ورددت عليه قوله[1] .

فالمعنى الأولُ : الهَرَمُ الذي يؤدِّي إلى الخَرَفِ ، والمعنى الثاني : الردُّ على كبيرِ

(١) «جمهرة اللغة» (١ : ٣٦١) .

السنِّ وتخطئتُه وزجرُه ، وإذا أخذنا هذا المعنى وطَبَّقْنَاه على المجتمعاتِ اليوم فقد تَمَّ عزلُ كبارِ السنِّ عن الواقعِ الاجتماعيِّ والأسريِّ وتحويلُهم إلى الملاجئِ والبيوتِ الخاصةِ ، وربما يكون مِثلُ هذا يشملُ الآباءَ والأمهاتِ في بعض أسرِ المسلمين المتأثرينَ بالحياة الحضاريةِ ذاتِ العلاقةِ المباشرةِ بمثل هذه الظاهرة ، فعلى صعيدِ البلدانِ الغربيةِ يرى معظمُ الأبناءَ في تلك الدول أنه من الأسلمِ اجتماعياً وصحياً للآباءِ تسليمُهم إلى مصحّاتِ العنايةِ بكبارِ السنِّ والعَجَزَةِ . ويعلّلُ الأبناءُ ذلك بانشغالهم بالعملِ اليوميِّ لساعاتٍ طويلةٍ ، لأن الاهتمامَ بهم يعوقُ العملَ .

ومن المعروفِ أن الأواصرَ الأسريةَ في عالمِ المسلمين متماسكةٌ إلى حدٍّ أكبرَ بكثيرٍ من مثيلاتِها في العالمِ الغربيِّ الذي اتجهتْ فيه المرأةُ بشكلٍ واسعٍ للعملِ وتركِ أبنائِها في الحضانةِ أو عند مربيةٍ خاصةٍ . وهذا الأمرُ موجود أيضاً عند بعضِ الأسرِ في العالم العربي ولكن بنسبةٍ أقلَّ بكثيرٍ عنه في المجتمعاتِ الصناعيةِ المتقدمةِ .

إن نتائجَ عدمِ إعطاءِ الوالدينِ أبناءَهمُ الوقتَ الكافي في الصغرِ تنعكسُ على علاقةِ هؤلاء الأبناءِ بوالديهم في الكبرِ ، مع الإشارةِ هنا إلى أنّ الأمَّ تبقى أمّا وأنّ ظاهرةَ الأمومةِ لا تنطبق على أمٍّ دون غيرها ، لكن الفرقَ يكمنُ في الظروفِ المصاحبةِ للقيامِ بواجباتِ الأمومةِ على العلاقاتِ الأسريةِ ، وحتى في داخل المجتمعِ الواحدِ فإننا نجدُ ثمةَ فرقاً واضحاً في طبيعةِ وحرارةِ علاقةِ أعضاءِ الأسرةِ التي تسكنُ في المدينةِ عن تلك القاطنةِ في الريفِ .

ولذا فقد ظهرَ اليومَ في الدولِ الغربيةِ مفهومُ (دولةِ الضمانِ الاجتماعيِّ) ، وهي أن تصبحَ الدولةُ ذاتَ نسبةٍ كبيرةٍ من العجزةِ الذين يعيشونَ على مُخَصَّصاتِ الضمانِ الاجتماعيِّ ، وكمثالٍ فقد أعلنتْ حكومةُ ألمانيا أنها تعاني من تَرَاجُعٍ حادٍّ في معدلاتِ المواليدِ بشكلٍ يؤثرُ سلباً على الاقتصادِ والقوةِ العاملةِ ويؤدي أيضا إلى (شيخوخةِ) المجتمعِ ، وأنّ أحدَ أهمِّ أسبابه تراجعُ ما سَمَّوْهُ بـ(مؤسسةِ

الزواج)[1] ، وتوصلتْ إلى أن (دعائمَ دولتِنا الاجتماعيةَ لن تَمْنَحَ بأيِّ حالٍ الأمانَ الذي تُوَفِّرُهُ الأسرةُ التقليديةُ) [2].

معنى (الموت المجهز)

«**أو موتـاً مُجهِزاً**» وهو نموذَجٌ من نماذِجِ القَتلِ الجماعِـيِّ بالعَمَلِيَّاتِ الانتحارِيَّةِ والحَـرقِ العـامِّ للمُـدُنِ والمـزارِعِ ومَن فيهـا بحيثُ يصعُـبُ تفاديه وعـلاجُ آثارِهِ وخاصَّةً ما تُستخدَمُ فيها الأسلِحَةُ المُدمِّرَةُ والحارِقَةُ والفُسفورِيَّةُ ، وأعتَقِدُ أنَّ هذا النَّمـوذَجَ المُشـارَ إليه لم يَعُـد خَافياً وُقوعُهُ علـى أَحَدٍ ـ فالأجهِـزَةُ المرئِيَّةُ تعرِضُ للمُشاهِدين من هذا المَوتِ المُجهِزِ ما لا مزيدَ عليه كُلَّ يومٍ في أرجاءِ الأرضِ .

«**أو الدَّجَّـالَ فَشَـرُّ غائِبٍ يُنتَظَرُ**» وهذه العبارَةُ مـن الحديثِ تُعيدُنا مَرَّةً أخرى إلى قولِه ﷺ في أَوَّلِ الحديثِ : «**فهل تنتَظِرون**» إذاً فالدَّجَّالُ مخلوقٌ مُنتَظَرٌ ولكنه شَرُّ مَـن يُنتَظَـرُ لما يجري بين يديه مـن الفِتَنِ والمِحَنِ والتَّحـوُّلاتِ القائِمَةِ على تدميرِ "المبادَرَةِ بالأعمالِ" في كافَّةِ صُوَرِها الإيجابِيَّةِ وخاصَّةً أنَّ كافَّةَ الانحرافاتِ إنَّما تُمَهِّدُ للمَسيخِ الدَّجَّالِ الذي تنتظِرُه الشُّعوبُ ليُرغِمَها على الاتِّجاهِ الإجباريِّ نحو «جُحرِ الضَّبِّ» ، نسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ.

«**أو السّاعةُ والسّاعةُ أدهى وأَمَرُّ**» وهي نهايَةُ الكونِ الإنسانيِّ بكامِلِه وانتهاءُ دورةِ الحَرَكَةِ المألوفَةِ في الحياةِ . وهناكَ جُملَةٌ من الأحاديثِ تدورُ في المعنى لا مجالَ لِذِكرِها ، وإنَّما اقتَصَرنا على هذا الحديثِ كَنَموذَجٍ لاجتماعِ أَهَمِّ مُهِمَّاتِ المعاني المُتَفَرِّقَةِ فيه ، واللهُ أعلَمُ .

---

(١) وهي تسـمية حديثـة أُطلقت على مظاهر الزواج التقليدي بعد أن شـعروا بأهميته، ويقابلها ما تم تقنينه لديهم مؤخرا كزواج المثليين (الرجال بالرجال والنساء بالنساء) ، وسائر أنواع العلاقات المشبوهة التي أقيمت لها مؤسسات الخنا والفجور بحماية الحكومات .

(٢) والآن تقـومُ هذه الحكومات بمحاولاتٍ يائسـةٍ لتشـجيعِ أبناءِ الشـعبِ علـى الإنجابِ من خلالِ زيادةِ المعوناتِ المخصصةِ للأسـرةِ والأطفالِ ومنحِ الوالدينِ تسـهيلاتٍ في العملِ والضريبةِ ، وينادي البعض بالاسـتعانة بالعمال الأجانب بالهجرة والتجنيس لسـد الفجوة التي تتركها معدلات تراجع المواليد ؛ ولكن الخوف من فقدان فرص العمل يجبر الكثيرين على رفض هذه الفكرة .

تأصيل فقه التحوُّلات من الكتاب والسُّنَّة

تأصيل فقه التحولات في الكتاب والسنة

قال تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

وقال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨] .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] (١) .

الآيات القرآنية المعبرة عن أهمية علم الساعة

وهذه الآياتُ ومثلُها إشارةٌ إلى أهمِّيَّةِ عِلمِ السّاعةِ وضرورةِ دراسَتِه وطولِ التَّأمُّلِ في معانِيهِ المعبِّرَةِ عن حالِ البشرِيَّةِ أمامَ تحوُّلاتِ الأزمنَةِ ومسيرَةِ التَّاريخ

(١) هذه الآية الكريمة حجة بينة على أهمية علم الساعة، وضرب الأمثلة لمعرفتها ومناقشة شؤون مستقبلها، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ قال في التفسير : أي : إن عيسى علامة على قرب الساعة، سواء من حيث نزوله من السماء وكشف كذب اليهود والنصارى القائلين بقتله وصلبه، أو من حيث إقامته الشريعة الإسلامية على دين ورسالة النبي محمد ﷺ، وكلا الأمرين لا يدركهما الكفار والمشركون إلا كما يسمعون ذلك من اليهود والنصارى بتفسير مخالف للحقيقة، ولهذا لما قال تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزُّخرُف:٥٧] أي : لما ذكر عيسى بن مريم في القرآن كمثلٍ لِمَا عبده الكُفّار من الآلهة من دون الله، إذا مشركو قريش يضجون وترتفع أصواتهم بالصياح قائلين : أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ : هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال ابن الزبعري : قد خصمتك ورب الكعبة ! أليست النصارى تعبد المسيح ؟ واليهود يعبدون عزيرا ؛ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن معهم وآلهتنا معهم ! فسكت النبي ﷺ وضحك المشركون وضجوا وارتفعت أصواتهم فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، قال القرطبي : ولو تأمل ابن الزبعري الآية ما اعترض عليها لأنه تعالى قال : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ولم يقل : ومن تعبدون، وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملائكة ؛ لأنها مما يعقل، فنفى معنى الآية عنها .. كما اعتقدوا . «صفوة التفاسير» (٣: ١٦٢) .

وكذا موقِفُ الإنسانيَّةِ من قضايا الرِّسالاتِ والقوانين الإلهيَّةِ وكفرِها باللهِ والنُّبُوَّةِ ، ومثلُ ذلك قولُه تعالى : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] ، فالغَفلَةُ هنا هي ما يجري عليهم من أشراطِ وعلاماتِ السّاعةِ المُؤدِّيةِ بهم إلى الإعراضِ عن تَذَكُّرِ الآخِرَةِ من جِهَةٍ ، والإعراضِ عن القيام بالمسؤوليَّاتِ الشَّرعِيَّةِ في الحياةِ الدُّنيا من جِهَةٍ أخرى .

علاقة القرآن العظيم بهذا الفقه أنه نزل منجماً على الحوادث والتحولات

ومما يُؤَكِّدُ علاقَةَ القُرآنِ العظيم بِفقهِ التَّحوُّلاتِ نزولُهُ مُنَجَّماً على رسولِ اللهِ ﷺ حَسَبَ الحوادثِ والوقائعِ والتَّحوُّلاتِ ، حيثُ ثبت أنَّ القُرآنَ نزل على رَسولِ اللهِ ﷺ مُنَجَّماً ـ أي : مُفرَّقاً ـ في ثلاثةٍ وعِشرِينَ عاماً ، فيُسمَّى القُرآنُ الذي نزل قبل الهجرةِ بالمَكِّيِّ والذي نزل بعد الهجرَةِ بالمَدَنِيِّ ، وقد كتب أهلُ العِلمِ في فِقهِ النُّزولِ وأسبابِهِ كُتُباً عديدةً . وقَسَّمَ العُلماءُ والمُفَسِّرون مُهِمَّاتِ القرآنِ وما جَمَعَتهُ السُّوَرُ والآياتُ من أحكامٍ وعقائِدَ وترهيبٍ وترغيبٍ وأخبارٍ بما لا مزيدَ عليه .

التحولات البشرية والغايات المصيرية في القرآن من فقه التحولات

وتكادُ غالِبُ سُوَرِ القُرآنِ العَظيم تجمَعُ بين قضايا العقيدَةِ والشَّريعَةِ وأحكامِها والتَّرهِيبِ والتَّرغِيبِ ومَراتِبِ السُّلوكِ من جِهَةٍ ، وبين فِقهِ التَّحوُّلاتِ ، وهي ما يُعرَفُ بالقِراءَةِ الشَّرعِيَّةِ للتَّاريخِ الإنسانيِّ من جِهَةٍ أخرى ، ومنها :

تكاد أغلب سور القرآن تجمع بين التشريع وفقه التحولات (القراءة الشرعية للتأريخ الإسلامي)

١ ـ الإشَارَةُ إلَى ذِكْرِ السّاعَةِ وَعلاقتِها بالحَوادِثِ وَالوَقائِعِ وَالتَّحَوُّلاتِ في العُصُورِ السّابِقَةِ لِلْإِسْلام كَمَا هُوَ فِي سُورةِ الكهفِ لدى حِوارِ الرَّجلِ لصاحبِهِ : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦]

وفي إشارة الحقِّ سبحانهُ وتعالى لإظهارِ أهلِ الكهفِ على أهلِ عصرٍ لاحقٍ بعد منامِهم ثلاثمئةِ سنةٍ وتسعَ سنواتٍ فقال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] ، وفي الآية إشارةٌ إلى حالِ أهلِ الكهفِ في مرحلةِ الكفرِ والمروقِ وما ترتب على صبرِهم وهُروبِهم بدِينِهم ليكُونُوا آيةً لمرحلةٍ لاحقةٍ يَظْهَرُ فيها أهلُ الدينِ والإيمانِ أو ليكونَ هذا الظهورُ موعوداً به لِهَدَفٍ رَبّانِيٍّ مُحَدَّدٍ ﴿لِيَعْلَمُوا

أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ .

٢- وصفُ أحوالِ ومصيرِ أهلِ الإيمانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، وأحوالِ ومصيرِ الكُفَّارِ في الحياتَين .

٣- بَدءُ الخليقةِ البَشَرِيَّةِ وعلاقَتُها بالمسؤُوليَّاتِ والخِلافَةِ على الأرضِ وما تَرَتَّبَ على ذلك من ابتلاءاتٍ وحِكَمٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

٤- ثوابِتُ النِّظامِ الكونيِّ وإبداعاتُ الخالِقِ سبحانه وتعالى ، وعَرضُ هذا الإبداعِ على صِفَةِ التَّحَدِّي حيناً وعلى صِفَةِ التَّقريرِ بالنِّعَمِ والتَّعدادِ لها .

٥- وصفُ المصيرِ الأخيرِ للعالَمِ الإنسانِيِّ والتَّحدُّثِ عن البرزَخِ والقيامَةِ والعَرضِ والحِسابِ والجَنَّةِ والنَّارِ والثَّوابِ والعِقابِ .

٦- إدانَةُ أهلِ الكِتابِ ومُحاجَجَتُهم في كافَّةِ الشُّؤونِ التي كَذَّبُوا بها وجَحَدوها، ورَدُّ أقاويلِهم وأباطيلِهم حيناً بالإجمالِ .. وحيناً بالتَّفصيلِ .

٧- إدانَةُ المُنافِقِين والمُرجِفين والذين في قُلُوبهم مَرَضٌ وكَشفُ أحوالِهم وإنذارُهُم .

٨- وصفُ مواقِفِ وأحوالِ الأنبياءِ والرُّسلِ وما عانَوهُ في سبيلِ الرِّسالاتِ مع أُمَمِهِم الكافِرَةِ .

٩- كشفُ المدرسةِ الإبليسيَّةِ ووسائلِها الأَنَوِيَّةِ ضِدَّ البَشَرِيَّةِ وتحذيرُ الأُمَمِ والشُّعوبِ من أثرِ الشَّيطانِ واحتناكِهِ ودعوَتِه الشِّريرَةِ .

١٠- استخدامُ الأُسلوبِ القَصَصِيِّ لِشَرحِ أحوالِ وصِفاتِ ومواقِفِ الخليقَةِ في وجهِها النَّبَوِيِّ الأَبَوِيِّ الشَّرعِيِّ كما هو في قَصَصِ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، وأحوالِ ومواقِفِ الخليقةِ في وجهِها الأَنَوِيِّ الإبليسيِّ كما هو في وَصفِ فِرعونَ والنَّمروذِ وهامانَ وقارونَ وغيرِهم .

معاناة الأنبياء والرسل مع أقوامهم جزء من فقه التحولات

كما أنَّ في بعضِ سُوَرِ القُرآنِ ذِكرُ بعضِ النَّبيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ورسالاتِهم وتحديدُ الأزمانِ التي عاشوها كنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ونماذِجِ الجنوحِ والانحرافِ الذي وقعت فيه الأُمَمُ ، وما ترتَّبَ عليه من عُقوباتٍ وعذابٍ يختَلِفُ من أُمَّةٍ إلى أُمَّةٍ باختلافِ أنواعِ الكُفرِ والانحرافِ ، وما عاناه الأنبياءُ والرُّسُلُ أيضا من أقوامهم كمعاناةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع

بنـي إسـرائيلَ ، ومعاناةُ يونُسَ عليه السلام مع قومِه ، وغيرِهـم من الأُمَمِ التي أجرى الله لها الابتلاءاتِ والاختباراتِ ، وتمييزُ الرُّسـلِ والأنبياءِ عليهم السلام عن بعضهم والتأكيد علـى ذلـك في أكثرِ من دلالة في آياتِ القُرآنِ ، كتمييزِ أهلِ العَزمِ عليهم السلام وتفضيلِهم عن غيرِهم وما جرى في سورَةِ الكهفِ بين موسى عليه السلام والخَضِر من مراتِبِ العِلمِ والمعرِفَةِ القائمة على الاختبارِ في السُّلوكِ وليس في مادَّةِ المعرِفَةِ ذاتها . وكذلك ما تقرَّرَ من معاني خاصَّةً في تسـميةِ سُـورِ القرآنِ وما تدُلُّ عليه هذه التَّسمياتُ من دلالاتٍ خاصَّةٍ ، كسـورةِ البَقَرَةِ والنَّملِ والنَّحلِ ومريمَ والفيلِ وغيرِها ، مِمَّا يُشيرُ إلى خُصوصيَّاتِ الأسـماءِ ومرادِ اللهِ فيها ومـا يترتَّبُ على هذا الأمرِ عند التَّحليلِ والتَّعليـلِ مـن دلالاتٍ هامَّةٍ تربِطُ بين الاسـمِ والُمسـمَّى ، وما تعنيـه دلالةُ الآياتِ المُشيرَةِ إلى ذلك .

ومِـن ذلك ما اعتنى به بعـضُ العُلماءِ وفي مُقدِّمَتِهم العلَّامَـةُ المُجتَهِدُ أحمدُ بنُ مُحَمَّـدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريُّ الحَسَـنِيُّ في كتابِـهِ : «مُطابَقَةِ الاختراعـاتِ العصرِيَّةِ لما أخبرَ به سَـيِّدُ البَرِيَّةِ» واعتنائُه بالرَّبطِ الواعي بين مُسـتَجِدَّاتِ الاختراعاتِ وبين مفهومِ الآياتِ القُرآنِيَّةِ وتعليلُهُ الاستقرائيُّ للمعاني بما لم يسبِق له مثيلٌ .

فمِن ذلك على سبيلِ المِثالِ : قولُهُ في ص٦ بعد ذكره لِعَدَدٍ من مُختَرَعاتِ العَصرِ كالسِّـكَّةِ الحديديَّةِ وسـيَّاراتِ النَّقلِ والسُّفُنِ والبواخِرِ وغيرِها فقال : وقد أخبرَ بها صلى الله عليه وآله وسلم ووردت الإشارَةُ إليها في القُرآنِ والأحاديثِ النَّبوِيَّةِ، أمَّا في القُرآنِ ففي ثلاثِ آياتٍ حسبَما حَضَرَنا الآنَ :

الأولى : قولُه تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس: ٤١ - ٤٢] أي : خَلَقنـا لهـم مِمَّا يُماثِلُ الفُلكَ المشـحون مـا يركبـون به في البَـرِّ ، والذي يُماثِلُ الفُلكَ المشـحون في كِبَرِهِ وكَثـرَةِ حملِهِ هو بابور السِّـكَّةِ الحديديَّةِ وسـيَّاراتُ النَّقلِ التي تحمِلُ عَشَراتِ الرُّكابِ مع بضائِعِهم وحاجِيّاتِهـم .. إلـخ .. إلى أن قال: وكذلك بابورُ السِّـكَّةِ الحديديَّـةِ ، بل هو أولى بالشَّبَهِ والمِثليَّةِ للفُلكِ المشحونِ .

أما المُفَسِّرون الذين فَسَّرُوا المِثلَ في الآية بالإِبلِ فمعذورون لأَنَّه لم يكن في زمانِهم ما يُشبِهُ الفُلكَ في حَملِ الرُّكابِ والبضائِع، فاضطرُّوا لحَملِ الآية على الإِبِلِ وإن كان حملُها باطِلاً مقطوعاً ببُطلانه؛ لأَنَّ الفُلكَ المشحون يحمِلُ العَشَراتِ من الناس بأثقالِهم ويحمِلُ مع ذلك الكثيرَ من السِّلَعِ والبضائِع، وهذا بالنِّسبَةِ لما كان في زمانِهم، أمَّا ما حدث في زمانِنا فالسَّفينَةُ تَحمِلُ الآلافَ من النَّاسِ ومن القناطيرِ المُقنطَرَةِ من البضائِع، ثم السُّفُنُ التي كانت في زمانِهم أيضا مع كِبَرِها وحملِها لِكثيرٍ من الرُّكابِ والأثقالِ كانت تجري في البَحرِ جَرياً حثيثاً بالرِّياحِ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشورى: ٣٢].

وكلُّ ذلك مُخالِفٌ لِوَصفِ الإِبِلِ تَمامَ المُخالَفَةِ، فمَشيُها بَطيءٌ وحَملُها لا يُقاسُ بِحَملِ السُّفُنِ، فكيف تُفَسَّرُ الآيَةُ بها؟ بل ذلك باطِلٌ قطعاً، وقد قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والحَسَنُ والضَّحَّاكُ وجماعةٌ أنَّ الآيَةَ المذكورةَ معناها: (وخلقنا لهم سُفُناً أمثالَ تِلكَ السُّفُنِ يركبونها)، وقال النَّحَّاسُ: وهذا أَصَحُّ لأَنَّهُ مُتَّصِلُ الإسنادِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا يَدُلُّ على شُفوفِ نَظَرِ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ونَظَرِهِ بنورِ اللهِ تعالى في معاني القُرآنِ العظيمِ، تصديقاً لِدُعاءِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم فَقِّههُ في الدِّينِ وعَلِّمهُ التَّأويلَ**»(١).

والآيةُ الثَّانيةُ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] أي: مِن جِنسِ المذكوراتِ للرُّكوبِ والزِّينَةِ، وهي أيضا تُركَبُ وتَحمِلُ الأثقالَ، فالآيةُ صريحةٌ في جميعِ أنواعِ العَجَلِ والعَرَباتِ.

والآيةُ الثَّالِثَةُ: قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] أي: عن السَّفَرِ عليها وحَملِ الأثقالِ أيضا.. إلى أن قال: وإنَّما عُطِّلَت عن السَّفَرِ ونَقلِ البضائِعِ عليها بِوُجودِ السَّيَّاراتِ وسِكَّةِ الحديدِ ص٧-٨.

ومِثلُ ذلك تفسيرُهُ لآيةِ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] بأَنَّها الطَّائِراتُ الحربِيَّةُ وما

(١) «مسند أحمد» (٢٤٣٧).

تفعلُهُ بِقنابِلِها وتخويفِها .

ونقتَصِرُ هنا على ذِكرِ الإشـارَةِ لهذا الفَهمِ المُناسِـبِ للزَّمانِ وما يجري فيه ، وأنَّ ذلك جُزءٌ من مفهومِ قِراءَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتِ السّاعةِ .

علاقة القرآن بفقه التحولات لا تزال غير مخدومة

وبالجُملَةِ فعلاقةُ القُرآنِ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ عظيمةٌ ، ولا تزال حتى الآنَ مُستَعجَمَةً وغيرَ مخدومةٍ ، كما يَجِبُ وينبَغي ، ولعلَّ أن يأتِيَ في مُستقبَلِ الزَّمانِ مَن يُفسِّرُ بعضَ الآياتِ والسُّوَرِ من منظورِ واقعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وسُنَنِ الدِّلالَةِ والمواقِفِ ـ ولو مِن بعضِ الوُجوهِ .

سورة الكهف وما تشتمل عليه من دروس فقه التحولات

حيثُ إنَّنا لو نَظَرنا إلى بَعضِ السُّوَرِ القرآنِيَّةِ وما خُصَّت به من الخُصوصِيَّاتِ لكانت وحدَها مجالاً عظيماً للنَّظرِ في هذا الشَّأنِ ، فسورةُ الكَهفِ مثلاً تُسَنُّ لنا قراءَتُها كُلَّ جُمُعَةٍ ، وورد في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ ، وما هذه السّورَةُ إلا جُملَةٌ من التَّحوُّلاتِ التاريخِيَّةِ الخطيرَةِ التي لها ارتباطٌ وثيقٌ بما يدورُ في الحياةِ الإنسانيَّةِ من صِراعٍ بين الخيرِ والشَّرِّ في الفِقهِ الإنسانيِّ العالَمِيِّ .

أمَّا سُورَةُ التَّوبةِ مثلاً وقد بدأت بالبَراءَةِ وكَشفِ الأقنِعَةِ عن الوُجوهِ الكافِرَةِ والمُنافِقَةِ ومواقِفِها ، فهي تحمِلُ مدلولَ المناقشةِ الواعيةِ للجُنوحِ والانحرافِ الذي برزَ جليّاً في عصرِهِ ﷺ وبأسلوبٍ شديدٍ وصريحٍ من الكُفَّارِ والمُنافِقِين ، حتى صار من أسماءِها (الفاضِحَةُ) ، وقال عنها ﷺ حين بعث سَيِّدَنا عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَقرَؤُها في الحَجِّ: «**لا يبلغها إلا أنا أو رَجُلٌ من أهلِ بيتي**»[1] ، وفي هذا دِلالةٌ عظيمةٌ على أهمِّيَّةِ هذه السُّورَةِ في دراسةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في المرحلَتَينِ المَكِّيَّةِ والمَدنِيَّةِ، ومثلها سورةُ المنافقون التي تَبنَّت تعليلَ وتحليلَ مواقِفِ الجُنوحِ والانحرافِ لدى الأفرادِ الذين أصَّلوا وأسَّسوا مدرسةَ النِّفاقِ ، وما يترتَّبُ على هذا التأصيلِ مِن تسلسُلٍ منهجِيٍّ أَنَوِيٍّ إبليسيٍّ للمُنافِقين داخِلَ الخَيمَةِ الإسلامِيَّةِ عبرَ التَّارِيخِ كُلِّه ، من خلالِ تشابُهِ المواقِفِ والسُّلوكِ الموصوفِ في هذه السُّورَةِ

(١) «مسند أحمد» (١٣٢١٤) .

كوصفِ اللهِ تعالى للمنافقينَ بقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥] أي : بمعنى أنَّهم يقولون استكباراً واستحقاراً لِرسولِ اللهِ ﷺ : (لا نريدُ بيننا وبين اللهِ واسطةً)، ومثلُ ذلك قولُ المنافِقين ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] وهي سياسةُ التَّمايُزِ والاعتدادِ بالمُواطَنَةِ، وهي إحدى ظواهِرِ مدارِسِ النِّفاقِ إلى اليوم.

مفهوم الحصار الاقتصادي والتجويع والتضييق المادي مفهوم إبليسي

ومثلُ قولِهِ تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧] وفيها إشارةٌ لِسياسَةِ المُنافقين التَّاريخيَّةِ الدَّاعيةِ إلى مفهومِ الحِصارِ الاقتِصاديِّ والتَّضييقِ المادِّيِّ «جوِّع كلبَكَ يتبعَكَ»، وهُو المعنى المَقْلُوبُ مِن قَوْلِ عَبدِاللهِ ابنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ وَاصِفاً أصحابَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ المُهاجِرينَ الَّذِينَ آوَوْا إِلى المَدِينَةِ : «سَمِّنْ كَلْبَكَ يَعْقِرْكَ»، بل إنَّنا إذا نَظَرنا إلى آخِرِ سُوَرِ القُرآنِ وهي سُورَةُ النَّاسِ وقد ختم اللهُ بها القُرآنَ كُلَّهُ وما فيها من أعاجيبِ الوَصفِ في الصِّراعِ الأزليِّ بين النَّاسِ والخنَّاسِ وأثرِ ذلك الشَّيطانِ ـ حتى على عالَمِ الجِنِّ ـ في بعضِ معاني قولِ اللهِ تعالى : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ٥ - ٦] فالصُّدورُ ـ في مفهومِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ـ هم وُجهاءُ القَومِ وأعيانُ الإنسِ والجنِّ وقادَتُهم، وبهذا الوسواسِ في صُدورِ النَّاسِ يَضمَنُ الشَّيطانُ إفسادَ الرَّعايا والأتباعِ، وانظر كيف يجعَلُ اللهُ تعالى في الاستعاذَةِ به شَرَفَ الحِفظِ التَّامِّ من خَطَرِ الوَسوَسةِ سواءً في صَدرِ الفَردِ ذاتِهِ أو في صُدورِ وُجهاءِ المُجتَمَعاتِ.

معنى (الصدور) في تفسير سورة الناس

والقُرآنُ كُلُّهُ عند التَّأمُّلِ وحُسنِ التَّدبُّرِ مشحونٌ بعجائبِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وسُنَنِ المواقِفِ كما هو أيضا مشحونٌ بِسُنَنِ الدِّلالاتِ، وقد قال سبحانه وتعالى عن كتابِهِ العزيزِ : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: إنَّ من معانيهِ الذِّكرى والاعتبارُ والادِّكارُ، والذِّكرى لها معانٍ كثيرة في فِقهِ التَّحوُّلاتِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، وعلى هذا التَّعليلِ القُرآنيِّ نَجِدُ أنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ يشمَلُ المراحِلَ الإنسانِيَّةَ كُلَّها حَسَبَ التَّقسِيمِ الآتي في الفصل القادم (أقسام

القرآن لدى المتأمل كله مشحون بعجائب التحولات والمواقف

مراحل فقه التحولات).

تأصيل فقه التحولات في السنة النبوية

وأمـا عنَ تأصيل فقه التحولات بِالسُّـنَّةِ النَّبَويَّةِ فإن مِن الاسـتِدلالاتِ الّتِي تُؤَكِّدُ هذا التأصيلَ قَولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إذَا ظَهرَت الفِتَنُ ـ أو قال: البِدَعُ ـ وسُبَّ أصحَابِي، فليُظْهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ، فَمن لَم يَفعَل ذلِك فَعليهِ لَعنَةُ اللَّه والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجمَعينَ، لا يقبَـلُ اللَّـه لَـه صَرفاً ولَا عدلاً**»[1] وقولـه ﷺ: «**إذا لعَنَت آخرُ هـذِهِ الأُمةِ أولَهَا، فَمـن كَانَ عِنـدَهُ عِلمٌ فَليظهِرهُ، فـإنَّ كَاتِمَ العِلمِ يومَئذٍ كَكَاتِمِ مَـا أُنزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ** ﷺ»[2].

وهذه فيها إشَـارةٌ تَربطُ بينَ الفِتنِ التِي تَجري فِي الأزمِنَةِ، وَقد بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مِنها ظَاهِرةَ سَـبَّ الصَّحابَةِ، فَفُهِمَ هذا المَعنَى مِن قَولِهِ ﷺ: «**فَمن كَان عِندَه عُلمٌ فليُظهِرْه**» بِأنّه ما يَتعلَقُ بِشَـأنِ عِلمِ فِقهِ التّحوُّلاتِ، لأنَّ العُلومَ تَكادُ أن تكونَ كُلُّها ظَاهِرةً، وما مِن عِلمٍ مِن العُلُومِ المَطرُوحةِ في سَاحَةِ الأمّةِ إلا وهي مَخدُومَةٌ بِكُلِ الوَسَائلِ.

فالإشَـارَة هُنا بِاعتِبارِ أنَّ الأولِينَ رُبما كانُوا كَتَمُوا العِلمَ لِسـبَبٍ، فَالحَديثُ يُشِيرُ إلى ضَرُورَةِ إظهارِ هذا العِلمِ، ثُم يَضعُ النّبيُّ ﷺ نَوعاً مِن أنواعِ العُقُوبَةِ عَلى كَاتِمَ هَذا العِلمَ فَيقُولَ: «**فإنّ كَاتِمَ العِلمَ يومئذٍ كَكَاتِم ما أُنزل على مُحَمَّدٍ** ﷺ».

الحديـثُ الثّانِـي الذي يَربِطُنـا بِفقهِ التّحـوُّلاتِ وعَلاقَتِهِ بالسُّـنَّةِ النَّبَويّةِ مَا أُشـيرَ إليـه في رِوايـةِ الحَديثِ: «**وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيـرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا تَضَعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَالِ**»[3].

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١٣٥٤) و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٧٨٨٧) وفي «السنن الواردة في الفتن» للداني (٢٨٧): «**إذا ظهرت البدع، وشتم أصحابي، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم حينئذ ككاتم ما أنزل الله**».

(٢) «السنة» لابن أبي عاصم (٩٩٤) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٤٣٠).

(٣) «مسـند أحمد» (٢٣٣٠٤) و«صحيح ابن حبان» بلفظ: «**وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ**».

ومما يؤكد رَبطَ هذا العلم بِالسُّـنَّةِ ، وأنَّ مِن وَظائِفِهِ حِمَايَةَ أهلِ الحَصَانَةِ والسَّنَدِ والعَدَالةِ مِن ألْسِـنَةِ المُنَافِقِينَ وألسِـنَةِ المُتَعدِّينَ عَليهِم قَولُ النَّبيِّ ﷺ : «**مَن حَمَى مُؤمِنـاً مِـن مُنَافِقٍ يَغتَابُهُ ، بَعَثَ اللَّهُ مَلَكاً يَحمِي لَحمَهُ يَـومَ القِيامَةِ مِن نَّارِ جَهنَّمَ**»[1] فَهذِه الأحَادِيثُ ومِثلُها تُشِيرُ إلى الرَّبطِ بَينَ فِقهِ التّحوُّلاتِ وكَذلِكَ السُّنّة النَّبويَّة .

ومن أهم هذه الأحَادِيثِ التِي تُشِيرُ إلى هَذا المَعنَى أن النّبيَّ ﷺ قَال : «**لَتُنقَضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُروَةً عُروَةً كُلَّمَا نُقِضَت عُروَةٌ تشبث النَّاسُ بالّتِي تَلِيهَا ، أَولهُنَّ نَقضاً الحُكمُ ، وآخِرُهُنَّ الصَلاةُ**[2] **، ورُبَّ مُصَلٍ لا خلاق لَه**»[3] .

ومِـن المَعلُومِ أن أحَادِيثَ النَّبيِّ ﷺ تُوجِّهُ المُسـلِمَ إلى مَا يَجِبُ فِعلُهُ أمَامَ الفِتنِ والتَّحـوُّلاتِ كَمثلِ قوله ﷺ : «**أوّلُ الفِتَنِ قَتلُ عُثمَانَ بن عفّان ، وآخِرُ الفِتنِ خُرُوجُ الدَّجّـال ، والذي نَفسِـي بِيدِهِ لا يَموتَ رَجُلٌ وفي قلبِهِ مِثقَـالُ ذَرّةٍ أو مِثقَالُ حَبّةٍ مِن حُبِّ قَتلِ عُثمَانَ إلا تَبِعَ الدَّجَّالَ إن أدرَكَهُ ، وإن لم يُدرِكْهُ آمَنَ به فِي قَبرِهِ**»[4] . يعني أنّه فُتِنَ في قَبرِهِ بِسَببِهِ ، أي: حوسب وعوقب .

وتَنقَسِمُ الأحَاديثُ النّبويّةِ الخَاصَّةِ بِفقهِ التّحوُّلاتِ إلى ثلاثَةِ أَقْسَامٍ :

النصوص النبوية الخاصة بفقه التحولات قسمان: استقرائية واستباقية

القسـمُ الأول : مُجْمَلُ الأَحَادِيثِ الأُصُوليَّةِ في عَهْدِ الرِّسَالَةِ ، وَهِيَ أَصْلُ دِرَاسَةِ المَرَاحِلِ كُلِّهَا.

القسمُ الثاني: أحاديثُ استبَاقِيةٌ ، وهِي مَا تَنَاوَل بِها ﷺ مُستَقبَلَ الزَّمَانِ مِن وَفَاتِهِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ .

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٠: ١٩٤) (٤٣٣) وفي «مسند أحمد» (١٥٦٤٩) «..**يَعِيبُهُ**..».

(٢) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) .

(٣) وفي «المعجم الصغير» للطبراني (٣٨٧) و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٨٩٢) وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٥٧٥) : «**أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خلاق فيه**» وعزاه للحكيم الترمذي ، وفي «شعب الإيمان» بلفظ : «**لا خير فيه**».

(٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٤٧) .

القسمُ الثالث : أحاديثُ استقرائيةٌ ، وَهي الأحَادِيثُ الذي تَنَاوَلَ بِها ﷺ المَراحِلَ السَّابِقةَ مِن قُبَيْلِ بِعثَتِهِ إلى عَهد آدم ؏ .

وبِهذِهِ الأقسـامِ الثَّلَاثَةِ مِن الأحَاديثِ المَبثُوثَةِ في كُتُبِ فِقهِ عَلاماتِ السَّـاعَةِ يُقْرأُ التَاريـخُ الإنسَـانيُّ كُلُّهُ ، سَـلبَاً وإيجَاباً ، وقد فَصَّلنَا هذه الأقسَـامَ فِـي كَافَّةِ الكُتُبِ المُتَنَاوِلَة لِهذا الفِقهِ ..فلتُراجَع [1].

(١) كـ«النبذة الصغرى» ، و«دوائر الإعادة» .

أقسام مراحل فقه التحوُّلاتِ

تنقَسِمُ مراحلُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ إلى ثلاثَةِ أقسامٍ :

١- مرحلةُ عَهدِ الوَحيِ والعِصمَةِ في حياةِ صاحِبِ الرِّسالَةِ إلى وفاته ﷺ .

٢- مرحلةُ عَهدِ البَعثَةِ من بعد وفاته ﷺ إلى عهدِ النَّفخِ في الصُّورِ .

٣- مرحلةُ تاريخِ الأنبياءِ والرِّسـالاتِ السَّـابِقَةِ ومواقِفِ الأُمَمِ والشُّـعوبِ فيها ، من عهد البعثة إلى عهد آدم عليه السلام في مرحلة التكوين الآدمي .

وينطوي تحتَ هذا القِسـمِ دراسـةُ الحضاراتِ الشَّـرعِيَّةِ والحضاراتِ الوَضعِيَّةِ عبرَ التّاريخِ .

الحضارة الشرعية

* الحضارَةُ الشَّرعِيَّةُ

هـي مجموعُ الحضاراتِ التي ربطت بيـن الدِّيانَةِ والتّاريخِ ، ولـم تخالِف الأنبياءَ والرُّسُـلَ ، ومنهـا حضاراتٌ أشـاد بها القـرآنُ وتناولتها السُّـنَّةُ الشَّـريفَةُ بالوَصفِ الإيجابيِّ، كحضارَةِ عهدِ سَـيِّدِنا داودَ وسُلَيمانَ عليهما السلام ، وحضارَةِ سَبَأٍ قبلَ كُفرِهم، وحضـارَةِ قومِ يُونُـسَ عليه السلام بعد إيمانِهم. وحضـارَةِ ذي القَرنَيـنِ وغيرِهم ، وكُلُّها تنطوي تحت مفهومِ دراسَةِ التَّحوُّلاتِ الإيجابيَّةِ للمدارسِ الأَبَوِيَّةِ النَّبوِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ.

الحضارة الوضعية

* الحضارَةُ الوضعِيَّةُ

وهـي الحضـارَةُ التي برزت في التَّارِيخِ مُجَرَّدَةً عـن الدِّيانَةِ أو مُحارِبَةً لها ، وهي حضـاراتٌ كثيرةٌ ومُتَنوِّعـةٌ وكان مصيرُها الدَّمارُ والعـذابُ ، كالحضارَةِ الفِرعونِيَّةِ والحضارَةِ الكَنعانِيَّةِ والكَلدانِيَّةِ في العراقِ، والحضارة اليمنِيَّةِ في سَـبَأٍ بعد كُفرِهم وغيرِها، ويطلَقُ عليها وعلى أشـباهِها في المسـيرَةِ التّاريخيَّةِ بالتَّحوُّلاتِ السَّـلبِيَّةِ والحضاراتِ المادِّيَّةِ الأَنَوِيَّةِ الإبليسِيَّةِ الوَضعِيَّةِ .

الحضارة الكنعانية والكلدانية

مادية قوم نوح والطوفان

ويـكادُ القُرآنُ في تِبيانِـهِ أن يُبرِزَ التَّوافُقَ المُلائِمَ بين أُسـلوبِ الحضـارَةِ المادِّيَّةِ الكافِـرَةِ وبين العذابِ المُناسِـبِ لأهلِها، فقـومُ نوحٍ كانت حضارَتُهـم قائمةً على عبـادَةِ الأوثـانِ وتأليهِ العَقلِ وعلـى الجَدَلِيَّةِ وطولِ الأَمَلِ ، فعاقَبَهـم اللهُ بالطُّوفانِ

وكان أغلَبُهم من ذُرِّيَّةِ قابيلَ .

حضارة قوم عاد والريح العقيم

وقومُ عادٍ كانوا أهلَ حضارَةٍ زراعِيَّةٍ وعِمرانِيَّةٍ وحُسنِ استغلالٍ للموارِدِ البَشَرِيَّةِ ، وكانت حضارَتُهم أيضاً حضارَةَ قُوَّةٍ وبَطشٍ بِحُكمِ كمالِ أبدانِهم وضَخامَةِ أجسادِهم، فَعَذَّبَهُم اللهُ بالرِّيحِ العقيم .

إبداعات قوم ثمود والصيحة

وأمَّا ثمودُ فكانت حضارُتُهم قائِمَةً على الإبداعِ المِعمارِيِّ والنَّحتِ في الصَّخرِ وإشادَةِ المُدُنِ والمباني والسُّدودِ وغيرِ ذلك مِمَّا يحتاجون إليه في حياتِهم، فعَذَّبَهم اللهُ بالصَّيحَةِ فأصبحوا في دارِهم جاثِمين .

شهوانية قوم لوط والحجارة

وأما حضارَةُ قومِ لوطٍ فكانت قائِمَةً على الرَّفاهِيَةِ والمُتَعِ الحِسِّيَّةِ وخاصَّةً أن بلادَهم كانت بلادَ أنهارٍ وبساتينَ وهواءٍ طَيِّبٍ ، وهي في نواحي الشَّامِ ، ففسقوا ومارسوا الشُّذوذَ الذي كان عادَةً من عاداتهم في مجامِعِهم ونواديهم وهو ما يُعرَفُ بالتَّحَلُّلِ الأخلاقِيِّ ، وقد عذَّبَهم الله بالرَّمي بالحِجارَةِ .

تجارة قوم شعيب والرجفة

وأما قومُ شُعيبٍ فكانت حضارَتُهم قائِمَةً على التِّجارَةِ وتبادُلِ السِّلَعِ والحُبوبِ ولكنَّهم كانوا يتعامَلُونَ بالغِشِّ والتَّطفِيفِ بَحثاً عن المكسَبِ المادِّيِّ ، فعذَّبَهُم اللهُ بالرَّجفَةِ .

عمران قوم سبأ والسيل العرم

وأمَّا قومُ سَبَأٍ كانت حضارَتُهم قائِمَةٌ على إنجاحِ الزِّراعَةِ والصِّناعاتُ المتفرِّعَةِ عنها والإبداعِ الفَنِّي في المعمارِ ، كما هو في عَرشِ بَلقِيسَ ، إلا أنَّهم كفروا وأعرضوا فعذَّبَهُم اللهُ بِسَيلِ العَرِمِ الذي هَدَّمَ السَّدَّ ، وكان سبباً في هِجراتِهم وانقطاعِ حضارَتِهم الواسِعَةِ ، وكانوا يعبُدُون الشَّمسَ ووصَفَهم الله في سورَةِ النَّملِ بقوله مُعَبِّراً عن قول هُدهُدِ سُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[النمل: ٢٤] .

الحضارة الفرعونية وتعدد العقوبات

وأما الحضارَةُ الفِرعونِيَّةُ فكانت قائِمَةً على إبداعاتٍ مُتنوِّعَةٍ ، ومنها الزِّراعَةُ والصِّناعَةُ وفَنُّ البناءِ واستخراجِ المعادِنِ ونظامِ الرَّيِّ والسُّدودِ والنِّظامِ الإدارِيِّ وبعثَ الله لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكذَّبُوهُ وأظهروا مهاراتِهم في السِّحرِ أمامه فعذَّبَهم الله بأصنافِ العذابِ كالجرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ والدَّمِ ، ثُمَّ كانت نِهايَةُ حضارِتِهم

إغراقُ فِرعونَ وجُنُودِهِ في البَحرِ الأحمرِ المعروفِ (بِبَحرِ القَلزَمِ) .

الحضارة العبرية وتنوع الآيات

والحضـارَةُ اليهودِيَّـةُ العِبرِيَّةُ ـ وهي حضارةُ بني إسـرائيلَ ـ كانـت بادي ذي بَدءٍ قائمةً على الرَّبطِ بين الدِّيانَةِ والتّاريخ عبر عُصورٍ مُتعَدِّدةٍ ؛ ولكنَّ بني إسـرائيلَ بين الحين والحين كانوا يخالِفون الدِّيانةَ فيتعَرَّضون لِعذابِ اللهِ وغَضَبِه، بَدءاً مِن عَصرِ موسـى وما تلاه من العُصـورِ، وكان عذابُهُم مُتَنَوِّعاً بِتَنَـوُّعِ معاصيهم ، وقد وصف اللـهُ ذلـك في كتابه العزيزِ في أكثرِ مِن سـورَةٍ ، ومِن ذلك قتلُهم لأنفُسِـهم بأمرِ اللهِ وتحريمُ صَيدِ السَّمَكِ عليهم يومَ السَّبتِ ، وضياعُهُم في التِّيهِ أربعينَ عاماً ، وتحريمُ الشُّحومِ عليهم ، وهذا كُلُّه في عَصرِ موسى ، وفي ما بعد ذلك تعرَّضوا للمَسخِ قِرَدَةً وخنازيـرَ وصاروا كما ذكـرت بعضُ الآياتِ الكريمةِ وكمـا ورد في كُتُبِ الحديثِ وسـائِلَ لِتَحريفِ الكَلِـمِ عن مواضِعِه ، وهو ما يعرَفُ في العَصـرِ الحديثِ بالدَّجَلِ وتزييفِ الحقائِقِ ، وقد استَمَرُّوا على ذلك منذ عهودِ أنبيائِهِم حتّى اليومَ ، وهم قَتَلَةُ الأنبياءِ ومُحرِّفُوا الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ والمُفسِدون في الأرضِ إلى نِهايَةِ عَصرِ الدَّجّالِ، وقـد وصَفَهـم الله بذلـك في سـورة الإسـراءِ بقولـه : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء: ٤] .

السنة الشريفة واعتناؤها بفقه التحولات

كما تُعتبَرُ السُّـنَّةُ الشّـريفَةُ مصدراً هامّاً من مصادِرِ فِقه التَّحوُّلاتِ تأصيلاً وسَرداً تاريخيّاً ، سـواءً في تناوُلِ مرحَلَـةِ ما قبل الرِّسـالةِ المُحَمَّدِيَّةِ تصاعُدِيّـاً إلى (آدمَ) أو تقريـراً للمرحلـةِ المُبارَكَة التي عاشـها ﷺ فـي مَكَّةَ والمدينـةِ أوفيما أخبر عنه ﷺ عن علاماتِ السّاعةِ وأشراطِها والفِتَنِ ومُضِلّاتِ الفِتَنِ التي تكون على ساحةِ الحياة إلى قيام السّاعةِ ، ويؤيِّدُ هذا المعنى ما ورد في «صحيح مُسلم» من حديثِ عمرِو بن أخطبَ الأنصارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : صلَّى بنا رَسولُ اللهِ ﷺ الفَجرَ ، وصعد المِنبَـرَ فَخَطَبَنـا حتّـى حضرت الظُّهـرُ ... إلخ الحديـثِ ، وفيه قـال : «فأَخبَرَنا بما كان وبما هو كائِنٌ ، فأعلَمُنا أحفَظُنا»[1] وشـاهِدُنا هنا حولَ تأصيل فِقهِ التَّحوُّلاتِ تصاعُدِيّاً قولُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «فأخبَرَنا بما كان» ، أي : ما قبلَ عَصرِهِ ﷺ «وما هو كائِنٌ»

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩٢) ، وانظر «إتحاف الجماعة» للتويجري (١ : ١٤) .

أي : في عهدِهِ ﷺ وما يأتي بعدَهُ إلى قيامِ السّاعةِ .

وأما مفهومُ السُّنَّةِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ والاستدلالِ بها فينقَسِمُ الى قِسمَينِ :

١- قسمُ تأصيلٍ وقواعِدَ : وهو ما أُصِّلَ به فِقهُ التَّحوُّلاتِ وتميَّزَ به قراءةً واستِدلالاً .

٢- قسمُ التَّطْبيقَاتِ : وهو سردُ وقائعِ التّاريخِ الشَّرعِيِّ وتعليلُها وربطُها بما يُناسِبُها من الزَّمانِ.

أساس هذا العلم هو الربط الواعي بعموم الزمان أو المكان دون تحديد، فالتحديد مزلة كبرى

وأساسُ القِراءَةِ للسُّنَّةِ الشَّريفَةِ الرَّبطُ الواعي بين النَّصِّ والزَّمانِ والمكانِ دون تحديدِ الأفرادِ أو التَّواريخِ الزَّمَنيَّةِ باليوم والشَّهرِ والسَّنَةِ ، بل تُذْكَرُ بِعُمومِيَّتِها لما في ذلك من التَّشابُهِ الذي لا يُمكِنُ معرِفَتُهُ بالتَّخمِينِ والتَّقديرِ العَقلانِيِّ ، وفي هذا البابِ زَلَّ كثيرٌ من المُتَحَدِّثين عن علاماتِ السّاعةِ، فمنهم مَن رَبَطَ بين الأشخاصِ في مرحلةٍ وبين مَن أشار إلى ظُهورِهِم نَصُّ الحديثِ كالمَهدِيِّ على سبيل المثال ، فالمُعتَمَدُ ذِكرُ الخَبَرِ تقريبِيّاً من غيرِ مُسَمَّياتٍ .

ويُعرَفُ تأصيلُ العلمِ بعلاماتِ السّاعةِ ورُكنِيَّتِهِ واعتبارِها فِقهاً شرعِيّاً كما سبق ذكرُهُ من خلالِ قِراءَتِنا لحديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أخبِرني عن السّاعَةِ» ، قال : «**ما المسؤولُ عنها بأعلَمَ مِن السّائلِ**» ، قال : أخبِرني عن أماراتِها ، قال : «**أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ رِعاءَ الشّاةِ يتطاولون في البُنيانِ**» ، ثُمَّ انطلقَ فلَبِثتُ مَلِيّاً ، قال : يا عُمَرُ أتدري من السّائِلُ ؟ قلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ ، قال : «**ذاك جِبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم أمورَ دينِكُم**» ، أو «**يُعَلِّمُكُم دينكُم**» . وحديثُ الأعرابيِّ السّائِلِ عن السّاعةِ فقال ﷺ : «**فإذا ضُيِّعت الأمانَةُ فَانْتَظِرِ السّاعَةَ**» ، قال : كيف إضاعَتُها؟ قال : «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتَظِرِ السّاعَةَ**»[1] .

ثمرة الدراسة لفقه التحولات

وهذه ملامِحُ وإشاراتٌ بَيِّنَةُ المَقصَدِ واضِحَةُ المَعنى في حُصولِ التَّحوُّلاتِ على مُحيطِ الحياةِ الإسلامِيَّةِ ونَقضِ عُرَى الدِّينِ وتَبَوُّءِ الذين ليسوا أهلاً له أعلى مراتِبِ قرارِهِ ، وأنَّها علامَةٌ تدُلُّ على الانحدارِ والانحرافِ وقُربِ نِهايَةِ الكونِ إلى القِيامَةِ .

(١) «صحيح البخاري» (٥٩) .

ثمرة هذا العلم

وثَمَـرَةُ هـذا الأمرِ أن يُنقِذَ المرءُ ما يُمكِنُ إنقاذُهُ مـن أمرِ الخُوَيصَةِ المُعَبَّرِ عنه في حديثِ رسـولِ اللهِ ﷺ مِـن قوله : «**فعليك بِخُوَيصَةِ نَفسِـكَ**»[1] أو أن يَتَّخِذَ المَرءُ لِنَفسِهِ مَلاذاً أو مَلجأً مِن الفِتَنِ ومُضِلّاتِها ، ويسألُ اللهَ العافيةَ فيما يُجريه مِن قضائِهِ وقَـدَرِهِ علـى عِبادِهِ أن يحفَظَ بَيضَةَ الإسـلام مـن هَيمَنَةِ الدَّجَـلِ والدَّجاجلَةِ الذين يُحرِّفـون الكَلِمَ عـن مواضعـه ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤] .

(١) تقدم ص (٢٨، ٦٩) .

عَلاقَةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بالدَّعوَةِ إلى ٱللّٰهِ

يأتـي فِقهُ الدَّعـوَةِ إلى اللهِ في التَّرتيبِ الشَّـرعِيِّ لمجرى التَّحوُّلاتِ سـابقاً لعلم الأُصـولِ ومرحلَةِ التَّدوينِ التي عُرِفَت فيما بعدُ، حيـثُ إنَّ فِقهَ الدَّعوَةِ إلى اللهِ بدأ منـذُ نُـزولِ القُرآنِ في غارِ حِراءَ، وبهذا الفِقهِ انتشـرت الدَّعـوَةُ في مَكَّةَ وما حولها ثلاثةَ عَشَرَ عاماً قبل تأصيلِ الشَّريعةِ العَمَليَّةِ والأحكام وعَشرَ سنواتٍ بالمدينةِ أثناءِ التَّكليفاتِ الشرعيَّةِ العَمَليَّةِ والأحكام، وكان أساسُ هذا الفِقهِ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ والأخـلاقَ المُحَمَّديَّـةَ، قال تعالى عن هـذه الثَّلاثَةِ الأُصولِ فـي فِقهِ الدَّعوَةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢].

واستمَرَّ العَمَلُ بهذا الفِقهِ كأُسلوبٍ ووسيلةٍ للمعاملَةِ بين الجميع قبل ظُهورِ عِلمِ الأُصـولِ ومـا تَفرَّعَ عنه، حيثُ كان فِقهُ الدَّعوَةِ إلى اللـهِ وعاءً لكافَّةِ العُلومِ يَتَحَقَّقُ به دون غيرِهِ نجاحُ مَشـروعِيَّةِ الدَّعوَةِ إلى الله في المجتمعاتِ على الوَجهِ المُسـنَدِ المُتَّصِلِ بالثَّوابِتِ الثَّلاثَةِ: (الكتابِ، السُّـنَّةِ، النُّبُوَّةِ) وبانعدامِهِ ـ أي: فِقهِ الدَّعوَةِ، والذي هو أيضاً فِقهُ التَّحوُّلاتِ ـ تفسُدُ علاقَةُ الدَّاعي والعالِمِ بالمُجتَمَعاتِ وتفسُدُ علاقَـةُ المُجتَمَعـاتِ بالدَّعوَةِ والدَّاعي وتتحوَّلُ الدعوةُ إلى سُـلطَةٍ وهَيْمَنَةِ سـلاحٍ وجاهـاتٍ وطُموحاتٍ، أو إلى خُضوعٍ واستِسـلامٍ واسـتِتباعٍ ووَهَـنٍ وهَدمٍ ـ كما جرى في المراحِلِ السّابِقَةِ ـ وكما نشهَدُهُ اليومَ في الواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ.

الثوابت الثلاثة في فقه الدعوة إلى الله

بل إنَّ الاهتمامَ بفقهِ التحولاتِ وعلاماتِ السـاعةِ كانَ أحدَ الأمورِ التي نَاقَشَـها رسـولُ اللهِ ﷺ ليلةَ الإسـراءِ والمعراجِ مع نُخْبَةٍ مِنَ الأنبياءِ والرسل، كما ورد في ابنِ ماجهْ عن ابنِ مسـعودٍ قال: «لمّا كان لَيْلَةَ أُسْـرِي برسُـولِ اللّهِ ﷺ لقِيَ إِبْراهِيم ومُوسـى وعِيسـى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فتذاكرُوا السّاعة فبدؤوا بِإبْراهِيم فسألُوهُ عنْها، فلمْ يكُنْ عِنْـدهُ مِنها عِلْمٌ، ثُمّ سـألُوا مُوسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلمْ يكُـنْ عِنْدهُ مِنها عِلْـمٌ، فرُدّ الْحدِيثُ

جلسة بين الأنبياء والرسل ناقشوا فيها فقه التحولات

إلى عِيسى ابْنِ مرْيم ﷺ فقال: قدْ عُهِد إليّ فِيما دُون وجْبتِها، فأمّا وجْبتُها فلا يعْلمُها إلّا اللّهُ ـ فذكر خُرُوجَ الدّجّالِ ـ قال: فأنْزِلُ فأقْتُلُهُ، فيرْجِعُ النّاسُ إلى بِلادِهِمْ فيسْتقْبِلُهُمْ يأْجُوجُ ومأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حدبٍ ينْسِلُون، فلا يمُرُّون بِماءٍ إلّا شرِبُوهُ ولا بِشيْءٍ إلّا أفْسدُوهُ، فيجْأرُون إلى اللّهِ فأدْعُو اللّه أنْ يُمِيتَهُمْ فتنْتُنُ الْأرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ فيجْأرُون إلى اللّهِ، فأدْعُو اللّه، فيُرْسِلُ السّماء بِالْماءِ فيحْمِلُهُمْ فيُلْقِيهِمْ فِي الْبحْرِ، ثُمّ تُنْسفُ الْجِبالُ وتُمدُّ الْأرْضُ مدّ الْأدِيمِ، فعُهِد إليّ متى كان ذلِك كانتْ السّاعةُ مِنْ النّاسِ كالْحامِلِ الّتِي لا يدْرِي أهْلُها متى تفْجؤُهُمْ بِوِلادتِها»[1].

وفي هذا الحديثِ إشارةٌ واضحةٌ إلى علاقةِ الأنبياءِ الأربعةِ إبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام ونبيِّنا محمدٍ ﷺ بالساعةِ وعلومِها.. إلا أنَّ سياقَ الحديثِ بَيَّنَ أنَّ مخاطبةَ إبراهيمَ وموسى عليهما السلام عن الساعةِ كانت حولَ وَجْبَتِها، أي: قِيامِها، فلم يَكُنْ لهمْ بذلكَ علمٌ.. أما عيسى فقد أزالَ الإشكالَ بأمرين:

(١) أَنَّهُ أسندَ عِلْمَ الساعةِ في قيامها إلى اللهِ ولم يكنْ لهُ بها علمٌ كغيره.

(٢) أَنَّهُ كشفَ عن فقهِ التَّحَوُّلات والعلمِ بعلامات الساعةِ فيما عُهِدَ إليهِ، وخاصةً في أمرِ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومأجوجَ وما بَقِيَ منَ الزمنِ المتقارِبِ حتّى قِيَامِها.

وعلى هذا فيكونُ النبيُّ محمدٌ ﷺ هو المعنيُّ بالكشفِ عن الساعةِ وعلاماتها فيما يخصُّ الزمنَ كُلَّهُ، وقد أَفْصَحَ ﷺ عن هذا العلمِ كما سيأتي حَتّى صَارَ أَحَدَ قَوَاعِدِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى ومعالجةِ شؤونِ الأممِ في مراحلِ التَّحَوُّلِ والوَهَنِ والغُثَاءِ.

ترتكز الدعوة إلى الله على عاملين اساسيين

إنَّ مَنهَجِيَّةَ الدَّعوَةِ الى اللهِ ترتَكِزُ على عامِلَينِ أساسِيَّين:

١ – فقهُ الدَّعوَةِ: الكتابُ والسُّنَّةُ بالسَّنَدِ المُتَّصِلِ.

---

(١) «سنن ابن ماجهْ» (٤٠٨١) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٢٥) و«مسند أحمد» (٣٥٥٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٠٢) قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٢- فِقهُ الدَّاعي: النُّبُوَّةُ ـ أي : الأخلاقُ النَّبوِيَّةِ ـ والاستقامَةُ .

وتتحدَّدُ هذه الشُّـروطُ في حُسـنِ الاقتداءِ والاهتداءِ بالمتبوعِ الأعظَمِ ﷺ حيثُ إنَّ حياتَـهُ في (مَكَّةَ والمدينةِ) كُلَّها في أساسِـها دَعوَةٌ، ثُمَّ تفرَّعَ عنها ما وجب على المسـلمين مِن واجباتٍ شرعيَّةٍ ومسـؤولِيّاتٍ اجتماعيَّةٍ ،فيكونُ على هذا الأساسِ فِقهُ الدَّعوَةِ شَرطاً سابقاً لحامِلِ الشَّريعَةِ وحامِلِ فِقهِ الأُصولِ .

دليل فقه الدعوة

ودليلُ ذلك في فِقـهِ الدَّعوَةِ قوله تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: ١٢٥] .

دليل فقه الداعي

كمـا أنَّ دليلَ فِقهِ الدَّاعي قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

فالحِكمَـةُ والموعِظَةُ الحَسَـنَةُ والمُجادَلَةُ بالتي هي أحسَـنُ فـي الآيةِ الأولى فِقهُ دعوَةٍ .

والاقتداءُ والاهتِداءُ بِرَسولِ اللهِ في الآيَةِ الثّانِيَةِ فِقهُ الدَّاعي .

شرط الداعي الحق

وبِهمـا معاً يتحقَّقُ الإسـلامُ في الشُّـعوبِ معنىً وصورَةً، ولهذا فَإِنَّ من شـروطِ انتقالِ فقهِ الدَّعوَةِ وفقهِ الدَّاعي من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ وُجودُ التَّسلسُلِ الشَّرعِيِّ في الجانِبَينِ:

أولاً: التَّسلسُلُ الشَّرعِيُّ بالسَّنَدِ في فِقهِ الدَّعوَةِ.

ثانيا: التَّسلسُـلُ الشَّـرعِيُّ بالسَّـنَدِ في فِقهِ الدَّاعي، قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤ ﴾ [الجمعة: ٣-٤] والإلحاقُ في أَحَدِ معانيه إشارةٌ إلى السَّنَدِ المُتَّصِلِ .

حديث العرباض ابن سارية وموقعه من فقه التحولات

ويُؤَكِّـدُ ذلـك حديثُ العِرباضِ بنِ سـارِيَةَ الذي كان من آخِـرِ ما تكلَّمَ به ﷺ في حياتِـهِ وهو أصلٌ مـن أُصولِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ نَصّاً وتطبيقاً، فأمّا نَصُّـهُ فهو : وَعَظنَا رَسـولُ اللـهِ ﷺ مُوعِظَةً بَليغَةً ، ذَرَفَت منها العُيـونُ ، ووَجِلَت منها القلوبُ ، قُلنا : يا رَسـولُ الله ، لعَلَّها خُطبَةُ مُودِّعٍ ، فأوصِنا؟ قال : «**أُوصِيكُم بِتَقوى اللهِ والسَّـمعِ**

والطَّاعَةِ ، وإن تَأمَّرَ عليكم عَبدٌ، إنَّه مَن يَعِش مِنكم فسيرى اختِلافاً كثيراً ، فعلَيكُم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المَهدِيِّينَ ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ ، وإيّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»[1] .

وفي رواية أخرى : «اعبُدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئاً ، وأطيعوا مَن ولَّاهُ اللهُ أمرَكم ، ولا تُنازِعوا الأمرَ أهلَهُ ولو كان عَبداً أسودَ ، وعليكم بما تعرِفون من سنة نبيكم والخُلفاءِ الرَّاشِدين المهدِيِّين عَضُّوا على نَواجِذِكم بالحقِّ»[2] .

وقوله : «بما تعرِفون» كأنَّه يُريدُ بها (من سُنَّتي) أي : مواقِفي ، وفي حديثِ الباهليِّ الذي رواه البخاريُّ ومسلِمٌ إشارَةٌ واضِحَةٌ إلى مسألَةِ السَّمعِ والطَّاعَةِ عند الاختلافِ على القرارِ حيثُ قال : «ولا تُنازِعوا الأمرَ أهلَهُ وإن كان لكم»[3] .

حديث عقبة بن عامر آخر ما قاله ﷺ على المنبر: «لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي»

وفي روايةِ مُسلم عن عُقبَةَ ابن عامِرٍ حديثٌ آخَرَ له علاقَةٌ هامَّةٌ بتأصيلِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وهو قولُهُ ﷺ : «إنِّي لستُ أخشى عليكم أن تُشرِكوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافَسُوا فيها وتَقتَتِلُوا فتَهلَكوا كما هلك مَن كان قبلَكم»[4] . قال عُقبَةُ : فكانت آخرَ ما رأيتُ ﷺ على المِنبَرِ .

أصل هذين الحديثين: ١ـ أن التحولات ستحصل لقرار الحكم والعلم ٢ـ أن سنة المواقف هي التي تخدم في دراسة هذه التحولات

وفي هذَينِ الحديثَينِ تأصيلٌ هامٌّ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ لأُمُورٍ :

١ - تخصيصُ الحديثِ لما يجري من التَّحوُّلاتِ والاختلافاتِ في مسألَةِ القرارِ (قرارِ الحُكم والعِلم) وليس في نُصوصِهِ التَّعبُّدِيَّةِ فقط .

٢ - تأصيلُ سُنَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تخدِمُ فِقهَ الدَّعوَةِ في دِراسَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وهي سُنَّةُ المواقِفِ .

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٠٧) و«سنن الترمذي» (٢٦٧٦) و«صحيح ابن حبان» (٥) و«المستدرك على الصحيحين» (٣٢٩) قال حديث صحيح ليس له علة .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣٣٠) قال الحاكم : هذا إسناده صحيح على شرطهما جميعاً ولا أعرف له علة .

(٣) «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمر الداني (١٣٤) .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٢٩٦) .

إقامة الدعوة وأمة الإجابة

كما تفرَّعَ عن هذا الفَهمِ تأصيلُ سُـنَّةٍ أخرى من فِقهِ الدَّعوَةِ وهي (سُـنَّةُ الدِّلالَةِ) وبهـذا تَتَجَدَّدُ عِلاقَةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بالدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى مُنذُ أن كان رسـولُ اللهِ ﷺ في مَكَّةَ والمدينَةِ يَضَعُ لأُمَّتِهِ الفِقهَينِ الشَّرعِيَّين :

- فِقهُ الدَّعوَةِ إلى اللهِ بين أُمَّةِ الإجابَةِ وأُمَّةِ الدَّعوَةِ .
- فِقهُ العُلومِ الشَّرعِيَّةِ عقيدَةٌ وشريعَةٌ وسُلوكٌ .

وكما وضع ﷺ ثوابِتَ هَذَينِ الفِقهَينِ كمادَّتَي عِلمِ تَعبُّدٍ وديانَةٍ فقد حدَّدَ أوعِيَتَها البَشَـرِيَّةَ الحامِلَةَ عنه سلامَةَ النَّهجِ وعدالَةَ الموقِفِ، وعند دراسَتِنا لِنماذِجِ التَّقسيم لدى عُلماءِ الأُصولِ للسُّـنَّةِ الشَّـريفَةِ نَجِدُ أنَّ السُّـنَّةَ التَّقريرِيَّةَ هي السُّنَّةُ التي جرت على لسـانِ أو فِعلِ بَعضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأقرَّها ﷺ وصارت جُزءاً من السُّـنَّةِ الشَّرعِيَّةِ .

حصانات النبي ﷺ لبعض أصحابه وتجريحه آخرين وأهمية ذلك في فقه الدعوة

وفـي هـذا المِضمارِ نَجِـدُ أنَّ العَديدَ مِن المواقِـفِ ذات العلاقَـةِ بالتَّحوُّلاتِ قد بَيَّنـت عَـدَمَ اندِراجِ مواقِفِ وسُـلوكِ بعضِ الصَّحابَةِ كاسـمٍ مُجَـرَّدٍ، وخاصَّةً مِمَّن وقعوا في دائِرَةِ النِّفاقِ في مَفهومِ السُّنَّةِ التقريرِيَّةِ، بل دمغ النَّبيُّ ﷺ أقوالَهم وأبرَزَ إحداثَهـم وبِدعَتَهم وتَميَّزُوا عن أصحابِ النَّبيِّ العُدُولِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بما قال النَّبيّ ﷺ فيهـم، كقولِـهِ ﷺ في أحدهم : «**يخـرُجُ من ضِئضِىءِ هذا أقـوامٌ**»[1] وقوله : «**أوَّلُ مَـن يُغيِّرُ سُـنَّتي رَجُلٌ من بني فُـلانٍ**»[2].. وقوله : «**لو قُتِلَ اليـومَ ما اختلف رَجُلانِ من أُمَّتي**»[3]... إلخ، وبهذه القواعِدِ تأصَّلتْ السُّـنَّةُ التَّقريرِيَّةُ بِخُصوصِ الذين أقرَّ النَّبيُّ ﷺ أقوالَهُم وأفعالَهُم، وأمَّا سُـنَّةُ المواقِفُ فقد أصَّلت مواقِفَ النَّبيِّ ﷺ من أولئـك الذين خرجت أقوالُهم وأفعالُهم عن مفهومِ السُّـنَّةِ إلى البِدعَةِ سـواءً كانوا أفراداً أو جماعاتٍ .

---

(١) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) .

(٢) «الأوائـل» لابـن أبي عاصـم (٦٣) بلفظ : «**من بنـي أمية**» وفي «تاريخ أصبهـان» لأبي نعيم (٦٩) و«تاريخ دمشـق» لابن عسـاكر (١٨: ١٥٩) بلفظ : «**رجل مـن بني فلان**» قال يزيد : أنا هو ؟ قال : لا » .

(٣) «مسند أبي يعلى» (٣٦٦٨) .

ولهم تَسَلسُلٌ في مقارَفَةِ البِدعَـةِ القوليَّةِ كقولِ حُرقوصٍ في القِسـمَةِ وما تَرتَبَّ على ذلك من قولِ النَّبيِّ ﷺ : «**يخرُجُ من ضِئضِئِ هذا**» أي: على مثالِهِ ومِن نموذَجِ مَدرَسَـتِهِ وفِكـرِهِ ، والبِدعَةِ الفِعليَّةِ كبِدعَةِ بناءِ مسـجِدِ الضِّـرارِ الذي أمر النَّبيِّ ﷺ بِهَدمِهِ ، والبِدعَةِ التَّقريرِيَّةِ كمُوافقَتِهِم أفعالَ المُنافِقِينَ وتأييدِهم لليَهودِ والنَّصارى ومُدعي النُّبُوَّةِ وإقرارِهم على الكُفرِ فيما فعلُوهُ ضِدَّ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ ، وما أقرَّهُ بعضُ المُنافِقِين والفاسِقِينَ مِن تأييدِ مُسيلِمَةَ الكَذَّابِ ، ويدخُلُ في البِدعَةِ التَّقريرِيَّةِ مـا يكتُبُه بعضُ المُتأخِّرينَ من تأييدِ مواقِفِ الثُّوارِ ضِدَّ عُثمانَ وضِدَّ آلِ البَيتِ تَبرِئةً للظَّلَمَـةِ مِـن أصحابِ المُلكِ العَضـوضِ ومُناهَضَةً للنَّمَطِ الأوسَـطِ وحَمَلَةِ مَنهجِ الخلافَةِ الأَبَويِّ النَّبَوِيِّ الشَّرعِيِّ، أو ما يكتبُهُ بعضُ الباحثين المُعاصِرين وينالون به الشَّهاداتِ الأكاديمِيَّةِ والمراتِبِ العِلمِيَّةِ من تأييدٍ ونُصرَةٍ لمدارسِ القَبضِ والنَّقضِ المُعاصِـرَةِ فـي هَجمَتِهم البِدعِيَّـةِ علـى آلِ البَيتِ النَّبَـوِيِّ ومن ارتَبَطَ بِمَدرَسَـتِهم الذَّوقِيَّةِ ، أو ما اعتَنَقوه مِن بعضِ مذاهِبِ أهل السُّنَّةِ والجماعَةِ الفِقهِيَّةِ الشَّرعِيَّة .

بعض البدع المدموغة من عهد الرسالة
١ـ البدعة القولية والفعلية والتقريرية

سُنَّةُ المواقِفِ وسُنَّةُ الدِّلالةِ وموقِعُهما من فِقهِ التَّحوُّلاتِ

التعريف بلفظ «السنة» لغة واصطلاحا

عُرِّفَت السُّنَّةُ لُغةً بالطَّريقَةِ والأسلوبِ والسّيرَةِ حميدةً كانت أو ذميمةً، والجمعُ (سُنَنٌ)، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ [الكهف: ٥٥] وسُنَّةُ الأوَّلين مواقِفُهم ومذاهب إليه آباؤُهم من الطَّريقةِ والسِّيرَةِ والفَهمِ والتَّعليلِ، وقد تكونُ المُكابَرَةَ والتَّحدِّيَ، كما قال الزَّجَّاجُ: سُنَّةُ الأوَّلين أنَّهم عاينوا العذابَ فطلب المشركون أن قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وفي الحديثِ: «**مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً** ـ وهذه الرِّوايةُ من غيرِ لَفظِ: «**في الإسلام**» ـ **فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها**»[1] ومعنى «**مَن سَنَّ سُنَّةً**» يريدُ عملَها ليُقتدى به فيها، وكُلُّ مَن ابتدأ أمراً عَمِلَ به قومٌ بعده قيل: هو الذي سَنَّهُ.

وقد تكرَّرَ في الحديثِ ذِكرُ السُّنَّةِ وما تصرَّف من لفظها، قال ابن منظور: (والأصلُ فيه الطَّريقةُ والسِّيرةُ، وأما في الاصطلاحِ الشَّرعِيِّ فالسُّنَّةُ إنما يُرادُ بها ما أمر به النَّبيُّ ﷺ وندب إليه قولاً وفعلاً وتقريراً مِمَّا لم ينطِق به القُرآنُ أو ما لَزِمَ تفسيرُهُ وتعليلُهُ من معانيه، ولهذا يُقالُ في أدلَّةِ الشَّرعِ (الكتابُ والسُّنَّةُ) أي: القرآنُ والحديثُ) انتهى[2]. وهما المصدران الأساسِيَّان للتَّشريعِ كضابطٍ نَصِّيٍّ للأحكامِ المُقرَّرةِ لدى عُلَماءِ الأُصولِ منذُ بدايةِ عَصرِ التَّدوين.

مع أن بعضَ رِواياتِ الأحاديثِ تُعْطِي السُّنَّةَ مفهومَ المواقفِ، وتجعلُ عِلْمَ

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٠٣) (٢٠٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٩٨٠٢).

(٢) «لسان العرب» (١٣: ٢٢٥)، وفيه: وَالسُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ وَالسُّنَّةُ السِّيرَةُ حَمِيدَةً كَانَتْ أَوْ ذَمِيمَةً، وَالْجَمْعُ سُنَنٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

الحديثِ مستقلًّا عنها ، وهو ما يُؤَيِّدُ سُنَّةَ المواقفِ الّتِي نحنُ بصَدَدِها ، فقد رَوَى الطبرانيُّ والخطيبُ البغداديُّ والرّامَهُرمُزِيُّ بأسانيدِهم عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال : «**اللهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي**» ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ومَن خلفاؤُكَ قال : «**الَّذِينَ يَأْتُونَ مِن بَعْدِي يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ**»[1].

فالنصُّ الحديثيُّ هنا (أحاديثي) سابقٌ للسُّنَنِ (سُنَّتِي) ومُغايرٌ لها، والتي هي (سننُ المواقفِ) ، ومنفصلٌ عنها من حيثُ التعريفُ ، ويُؤَيِّدُ هذا الأمرَ ما رواه الحافظُ ابنُ حجرٍ في «الفتح» من حديثِ : «**يكونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي ولا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي**»[2] ، والمعلومُ أنّ الهديَ النبويَّ هو العلمُ بالحديثِ الشريفِ وما تَفَرَّعَ عنه ، وأما السُّنَّةُ هنا فلا علاقةَ لها بالنصوصِ الحديثيةِ ، وإنما هي المواقفُ الخاصةُ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تطبيقِ العلمِ وثمراتِهِ ، وعلى هذا **فسُنَّةُ المواقِفِ** : هي طريقةُ وسُلوكُ وتَصرُّفاتُ المتبوعِ الأعظَمِ وخلفائِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما يعامِلُ به المُوافِقَ والمُعارِضَ مِن سَعَةِ الأخلاقِ وعَدَمِ الأخذِ بالجريرَةِ واتِّخاذِ الموقِفِ المُناسِبِ بحصانَةِ الوَحيِ والعِصمَةِ والأخلاقِ في رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وحصانةِ الاجتهادِ والتوفيقِ والسندِ والعدالةِ في الخلفاءِ، وهي أساسُ فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ .

سنة المواقف وسنة الدلالة

وأمّا **سُنَّةُ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدين المهدِيِّين** : فهي ما اجتهدوا فيه مِن اتِّخاذِ الموقفِ بعد النَّظَرِ للسُّنَنِ الوارِدَةِ بما تقتضيه المصلَحَةُ العامَّةُ من غيرِ انحيازٍ ولا غَمطِ حَقٍّ لِأَحَدٍ ولا إفراطٍ ولا تفريطٍ.

ومنها موقفُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قبولِ قرارِ الخلافةِ لغيره والعملِ بهِ مع الخلفاءِ الراشدين السابقين له على تحقيقِ الاستقرارِ وسلامةِ الاستمرارِ مع وجودِ النصِّ الذي احتجَّ به البعضُ على وجوبِ خلافتِه دونَ غيرِه ، فموقفُه يعدُّ سنةً

---

(١) «المعجم الأوسط» للطبراني (٥٨٤٦) و«المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» للرامهرمزي (٢) .

(٢) «صحيح ابن حبان» (٤٥١٤) «المستدرك على الصحيحين» (٢٦٥) «فتح الباري» لابن حجر (١٣ : ٣٦) .

مـن سـننِ الخلفاءِ الراشـدينَ ، ومنها موقفُ الإمامِ الحسـنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي تنازلِه عن الخلافـةِ وهـو يحملُ البيعـةَ العامةَ من المسـلمين ، ومنها موقفُ الإمامِ الحسـينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخروجـه مـن أرض الحجاز لتجنيبِهـا مَغَبَّةَ الدماءِ والحـربِ وهو يعلمُ أنه مقتـولٌ ، فلـم يتأخرْ عن قضاءِ اللهِ وقـدرِه ، بل خرجَ إلى العـراقِ مع جملةٍ من آل البيـتِ دونَ رغبـةٍ في حربٍ أو قتالٍ ، وإنما موقفٌ أبـويٌّ نبويٌّ أقامَ به الحُجَّةَ على فريقِ المحبينَ المتخاذلينَ وفريقِ المبغضينَ القاتلينَ ، وظلَّ درساً لآل البيتِ ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدينِ .

خروج الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقف أبوي نبوي لإصلاح الأمة (إنما خرجت لأصلح في أمة جدي)

والرُّشدُ : هو تسلسُلُ فقه الدَّعوَةِ بشُروطِهِ .

والاهتداءُ : هو تسلسُلُ سَنَدِ فِقهِ الدَّاعي بشُروطِهِ .

ويُؤَيِّـدُ هذا المعنى في التفصيلِ بينَ السُّـنَّةِ كموقفٍ ودلالـةٍ وبين الهدي النبويِّ كأحاديـثَ وعلـومٍ وأحكامٍ مـا وردَ في حديثِ حذيفةَ بنِ اليمـانِ من قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كانَ النـاسُ يسـألونَ رسـولَ اللـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الخير وكنت أسـأله عن الشـرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنـي ... إلـى أن قال ... فقلتُ : هل بعدَ ذلكِ الشـرِّ من خيـرٍ؟ قال : «**نَعَمْ وفيهِ دَخَـنٌ**» ، قلـت : وَمَـا دَخَنُهُ ؟ قال : «**قومٌ يَسْـتَنُّونَ بِغَيْرِ سُـنَّتِي وَيَهْتَـدُونَ بغَيْرِ هَدْيِي تَعْـرِفُ مِنْهُـمْ وَتُنْكِرُ**»[1] . وفي حديث مسـلم الآخر : أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «**مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ**»[2] .

والمعلومُ كما سـبق أن الهديَ النبويَّ هو العلمُ بالحديثِ الشريفِ وما تَفَرَّعَ عنه من الأحكامِ الشـرعيةِ، وأما السـنةُ هنا فمُسَـمًّى لا علاقةَ له بالنصـوصِ الحديثيةِ، وإنمـا هـي المواقفُ الخاصـةُ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فـي تطبيقِ العلـمِ وثمراتِه ، وتميُّـزُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في معاملاتِه واهتماماتِه بالأمورِ وبالناسِ .

السنة النبوية والهدي النبوي مفهومان مختلفان الهدي العلم بالأحكام الشرعية وأما السنة فهي المواقف والسيرة والطريقة في المعاملة

وفي حديثِ جابرِ بنِ عبدِاللهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ : أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَـارَةِ السُّـفَهَاءِ ، قَـالَ : وَمَا إِمَارَةُ السُّـفَهَاءِ ؟ قَالَ : أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْـدِي لاَ يَقْتَدُونَ

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٤٧) .

(٢) «صحيح مسلم» (٥٠) .

بِهَدْيِي ، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ»[1] .

والسُّنَّةُ على هذا المعنى تَخُصُّ (المواقفَ والأساليبَ) ، وهي :

السنة ـ والتي هي المواقف ـ :
١ـ سنة رحمانية
٢ـ سنة شيطانية

(١) مواقفُ وسننٌ نبويةٌ رحمانيةٌ من سننِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه وآلِ بيتِه ومن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ ،

(٢) ومواقفُ وسننٌ شيطانيةٌ من سُنَنِ الدجاجلةِ والمفسدينَ وأهلِ الإفكِ والمنافقين، يقول فيها وفي آلِ بيتِه وصحابتِه: «**سَيَكُونُ بَعْدَ أصحابي فتنةٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لهم بمحبَّتِهم إيايَ، ثم يَسْتَنُّ بها قومٌ من بعدِهم فيدخلونَ بهم النارَ**»[2] .

ومنها سننُ أصحاب المللِ الأخرى كما في حديث البخاري[3] الشهير : «**لَتتبعُنَّ سَنن مَن كان قبلَكم..**»[4] ،

وعلى هذا التفصيلِ تنقسمُ (سننُ المواقفِ) إلى قسمين:

سنةٌ نبويةٌ أبويةٌ : وهي سنةُ النبيِّ ﷺ ومواقفُه ومواقفُ خلفائِه الراشدينَ المهديينَ إلى يومِ الدينِ[5] .

---

(١) «مسند أحمد» (١٤٤٤١) و«صحيح ابن حبان» (٤٥١٤) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣٠٢) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) «تفسير القرطبي» (٧: ٣٩١)، والفتنة هي القتال الذي وقع بين الصحابة رضي الله عنهم ، وقد تقدم الكلام عن تحصين النصوص للصحابة ص٢٥ .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٥٦) (٧٣٢٠) «صحيح مسلم» (٢٦٦٩) .

(٤) قال الحافظ في «الفتح» : بفتح السين للأكثر ، وقال ابن التين : قرأناه بضمها ، وقال المهلب : بالفتح أولى لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشبر وهو الطريق . قلتُ : وليس اللفظ الأخير ببعيد من ذلك. اهـ (٢٠ : ٣٧٨) .

(٥) ومن سنن الخلفاء المهديين التي ستأتي **في مستقبل الزمان** المواقف النبوية في العدل التي يحييها الإمام المهدي عند مجيئه والتي بها ينشر الخير في أرجاء المعمورة ، ففي «المنار المنيف» لابن قيم الجوزي : ... فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض . وإسناده حسن كما ذكر ابن القيم (١١٠).

وسنةٌ أنويةٌ شيطانيةٌ: وهي سنةٌ ومواقفُ الدجاجلةِ والكفارِ والمنافقينِ.

البدعة ضد سنة الرحمن

وتقابُلها في المعنى الشرعيِّ (البدعةُ السيئةُ) ومحدثاتُ الأمورِ، وهي ما يجري من سننٍ ومواقفَ على أيدي أولئك الكفارِ والدجاجلةِ والمنافقينِ ويستنُّ بها المسلمون بعلمٍ أو بغيرِ علم. وفي ذلك يقول ﷺ: «**مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا**»[1].

البدعة في فقه التحولات هي مخالفة المواقف الشرعية وفي الفقه الشرعي هي مخالفة الأحكام الشرعية والتي سمتها النصوص (الهدي)

وبهذا يكون فقهُ التحولاتِ وعلاماتِ الساعةِ قد أعادَ تعريفَ البدعةِ إلى موقعِه الأساسيِّ لا السياسيِّ، فتكونُ البدعةُ الأنويةُ هي مخالفةُ المواقفِ الشرعيةِ للنبي ﷺ وخلفائِه الراشدينَ المهديينَ إلى يومِ الدينِ، أما مفهومُ البدعةِ الشرعيةِ التي أصَّلَهَا الفقهاءُ فهي مخالفةُ الهديِ النبويِّ والأحكامِ الشرعيةِ لما ثبَتَ من السُّنَنِ القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ المرتبطةِ بعلمِ الأصولِ ومخرجاتِه وثمراتِه.

ولهذا نهى النبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ يومَ الدارِ أنْ يَخْلَعَ نفسَه وقال له: «**لا تَخْلَعْهَا وَصُمْ ذلك اليومَ تُفْطِرْ عِنْدِي**»[2]. قال عبدُالله بنُ عُمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعثمانَ يومَ الدارِ: (فلا تَخْلَعْ قَمِيصَ اللهِ عليكَ فيكونَ سُنَّةً: كُلَّما كَرِهَ قومٌ خليفةً خَلَعُوهُ وَقَتَلُوهُ)[3].

وقد تَرَسَّخَتْ هذه البدعةُ في مرحلةِ الضعفِ من العهدِ العباسيِّ، وكلما كَرِهَ العجمُ خليفةً خَلَعُوه أو قَتَلُوهُ.

والجميل أن الإمام أبا عوانة الإسفراييني (٣١٦هـ) صاحب «المستخرج على صحيح مسلم» **فرق بين الهدي والسنة** حين عَنْوَنَ وترجمَ في «كتاب الأمراء» (٤: ٤٢٠) بقوله: بيان ذكر الخبر الموجب طاعة الإمام وإن لم يهتد بهدي النبي ﷺ ولم يستن بسنته وإن ضرب ظهور رعيته.

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٠٩).

(٢) «الكامل» لابن عدي (٥٩٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ذكره القرطبي في «التذكرة» ص(١: ١٠٦٧).

سنة النبي والخلفاء ليست بالمفهوم الأصولي ذات معنى وحيد فقط بل هي في فقه التحولا ت (المواقف)

وعلى هذا فمثلُ هذا الموقفِ سُـنَّةٌ شـيطانيةٌ نَهَى عبدُاللهِ بنُ عُمَرَ سـيدَنا عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن فِعْلِها واختارَ له الموتَ والشهادةَ .

وعلى هذا المعنى فالحديثُ يجعلُ من مفهومِ قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بِسُـنَّتي وسُـنَّةِ الخلفـاءِ الرَّاشِـدين المهدِيِّين**»[1] ، غيـرَ المفهومِ المُتداوَلِ لـدى عُلماءِ الأُصولِ ، فعُلَماءُ الأُصولِ يتناولون في هذا الحديثِ ما ترتَّبَ على تقسـيمِ السُّـنَّةِ أُصولياً إلى السُّـنَّةِ (القوليَّـةِ والفِعليَّـةِ والتَّقريريَّةِ) وهو ـ بلا شَـكٍّ ـ أحَدُ معانـي الحديثِ لمن فَهِـمَ ذلـك ، أمـا فِقهُ التَّحـوُّلاتِ فيتنـاوَلُ مواقِفَ الرَّسـولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومواقِـفَ الخُلفاءِ الرَّاشِدِين[2] من حيثُ الأخلاقُ والقِيَمُ لا مِن حيث مادَّةُ النَّصِّ المكتوبِ .

السنة هي المواقف في حديث «عليكم بسنتي»

وبهذا يُفهَمُ أنَّ لفظَةَ السُّـنَّةِ في هذا الحديـثِ يُقصَدُ بها (الموقِفُ) ، ويؤكِّدُ ذلك ما هو معلومٌ من أنَّ السُّنَّةَ هي لدى العُلماءِ «قولُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفعلُهُ وتقريرُهُ لا غيرَ ذلك» .

لكنَّ الحديثَ يُشيرُ إلى سُنَّةٍ تَخُصُّ الخُلفاءَ، فهل هناك سُنَّةٌ أخرى غيرُ سُنَّةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للخُلَفَاءِ؟

والجـوابُ : أنَّ مفهومَ السُّـنَّةِ هنا ـ في فقهِ الدَّعوَةِ وفقـهِ التَّحوُّلات ـ غيرُ مفهومِ

---

(١) تقدم ص ١٠٥.

(٢) وقد أثر هذا المعنى عن عبد الله بن نعيم المغافري قال : سـمعت المشـيخة يقولون : (من أمر بمعروف ونهى عن منكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اهـ «الفتن» (١ : ١٠٣) .

والآمـر بالمعـروف والناهـي عن المنكـر في هذا الأثر مـن اجتمعت فيه شـروط الهدى والرشـد بـلا خلاف ، ويؤيد هـذا المعنى حديث عـن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـال : (جعلت في هذه الأمـة خمـس فتـن : فتنـة عامة ، ثـم فتنة خاصة ، ثـم فتنة عامة ، ثـم فتنة خاصـة ، ثم الفتنة السوداء المظلمة التي يصير فيها الناس كالبهائم ، ثم هدنة ، ثم دعاة إلى الضلالة ، فإن بقي يومئذ خليفة فالزمه) «الفتن» لنعيم بن حماد (٧٧) . والشـاهد هنا مفهوم الخليفة المأخوذ من الهدى والرشـد ، والرواية في «مصنف عبدالرزاق» (٢٠٧٣٣) ، وهي حسـنة الإسناد ، «العراق في أحاديث الفتن» لأبي عبيدة مشهور (٢: ٥٤٠) .

السُّـنَّةِ عند عُلماءِ الأُصولِ المُقرَّرَةِ، فَسُـنَّةُ النَّبيِّ ﷺ وسُـنَّةُ الخُلفـاءِ هي مواقِفُهم عنـد الاختـلافِ والاحتدام، ولهذا يقـولُ: «**عَضُّـوا عليها بالنَّواجِـذِ**»[1] حيثُ إنَّ النُّصـوصَ مُختَلِفَـةٌ ومُتَنوِّعَـةٌ ويجري الاجتهـادُ مجراهُ من الاختـلافِ ووُجهاتِ النَّظَرِ المشـروعةِ، أمَّا المواقِفُ فهي الاجتهادُ الذَّاتي بعد النَّظَرِ في السُّـنَنِ الواردةِ ومـا تقرَّرَ بعدها من المواقِفِ كما فعل الخليفة أبوبكرٍ الصديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في محاربةِ مانعي الزكاةِ وتنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الخلافة.

سنة المواقف هي التطبيق الأخلاقي في فقه الدعوة

فيتأصَّلُ بهذا المفهوم أنَّ سُنَّةَ المواقفِ هي سُنَّةُ التَّطبيقِ الأخلاقِيِّ في فِقهِ الدَّعوَةِ لمجمـوعِ السُّـنَنِ القوليَّـةِ والفِعليَّـةِ والتَّقريريَّـةِ وما تفـرَّعَ عنها مـن اجتهاداتٍ في الأُصولِ وفِقهِ المذاهِبِ، وبهذا الفَهمِ يكون فِقهُ الدَّعوَةِ وِعاءاً جامعاً وضابطاً بِفقهِ التَّحوُّلاتِ لِسُـلوكِ عُلماءِ الأُصولِ وعُلَماءِ المذهَبيَّةِ في علاقَتِهم بِبَعضِهم البَعضِ وعلاقاتِهم بالمُخالِفِ والمُعارِضِ وعلاقَتِهم بِتَطبيقِ الشَّريعَةِ في الشُّعوبِ.

الشريعة ليست دستورا للعالم فحسب بل هي مواقف دعوية لذات معصومة وسلوك لقدوة مطهرة

فالشَّـريعَةُ قبل أن تكونَ قانوناً أو دُسـتوراً لِفَرضِ نِظامٍ شَرعِيٍّ وإقامَةِ حُدودٍ فهي مواقِفُ دَعْوِيَّةٌ لذاتٍ مُطَهَّرَةٍ ومعصومةٍ وسُـلوكٌ لِقُدوَةٍ حَسَـنَةٍ وانعكاساتٌ شَرعِيَّةٌ لِوَحـيٍ رَبَّانيٍّ وسَـمُوٍّ إيمانيٍّ لا مجالَ فيها لاسـتفزازاتِ الطَّبـعِ أو تطويعِ نُصوصِ الشَّـرعِ، قال فيه تعالـى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ١ - ٤].

سنة الدلالة ضابط شرعي لم يندرج تحت ضوابط علم الأصول

أما سُـنَّةُ الدِّلالَةِ فهي ضابِطٌ شـرعِيٌّ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ يُحَدِّدُ هُوِيَّةَ فِعلِ الشَّـيءِ أو تركِهِ من وسـائلِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ استِقراءً لِنَصٍّ قُرآنيٍّ أو حديـثٍ نَبَوِيٍّ، بِقرينَةٍ يندَرِجُ معناها في النَّصِّ كَجُزءٍ من العِلمِ المُستفادِ عند الاختلافِ على أمرٍ مُعَيَّنٍ لم يندَرِج تحت ضوابِطِ عِلمِ الأُصولِ عند العُلماءِ، كاسـتدلالِ المُسـتَدِلِّ بقولِه: هذا لم يكن على عهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ ولا عَهدِ صحابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ... إلخ.

فتكونُ سُـنَّةُ الدِّلالَةِ هنا حُجَّةً شـرعِيَّةً لما لم يتأصَّل من شُؤونِ "فِقهِ التَّحوُّلاتِ" في العقيدةِ والشَّريعَةِ ومراتِبِ السُّلوكِ.

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٠٩).

قال في «القاموس المُحيط»: (الدِّلالَةُ مَصدَرٌ والاسمُ مُشتَقٌّ من: الدَّلّالِ بين البائِعِ والمُشتَري، وفي الاصطِلاحِ: هي كونُ الشَّيءِ بحالَةٍ يلزَمُ من العِلمِ بها شَيءٌ آخَرُ. وأصلُ الفِعلِ (دَلَّ يَدُلُّ) من دَلَّ على الشَّيءِ، أي: أشارَ إليه، وهو أيضاً المُستَنَدُ الشَّرعِيُّ المُعَبِّرُ على صِحَّةِ ما يُرادُ من الاستدلالِ عليه من قولٍ أو فِعلٍ أو تقريرٍ أو موقِفٍ أو غيرِ ذلك، وهو عند فُقَهاءِ عِلمِ الأُصولِ ما يُمكِنُ التَّوصُّلُ بصحيحِ النَّظَرِ فيه إلى مطلوبٍ خبريٍّ.

سنة الدلالة في فقه التحولات تؤصل ما لا دليل عليه من فقه الدعوة، ومصدرها علم الأصول

وفي فِقهِ التَّحوُّلاتِ تُعتبَرُ (الدِّلالَةُ) بُرهاناً على مالم يتوَفَّر له دليلٌ من فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ ضِمنَ عِلمِ الأُصولِ القائِمِ على السُّنَنِ القوليَّةِ والفِعليَّةِ والتَّقريريَّةِ، أو بمعنىً آخَرَ (الدِّلالَةُ) تفسيرٌ للرَّمزِ من القرآنِ أو السُّنَّةِ في فِعلٍ أو تَركٍ لم يندَرِج تحت عِلمِ الأُصولِ ضِمناً أو تصريحاً. وهي ـ أي: (سُنَّةُ الدِّلالَةِ) ـ سُنَّةٌ ترتَبِطُ ارتباطاً واعِياً بِحديثِ عُقبَةَ بنِ عامِرٍ السَّابِقِ ذِكرُهُ وفيه: «**إنِّي لستُ أخشى عليكم أن تُشرِكوا بعدي..**»[1]، وهو تفسيرٌ شرعِيٌّ لانعدامِ الشِّركِ في الأُمَّةِ من بعدِهِ، وإنَّما التَّشريكُ إن جاء من بعده ﷺ فإنَّما هو تُهمَةٌ في الأُمَّةِ بُنِيَت على أمرَينِ:

تهمة الشرك بنيت على أمرين أشارت إليها النصوص: التنافس والتحريش

- سياسَةُ التَّنافُسِ في الدنيا، وهي ما عبَّر عنه ﷺ بقولِهِ في الحديث السابق: «... **ولكني أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافَسُوا فيها** ...»[2]، فتبيَّنَ بهذه الدِّلالةِ في فِقهِ الدَّعوَةِ نفيُ ما ألصقتهُ العُقولُ المُتنافِسَةُ على قرارِ الحُكمِ والعِلمِ من تُهمَةِ الشِّركِ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وعَزوُ ذلك الحُكمِ إلى غيابِ العِلمِ بالرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ.
- فتنة التحريش المنصوص عليها في قوله ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[3].

الاستدلال بسنة الدلالة على ما لم يكن له سابق مثال

وتَتَّجِهُ الاستفادَةُ من سُنَّةِ الدِّلالَةِ في مَنهَجِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ على قِسمَينِ:

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٤٤) (٤٠٨٥) (٦٤٢٦) (٦٥٩٠)، و«صحيح مسلم» (٢٢٩٦).

(٢) «صحيح البخاري» (١٣٤٤) (٣٥٩٦) (٤٠٨٥) بلفظ: «ولكني أخاف عليكم» و«صحيح مسلم» (٢٢٩٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٨١٢).

الأَوَّلُ : الاستدلالُ بها على أنَّ كُلَّ ما يدخُلُ تحت قاعِدَةِ السُّنَّةِ الحَسَنةِ عند عُلَماءِ الأُصولِ ولو لم يكن له مِثالٌ سابِقٌ وإنَّما دَلَّت عليه دِلالَةٌ نَصِّيَّةٌ من الكتابِ أو السُّنَّةِ أو مواقِفِ الخُلفاءِ فهو أمرٌ صحيحٌ لا علاقةَ له بالبِدعَةِ والضَّلالِ بِشَرطِ عَدَمِ المُعارَضَةِ لِنَصٍّ صحيحٍ . ومِن ذلك ما كان يطمَئِنُّ إليه الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بعد استقرائِهم لما وراءَ اللَّفظَةِ والعِبارَةِ التي تجري على لِسانِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنها قولُهُ في الرُّؤيا الصالحة : «**إنَّها من المُبَشِّراتِ**» لما تَدُلُّ عليه ، وفيها يقول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لم يبقَ من النبوة إلا المُبشِّراتِ**» قالوا : وما المُبَشِّراتُ ، قال : «**الرُّؤيا الصَّالِحَةُ**»[1] . وحديثُ : «**الرُّؤيا الصَّالِحَةُ من اللهِ ، والحُلُمُ من الشَّيطانِ ، فإن حَلَمَ أحدُكم الحُلُمَ يكرَهُهُ فليَبصُق عن يسارِهِ وليستَعِذ باللهِ منه فلن يَضُرَّهُ**»[2] ، وفي رواية : «**فليَتفُل عن يسارِهِ ثلاثاً ، وليتعوَّذ باللهِ من الشَّيطانِ وشَرِّها ولا يُحدِّث بها أحداً فإنَّها لا تضُرُّه**»[3] ، قال أبو سَلَمَةَ : إن كُنتُ لأرى الرُّؤيا هي أثقَلُ عليَّ من الجَبَلِ ، فلمَّا سَمِعتُ هذا الحديثَ فما كُنتُ أُباليها[4] .

ومن فِقهِ الدِّلالةِ : ما رواه أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**من حَدَّثَ حديثاً فعَطَسَ فهو حَقٌّ**»[5] .

الاستدلال بها عن الانحرافات والفتن

الثاني : الاستدلالُ بها على الانحرافاتِ والفِتَنِ ومُضِلّاتِها ، وما ينتُجُ عنها من تَحوُّلٍ ودمارٍ وفسادٍ في الدِّيانةِ والتَّديُّنِ ، وإفسادٍ في العلاقاتِ والارتباطاتِ ، ونَقضٍ للعِلمِ وقَبضٍ للعُلماءِ ، وإعدادِ الواقِعِ المخدوعِ لِقَبولِ البَرامِجِ المُنحَرِفَةِ في التَّربيَةِ والتَّعليمِ والاقتصادِ والتِّجارَةِ والإعلامِ والحياةِ الاجتماعِيَّةِ ، وأنَّ هذه الإدخالاتِ في الأُمورِ الحياتِيَّةِ أمرٌ بِدعِيٌّ وإحداثٌ في قواعد التَّأصيلِ الشَّرعِيِّ في أمرَي الدِّينِ والدُّنيا ، ويعرَفُ ذلك من خلالِ استِقراءِ الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ والآياتِ

(١) «صحيح البخاري» (٦٩٩٠) .
(٢) «صحيح البخاري» (٣٢٩٢) .
(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٦١) .
(٤) «صحيح ابن حبان» (٦٠٥٩) .
(٥) «مسند أبي يعلى» (٦٣٥٢) .

القرآنيَّةِ المنصوصِ عليها في استدلالاتِ الرُّكنِ الرَّابعِ، وَفقَ مفهومِ الدِّلالَةِ التي تبرُزُ بها صُورُ الانحرافِ والجُنوحِ في كُلِّ عَصرٍ من عُصورِ التَّاريخِ الإسلامِيِّ، كما تبرُزُ بها صُورُ النِّفاقِ والإرجافِ وتصرُّفاتُ القُلوبِ المريضَةِ التي وصفها اللهُ في القُرآنِ[1] على مستوى العِلمِ والقَرارِ وتعليلِ الظَّواهِرِ، وما دون ذلك من حياةِ الرِّجالِ والنِّساءِ أفراداً وأُسَراً وجماعاتٍ وأُمَّةً على مدى تاريخ التَّحوُّل.

كما يعرَفُ بها في الوجهِ المُقابِلِ سلامةُ المنهَجِ المُعتبَرِ عند صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ وخُلفائِهِ الرَّاشِدين المهدِيِّين، ورَدُّ تَقَوُّلِ المُتقَوِّلين الذين تُفرِزُ طِباعُهم الحِقدَ والكَرَاهِيَةَ، فيستَنقِصون من مراتِبِ الصُّحبَةِ ويقدَحون في سلامةِ الاجتهادِ للصَّدرِ الأوَّلِ وخاصَّةً الذين حصَّنَتهُم نُصوصُ النَّبيِّ ﷺ في حياتِهِ.

الاستدلال بسنة الدلالة على مستجدات العلوم

الثَّالثُ: الاستدلالُ بها على مُستجِدَّاتِ العُلومِ والمُختَرَعاتِ والاكتشافاتِ، وأنَّ لكثيرٍ مِن جديدِها ما نرى ونسمَعُ ونُشاهِدُ من دلالاتٍ في الكتابِ والسُّنَّةِ، لم يكن العُلماءُ عند وَضعِ عِلمِ الأُصولِ والتَّفسيرِ على عِلمٍ بها، لِعَدَمِ وُجودِها في زمانِهم؛ ولكنَّها ظهرت فيما بعدُ، وصارت الآياتُ القرآنِيَّةُ والأحاديثُ النَّبوِيَّةُ تَدُلُّ دلالةً عليها. بل ورُبَّما دلت على فسادِ فَهمِ المُتَقَدِّمين في تفسيرِها بما في زمانِهم أو رَبطِها بِبَعضِ التَّعليلاتِ الكونِيَّةِ السَّابِقَةِ، وقد أشبَعَ هذا الفصلَ العَلَّامَةُ أحمدُ الغُمارِيُّ في كتابِهِ «مطابقةِ الاختراعاتِ العصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ».

ظاهرة التشريك ليست ديانة

كما أنَّ هذه السُّنَّةَ تَدُلُّ أيضاً على أنَّ ظاهِرَةَ التَّشريكِ والتَّكفيرِ سياسَةٌ لا دِيانَةٌ، وأنَّها سَبَبٌ في الاقتتالِ والهلاكِ، كما أنَّها أيضاً دِلالَةٌ على الاقتِفاءِ والاهتِداءِ بالأُمَمِ الكافِرَةِ التي سبقت بتَحريفِ النُّصوصِ والاستِدلالِ بها على غَيرِ الوجهِ الصَّحيحِ، إذ لا علاقَةَ لها بِسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ ولا علاقَةَ لها بمواقِفِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المَهدِيِّين مِن بعدِهِ.

مدارس القبض والنقض وظاهرة تحريف النصوص

وإنَّ مِن الضَّرورَةِ بِمكانٍ أن تَنجَلِيَ هذه الصُّورَةُ القاتِمَةُ التي أصابت الأُمَّةَ الإسلامِيَّةَ في عَصرِ الغُثاءِ والوَهَنِ ويعودَ الجَميعُ إلى معرِفَةِ الأمرِ على أُصولِهِ

(١) في سورة (براءة) و(المنافقون) وغيرها من سور العلامات الخاصة بفقه التحولات.

الشَّـرعِيَّةِ، وبهـذا الفَهـمِ يَتَطَهَّـرُ عِلمُ الأُصـولِ وفُروعُهُ عـن عِلَّةٍ أدخَلَتهـا مدارِسُ القَبـضِ والنَّقضِ إلى الجِسـمِ الإسـلامِيِّ والعِلمِ الشَّـرعِيِّ على غيـرِ حُجَّةٍ ، وهي ظاهِرَةُ تحريفِ النُّصوصِ والفُهومِ الصَّحيحَةِ التي عاش عليها سَلَفُ الأُمَّةِ .

والمقصـودُ بـ«سَـلَفِ الأُمَّةِ» القرونِ والأجيالُ الثَّلاثَةُ التـي عاش فيها النَّبيُّ ﷺ والتَّابِعُون وتابِعُوهم بإحسـانٍ كما شَـهِدَ لهم رَسـولُ اللهِ ﷺ بِسَـلامَتِهم وسـلامَةِ مرحَلَتِهم ؛ ما عدا مَن صدر في حَقِّهِ نَصٌّ صحيحٌ .

قاعِدَةٌ:
سلامةُ المرحلَةِ: بالنَّصِّ
سلامَةُ الذَّواتِ: بالحصانَةِ الشَّرعِيَّةِ

قاعِدَةٌ : سلامةُ المرحلَةِ : بالنَّصِّ ، وسلامَةُ الذَّواتِ : بالحصانَةِ الشَّرعِيَّةِ .

ولا تنطَبِـقُ العِبـارَةُ علـى مَن بعدَهُـم إلا ما وافقَ مفهـومَ القاعِدَةِ سَـنَداً وأخلاقاً ، وهـم المتابِعـون لهـم بإحسـانٍ إلى يـومِ الدِّين ، قـال تعالـى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾[التوبة:١٠٠] ، والمُتَّبِعـون بإحسـانٍ هم الذين حَمَلوا شَـرَفَ الاتِّباعِ بِالسَّـنَدِ المُتَّصِلِ وشرفَ الالتِزامِ بالأخلاقِ والاستقامَةِ .

الشهادات الشرعية من لسان رسول الله ﷺ لصحابته حصانة لا تنقضها الأحداث

إنَّ سُـنَّةَ الدِّلالةِ تسـتَقرِئُ نُصوصَ المرحلَةِ المكِّيَّةِ والمَدَنِيَّةِ في شأنِ فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ ، وتُعتبَرُ الشَّـهاداتُ الشَّرعِيَّةُ التي صدرت من لِسانِ رَسولِ اللهِ ﷺ توثيقاً لعدالَةِ صحابَتِه ، بل وتقدَحُ في عُمومِ المُعتَرِضين والنَّاقِضين لِسَلامَةِ مرحلَةِ الخِلافَةِ الأولـى مهما كانت حُجَّتُهم القائِمَةُ على وَصـفِ الأحداثِ الجارِيَةِ،كما تُعيدُ هذه السُّـنَّةُ قراءَةَ التَّاريخِ الإسـلاميِّ مُقتَرِناً بِتَمييزِ الحوادِثِ وهندَسَـةِ الإشاراتِ ، التي دَلَّلَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ على سُلوكِ النَّاسِ من عَهدِهِ إلى قيامِ السَّاعةِ ، ما بينَ مُحِقٍّ ومُبطِلٍ وصادِقٍ وكاذِبٍ ومُؤمِنٍ ومُنافِقٍ ، كما تَكشِفُ المَسيرَةَ الدَّجَّالِيَّةَ المُسَيَّسَةَ ، وتَربِطُ بين النَّصِّ النَّبَوِيِّ ساعةَ كشفِهِ للظَّواهِرِ الدَّجَّالِيَّةِ واندراجِها الخطيرِ المُعمِي ضِمنَ الحَظيرَةِ الإسـلامِيَّةِ حتى اليومَ وما يتبَعُهـا من الانحِرافاتِ والتَّحالُفات بين الدَّجاجِلَةِ ضِدَّ الدِّيانةِ الصَّحيحَةِ والنَّهجِ الشَّرعِيِّ السَّويِّ على مدى التَّاريخِ .

سنة الدلالة في وظائفها استقراء الحصانات الشرعية وكشف المسيرة البطالية

مدرسة الاعتدال والوسطية وموقعها من فقه التحولات

إنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ ـ بسُـنَّتَيهِ : سُـنَّةِ المواقِـفِ والدَّلالَـةِ ـ يُبرِزُ بوضوحٍ مدرسـةَ الاعتـدالِ والوَسَـطِيَّةِ الشَّـرعِيَّةِ فـي أُمَّةِ الإسـلامِ ، بعيداً عـن الخَوضِ فـي طَرَفَي الإفـراطِ والتَّفريـطِ ، سـواءً كان بين المُسـلِمين أنفُسِـهم أو بين بعضِ المُسـلِمين

في مُيُولهم الخَطيرَة للانحرافِ الكافِرِ ومشـاريعِهِ الأَنَوِيَّةِ ، المشـاريعِ التي نَخَرَت التَّركيـبَ الاجتماعِيَّ والدِّينـيَّ والاقتِصادِيَّ والإعلاميَّ المُعاصِـرَ ، والتي أبرزت دَورَ المَدارِسِ الجانِحَةِ عبرَ التَّسلسُـلِ التَّاريخِيِّ بالعُمومِ ومنذُ ظُهورِ مرحلَةِ الغُثاءِ بالخُصوصِ .

لقـد تعيَّنَـت أهَمِّيَّـةُ العِلـمِ بِسُـنَّةِ الدِّلالَـةِ وسُـنَّةِ المواقِـفِ مقرونَـةً بدراسَـةِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ كما يُدرَسُ فِقه التَّحوُّلاتِ مقروناً بِمَشـروعِيَّةِ الرُّكـنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ ، وعلى هذا فَإِنَّ التَّناوُلَ السَّـلبِيَّ لهذا الموضوعِ لدى البعضِ إنما هو خارِجٌ دائِـرَةَ الاسـتِدلالِ الشَّـرعِيِّ الذي نحـن بِصَـدَدِهِ ، أي : بمعنى أن المناقِشَ لِفَسـادِ الفِكرَةِ أو المنازِعَ فيها إنما يَتَحَدَّثُ مِن خارِجِ الموضوعِ الذي نحن بِصَدَدِهِ للجَهلِ بهـذه الثَّوابِـتِ أو رفضِـهِ الطَّبعِـيِّ لِقَبولها لا الشَّـرعِيِّ ، وإلا فإنَّ ثوابتَ الشَّـرعِ قد بيَّنت بالنَّصِّ الثَّابِتِ رُباعِيَّةَ الأركانِ ، ولم يبقَ إلا القَبولُ لما جاء به المُعَلِّمُ الأعظَمُ ﷺ ثُـمَّ التَّدَرُّجُ في فَهمِ تفاصيلِ الرُّكنِيَّةِ وتفريعاتِها ، حتى يحصُلَ الإلمامُ التَّامُّ بما يترتَّبُ على هذا الفِقهِ الدَّعَوِيِّ من سُنَنٍ تتناسَبُ مع وظيفَتِهِ .

الذي ينازع ما نحن بصدده إما لجهله بالركن الرابع أو لرفضه الطَّبْعي له

إنَّ علامـاتِ السّـاعَةِ فـي القامـوسِ العِلمِـيِّ التَّقليـدِيِّ ـ لِعُلَمـاءِ الأُصـولِ والفُـروعِ ـ لا علاقَةَ لها بالفِقهِ الإسـلامِيِّ من حيـثُ قواعِدُهُ المنصوصُ عليها عند عُلَمـاءِ الأُصـولِ ، ولهـذا فهي أيضا عندهـم لا تَمُتُّ إلى أركانِ الدِّيـنِ بِصِلَةٍ ، لأنَّ ثوابِـتَ الدِّيانَـةِ لديهـم قامت عبرَ التَّاريـخِ على الثَّوابِـتِ الثلاثةِ (إسـلامٌ ، إيمانٌ ، إحسانٌ) . وإنما تذكر في مصنفاتهم تحت باب (الإيمان باليوم الآخر) .

العلم بعلامات الساعة في الفقه الإسلامي فرع الإيمان باليوم الآخر

بل حتّـى مواقفُ الفِئـاتِ والجماعاتِ والـرُّؤى المذهبِيَّةِ الجديـدةِ في الجانِبِ الخاصِّ بالحُكمِ والقرارِ وتسـييسِ التَّوحيدِ بَنَتْ حُكمَها إمّا على العاطِفَةِ المُجَرَّدَةِ أوعلـى عَدَمِ العِلمِ بِمفهومِ سُـنَّةِ الدِّلالَةِ والمواقِفِ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ ، أي : بَنَت حُكمَها بِغِيابِ رُكنٍ من أركانِ الدِّينِ عن دائِرَةِ التَّقريرِ الشَّرعِيِّ .

موقف الجماعات الجديدة من فقه التحولات

علامات الساعة كانت جزء من مرحلة الوحي والتنزيل ممتزجا بشتى أحكامها وحوادثها وتشريعاتها

بينما عندما نعودُ برَوِيَّـةٍ إلى (الأُصـولِ النَّصِّيَّةِ)[1] التـي بنى عليهـا العُلَماءُ فِقهَ أركانِ الدِّينِ ذاتِها نَجِدُ أنَّ علاماتِ السّاعةِ كانت أحَدَ مُهِمَّاتِ المرحلَةِ وجُزءاً من ثوابِتِهـا العِلميَّةِ في إصدارِ الأحـكام والفتاوى والعلاقاتِ والسُّـلوكِ والمواقِفِ ، ولكنْ بِصورَةٍ غيرِ مُعلَنَةٍ ، حتى جاء التَّمرحُلُ الزَّمَنِيُّ اللّاحِقُ والاستحواذُ المعرفيُّ الماحِـقُ فحصر التناَّوُلَ في الثَّوابِتِ الثَّلاثَةِ فقط حتى صار ذِكرُ العلاماتِ هامِشِـيّاً ومنفَرِدَ الهُوِيَّةِ ، وخاصَّةً بعد عَصرِ التَّدوينِ وطُغيانِ أثَرِ المُلكِ العَضوضِ في الدِّينِ والدَّولَةِ الجَبَروتِيَّةِ .

إعادة القراءة لرباعية الأركان ضرورة ملحة

ولهذا فإنَّا نَضَعُ هذه المسألَةَ على بِساطِ البحثِ بقناعةٍ تامَّةٍ مُؤَكِّدين فائِدَةَ العَمَلِ على إعادَةِ الرُّكنِ الرَّابِعِ إلى موقِعِهِ الشَّرعِيِّ من الأركانِ ومُلزِمين الدَّارِسَ والطَّالِبَ أن يربـطَ بين هذه الرُّكنِيَّةِ وفِقهِها الخَاصِّ ، مع تَمَيُّزِ هذا الرُّكنِ باختصاصِهِ النَّوعِيِّ (فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى) ، أي : باعتبارِ أنَّ هذا الفِقهَ مُسـتَجِدٌّ ولا علاقَةَ له ألبَتَّةَ بمـا قد سـبقَ تأصيلُهُ لـدى الأصوليين من الفِقهِ الخَاصِّ بالسُّـنَنِ القولِيَّـةِ والفِعلِيَّةِ والتَّقريرِيَّـةِ ذاتِ العلاقَـةِ بِعِلمِ الأُصـولِ وقواعِدِهِ إلا من حيثُ الوِحـدَةُ العَامَّةُ في الارتباطِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، فلْيُفهَم .

الصراع التاريخي بين المذاهب يحتاج إلى إعادة نظر

ويترتَّـبُ على هـذا العِلمِ وتفصيلاتِهِ الشَّـرعِيَّةِ (إعادَةُ النَّظرِ الكامِلِ) في مسـائِلِ الخلافَةِ والاختلافِ التي عَمَّقتِ الصِّراعَ بين (عُلَماءِ المَذهَبِيَّةِ بِعُمومِهم)، وكذلك الصِّراع بين مُسَـمَّياتِ التَّمرحُلِ الاجتماعِيِّ ، كالصِّراعِ التَّاريخِيِّ سياسِـيّاً ومَذهَبِيّاً بين (السُّـنَّةِ والشِّـيعَةِ) وبين (السَّـلفِيَّةِ والصّوفيَّـةِ) ، وبين غيرهم مـن مجموعاتِ التَّكَتُّلِ الانفعالِيِّ داخِلَ الجَسَدِ الإسلامِيِّ المعلولِ .

كمـا يترتَّبُ عليه معرِفَةُ السَّـلامَةِ وعَدَمِهـا في العلاقَةِ مع الكافِرِ الذِّمِّيِّ والكافِرِ الحربِيِّ ، وحدُودِ هذه العلاقاتِ ، ومشروعِيَّةِ التَّعامُلِ أو عَدَمه معَ قوى الاستِعمارِ والاستهتارِ والاسـتثمارِ المُسيطِرَةِ على مُقَدَّراتِ الأُمَّةِ في مراحِلِ الغُثاءِ والوَهَنِ ، والاستتباعِ أو عَدَمِهِ ، وتداعي الأُمَمِ (الأَكَلَةِ) على قَصعَةِ الطَّعامِ ، فلعل وعسى .

---

(١) الأصول النصية : أسس الاستنباط كالحديث النبوي والقرآن .

غِيابُ العِلمِ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ ومَا ترتَّبَ علَيهِ

مِـن مُهِمَّـاتِ العِلـمِ بِفقـهِ التَّحـوُّلاتِ معرِفَةُ الحُكـمِ الشَّـرعيِّ لمـا وراء القِرَاءَةِ للنُّصـوصِ ، ومـا يترتَّبُ على القِراءَةِ مـن تحديدِ الأحكامِ وتنزيـلِ المعاني المُرادِ بهـا في النُّصوصِ علـى العقائدِ والعِباداتِ والمُعاملاتِ والقِيَـمِ ، وقد وقع العديدُ مِـن (عُلَماءِ الفِتنَةِ) في شَـرِّ فُهومِهم لهذه النُّصوصِ وتحميلِهـا عند تنزيلِ المعاني والأحـكامِ علـى ما بَدَرَ لِعُقولِهم مِن الفَهمِ والوَهمِ وسـوءِ التّأويـلِ ، بَدءاً بمراحلِ التَّنزيلِ ومُروراً بِمَرحلَةِ التّأصيلِ .

وأعظَـمُ مـا وقع فيه (أولئك) شُـبَهُ التَّكفيرِ ، ومقالُها عند الخـوارجِ واضِحٌ وبَيِّنٌ كمـا هـو في نُصـوصِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ ، ومثلُه مـا وقع فيـه (الرَّافِضَةُ) و(السَّـبَئِيَّةُ) و(المُعتَزِلَـةُ) و(القرامِطَةُ) و(الباطِنِيَّةُ) وأشـباهُهُم وأمثالُهم في العُصورِ السّـابِقَةِ ، وسببُهُ غِيابُ العِلمِ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ .

ماذا حصل من الخطأ بغياب فقه التحولات وقوع الأمة في الرهن واستتباع سنن الأمم

كما كان لِغيابِ هذا العِلمِ اليومَ في المُجتَمَعاتِ العَرَبيَّةِ والإسلاميَّةِ خُطورَةٌ كبيرَةٌ أدَّت إلى وُقوعِ العُلَماءِ ـ فَضلاً عن الدَّهماءِ ـ فيما أخبرَ عنه ﷺ من الوَهَنِ والغُثاءِ واسـتتباعِ الأُمَـمِ ، وخَاصَّـةً فيما يتعلَّقُ بالحَيـرَةِ في أمرِ التَّحوُّلاتِ أو عَـدَمِ التَّمييزِ في معرِفَةِ ألسِـنَةِ الحَقِّ المنصوصِ على سـلامةِ مواقِفِهم، وأهلِ الباطِلِ المُنتَحِلين صفةَ الحقِّ وأهلِهِ ، وفي ذلك يقولُ ﷺ في نُصوصِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ : «**ستكونُ فِتَنٌ يُصبِـحُ الرَّجُلُ فيها مؤمناً ويُمسـي كافراً إلا مَن أحياهُ اللـهُ بالعِلمِ**»[1] والعِلمُ هنا في أَحَدِ معانيه العِلمُ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ واللهُ أعلَمُ .

وفي هذا المعنى وردت عِدَّةُ أحاديثَ منها حديث : «**سـتكون فِتَنٌ يُصبِحُ الرَّجُلُ**

(١) «سـنن ابن ماجـه» (٣٩٥٤) و«المعجم الكبيـر» للطبراني (٧٩١٠) و«الشـريعة» للآجري (٧٩) .

فيها مُؤمناً ويُمسي كافراً إلا مُؤمِناً حشاهُ اللهُ بالعِلم»[1]، ومعناه مَن حماهُ اللهُ وصانَهُ وحَفِظَهُ بالعِلمِ بأن يكون صاحِبُه محشُوّاً به، وفي «فيض القدير»: «**ستكونُ فِتَنٌ يُصبِحُ الرَّجُل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً إلا من أحياه اللهُ بالعِلم**»، قال المُناويُّ: لأنَّه على بصيرةٍ من أمره وبَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فيتجَنَّبُ مواقعَ الفِتَنِ بما يعلَمُ مِمّا يستَنبِطُهُ من الأحكام[2].

وزاد الأمرَ حَرَجاً بعد نَقضِ القرارِ الإسلاميِّ من أيدي المسلمين عُموماً إلى أيدي أعدائِهم من اليهودِ والنَّصارى وخاصَّةً فيما سمَّاه النَّبيُّ ﷺ في أحاديثِه الصَّحيحةِ بـ(تداعي الأُمَمِ)، وتداعي الأُمَمِ إذا قرأناه مِن واقعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ودراسَتِهِ الواعِيَةِ سَنَجِدُهُ يرتَبِطُ ارتباطاً وثيقاً بحديثِ: «**يوشِكُ أن تداعى عليكم الأُمَمُ كما تداعى الأَكَلَةُ على قَصعَتِها**»، قالوا: أَمِن قِلَّةٍ نحن يا رَسولَ اللهِ؟ قال: «**لا، أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنَّكُم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّيلِ يُلقَى عَليكُم الوَهَنُ**». قالوا: وما الوَهَنُ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: «**حُبُّ الدُّنيا وكَراهِيَةُ المَوتِ**»[3].

علاقة فقه التحولات بقراءة المرحلة المعاصرة

وهذه المرحلةُ عند ربطِها بعلاماتِ السّاعةِ إنّما تُشيرُ إلى ما يُسمَّى في عَصرِنا بـ(مرحلةِ الثَّورَةِ الصِّناعِيَّةِ) و(العَصرِ الحَديثِ)، وما نتج عنها من سَلبِيَّاتِ سُقوطِ قرارِ الخلافةِ الإسلاميَّةِ وبَدءِ مرحلَةِ العِلمانِيَّةِ التي أُعلِنَت من تُركيا، وكانت آنذاك عاصِمَةَ الخِلافَةِ قُبَيلَ مرحلةِ الاستِعمارِ، ونِهايةً بما مرَّ على المسلمين والعالَمِ العَرَبيِّ والإسلاميِّ من نَقضٍ في شُؤونِ الحُكمِ والعِلمِ والاقتِصادِ والسِّياسَةِ والتَّربِيَةِ والتَّعليمِ والإعلامِ في ما تلاها من مراحِلِ العِلمانِيَّةِ والعَلمَنَةِ ثُمَّ العولَمةِ،

---

(١) «الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٣٤٣٩) و«صفة النفاق وذم المنافقين» للفريابي (٩٤).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤٦٧٧) (٤: ١٠١).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٢٩٧) وقد تقدم ص ٤٥.

ولا يُمكِنُ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ أن يُفسَّرَ هذا الأمرُ بالاعتمادِ على مُخرَجاتِ أركانِ الدِّينِ الثَّلاثَةِ وحدَها ، وإنَّما يُعرَفُ بِدِراسَةِ الرُّكنِ الرَّابعِ المُغيَّبِ (علاماتِ السّاعةِ وما ترتَّب عليها من تأصيلٍ شرعيٍّ لِفقهِ التَّحوُّلاتِ) ، وفي ذلك يُؤكِّدُ ﷺ في الصَّحيحِ خُطورَةَ الموقِفِ الذي يحِلُّ بالأُمَّةِ عند ضَياعِ هذه الأماناتِ وعلاقَتِها بِقُربِ مرحَلَةِ السّاعةِ، فقد ورد في الصَّحيحِ عن أبي هريرةَ قال : «بَينَما النَّبيُّ ﷺ في مجلِسٍ يُحدِّثُ القومَ جاءَه أعرابيٌّ فقال : متى السّاعةُ ، فمضى رَسولُ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ ، فقال بعضُ القومِ : سَمِعَ ما قال فكَرِهَ ما قال ، وقال بعضُهم : بل لم يسمَع ، حتّى إذا قضى حديثَه قال : «**أين أُراهُ السّائلُ عن السّاعةِ**» قال : ها أنا يا رسولَ اللهِ ، قال : «**فإذا ضُيِّعت الأمانَةُ فانتظر السّاعَةَ**» ، قال : كيف إضاعَتُها ؟ قال : «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتَظِرِ السّاعَةَ**»[1].

ضياع الأمانات وموقع ذلك من فقه التحولات

وهذا الحديثُ من أعظَمِ الأحاديثِ التي تُؤيِّدُ إعادَةَ القراءَةِ الواعِيَةِ لِعلاماتِ السّاعةِ ، ففيها توضيحاتٌ وتفصيلاتٌ لا تُعرَفُ إلا من مِثلِ هذا الحديثِ ، حيثُ أبرَزَ هذا الحديثُ الشَّريفُ وُجودَ تآمُرٍ مُشتَرَكٍ داخِلَ القرارِ الإسلاميِّ ، وهو ما سُمِّي في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بِمرحَلَةِ الخِلافَةِ المُدونَمَةِ، وتدخُّلٍ خارِجيٍّ للدَّفعِ بِحَمَلَةِ القرارِ إلى تضييعِ الأمانَةِ وتوسيدِ الأمرِ إلى غيرِ أهلِهِ في مرحلةِ تثبيتِ الاستعمارِ[2].

كشف فقه التحولات لمرحلة التوسيد

وهو ما أخرَجَ قرارَ الحُكمِ عن مسارِهِ الصَّحيحِ إلى مسارٍ آخَرَ يُعبَّرُ عنه في فِقهِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩) وقد تقدم ص ٢٥ ، ١٠١ .

(٢) والتوسيد له معان كثيرة ودلالات خطيرة ، ربما برز بدراستها على ضوء فقه التحولات تحديد ماهية الأمر المتحدث عنه في الحديث ، وتحديد ماهية الأهل المشار إليها في سياق النص ، ثم معرفة (سياسة التوسيد) بمعانيها لنقرأ صفحات المراحل الغثائية التي مرت بعالمنا العربي والإسلامي منذ مرحلة (التوسيد السياسي العلماني) حتى مرحلة (الضياع التام للأمانات) في المرحلة العولمية المعاصرة ، بيقين حصول الانحرافات المتنوعة في موقع القرار .

التَّحوُّلاتِ (بمرحلَةِ الاستعمارِ) وهي المرحلَةُ التي اشتملت على ما يلي :

- نقضِ قرارِ الحُكمِ وتوسيدِ الأمرِ إلى غيرِ أهلِهِ ، مَحلّياً وإقليمياً وعالَمِياً .

نقضُ قرارِ العِلمِ وتَضييعِ الأمانَةِ . من صُورِهِ إضاعَةُ المثَلَّثِ المدموجِ[1] والمُعادلِ الرَّابِعِ ، و«المُثَلَّثُ المدموجُ» هو : التَّربيَةُ والتَّعليمُ والدَّعوَةُ إلى اللهِ ، وأمَّا «المُعادِلُ الرَّابِعِ» فهو : الاكتفاءُ الذَّاتِيُّ في تحصيلِ الحَدِّ الضَّروريِّ من القوتِ ، حيثُ استُعيضَ عنه منذ بَدءِ مرحلَةِ الغُثاءِ والوَهَنِ بالتَّعليمِ الخِدماتِيِّ وتعظيمِ العُلومِ المادِّيَّةِ المُجَرَّدَةِ ، مع استصغارٍ واحتقارٍ لِعُلومِ الدِّينِ وللحِرَفِ والمِهَنِ اليَدَوِيَّةِ النَّافِعَةِ التي قال في بعضِها ﷺ : «**لأنْ يأخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ فيأتيَ بِحُزْمَةِ الحطبِ على ظهرِه فيبيعَها فيكفَّ اللهُ بها وجهَه خيرٌ له من أن يسألَ النَّاسَ أعطَوهُ أم مَنَعُوهُ**»[2].

ضياع مبدأ الاكتفاء الذاتي في مرحلتنا المعاصرة

- تداعي الأُمَمِ وتقسيمُ تَرِكَةِ الرَّجُلِ المريضِ[3] بيَدِ (أَكَلَةِ القَصعَةِ)[4].

ثمرات (تداعي الأمم)

وهذا التَّعليلُ لا يعني أنَّ الإسلامَ يرفُضُ الصِّناعةَ والحضارةَ أو يأباها ، وإنَّما يُبَيِّنُ تسييسَ حَمَلَةِ قرارِ الحُكمِ والعِلمِ في حياةِ الشُّعوبِ والأُمَمِ ، واستغلالَ الوَهَنِ

(١) المقصود بالمثلث المدموج: الثلاثة الثوابت المتداخلة في بناء الأجيال وهي التربية والتعليم والدعوة الى الله. ومعنى (المدموج) أي : المتداخل بعضه في بعض عند دراسته كالتداخل في دراسة الإسلام والإيمان والإحسان .

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٧١) .

(٣) تركة الرجل المريض : هي رقعة العالم الإسلامي التي كانت تحت الدولة العثمانية حاملة القرار الإسلامي قبيل مرحلة الاستعمار وقد تكالبت عليها الأمم الأوروبية واليهود وأطلقوا عليها في رسائلهم (تركة الرجل المريض) رغبة منهم في تقسيمها والتهامها وقد فعلوا ذلك خلال الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية .

(٤) أكلة القصعة : تعريف نبوي للأمم الأوروبية المشتركة في نزع القرار الإسلامي وتقسيم بلاد المسلمين والسيطرة على ثرواتها التي عبر عنها ﷺ بمفهوم (القصعة) وعبر عن المستعمرين بمفهوم (الأكلة) .

والغُثاءِ لِنَقضِ ثوابتِ الدِّيانَةِ وفَرضِ قرارِ التَّداعي والاستِتباع، حتى يُصبِحَ العالَمُ العَرَبيِّ والإسلامِيِّ تابعاً بعد أن كان متبوعاً وسُوقاً للخِدماتِ والاستِهلاكِ مع الذِّلَّةِ، بعد أن كان موقِعاً للقِيَمِ والبناءِ والتَّنمِيَةِ والاكتِفاءِ الذَّاتِيِّ والعِزَّةِ الإسلامِيَّةِ.

دور فقه التحولات في تصحيح الفهوم الخاطئة عن الخلافة وموقع الخلفاء الراشدين

كما أنَّ العِلمَ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ يُصحِّحُ الفُهومَ الخاطِئَةَ التي فَرَّقت بين المُسلمين في قضايا الخلافَةِ بعد رَسولِ اللهِ ﷺ، وموقِعِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين مِن القرارِ في الحُكمِ والقرارِ في العِلمِ، كما يُبيِّنُ أيضاً مشروعِيَّةَ المراحلِ الإيجابِيَّةِ في الحُكمِ والعِلمِ وكذلك المراحِلِ السَّلبِيَّةِ فيها.

أهمية فقه التحولات في ربط الجميع بمرحلتي مكة والمدينة

كما أنَّ العِلمَ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ يجعَلُ مِن مسألةِ القُدوَةِ والأُسوَةِ بالمرحلَةِ الزَّمَنِيَّةِ التي عاشها النَّبيُّ ﷺ والمرحلَةِ المكانِيَّةِ بين مَكَّةَ والمدينةِ، وما ترتَّبَ في هاتَين المرحَلَتَينِ من مواقِفَ وسُنَنٍ وقواعِدَ شرعِيَّةٍ هي الأساسُ في معالَجَةِ حياةِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ في بَقِيَّةِ المراحِلِ الزَّمَنِيَّةِ الأخرى.

كما إنَّ من فوائِدِ قِراءَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ودراسَتِهِ دِراسَةً واعِيَةً من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أنه يربطُ أقسام التاريخ الثَّلاثَة:

- قسم المراحِلِ الأَبوِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ من عصرِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى عَهدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبدايَةِ الخَلقِ.
- قسم عهدِ البَعثَةِ والهِجرَةِ إلى وفاتِهِ ﷺ وما هَيَّأَ اللهُ فيهما من وَحيٍ وسُنَنٍ ومواقِفَ ويُضافُ إليها دِراسَةُ مرحلَةِ ما بين الميلادِ حتى البَعثَةِ له ﷺ.
- قسم مرحلَةِ ما بعد الوَحيِ من عَهدِ وفاتِهِ ﷺ إلى قِيامِ السّاعَةِ.

القراءة الشرعية للحياة تتناول المدرستين المتعارضتين: المدرسة النبوية والمدرسة الأنوية

وقد أفادَنا هذا العِلمُ الخاصُّ بالرُّكنِيَّةِ الرَّابعَةِ من أركانِ الدِّينِ معرِفَةَ القِراءَةِ التاريخيَّةِ الصَّحيحَةِ للحياةِ الإنسانِيَّةِ بِعُمومِها، وموقِعَ المدرَسَتَينِ المُتَعارِضَتَينِ فيها وهما:

المدرسة النبوية الأبوية الشرعية

- المدرسَةُ النَّبوِيَّةُ الأبوِيَّةُ الشَّرعِيَّةُ، ورُوَّادُها الأنبياءُ والرُّسُلُ ووُرَّاثُهم من أهلِ العِلمِ المُسنَدِ، أو مَن ارتبَطَ بهم على مَنهَجِ الاتِّباعِ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ.

المدرسة الأنوية الوضعية

- المدرسةُ الإبليسِيَّةُ الأَنَوِيَّةُ الوَضعِيَّةُ القائِمَةُ على مبدأ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ومبدأ

(الإغـواءِ والاحتِناكِ)، وما تفرَّع عنها من عقيـدَةِ الكُفرِ والتَّحلُّلِ الأخلاقِيِّ والرَّفضِ للغَيبيّاتِ، ويرتَبِطُ أيضاً بهذه المدرسَةِ من النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ مواقِفُ مدرسـةِ النِّفاقِ والتَّحريشِ وبَقِيَّةِ مدارِسِ التَّسـييسِ والدَّجَلِ .. الحامِلَةِ لِواءَ شِعارِ التَّفرقَةِ والصِّراعِ داخِلَ الخَيمَةِ الإسلامِيَّةِ .

وفـي مُتابَعَـةِ هذا العِلـمِ رَحمَةٌ بالأُمَّةِ التـي عصفت بها الحَيـرَةُ، وخاصَّةً أولئك المُؤمِنين الرَّاغِبين في اكتشـافِ سِرِّ هذا السُّـلوكِ المُتناقِضِ في المخلوقِ البَشَرِيِّ ومخرجاتِهِ .. وهل هناك من علاجٍ ؟ وكيف يكونُ ؟ وما هي وسائِلُهُ ؟

هل ثمة علاج؟ وكيف وما هي وسائله؟ هذا الفقه يجيب على الأسئلة ولكن لا يصنع الإجابات،وإنما يضع الإنسان أمام مسؤولياته

كُلُّ هذه الأسئِلَةِ يُجيبُ عليها فِقهُ التَّحوُّلاتِ؛ ولكنه لا يَصنَعُ الإجاباتِ .. وإنَّما يضعُ الإنسانَ أمام مسؤوليَّاتِهِ، ويمنَحُه نصيباً من القِراءَةِ الواعِيَةِ للكيفِيَّاتِ العَمَلِيَّةِ المُسـاعِدَةِ على التَّطبيقِ الفِعليِّ لِفُرَصِ السَّـلامَةِ وسـلامةِ فُرَصِ المعالَجَةِ، وهذا وحده عِلمٌ خاصٌّ لا يُعرَف إلا بالعُمقِ الواعي لِدَراسَـةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ مقروناً بِفِقهِ الإحسانِ بالخُصوصِ.. لماذا ؟

لأنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ يكشِـفُ سِـرَّ الانحـرافِ والجُنـوحِ بالوَعيِ الشَّـرعِيِّ وفِقهَ الإحسـانِ يُعالِـجُ المنـزَعَ الطَّبعِيَّ، ويبرِزُ سِـرَّ القضاءِ والقَدَرِ فيمـا يجري به الأمرُ الرَّبَّانِيُّ أمام الرَّغبَةِ في تحقيقِ الطُّموحِ والأماني، سواءً كانت طَبعِيَّةً أو شرعِيَّةً .

وهذا هو سِـرُّ الخلافَةِ، وسِـرُّ مفهومِ الخُلفاءِ الرَّاشِـدين المهدِيِّين، الذين يُلزِمُنا رسـولُ اللهِ ﷺ أن نلتَزِمَ بِسُنَّتِهم العِلمِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ عند الاختلافِ وشُمولِ الصِّراعِ والخِلافِ . «**عليكم بِسُـنَّتي وسُـنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِـدين المهدِيِّين مِن بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، فإنَّ من يَعِش منكم فسيرى اختِلافاً كثيراً**»[1] .

(١) «سنن الترمذي» (٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح .

مفهومُ الخُلفاءِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ

حديث العرباض وعقبة يشيران إلى الصراع على قرار الحكم والعلم

يشيرُ ﷺ في الحديثَينِ حديثِ العِرباضِ وحديثِ عُقبَةَ بنِ عامرٍ إلى ما سيجري في الأُمَّةِ من اختلافٍ حول قرارِ (الحُكم والعِلم) وما سيترتَّبُ على ذلك من صِراعٍ بين أهل القرارَين ، وعند ذلك يُشيرُ ﷺ إلى ضرورَةِ الالتِزامِ بأمرَين :

١- السَّمعُ والطّاعةُ للقرارِ القائِمِ ولو كان صاحِبُه أو حامِلُه غيرَ مُكتَمِلِ الشُّروطِ الشَّرعِيَّةِ لدى أهلِ الحَلِّ والعَقدِ .

٢- التزامُ الهدوءِ والسُّكونِ وحُسنِ المُعالَجَةِ لما ينتُجُ عنه الاختلافُ في القرارِ[1] وهو ما عَبَّر عنه ﷺ بقولِهِ : «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشدين المهدِيِّين**»[2].

من هم الخلفاء؟ وكم عددهم؟

والخُلفاءُ هنا ليس الذين تتناوَلُهم كُتُب العِلمِ والسِّيَرِ بِمُسمّى الخُلَفاءِ الأربعَةِ ، فهؤلاء الخُلفاءُ الأربَعَةُ[3] نموذَجٌ من الخلافَةِ التي جمعت بين الحُكم والعِلم في عَصرِ صَدرِ الإسلام ، أمّا بعد ذلك فالخُلفاءُ هم الوُرّاثُ الشَّرعيُّون للثَّلاثَةِ الثَّوابِتِ (كتابِ اللهِ ، وسُنَّةِ نبيِّه ، والأخلاقِ) ، الذين خَصَّهم الرَّسولُ بقولِهِ : «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**»[4] ، فالعدالَةُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ مُقيَّدَةٌ وليست مُطلَقَةً .

العدالة في فقه التحولات مقيدة وليست مطلقة

وقد تبيَّنَ لنا مِن سلامَةِ مواقِفِهم ما يؤكِّدُ أنَّ المواقِفَ لدى الخُلفاءِ سُنَّةٌ مشروعةٌ قد تُعارِضَ فَهمَ العُلماءِ للسُّنَّةِ القوليَّةِ والفِعليَّةِ والتَّقريريَّةِ في بَعضِ الأحوالِ ، كما هو

---

(١) ليس المقصود بالسكون ترك الخدمة للإسلام والمسلمين ، وإنما ترك المنازعة في شأن القرار والاهتمام بشأن عوامل الاستقرار .

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٥ ، ١١٥ ، ١٣١ .

(٣) الخلفاء الأربعة في التقسيم المتداول ينحصر في الخليفة الأول أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ، أما فقه التحولات فيجعل الخلافة الراشدة في خمسة وآخرهم الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه وهو الخليفة الخامس بالنص النبوي : «**الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامَاً**» ، ثم يلحق بهم الخليفة السادس عمر بن عبد العزيز في مرحلة الحكم العضوض بالتبعية والمشابهة .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٦ ، ٧١ .

موقف الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من الخلافة بالمشاركة في بناء الدولة وتعطيل نصوص أحقيته بالأمانة عند من يقول بأحقيته

في موقِفِ سيِّدِنا عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ توقيفِهِ النُّصوصِ عند مَن يقولُ (بخلافته) والالتزامِ بما التَزَم به أهلُ الشُّورى ، وتعاوُنِهِ معهم في تسييرِ دَفَّةِ الحُكمِ والعِلمِ راضياً غيرَ مُكرَهٍ ، وهذه سُنَّةُ موقِفٍ يُقتَدى بها .

وموقِفُ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بالتَّنازُلِ عن قرارِ الحُكمِ بعد البَيعَةِ وحَملِ أمانَتِها ثُمَّ اجتهادِهِ في تَركِ الخِلافَةِ السِّياسِيَّةِ لِغَيرِه ، مع المُحافظَةِ على شَرَفِ النُّبُوَّةِ والأخلاقِ وحَقنِ دِماءِ المُسلِمين ، وهذه سُنَّةُ موقِفٍ يُقتَدَى بها .

موقف الإمام الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من الحكم

وموقِفُ الحَسَنِ هذا مدعومٌ ومُعَدَّلٌ بالنَّصِّ الشَّرعِيِّ من قولِهِ ﷺ : «**إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ وسيُصلِحُ اللهُ به بين فِئَتَينِ من المُسلِمين**»[1] .

والإمامُ الحَسَنُ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ هو آخِرُ الخُلَفاءِ الذين جمعوا بين قرارِ الحُكمِ والعِلمِ ، وهو آخِرُ الخُلفاءِ الذين عَدَّلَ مواقِفَهم نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأما من جاء من بعدِهِ فالأمرُ قائِمٌ على الاجتِهادِ الذَّاتِيِّ في قضايا الحُكمِ والعِلمِ ، فَمَن أصابَ فله أجرانِ ومَن أخطَأَ فله أجرٌ واحدٌ[2]، وهذا التَّعليلُ لا يُقتَبَسُ من فِقهِ الأصولِ وإنَّما عُرِفَ من فِقهِ علاماتِ السّاعَةِ المعروفِ بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ .

وسُنَّةُ الرَّسولِ ﷺ وسُنَّةُ الخلفاءِ الرَّاشدين من بعده هي ما يُعرَفُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بِسُنَنِ المواقِفِ، وهو الالتِزامُ بِفَحوَى النَّصِّ أو اتِّخاذُ موقِفٍ حِيالِهِ يوقِفُ العَمَلَ به لِسَبَبٍ مُعَيَّنٍ ، وقد تقدم الكلام عنها في فصل (سنة المواقف والدلالة) .

وكلَّما توقَّفَ العَمَلُ به من النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ بِسَبَبِ موقِفِ إمامٍ عادِلٍ رَضِيَ الالتِزَامَ بالتَّوقُّفِ أو تنازَلَ عن حَقٍّ منصوصٍ فِفِقهُ التَّحوُّلاتِ يجعَلُ من هذا الموقِفِ المُستَجِدِّ سُنَّةً يُقتَدى بها إلى يوم القِيامَةِ ، كماهو في صُلحِ الإمامِ الحَسَنِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٩٢) واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٠٤٤٨) .

(٢) هذا فيما يتعلق بالفرد والذات، أما ما يتعلق بسلامة المرحلة أو عدمها فيرجع إلى شرط آخر ، وهو (حفظ بيضة الإسلام وقيام فرض الجهاد في سبيل الله) بصرف النظر عن الذوات وعدالتها المحصنة أو عدمها .

على سَبيلِ المِثالِ .

حيـثُ لا يجـوزُ لِأَحَـدٍ أن يعيبَ الإمامَ الحَسَـن بـن عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فـي تنازُلِهِ عن الحُكـمِ لِغَيـرِهِ وهو أَحَقُّ به ، كمـا لا يجوز لِأَحَدٍ أن يعيبَ الإمامَ الحُسَـينَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في اختيارِهِ الخُروجَ حفاظاً على شرفِ حرمتِه أن لا يستبيحَها البغاةُ بسببِ وجودِه فيـه [1]، ولِلتَّثَبُّتِ مِن بَيعَةِ أهلِ العِراقِ ثُمَّ السَّـعيَ إليهـم راغباً في الإصلاحِ ، فكان فـي الخُروجِ تَخـاذُلُ المُحِبِّينَ وبَغْـيُ المُبْغِضِين مِمّا أَدَّى إلى اسْتِشْـهَادِهِ وَمَنْ مَعَهُ رَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةَ الأبرارِ وَعَامَلَ أَعْدَاءَهُمْ بِعَدْلِهِ .

الإمام الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خرج راغبا في الإصلاح في أمة جده صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ

وَيتوقَّفُ الجَدَلُ في مسأَلَةِ أحَقِّيَّةِ الإمامِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخلافَةِ لمن فَهِمَ النُّصوصَ بذلك والتزم بها بعد أن رَضِيَ الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذاتُهُ السُّكونَ والالتِزامَ بما ترتَّبَ عليـه نَـصُّ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ ، بِصَـرفِ النَّظَرِ عن المُبَـرِّراتِ التـي أَدَّت إلى ذلك أو كانت سـبباً في صَرفِ الخِلافَةِ عنه، فالتَّحوُّلاتُ في فِقهِ العلاماتِ لها سُـنَّةٌ خاصَّةٌ لا يعلَمُها إلا الأثباتُ من هذا النَّمَطِ المسؤولِ من أهلِ الإحسانِ ومراتِبِ الإيقانِ .

إنَّ هذا الرُّكامَ من حوادِثِ التَّاريخِ السَّلبِيَّةِ أو من تَبِعاتِ قراءَةِ النُّصوصِ الخاصَّةِ بِحُقـوقِ ومكانَـةِ آلِ البَيـتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ، وما ظُلِموا فيه خِلالَ مراحِـلِ التَّحوُّلاتِ في التَّاريخِ الإسـلاميِّ وجعلَ البَعضَ هذا الأمرَ قضيَّةَ الدِّيانَةِ كُلِّها ؛ لن يُعيدَ آلَ البَيتِ

---

(١) وقد قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (والله لأن أُقتل خارجاً منها بشبرٍ – أي : أرض الحرم – أحب إليّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر ، وايمُ الله لو كنتُ في جُحْرِ هامةٍ من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يَقضـوا فيَّ حاجتهم ، ووالله لَيُعتَدَنَّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السـبت) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٨٥) .

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (اسـتأذن حسـينٌ في الخروج ، فقلـتُ: لولا أن يُزري ذلك بي أو بك لشـبكتُ بيديَّ في رأسـك ، قال فكان الذي ردّ عليّ أن قال: لأن أُقتل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليّ من أن يسـتحل بي حرمُ الله ورسـوله ، قال : فذلك الذي سَلَى بنفسي عنه) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٨٥٩) .

وقد أفضنا الكلام عن حقيقة موقفه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في كتابنا «سـلامة الدارين في دراسـة موقف السبطين العلمين ريحانتي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ الإمام الحسن والإمام الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا» فانظره.

إلى ساحَةِ الحَرَكَةِ وقد ذهبوا بِمَواقِفِهم وصَبرِهم إلى يومِ القِيامَةِ .

المذهب الخاص بآل البيت مقبول ومعتبر لدى أهله ولكن سلبيته في تفعيله للصراع بين المصلين

ولـم يَصِحّ مـا يُنسَـبُ إليهم من المَذهَـبِ الخَـاصِّ بديلاً عن مذاهِبِ الإسـلامِ المُعتبَـرَةِ ، فالمَذهَبُ الخاصُّ مقبولٌ في أهلِهِ والآخِذين عنه ، منهم ومن غَيرِهم ، والأخذُ والتَّلقِّي لغيرِهِ من المذاهِبِ الإسلامِيَّةِ أمرٌ صحيحٌ أيضاً ولا غُبارَ عليه.

وإنَّمـا سَـلبِيَّتُهُ كونُهُ يُفعِّلُ الصِّراعِ بيـن المُصَلِّينَ ويُورِثُ الحِقـدَ والعداوَةَ والثَّأرَ بين المسلمين ، مِمَّن لا علاقَةَ لهم بالأمرِ ما سوى الغَيرَةِ الطَّبعِيَّةِ على الآلِ وتفسيرِ النُّصوصِ بعيداً عن مواقِفِ «النَّمَطِ الأوسَطِ» الهُداةِ التُّقاةِ .

لما رأى آل البيت خطورة الدجل اتخذوا المواقف الواعية وتنازلوا حقوقهم الخاصة

بـل إنَّ مـن عُمـقِ فِقهِهـم وقـد رَأَوا خُطـورَةَ الدَّجَـلِ والدَّجاجِلَةِ فـي المراحِلِ المُتَحَوِّلَـةِ وأنه سـيأكُلُ الأخضَـرَ واليابِسَ اتِّخـاذَ المواقِفِ الواعِيَةِ أمـام مُطالَبَتِهم بالحُقوقِ الخاصَّةِ ، لِتبقى حُقوقُ الإسـلامِ العامَّـةُ مُصانَةً ومحفوظةً من كُلِّ تَهَجُّمٍ وخِيانَةٍ .

وَانْـدَرَجَ غالبُهـم وأكثرُهم في مذاهبِ الإسـلامِ المُجْمَعِ عليهـا حَيْثُما نَزَلُوا من بلادِ الإسـلامِ، ولم يَشُـذُّوا أو يُلْزِمُوا الشـعوبَ بمذهبٍ خاصٍّ بهم ماعدا ما لابد منه من الولاءِ والحبِّ والتَّكْرِمَةِ والارتباطِ في الله والخدمةِ المشتركةِ في سبيله .

مَن هُم أَهلُ النَّمَطِ الأَوسَطِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ ؟

من هم النمط الأوسط ؟

أهلُ النَّمَطِ الأوسَطِ هم الأئِمَّةُ العُلَماءُ والعارفون الأثباتُ من آل البَيتِ النَّبَويِّ والصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم العُدولِ والتّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أوعيةُ الكتابِ والسُّنَّةِ والأخلاقِ النَّبوِيَّةِ الذين يندَرِجون في معنى قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ، وفي قوله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : «**يرِثُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**»[1] .

وهم الذين سلكوا مسلَكَ الهُدى والسَّلامَةِ ولم يُنازِعوا قراراً شرعيّاً ولا عالماً أو إماماً أَبَوِيّاً نبَوِيّاً رَبَّانِيّاً . هم الخُلَفاءُ الرّاشِدون المهدِيُّون عبرَ تاريخ التَّسلسُلِ الشَّرعِيِّ المُسنَدِ ، مَن حصَّنَتهم النُّصوصُ ونالوا بها مراتِبَ الخِلافَةِ والإمامَةِ ، أو مَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ على نهجِهم وهَديِهم غيرَ مُبَدِّلين ولا مُحرِّفين .

مقولة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنهُ عن النمط الأوسط

وفي مُصَنَّف ابن أبي شيبةَ عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : «**خَيرُ النَّاسِ هذا النَّمَطُ الأوسَطُ ، يلحَقُ بهم التّالي ، ويرجِعُ إليهم الغالي**»[2] .

أهمية معرفة علماء النمط الأوسط

وأهمِّيَّةُ معرِفَةِ النَّمَطِ الأوسَطِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ واجِبَةٌ وُجوبَ معرِفَةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ لأنَّهم أوعِيَتُها الشَّرعِيَّةُ ، وهم قِسمانِ :

١ - قِسمٌ التزم السَّلامَةَ وكان موقِفُهُ رحمةً للأُمَّةِ واستمراراً لِحِفظِ الأمانَةِ .

٢ - قِسمٌ التزمَ الاجتهادَ في الخُروجِ على الظَّلَمَةِ وكان مصيرُهُ الشَّهادَةَ .

والنَّمَطُ الأوسَطُ هم الذين التزموا منهجَ النُّبُوَّةِ في العَمَلِ والأخلاقِ ، وهم الخُلَفاءُ الرَّاشِدون المهدِيُّون من بعدِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، ويأتي في مُقَدِّمَتِهم :

- الخُلَفاءُ الخمسةُ ومَن نَهَجَ نَهجَهم في عَصرِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ من الصَّحابَةِ وآل البَيتِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٦ ، ٧١ .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٩٨) .

رجال النمط الأوسط

- آلُ البيتِ الأطهارُ ، ويأتي في مُقَدِّمَتِهم الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ وفاطِمَةُ الزَّهراءُ والعَبَّاسُ والحَسَنُ والحُسَينُ وذراريهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومَن ارتبطَ بهم وسار على هَديِهم في القِيامِ والقُعودِ لإشاعَةِ مَنهَجِ السَّلامَةِ والابتِعادِ عن الغُلُوِّ والإفراطِ والتَّفريطِ .

المذاهب الإسلامية

- دعاةُ المَنهَجِ المُعتَدِل من المذاهِبِ الإسلاميَّةِ التي برزت بعد صُلح الإمام الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تحت مُسمَّى (أهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ) ، ومنهم أصحابُ المذاهبِ الأربعَةِ المعروفةِ بمذاهبِ أهلِ السُّنَّةِ ، والذين رَضُوا ما رَضِيَهُ الإمامُ الحَسَنُ ومَن جاء مِن بعده على طريقِ السَّلامَةِ وحَقنِ الدِّماءِ .

أهل الإفراط والتفريط لا يدخلون في مسمى النمط الأوسط

- دعاةُ الاعتدالِ والتَّوسُّطِ من المذاهِبِ الأُخرَى كمذهَبِ الزَّيدِيَّةِ أو الإماميَّةِ ، أما ما شَذَّ من داخلِ هذه المذاهبِ كالرَّافِضَةِ والسَّبَئِيَّةِ أو غيرِها بإفراطٍ وتفريطٍ فلا يدخُلُ تحت هذا التَّقسيمِ، بل ربما صار مسؤولاً مُباشراً عن الفِتَنِ ومُضِلّاتِها ودمارِ الأُمَّةِ من داخِلِها، بإثارَةِ نقائِضِ التَّاريخ التي تجاوزها وسكتَ عنها رِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ حِفاظاً على سلامَةِ الدِّيانَةِ للأُمَّةِ .

من علامات مجموعات الإفراط والتفريط

ومِن علاماتِ هذه المجموعاتِ الغاليَةِ اعتمادُها على النَّظرَةِ العِدائِيَّةِ للمُخالِفِ وإثارَةِ الحُروبِ ، أو الغُلُوِّ في الأحكامِ ونَقضِ المُبرَمِ من أُمورِ الدِّيانَةِ في الشُّعوبِ ، واعتمادُها في المواقِفِ والولاءِ والبراءِ على حوادِثِ التّاريخِ ومُجرَياتِ الوَقائِعِ والحوادِثِ ، وليس الاحتكامَ لما جاء عنها في النُّصوص الشرعيَّةِ والمواقِفِ التي اتَّخَذَها أئِمَّةُ آلِ البيتِ خلال الأحداث المُستَجِدَّةِ .

ويدخُلُ تحت هذا المُسمَّى الخوارِجُ والقرامِطَةُ والباطِنِيَّةُ والمُعتَزِلَةُ وغيرُها من نماذِجِ الإفراطِ والتَّفريطِ في المَذهَبِيَّةِ الإسلاميَّةِ الحَرَكِيَّةِ، إلا مَن تابَ ورجَعَ عن إفراطِهِ وتفريطِهِ والتزَمَ الاعتِدالَ .

مدارس الإلحاد والعلمنة والعلمانية والعولمة وعلاماتهم

وكذلك مدارِسُ الإلحادِ والعلمانيةِ وما تَفَرَّعَ عنها من العَلْمَنَةِ والعَوْلَمَةِ المُرتَبِطَةِ في مرحلَةِ الغُثاءِ بِسياسَةِ (أَكَلَةِ القَصعَةِ) وهم الذين يُوطِّدون العالَمَ

العَرَبِيَّ والإسلامِيَّ للدَّجّالِ أو لمرحلتِه، ومِن علاماتِهم :

- الدَّعوَةُ إلى مُخالَفَةِ الدِّينِ
- وإشاعَةِ نواقِضِه وعُيوبِ أتباعِهِ
- وتحريرُ المرأَةِ بلا ضَوابِطَ شَرعِيَّةٍ منصوصةٍ ،
- واستباحَةُ الملكِيَّةِ العامَّةِ في مفهوم الاشتراكِيَّةِ ،
- وإسقاطُ القِيَمِ الشَّرعِيَّةِ في الطَّبَقاتِ الاجتماعيَّةِ ،
- وتفسيرُ التَّاريخِ والأديانِ تفسيراً مادِّيّاً بحتاً .

وقد انتشـرت هذه المجموعاتُ فـي العالَمَينِ العَرَبِيِّ والإسـلامِيِّ بعد الحَربَينِ العالميَّةِ الأولى والثّانِيَةِ ، كأذرِعَةٍ مُسَيَّسَـةٍ لخِدمَةِ الاستعمارِ وبرامِجه في الماضي والحاضِرِ والمُستَقبَلِ بِعِلمٍ وإدراكٍ أو بِغَيرِهما .

وإلـى اليومِ ومـا بعدَ اليومِ والأُمَّـةُ ترزَحُ في هـذه العَماياتِ المُسَيَّسَـةِ مِن نَقضِ الحُكمِ إلى نَقضِ العِلمِ إلى نَقضِ العُرى وهُلَمَّ جَرّاً .

المذاهب الإسلامية لم تول أهل النمط الأوسط أهمية لانعدام المعرفة بفقه التحولات

إنَّ مَسـأَلَةَ «النَّمَطِ الأوسَـطِ» والاهتمامَ بِمَواقِفِ رِجالِهِ مسـأَلَةٌ لم يعتنِ بها أَهلُ المذاهِبِ الإسـلامِيَّةِ المُتنازِعَةِ ، بل رُبَّما لم يُولُوا هذا المُسَـمَّى أيَّ أَهَمِّيَّةٍ شـرعِيَّةٍ حتـى اندرَجَ في مواقِفِ آلِ البَيتِ غُلاةُ الرَّافِضَةِ والسَّـبَئِيَّةُ ومَن كان له إفراطٌ وغُلُوٌّ طَبَعِيٌّ أو تَعَصُّبٌ مقيتٌ في الاستدلالِ الشَّرعِيِّ ..

مـع العِلـمِ أنَّ أتباعَ الأئِمَّـةِ الأطهارِ مِمَّـن نَهَجَ مَنهَـجَ «النَّمَطِ الأوسَـطِ» التزموا مـا التزمَـهُ الأئِمَّـةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأرضاهم ، وهـذا ما يُفصِحُ عـن تقريرِهِ وتأكيـدِهِ «فِقهُ التَّحوُّلاتِ» ، ولآلِ البَيتِ باعٌ طويلٌ في الأخذِ به والاطّلاعِ على نُصوصِهِ .

مواقِفُ النَّمَطِ الأوسَطِ مِن طَرَفَي الإفراطِ والتَّفريطِ

القدوة والأسوة في سلوك أهل النمط الأوسط

كان موقِفُ أهلِ الإفراطِ أو التَّفريطِ منازَعَةُ (أهلِ النَّمَطِ الأوسَطِ) في اعتدالِهم وتَوسُّطِهم المشروع، ولهذا كان لابُدَّ لِرجالِ النَّمَطِ الأوسَطِ من اتِّخاذِ مواقِفَ شرعِيَّةٍ تَحفَظُ دِماءَ المُسلِمين ومَقامَ النُّبُوَّةِ من الفسادِ والإفسادِ، وهذا ما فَعَلَهُ هؤلاءِ الرِّجالُ المُعبَّرُ عنهم في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بـ(النَّمَطِ الأوسَطِ)، والذين انطبَقَ عليهم معنى الحديثِ الذي أخرجَهُ ابن ماجَه في «سُنَنِه» عن أبي موسى قال حدثنا النَّبيُّ ﷺ قال: «**إنَّ بين يدي السّاعَةِ لهَرَجاً**» قال قلت: وما الهَرَجُ؟ ونرى أنَّه الكَذِبُ، قال: «**القَتلُ**»، قالوا: وما يكفينا أن نقتُلَ كُلَّ عام كذا وكذا من المشركين؟ قال: «**ليس ذلك، ولكن قتلَكُم أنفُسَكُم**»، قالوا: وما عُقولُنا قال: «**إنَّها تُختَلَسُ عامَّةُ عُقولُ أهلِ ذلك الزَّمانِ، ويُؤخَّرُ لها هَباءٌ من النّاسِ يَرَون أنَّهم على شيء**» وما أُراهُم إلا سَتُدرِكُني وإيّاكم، وما المخرَجُ لي ولكم منها فيما عَهِدَ إلينا نَبيُّنا ﷺ إلا أن نخرُجَ منها كيومَ دَخَلْنا فيها» قال الحَسَنُ: (وما الخُروجُ منها كيومَ دخلوا فيها إلا السَّلامَةُ فسَلِمَت قُلُوبُهم وأيديهم وألسِنَتُهم)[1]. وبهذا يتميَّزُ رِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ بالمَواقِفِ الأخلاقِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ والالتزامِ بِمَنهَجِ السَّلامَةِ في كُلِّ الظُّروفِ، وتتلَخَّصُ أهَمُّ مواقِفِهم بما يلي:

ملخص مواقف أهل منهج السلامة

- مواقِفُ أهلِ البَيتِ في عَصرِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ في مسأَلَةِ الحُكمِ، والموافَقَةِ على ما أجمَعَ عليه أهلُ الحَلِّ والعَقدِ، وعَدَمِ المُنازَعَةِ في ذلك، والرِّضى بما رَضِيَ به المسلمون، وتجاوُزِ ما اعترى البَعضَ منهم مِن عَدَمِ الرِّضى في بِدايَةِ الأمرِ إلى المُوافَقَةِ ودَعمِهم التَّامِّ لمراحلِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ حتّى تنازُلِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ[2].

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» للداني ونحوه في «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٩).

(٢) وعلى هذا الموقف يلتزم أهل النمط الأوسط ما التزمه سلفهم الصالح من عدم الخوض أو الطعن في الخلافة الراشدة إلى يوم الدين، ومن طعن فيها أو نازع بعلم أو بغير علم فقد خالف منهج النمط الأوسط ونحى إلى الإفراط والتفريط.

الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في عهد الخلافة

- قبولُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المُشارَكَةَ الدَّائمَةَ في بناءِ دولَةِ الإسلامِ والنُّصحِ لها طِيلَةَ مرحَلَةِ خِلافَةِ سَيِّدِنا أبي بكرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وقَبولُهُ البَيعَةَ بعدَهُم لإنقاذِ ما يُمكِنُ إنقاذُهُ مِن مَنهجِ النَّمطِ الأوسَطِ في مرحَلَةِ خِلافَتِهِ ، وهذا مَوقِفٌ يُقتَدَى به بِصَرفِ النَّظَرِ عَمَّن يُشيرُ إلى مسألَةِ النُّصوصِ التي تَجعَلُ الحَقَّ له في الخلافَةِ .

الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إمام القرار

- موقِفُ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الفِتَنِ والتَّنافُسِ على القرارِ وتنازُلِهِ عنه في أَشَدِّ حاجَةِ النَّاسِ إلى وُجودِهِ ، حِفاظاً على دِماءِ المُسلِمين وسلامَةِ وِحدَتِهِم ، وانتِقالِهِ مع أهلِ بَيتِهِ من العراقِ إلى المدينةِ حتى وفاتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دون خُروجٍ أو مُنازَعَةٍ ، مُحافَظَةً منه على الدِّيانَةِ والأمانَةِ ، وتَجنيباً لِحَمَلَتِها مِن الهلاكِ والمُنافَسَةِ ، بِرَغمِ نَكثِ الجانِبِ الآخَرِ عَهدَ الاتِّفاقِ والتَّآمُرِ على حياةِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِدَسِّ السُّمِّ .

الإمام الحسين الشهيد ذكر الموقف

- موقِفُ الحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ والتزامُهُ السُّكونَ في المدينةِ مِثلَ غَيرِهِ مِن أهلِ البَيتِ حتّى ابتعاثِ أهلِ العِراقِ له بالبَيعَةِ وتحميلِهِ مَسؤُوليَّاتِها وإخراجِهِ مِن أجلِها من المدينةِ إلى ما قضاه اللهُ وقَدَّرَهُ من استشهاده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِكربلاءَ .

موقف الإمام علي زين العابدين

- موقِفُ الإمامِ عليٍّ زينِ العابِدِين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الذي شَهِدَ معركَةَ كربلاءَ وكان الرَّجُلَ الوحيدَ النّاجِيَ من المعركَةِ ، واتخاذُهُ فيما بعدُ طريقَ السَّلامَةِ والالتزامَ بِمَنهَجِ النَّمَطِ الأوسَطِ ، والاعتناءَ في إقامَةِ مَنهَجِ النُّبُوَّةِ دون المُطالَبَةِ بالقَرارِ أو الاقتتالِ من أجلِهِ أو الوَصِيَّةِ بذلك .

التصوف ناتج عن مواقف أهل البيت

وقد تفرَّعَ عن هذا الموقِفِ مَنهَجُ الزُّهدِ المعروفُ بالتَّصَوُّفِ وانتشرَ بعد ذلك في صورتِهِ المُعتَدِلَةِ كَنموذَجٍ مِن نماذِجِ السَّلامَةِ لِكُلِّ من اتَّبَعَ رِجالَ النَّمَطِ الأوسَطِ . سَلَكَ هذا المَسلَكَ الذي سَلَكَهُ هؤلاءِ الأئمَّةُ أغلَبُ مَن جاء مِن بعدِهم مِن آلِ البَيتِ الكِرامِ وأتباعِهِم وتلاميذِهِم ومَن أخذَ عنهم، وهم قَومٌ كُثرٌ ، ولم يخرُج عن هذه القاعِدَةِ إلا أفرادٌ ، وكان خروجُهم لاجتهادٍ يتلاءَمُ مع أزمِنَتِهِم ومَن فيها ولم يستَقِم لِأَحَدٍ منهم أَمرٌ ، بل قُتِلوا واستُشهِدوا في سبيلِ اللهِ، ولا يُطعَنُ في مَواقِفِهِم

لا يحق لمن بعدهم أن يتخذوا اجتهادهم قدوة لإثارة الصراع إلا بشروط

ولا في خُروجِهم ، بل هي مواقِفُ استفادَ منها رِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ خِلالَ مرحَلَةِ المُلْكِ العَضوضِ وثَبَتَتْ بها مَواقِفُ السَّلامَةِ ، ولا يَحِقُّ لِأَحَدٍ مِن بعدهم أن يَتَّخِذَها قُدوَةً للخُروجِ وإثارَةِ الصِّراع ، ويُؤَيِّدُ هذا المعنى ما أورده الإمام القرطبي في تفسيره قال رسولُ الله ﷺ : «**يَكُونُ بَينَ نَاسٍ مِن أصحَابِي فتنةٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُم بِصُحبَتِهِم إيايَ ، يَستَنُّ بِهِم فِيها نَاسٌ بَعدَهُم يُدخِلُهُمُ اللهُ بِهَا النَّارَ**»[1].

(١) «تفسير القرطبي» (٧: ٣٩١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١: ١١٠٦).

عُلَماءُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتُ السّاعَةِ

علماء فقه التحولات

تُشيرُ النُّصوصُ الوارِدَةُ في كُتُبِ الحديثِ إلى اخْتِصَاصِ بعضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم في شأنِ هذا العِلمِ كالإمام عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ وحُذَيفَةَ بنِ اليمانِ وأبي هُريرَةَ وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ وغيرِهم[1]، كما تميَّزَ هذا العِلمُ المبثوثُ في أحاديثِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن علاماتِ السّاعَةِ بمواقِفَ مُتَنَوِّعَةٍ ساعةَ إبلاغِهِ للأشراطِ والعلاماتِ، فمِنها ما تحدَّث عنه مرَّةً أو مَرَّتَينِ، ومنها ما ذكرَهُ في يومٍ واحِدٍ، وإلى ذلك يُشيرُ حديث حُذيفَةَ بن اليمانِ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» من قوله: «قام فينا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مقاماً ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيامِ السّاعة إلا حدّث به، حَفِظَهُ مَن حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَن نَسِيَ»[2]. وحديثُ عمرِو بنِ أخطَبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: (صلَّى بنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الفجرَ وصعد المِنبرَ، فخطَبَنا حتى حضرت الظُّهرُ، ثم نزل فصلَّى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصرُ ثم نزل فصلَّى ثم صعد

أحاديث العلم بالساعة

(١) وهذا لا يعني أن غيرهم لم يسمعوا الحديث وإنما كانوا هم أكثر حفظاً وسؤالًا عن العلامات، كما في قول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنهُ في ما أخرجه مسلم في الفتن وغيره قال: «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي أن يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يعد الفتن: «**منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف التي يكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري**» رواه مسلم (٢٨٩١)، وفي رواية أخرى قال: ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك مما علمنيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قالوا: بأعيانها؟ قال: وأشباهها، يعرفها الفقهاء ـ أو قال: العلماء ـ إنكم كنتم تسألون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الخير وأسأله عن الشر، وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون) «الفتن لنعيم بن حماد» (١٦) «إتحاف الجماعة» للتويجري (١: ١٥) وعزاه لنعيم بن حماد في «الفتن» وقد سبق تخريجه في مطلع الكتاب.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) و«صحيح ابن حبان» (٦٦٣٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٩٩).

فخطبنا حتى غربت الشمسُ فأخبَرَنا بما كان وبما هو كائِنٌ فأعلَمُنا أحفَظُنا)[١] .

وروى أبو يعلى عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «لقد تَرَكَنا رَسولُ اللهِ ﷺ وما في السَّماءِ طَيرٌ يطيرُ بِجَناحَيهِ إلا ذكر لنا منه عِلماً»[٢].

الصمت المطبق عن علامات الساعة وما ترتب على ذلك

ولعلَّ صَمتَ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومَن بعدهم عن الإفصاحِ التَّامِّ جَعَلَ العُلماءَ مِن بعدِهم يسكُتُون عن تفصيلِ هذا العِلمِ وإشاعَتِهِ حتى صار غريباً على الأذهانِ وغريباً حتّى بين أهلِ العِلمِ ، وهذا ما يُفسِّرُهُ حديثٌ رواه مسلمٌ عن أبي هريرةَ من قولِهِ ﷺ : «**بدأَ الإسلامُ غريباً وسيعودُ كما بدأ غريباً فطوبى للغُرَباءِ**»[٣] وفي روايةٍ : «**بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي**»[٤].

بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ

ولو تأمَّلنا هذا الحديثَ ورَبَطناهُ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ لوَجَدنا أنَّ الدِّينَ بأركانِهِ الأربَعَةِ بدأ غريباً، وحتى عند إعادَتِهِ ورَبطِهِ بِمَوقِعِه مِن رُباعِيَّةِ الأركانِ سَيَظَلُّ غريباً كما بدأ، وفي هذا يقولُ ﷺ ـ لِأَهَمِّيَّةِ إبرازِ هذا العِلمِ : «**فطوبى للغُرَباءِ الذين يُحيُون**»[٥]، أي : يُعيدون شَرَفَ رُباعِيَّةِ الأركانِ التي أماتها النَّاسُ من سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ ، وهذا التعليلُ خاصٌّ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ فقط ، حيثُ إنَّ كثيراً من العُلَماءِ قد فَسَّروا غُربَةَ الدِّين بِمَعانٍ أخرى ، ولا خلافَ على ذلك .

وقد اجتهد عُلَماءُ المسلمين في خِدمَةِ هذا العِلمِ مُنفَرِداً عن الأركانِ الثَّلاثةِ، ومِن

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩٢) وقد تقدم ص ١٠٠.

(٢) «مسند أبي يعلى» (٥١٠٩) و«المعجم الكبير» للطبراني (١٦٤٧) و«مسند أحمد» (٢١٣٦١) و«إتحاف الجماعة» للتويجري (١ : ١٨) .

(٣) «صحيح مسلم» (١٤٥) .

(٤) «سنن الترمذي» (٢٦٣٠) ، وفي «مسند أحمد» : «**طوبى للغرباء**»، فقيل : من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**أناسٌ صالحون في أناسِ سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**» .

(٥) «مسند الشهاب» القضاعي (١٠٥٢) (١٠٥٣) ، و«شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (١ : ٢٣) و«إتحاف الجماعة» للتويجري (١ : ٣٣٦) (٢ : ٦٥) وآخره : «**الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله**» .

ذلك ما جَمَعَهُ صاحب كتابِ «السُّـنَنِ الوارِدَةِ في الفِتَنِ» أبوعمرو عثمانُ بن سعيدٍ المُقـرئُ الدّانِيُّ ، وقـد افتتحَ كتابَهُ بالمُقَدِّمَةِ فقال فيها : مَعشَـرَ إخوانِنا المسـلمين جَعَلَنـا الله وإيَّاكم على النِّعَمِ شـاكرين وعند البَلوى والمِحَـنِ صابرين ، فقد ظهر في وقتِنا وفشـا في زَمَنِنا من الفِتَنِ وتغييرِ الأحوالِ وفسادِ الدِّين واختلافِ القُلوبِ وإحيـاءِ البِدَعِ وإماتَةِ السُّـنَنِ مـا دَلَّ على انقراضِ الدُّنيا وزوالِها ، ومَجيءِ السّـاعَةِ واقترابِها ، إذ كُلُّ ما قد تواتر من ذلك وتتابَعَ وانتشَرَ، وفشا وظهَرَ ، قد أعلَمَنا به نَبِيُّنا ﷺ وخوَّفَناهُ وسَمِعَهُ منه صحابَتُه رضوان الله عليهم ، وأدَّاهُ عنهم التَّابعون رحمةُ الله عليهم ، ونقلَهُ أَئِمَّتُنا إلينا عن أسـلافِهم ، ورَوَوهُ لنا عن أوَّليهم ، وقد بَعَثَني ما أخذَهُ اللهُ عَزَّ وجلَّ من الميثاقِ والعَهدِ على أهلِ العِلمِ والرِّوايةِ في نَشـرِ ما عَلِموه وأداءِ ما سَـمِعُوه أن أجمَعَ في هذا الكتابِ جُملَةً كافِيَةً من السُّـنَنِ الوارِدَةِ في الفِتَنِ وغوائِلِها والأزمِنَةِ وفسـادِها والسّاعَةِ وأشـراطِها لكي يَتَأدَّبَ بها المؤمِنُ العاقِلُ ، ويأخُذَ نَفسَهُ بِرِعايَتِها ويُجهِدَها في استعمالِها والتَّمَسُّكِ بها، ويتبيَّنَ له بذلك عظيمُ ما حَلَّ بالإسـلامِ وأهلِهِ من سَـفكِ الدِّماءِ ونَهبِ الأموالِ واستباحة (الحُرَم) وغيرِ ذلك ممّا يُذهِبُ الدِّين ويُضعِفُ الإيمانَ ، فيُعمِلُ نفسَـهُ في إصلاحِ شـأنِهِ خَوفاً منه على فسادِ دينِهِ وذهابِهِ ، وما توفيقُنا إلا باللهِ عليه نتوَكَّلُ وهو حسبُنا وإليه نُنيبُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

مقدمة الداني صاحب كتاب «السنن الواردة في الفتن» المتوفي عام ٤٤٤هـ في القرن الرابع الهجري

وكتـب الشَّـيخُ العلاّمَـةُ محمَّدُ بنُ رَسـولٍ البَرزَنجِيُّ الحُسَـينيُّ فـي مُقَدِّمَةِ كتابه «الإشـاعة» قَولَه (ص٢٦) : ولما كانت الدُّنيا لم تُخلَق للبَقاءِ ولـم تَكُن دارَ إقامَةٍ ، وإنما هي مَنزِلٌ من منازِلِ الآخِرَةِ جُعِلَت للتَّزَوُّدِ منها إلى الآخِرَةِ ، والتَّهَيُّئِ للعَرضِ على اللهِ ولِقائِهِ ، وقد آذَنَت بالانصِرامِ ووَلَّت ، لذا كان حَقّاً على كُلِّ عالِمٍ أن يُشيعَ أشراطَها ويَبُثَّ الأحاديثَ والأخبارَ الوارِدَةَ فيها بين الأنامِ ويَسرُدَها مَرَّةً بعد أخرى على العَوَامِّ فعسى أن يَنتَهوا عن بعضِ الذُّنوبِ وتَلينَ منهم بعضُ القُلوبِ ويَنتَبِهوا من سِنَةِ الغَفلَةِ ويَغتَنِموا المُهلَةَ قبل الوَهلَةِ .

مقدمة البرزنجي لكتابه «الإشاعة»

فدعاني ذلك إلى أن أبسُطَ فيها القَولَ بَعضَ البَسطِ ولو أدَّى إلى التَّكرارِ لا كَمَن

جَمَعَ فيها أوراقاً على سبيلِ الاختصارِ، تبصِرَةً لأهلِ الاغترارِ وتذكِرَةً لأولي الأبصارِ، ووَسيلةً إلى رِضى الجَبَّارِ، وذَريعَةً إلى دار القَرارِ. واللهَ أسأَلُ أن يُخلِصَ نِيَّتي ويُحسِنَ طَوِيَّتي فإنَّما الأعمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لُكِلِّ امرئٍ ما نوى، وأن ينفَعَ به عامَّة المؤمنين، وأن يغفِرَ لي ولآبائي ولإخواني ولأولادي دِيناً ودُنيا أجمعين آمين.

وكتبَ الشَّيخُ العلَّامَةُ المُجتَهِدُ الحافِظُ أبوالفَيضِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُمارِيُّ الحَسَنِيُّ ص٢ في مُقَدِّمَةِ كتابه «مُطابَقَةِ الاختراعاتِ العَصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ»:

أما بعدُ، فإنَّ عِلمَ النَّبيِّ ﷺ بالغَيبِ وإطلاعَ اللهِ تعالى إيَّاهُ على ما كانَ وما يكونُ إلى قِيامِ السّاعَةِ وإلى أن يَصيرَ الفريقانِ إلى منازِلِهم من الجَنَّةِ أو النَّار، بل وما بعد ذلك إلى ما لا نِهايَةَ له من الأزمانِ؛ معلومٌ بالضَّرورَةِ لأهلِ العِلمِ والإيمانِ، مقطوعٌ به عِندَ المعرِفَةِ والإيقانِ، لا يختَلِفُ في ذلك منهم اثنانِ، ولا يَشُكُّ فيه منهم رَجُلانِ، لِتَظافُرِ الأَدِلَّةِ بذلك، وتكاثُرِ البراهينِ على ما هنالك، ويكفي قولُ الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] مع الإجماعِ المُتيَقَّنِ المقطوع به على أنَّ أفضلَ المُرتَضَينَ منهم وسيِّدَهم على الإطلاقِ هو سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ بدون نِزاعٍ ولا شِقاقٍ، فهو أفضَلُ مَن أظهَرَهُ اللهُ على غَيبِهِ بإخبارِ اللهِ تعالى ثُمَّ بإخبارِهِ هو ﷺ أنَّ اللهَ تعالى أطلَعَهُ على كُلِّ شيءٍ وآتاهُ عِلمَ كُلِّ شَيءٍ، وجَلَّى له كُلَّ شَيءٍ، وتجلَّى له فَعَلِمَ ما بين السَّماواتِ والأرضِ وما كان وما هو كائنٌ إلى غير ذلك مِمَّا صَحَّت به الأخبارُ، وتواترت بِمَجموعِهِ الأحاديثُ والآثارُ، وأَيَّدَهُ الواقِعُ وصَدَّقَه العَيانُ، في وُقوعِ كُلِّ ما أخبرَ به ﷺ مِمَّا سيأتي بعدَهُ وَفقَ ما قال وطِبقَ ما أخبر به على مَرِّ السِّنينِ والأعوامِ وكَرِّ الدُّهورِ والأزمانِ، وقد قام ﷺ خطيباً فأخبرَ أصحابَهُ بِكُلِّ ما هو كائنٌ كما صَحَّ عن طريقِ جماعَةٍ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم كَعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وحُذيفَةَ بنِ اليمانِ وأبي زيدٍ الأنصارِيِّ وأبي سعيدٍ الخُدرِيِّ وابن مسعودٍ وغيرهم.

ثم قال ص٣: **فصلٌ** ، ولهذا قال أبو ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لقد تركَنا رسولُ اللهِ ﷺ وما يحرِّكُ طائرٌ بِجَناحَيهِ في السَّماءِ إلا ذكر لنا منه عِلماً . رواه أحمدُ وابنُ سعدٍ في الطَّبقاتِ ، وكذلك قال أبو الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما رواه عنه أبو يعلى والطَّبرانيُّ في الكبير .

والمقصودُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر أصحابَهُ بكُلِّ ما هو كائنٌ بعده مما أطلَعَهُ الله عليه ، وحدَّث بذلك أصحابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم وظهر مِصداقُ كُلِّ ما أخبر به مِمَّا سيأتي بعده إلى يومِنا هذا .

فأما ما ظهر في القُرونِ الماضِيَةِ فتكفَّلَ بِذِكرِهِ جماعَةٌ مِمَّن أَلَّفوا في سِيرَتِهِ وفضائِلِهِ ومُعجِزاتِهِ وخصائِصِه ﷺ ، وبَيَّنوا ذلك وشَرَحوه وعَيَّنوه وحَقَّقوه .

وأما ما وقع في زمانِنا هذا من انقلابِ الأحوالِ وتَغَيُّرِها وفسادِ الأخلاقِ وتَبَدُّلِها وما ظهر من الأُمورِ العظيمةِ والحوادثِ الجسيمَةِ والمختَرعاتِ العجيبةِ فلم أَرَ أحداً تَصَدَّى لجمعِهِ واستخراجِ ما يَنُصُّ أو يُشيرُ من الآياتِ القرآنيَّةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ إليه ، وإن كان جُلُّ ذلك مذكوراً في كُتُبِ أشراطِ السّاعَةِ وأبوابِها من دَواوينِ السُّنَّةِ ؛ لكنَّها مسرودَةٌ سَرداً لا يهتدي غالِبُ النَّاسِ مَعَهُ إلى تطبيقِها على ما وردت فيه ، ولا تنزيلِها على ما أُشيرَ بها إليه .

فإنَّه ﷺ أخبر بذلك مَرَّةً بِطريقٍ صريح ، وأخرى على جِهَةِ التَّشبيهِ والتَّمثيلِ والإشارَةِ والتَّلويح ، حسبما يقتضيه المقامُ ويفهَمُهُ أهلُ كُلِّ زمانٍ ، لأنَّه ﷺ أوتي جوامِعَ الكَلِمِ واختُصِرَ له الكلامُ اختِصاراً .

ولذلك خاض العُلماءُ في تفسيرِ تلك الأحاديثِ وشَرَحُوهَا بِحَسَبِ ما أدركَتهُ عُقولُهم ووصلت إليه أفهامُهم ، وحملها أهلُ كُلِّ زمانٍ على ما قد كان في زمانِهم وطبَّقوها على ما ظهر فيه من الحوادثِ والتَّغيُّراتِ والأحوالِ المُبتَدَعات ، وهي وإن كان فيها ما هو صالحٌ لذلك إلا أنَّ أكثرَها في الحقيقةِ واردٌ في هذا الزمانِ ، فهو في أحوالِه وحوادثِه كالنَّصِّ ، وفيما ذكروه كالظَّاهِرِ والمُؤَوَّلِ ، بل فيها ما هو نَصٌّ قاطِعٌ في حوادثِ زمانِنا لا يقبَلُ حملَهم ولا يحتَمِلُ التَّأويلَ .

فصلٌ : وهذا جُزءٌ ذكرتُ فيه ما وقع لي من الأحاديثِ التي أشار بها ﷺ إلى

حـالِ هذا الزَّمـانِ وأهلِهِ وما ظهـرَ من الأُمورِ العظيمـةِ والمُختَرَعـاتِ العجيبةِ فيه وذلك على حَسَـبِ ما بَلَغَهُ عِلمي ووصل إليه إدراكي وفَهمي ، وقد يفتَحُ اللهُ على غيري بما هو أوسَعُ من ذلك ، وأَدُلُّ على ما هنالك. وسمَّيتُهُ «مطابَقَةَ الاختراعاتِ العصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ» .

ما هو سَبَبُ سكوتُ العُلَماءِ عن الإفصاحِ الواضِحِ لِعلاماتِ السّاعةِ كرُكنٍ من أركانِ الدِّينِ؟

سبب سكوت العلماء عن الإفصاح بالعلامات

كان الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم على عِلمٍ واسِعٍ بهذا الرُّكنِ الخطيرِ من حيثُ أحداثُهُ وشُخوصُهُ، ولكنَّهم كانوا يكتُمون سِرَّهُ وخَبَرَهُ عن العامَّةِ والدَّهماءِ، لما يترتَّبُ على نَشرِهِ في العُصورِ الأولى مِن كَشفٍ عن الأحداثِ المُعاصِرَةِ ورجالِها، ممّا قد يُؤَدِّي إلى دِمارٍ مُحقَّقٍ عند الإفصاحِ، وفي هذا الشَّأنِ يقولُ أبو هريرةَ في ما رواه في الصَّحيح: «حَفِظتُ من رسولِ اللهِ ﷺ وِعاءَينِ، فأمّا أحدُهما فَبَثَثتُهُ، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثتُهُ قُطِعَ هذا البُلعومُ»[1]، وفي «معرِفَةِ الصَّحابَةِ» لأبي نُعَيمٍ الأصبهانِيِّ[2] بلفظ: «حَفِظتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ خمسَ جُرَبٍ، فأخرجتُ منها جِرابَينِ، ولو أخرجتُ الثّالِثَ لرَجَمتُموني بالحِجارَةِ».

وفُهِمَ من هذا ومن غَيرِهِ أنَّ المقصود بهذا الكِتمانِ هو ما يَتعلَّقُ في أهمِّ مَعَانِيهِ بِعلامَاتِ السّاعةِ أو ما عُرِفَ بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ، ويُؤَيِّدُ هذا المَعنى ما قاله أبو هريرةَ مِن روايةِ الإسماعيليِّ في قولِهِ: (وكأنَّ أباهريرةَ يعرِفُ أسماءَهُم (من بني فُلانٍ وفُلانٍ) وكان ذلك من الجِرابِ الذي لم يُحدِّث به)[3].

ولما جاء عَصرُ التَّدوينِ، ووضع العُلماءُ قواعِدَ الأُصولِ سكتوا عمّا سكت عنه بعضُ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم لِبَقاءِ المحاذيرِ التي أشار إليها حديثُ أبي هريرةَ وغيرُهُ في ذلك العَصرِ، واكتَفَوا بِتَدوينِ معلوماتِهِ في الصِّحاحِ والسُّنَنِ والمسانيدِ وذكرِهِ عَرَضاً في سَردِهم للعلاماتِ عند ذِكرِ مواقِعِ أخبارِها في مبسوطِ فِقهِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ.

---

(١) «صحيح البخاري» (١٢٠).

(٢) «معرفة الصحابة» (٤٧٥٣).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١٣: ٦٢).

مقولة للإمام الشاطبي حول جديد العلم

واعتبَرَهُ بعضُ عُلماءِ الأُصولِ من شَاذِّ العِلمِ لِسُكوتِ العُلَماءِ عن إظهارِهِ رُكناً من أركانِ الدِّين ، حتَّى قال الشّاطِبيُّ رحمه الله : (قَلَّما تَقَعُ المُخالَفَةُ لِعَمَلِ المُتَقَدِّمين إلا مِمَّن أدخَلَ نفسَهُ في أهلِ الاجتهادِ غَلَطاً أو مُغالَطَةً)[1]، وأُثِرَ عن الإمامِ عَليِّ بنِ الحُسَينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُهُ : (ليس العِلمُ ما لايُعرَفُ من العِلمِ ، إنَّما العِلمُ ما عُرِفَ وتواطأت عليه الألسُنُ) ، وقال بعضُهم : والانفِرادُ عن أهلِ العِلمِ برَأيٍ في الشَّرعِ والقولُ بما لم يَقُل به أَحَدٌ فيه يُنبِئانِ عن خَلَلٍ في العَقلِ)[2] ، ومثلُ هذه الأقوالِ من رِجالِ العِلمِ وتشدُّدِهم في هذا الأمرِ حَجَبَ الكلامَ في أمرِ السّاعةِ وإلحاقِها بالأركانِ ـ كما نَعتَقِدُ والله أعلَمُ ـ مع أنَّ القَولَ برُكنِيَّةِ علامات السّاعةِ وإلحاقِها بالموضوعِ لا علاقَةَ له بما ذَكَرَهُ أهلُ العِلمِ من عباراتِ التَّرهيبِ ، وإنَّما علاقَتُهُ بقولِ مَن لا ينطِقُ عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أتاكم جِبريلُ يُعَلِّمُكم دينكم**» وبكتمانِهِ يُؤثَمُ العالِمُ بعد أن ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تقريرُهُ وتأكيدُهُ ، أما فِقهُ عِلمِ السّاعةِ فقد تناولَتهُ كافَّةُ كُتُبِ الحديثِ ومنها صحيحُ البخاريِّ الذي بَوَّب لأركانِ الدِّينِ وكتب في تبويبه : (والسّاعةُ جُزءٌ من الدِّينِ).

ركنية فقه التحولات مقولة عمن لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وليس اجتهاد العلماء

وتناولَ العَديدُ من العُلَماءِ هذا الفِقهَ في مُؤلَّفاتٍ عامَّةٍ أو خاصَّةٍ كمادَّةٍ عِلمِيَّةٍ شَرعِيَّةٍ ذاتِ ارتباطٍ بالقيامةِ والآخِرَةِ فقط، حتى صار لدى بعضِ المُتأخِّرين ـ في فَترةٍ زَمَنيَّةٍ ـ قدحُ المُتكلِّمِ في علاماتِ السّاعةِ واتِّهامُهُ بالجَهلِ أو الإثارَةِ للمُسلِمين ، وخاصَّةً عندما يُخاضُ في أخبارِ الإمامِ المُنتَظَرِ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والدَّجّالِ وغيرِها ..

وعمَّ الجَهلُ بهذا الرُّكنِ ومعلوماتِهِ حتى صار غريباً ومجهولاً ، بل صار في بعضِ بلادِ العَرَبِ والمسلمينَ عِلماً ممنوعاً نشرُهُ على المنابِرِ والمؤلَّفاتِ ، نتيجةَ الجَهلِ به أوّلاً ، ثُمَّ عَدَمُ خِدمَتِهِ خِدمَةً تتناسَبُ مع المراحِلِ وتقلُّباتها ، ثُمَّ لاشتمالِهِ على بعضِ أحوالِ المُفسدين في الأرضِ من الحُكّامِ والعُلماءِ والظَّلَمَةِ ومَن له نُفوذٌ في الواقِعِ ، فسادَ بذلك الصَّمتُ والسُّكونُ عن ذِكرِهِ كما قال أبو

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (٣: ٢٨٦) .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٦) .

هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لـو بثثتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هذا الحُلقـوم» ، وأمَّا إظهارُنا له بعد أن تهيَّأَ لنا بِفَضلِ اللهِ فَهمُ موقِعِه من الأركانِ فلا يدخُلُ تحت مُخالَفَةِ مَن سَـبَقَ ولا مُعارَضَةِ أهلِ الأُصولِ والحديثِ ، وإنما هو إتمامٌ وإكمالٌ لما هم وأتباعُهُم وتلامِذَتُهم في حاجَتِـه قبل غَيرِهم مـن عوامِّ النَّاسِ ، وتجديدٌ واعٍ لقولِ الإمامِ عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنِّي فقأتُ عَينَ الفِتنَةِ»[1].

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٣٤) ، «السنن الكبرى» للنسائي (٨٥٢١) .

سَلامَةُ الأُمَّةِ قَضِيَّةٌ مَرْهُونَةٌ بِدِرَاسَتِنَا الوَاعِيَةِ لِلرُّكْنِ الرَّابِعِ

لكلِّ أُمَّةٍ قَضِيَّةٌ، ولكلِّ جيلٍ وظائفُ، وبمقدارِ تربيةِ الجيلِ على وظائفِهِ المنبثقةِ من شرفِ القضايا يَسْطَعُ التفاؤلُ في فمِ الزمان المبتسمِ. ومن قضايانا المصيريةِ معرفةُ هُوِيَّتِنَا التاريخيةِ مربوطةً برباطِ الديانةِ الإسلاميةِ. فالقوميةُ العربيةُ والقبَلِيةُ والأسرةُ ليستْ رابطَنا العالميَّ وهويتَنا الشرعيةَ، وإنما هي الحدُّ الأدنى من لغةِ التعارفِ. أما الهويةُ التي صَنَعَها الإسلامُ لنا ودعانا إلى تَبَنِّيهَا وإشاعةِ خَبَرِهَا وأثرِها إنما هي (الديانةُ الإسلاميةُ).. تِلكُمُ الديانةُ التي رَضِيهَا لنا رَبُّنَا وَدَعَانَا إليها بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فكيفَ ضاعتْ هذه الهويةُ العالميةُ وبقيتْ لنا جزئياتُ التعريفاتِ والتعارف؟

إِنَّهَا (غُرْبَةُ الدِّينِ)، وغربةُ الدِّين فينا متنوعةٌ ومتعددةٌ، ومن أهمِّها وأعظمِها:

❁ فُقْدَانُ القَرَارِ

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٦-٢٧]، **«لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً كُلَّمَا انتقضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بالَّتِي تَلِيهَا، أَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»**[1].

لَقَدْ فَقَدَتِ الأمةُ قرارَها العالميَّ فتحوَّلتِ "**الكلمةُ الطيبةُ**" إلى "**كلمةٍ خبيثةٍ**".. ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، ولعلَّ كثيراً من أشباهِنا وأمثالِنا لا يَرَوْنَ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠)، وكتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٧٦٤) و«صحيح ابن حبان» (٦٧١٥).

مـا نَراهُ ولا يرغبونَ في صُوَرِ التشـاؤمِ التي نتناولُها عن الأمـةِ وعن الكلمةِ الطيبةِ، إذ إِنَّهُـمْ يَرَوْنَ الأمورَ لا تتجاوزُ المألوفَ والناسَ بخيـرٍ والحياةَ جميلةً ومتفائلةً.. فلماذا هذا التحليلُ الغريبُ المريبُ؟

والتحليلُ الغريبُ المريبُ عندهم راجعٌ وعائدٌ إلى فقدانِ قراءتِهم للركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ، ولو قرؤُوه كما قرأه رسولُ الله ﷺ وكما قَالَهُ وَأَثْبَتَهُ وكما آمَنَ به صدورُ الصحابةِ وأئمةِ آلِ البيتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لَعَرفُوا سرَّ قوله ﷺ: «**وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ**»[1]؛ لأنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ عَلِمَ مـا لم يَعْلَمْهُ غيرُه، وصحابتُـه وأهـلُ بيتِه علموا مـن عِلْمِهِ ما رَفَعَ لديهمْ مسـتوى الاسـتعدادِ واليقظةِ فعاشـوا فـي قلق وراحة به، حتـى هانتِ الدنيا وما عليها، أمـا قضيتُهم المصيريةُ: وحدةُ القرارِ.. وسرُّ الاستقرارِ.. وضمانُ الاستمرارِ..

وبفقدانِ القرارِ ذهب الاسـتقرارُ، وتعذَّر الاسـتمررُ، وجاء أمر الله.. ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[النحل:١].. ولسـنا في معرِضِ محاكمـةِ المراحلِ وإدانةِ الأفرادِ، وإنما نحن في تقريرِ الحالِ وتشخيصِ الحالةِ.. فلعل وعسى.

فُقْدَانُ الهُوِيَّةِ

وبفقـدانِ القـرارِ العالميِّ ظلـتِ القوميةُ والقبليـةُ والعصبيةُ والطائفيـةُ والعائليةُ تعبثُ بالاستقرارِ وتدمِّرُ أبنيَتَه وتحرقُ أشجارَه وأفكارَه.. ومَن خَلْفَهَا؟.. الشيطانُ والعقـلُ الكافـرُ الممسـوخُ، حتى أُصيـبَ حَمَلَـةُ قَرَارَي الحكـمِ المُجـزَّأِ والعلمِ المقبـوضِ بِـداءِ الأمـمِ، ومِـن داءِ الأمـمِ فُقـدانُ الهُوِيَّـاتِ، والاعتـدادُ بالذواتِ والهيئـاتِ والمؤسسـاتِ والجماعـاتِ والجمعيـاتِ.. ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ

(١) «سنن الترمذي» (٢٣١٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣٨٨٣) (٦٢٧٨) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[الحشر:١٩] .

واستأسدَ العدوُّ المجتمع ، ونال من القرارِ والهويةِ ، وامتلكَ عواملَ الإعادةِ والترتيبِ، فأعاد الصياغةَ الدجَّاليةَ للقرارِ ، وحقَّقَ معنىً من معاني مظاهرِ الاستقرارِ ، وكسب جولةَ الاستمرار ، حتى تمكنَ من صنعِ قوالبِ الهيشاتِ ومطموسي القرارِ والهُويَّاتِ ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾[الروم:٧].

ففَصَلَ التعليمَ عن التربيةِ ، والدعوةَ عن الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ، والتصوفَ عن المذهبيةِ ، والمذهبيةَ عن الإسلام ، وسادَ برنامجُ الشَّكِّ والظنِّ بالإثم .. حتى غدا المسلمُ عدوَّ المسلم بعد أنْ كانَ «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[1].

فُقْدَانُ الكَرَامَةِ

يقولُ المثلُ المعرَّبُ : (الشَّرَفُ شَمْعَدَانٌ تَكْسِرُهُ الحَاجَةُ) ، والشرفُ هو الكرامةُ ، وهو العزةُ، والعزةُ: غَيْرَةٌ شرعيةٌ على الحقِّ ومُقَوِّمَاتِهِ.. وبالعزةِ والكرامةِ فُتحَ العالمُ الإنسانيُّ بأيدي الحفاةِ العراةِ بسطاءِ الأمةِ .. الذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكرات. وفُقِدتِ العزةُ والكرامةُ بأيدي الحفاةِ العراةِ العالةِ رعاءِ الشاءِ يتطاولون في البنيانِ .. تَطَاوُلاً في المادياتِ والمظاهرِ الزائفةِ مع فشلٍ ذريعٍ في العزةِ والكرامةِ والهويةِ والقرارِ . وتعظيمٌ لما لا يستحقُّ التعظيمَ أَوْرَثَنا خدمةً مَن لا يستحقُّ الخدمةَ، فتحولَ المجتمعُ إلى عبوديةٍ مقنَّعةٍ ومجتمعِ خدماتٍ.. «**يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ**»[2].

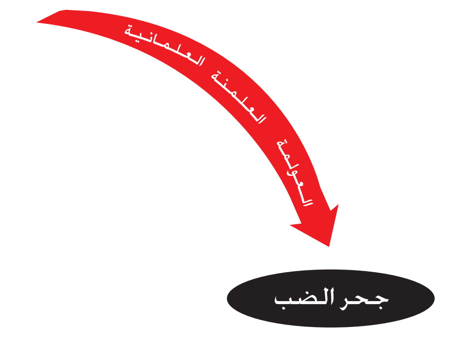
---

(١) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤) .

(٢) «مسند أحمد» (٩٠٧٣) .

وبِضَيَاعِ الكرامةِ من الأمـةِ وهي جزءٌ من (الأمانةِ) اسـتبدل الجاهلونَ كرامتَهم باسـتتباعِ سُننِ اليهودِ والنصارى، وعزَّزُوا حالَ المهانةِ بابتداعِ الصراعِ الاعتقاديّ عنـد قـومٍ، والصراعِ المذهبيِّ عنـد قومٍ، والصـراعِ الطائفيِّ عند قـومٍ، والصراعِ الطَّبَقِـيِّ عند قومٍ، والصراعِ الاقتصاديِّ لدى قومٍ، والصراعِ السياسـيِّ لدى قومٍ، وهلمَّ جرّاً..

وحقّقَ الجميعُ من المُوَحِّدِين قولاً والفرقاءِ حالاً وصفةً وعقيدةً ومواقفَ مطلبَ الشـيطانِ وسياسةَ الدجالِ.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وحلَّ بهم ما حلَّ بالأممِ السابقة «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**»[١].



فُقْدَانُ الأَجْيَالِ

وكَبُـرَ الجيلُ تلـوَ الجيلِ تحت ظلِّ التنافسـاتِ الإعلاميةِ والشـهواتِ الأفلاميةِ والمغالطاتِ الأقلاميةِ، لينفصمَ تماماً عن كلِّ شيءٍ يَمُتُّ إلى أمةِ الأخلاقِ والقِيَمِ بِصِلَةٍ، ويصيرَ المنكرُ معروفاً والمعروفَ منكراً.. وصار أسعدُ الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكَعٍ.

واحتشـدَ الأبنـاءُ والبناتُ تحت مظلـةِ الأغـلاطِ والاختلاطِ، ليسـتثمروا القلقَ والإحبـاطَ، عِلماً وتعلمـاً وإعلاماً وثقافةً واقتصاداً وحيـاةً اجتماعيةً، فَرِحِينَ بما

(١) «صحيـح البخـاري» (٣٤٥٦) بلفـظ: «**لـو سـلكوا... لسـلكتموه**» و«المسـتدرك علـى الصحيحين» (١٠٦) بهذا اللفظ.

لا ينبغـي الفـرحُ به ، مسـتنكفينَ عمـا لا يصحُّ الاسـتنكافُ عنه ، مندفعيـن إلى ما يَهْتِكُ الشـرفَ والفضيلةَ ويحرقُ الزهراتِ الجميلةِ .. إنه سوقُ العرضِ والطلبِ ، المتدرجُ من العلمانيةِ إلى العلمنةِ إلى العولمةِ ، على الطريقِ الإجباريِّ أو الاتجاهِ الإجباريِّ المشار إليه (إِلَىٰ جُحْرِ الضَّبِّ) .

الفرقُ بين السّاعةِ وعلاماتِها

الفرق بين الساعة وعلاماتها

جاء في حديثِ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي رواهُ سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُجيباً على جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سألَهُ: أخبرني عن السّاعةِ، قال: «**ما المسؤولُ عنها بِأعلمَ مِن السّائلِ**». وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَهِمَ من سُؤالِ جبريلَ ما يتعلَّقُ باليومِ الآخِرِ، وهو النَّفْخُ في الصُّورِ وما بعدَهُ، فكان جوابُهُ أنَّ هذا الأمرَ لا يعلَمُهُ إلا اللهُ، فسألَه جِبريلُ مرَّةً أخرى عن الأمرِ المقصودِ من السُّؤالِ وهو ما يتعلَّقُ بتحوُّلاتِ ما قبلَ اليومِ الآخِرِ حيثُ قال: أخبرني عن أماراتِها؟ فأجابَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه الجُزئيَّةِ بِعَلامَتَينِ:

إذا ولدت الأمة ربتها / ربها

- «**أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها أو رَبَّها**»[1].
- «**أن تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البُنيانِ**».

وبهاتَينِ العلامَتَينِ وما دار في معناها تقرَّرَ مفهومُ العِلمِ بما بين يَدَي السّاعةِ من تحوُّلاتٍ وأشراطٍ من جهةٍ، فالعلامةُ الأولى هي ما عَبَّرَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وفي الرِّوايَةِ الأخرى «**رَبَّها**»، ولمعنى هذه العبارةِ كلامٌ وشرحٌ طويلٌ مُفَصَّلٌ يختَصُّ بمفهومِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ، ومُجمَلُهُ:

الأَمَة في فقه التحولات

أنَّ لفظةَ الأمَةِ لفظٌ يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ، ولفظَةُ «**رَبَّتَها**» يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ تمتلِكُ

---

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٥٠) بلفظ: «**إذا ولدت الأمةُ ربَها**»، وباب أم الولد قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**من أشراط الساعة أنه تلد الأمة ربها**». وفي رواية الجمع بين «**ربها**» و«**ربتها**»: «**وإذا رأيت الأمة تلد ربها وربتها فذلك من أشراط الساعة**... الحديث». «السنن الصغرى» للبيهقي (١٠).

السِّيادَةَ والقرارَ سواءً في المنزلِ أو الامتلاكِ للمالِ أو رِئاسَةِ المؤسَّساتِ أو غيرِ ذلك، وفي هذا المعنى إشارَةٌ واضحةٌ إلى أنَّ مفهومَ الحديثِ يُبرِزُ أوَّلَ خطرٍ يظهَرُ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهو ما يتعَلَّقُ بشأنِ المرأةِ والرَّجُلِ وانحرافاتِ التَّربيَةِ والتَّعليم والإعلام الذي يُصيبُ كلا الجنسَينِ في لاحقِ الزَّمانِ حتى تختَلِفَ أساليبُ العِلاقَةِ بين الأُمِّ وابنتِها والأبِ وابنِهِ، ويحصُلَ الصِّراعُ الفِكريُّ والثَّقافِيُّ والاجتماعِيُّ... إلخ بين وعيِ الأبِ والأُمِّ المُرتبطِ بالثَّقافةِ التَّقليدِيَّةِ ووَعيِ الابنِ والبنتِ المُرتَبطَينِ بالثَّقافاتِ الحديثةِ، وفي شَرحِ هذا الحديثِ دَلالَةٌ واضِحَةٌ على أنَّ القصدَ الذي تناولَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ في أَحَدِ معانيه عن أَوَّلياتِ الانحرافِ في الأمَّةِ بانحرافِ المرأةِ، وله ما يُؤَكِّدُهُ من كلامه ﷺ فيما تتشابه فيه الأُمَمُ، فقد ورد في الصَّحيح قولُه ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ فِتنَةٍ كانت في بني إسرائيلَ من النِّساءِ، فاتَّقوا الدُّنيا واتَّقوا النِّساءَ**»[1].

(أن تلد الأمة ربتها) المقصود التغييرات الاجتماعية

وهذا الحديثُ يجمَعُ نَفسَ المفهومِ الذي في حديثِ جبريلَ، فقولُه ﷺ: «**اتَّقوا الدنيا**» يقابلُه في المعنى قولُه ﷺ: «**وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاةِ يتطاولون في البُنيانِ**»[2] كما سيأتي شرحُه.

«واتَّقوا النِّساءَ» يقابلُه قولُه ﷺ في حديث جبريل: «**أن تَلِدَ الأمَةُ ربَّتَها**»، ويندَرِجُ تحت هذا المعنى كافَّةُ الأحاديثِ التي تختَصُّ في الصِّحاحِ والسُّنَنِ والمسانيدِ بالمرأةِ وعلاقَتِها بالعلاماتِ.

معنى «وأن ترى الحفاة.. الحديث»

قولُهُ ﷺ: «**وأن ترى الحُفاةَ**» الحُفاةُ جمعُ حافٍ ـ وهي كنايةٌ عن السَّيرِ بلا نِعالٍ ـ وهي ظاهِرَةٌ معروفةٌ كانت لدى العرب لِفَقرِهم، و«العُراةُ»: الذين لا

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٤٢)، وانظر «إتحاف الجماعة» التويجري (١: ٣٧٧).

(٢) وفي رواية: «**إذا رأيت العالة الحفاة العراة يتطاولون في البناء وكانوا ملوكاً**» قال: **وما الحفاة العراة؟ قال: «العرب»**. رواه البيهقي في «السنن الصغرى» (١٠).

تكتَمِلُ ألبِسَتُهم على أجسادِهم إلا ما يستُرُ العَورَةَ، وهذه إحدى ظواهرِ الزِّيِّ البَدَوِيِّ العربيِّ ، «العالَةُ» الرَّجُلُ الفَقيرُ ، مُشتَقٌّ من (العيلة) في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[التوبة:٢٨] أي : حاجةً وفقراً «رِعاءَ الشَّاءِ» إشارةً إلى ظاهِرَةِ الرَّعيِ التي يُمارِسُها البداوَةُ في صحاريهم، وأنَّ هؤلاءِ الأعرابَ الذين كانوا على هذه الصِّفاتِ تنفَتِحُ لهم أسبابُ الحياةِ والحضارَةِ والتَّطوُّرِ المادِّيِّ، فيتحوَّلُ الأمرُ من الحياةِ البائِسَةِ إلى حياةِ التَّرفِ والمنافسةِ على الدُّنيا والتَّطاوُلِ في البُنيانِ ، وفي مرحلةٍ مُفاجِئَةٍ تربطُ الرَّاعيَ والحافيَ بالحضارَةِ المادِّيَّةِ ومُخرجَاتِها، وفي قولِه ﷺ : «يتطاولون» مَلحَظٌ هامٌّ إلى الجهلِ المُطبِقِ على مُلَّاكِ الأموالِ في آخرِ الزَّمانِ بحيثُ يصرِفون أموالهم في ما لا داعي له ، وانشغالُ هؤلاءِ الحُفاةِ العُراةِ بجَمعِ رُؤوسِ الأموالِ من الحلالِ والحرامِ والشُّبَهِ وصرفِها في الاستثماراتِ والمُنافساتِ والتَّطاوُلِ ، بينما تكونُ حاجةُ الأُمَّةِ للمالِ فيما هو أَهَمُّ من ذلك مثلَ إقامةِ الاقتصادِ الشَّرعِيِّ المُؤَدِّي إلى الاكتفاءِ الذاتيِّ في الشُّعوبِ، وإلى صرفِ الأموالِ في الدِّفاعِ المُشتَرَكِ عن قضايا الأُمَّةِ، واستغلالِ عائداتِ الثَّرَواتِ في بناءِ التَّكافُلِ الاجتماعيِّ، وتشجيعِ الأعمالِ الزِّراعيَّةِ والصِّناعِيَّةِ الكفيلَةِ بتحسينِ المعيشَةِ للأُمَّةِ، إلى غير ذلك ممَّا هو مطلوبٌ وواجبٌ في الحياةِ .

وقوع الظاهرة حقيقة في مرحلتنا المعاصرة

وقد تبيَّنَ من حديثِه ﷺ في الأماراتِ وقوعُ الأُمَّةِ في كثيرٍ من هذه الأشراطِ واشتغالُ الجُلِّ الأوسَعِ من المسلمين بهذه الظَّاهِرَةِ السَّلبيَّةِ وللأسفِ(١) ، ويندَرِجُ

---

(١) كما أن من معاني التطاول دفع الأموال والمخصصات المادية لإذكاء الصراع الشيطاني بين الشعوب (ظاهرة التحريش) الطبقي والاعتقادي والطائفي وهلم جرا . فترى كثيرا من هؤلاء التجار وحملة رؤوس الأموال ينفقون على الجماعات والأحزاب والفئات ما يمكنهم من زرع الفتن وتفريق الشعوب وإسالة الدماء ، وهم يظنون أنهم يخدمون الديانة ؛ لجهلهم بثوابت الدين من جهة وجهلهم بالفتن ومضلاتها من جهة أخرى ، ولو علموا ذلك لما فعلوا، وحاشا أن يفعل مسلم ما يضره في دينه وآخرته وهو يعلم ذلك يقينا ولكنها الفتنة

تحـت الجزئِيَّـةِ الثَّانِيَةِ من علاماتِ السّـاعةِ جُملـةُ الأحاديثِ النَّبوِيَّـةِ في الصحاحِ والسُّننِ والمسانيدِ وغيرِها حول علاقَةِ الأُمَّةِ بالدُّنيا والمالِ وما تفرَّعَ عن ذلك .

والتحريش ، نسأل الله السلامة .

موقِعُ الأمثِلَةِ والرُّموزِ والشّعاراتِ والشّاراتِ والألوانِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ

الرموز والإشارات سلبية وإيجابية ولا تختص بالمسلم وحده

عنـد النَّظَـرِ العميقِ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ ذاتِهـا نَجدُها تحمِلُ معنىً إشـارِيّاً ، فكُلُّ اسـمٍ منها أو فيها يُخفـي أكثَرَ من هَدَفٍ وغَرَضٍ مقصـودٍ، فإمّا أن يكون المقصودُ سَـهلَ الفَهـمِ مُمكِنَ التَّحليـلِ وإمَّا أن يكـون صَعبَ الفَهـمِ مُعَقَّدَ التَّحليلِ ، وسِـرُّ الإخفـاءِ للمعانـي يرجِعُ إلى مُقتَضَـى أمرِ اللهِ في سَـيرِ قضائِهِ وقَـدَرِه، كما أنَّ في نماذِجِ التَّورِيَةِ لِبَعضِ الأمورِ سلامةً للعِبَادِ المؤمنين مِن بَطشِ بعضِ الطُّغاةِ والبُغاةِ والحُكّامِ والمُفسِدين في الأرضِ .

والرُّموزُ والإشـارَةُ بِـكُلِّ أنواعها ونماذِجِها لا تَخُـصُّ الجانِبَ الإيجابيَّ وحدَهُ، أي : إنَّها ليست خاصَّةً باختِزالِ المعلوماتِ والدِّلالاتِ لِزيادَةِ عِلمِ المُسلمِ وحِفظِ المُؤمِـنِ وحـدَهُ ، وإنَّمـا هي لُغـاتُ التَّفاهُمِ فيما يستَحِقُّ فيـه التَّفاهُـمُ بين الناس الأخيارِ بما يناسِـبُ لُغَةَ العَمَلِ المُمارَسِ ، وكذلك بين النَّاسِ الأشـرارِ بما يُناسِبُ لُغَةَ العَمَلِ المُمارَسِ بينهم أيضاً .

السحر والتنجيم والطلاسم وقراءة الكف والأبراج علوم سلبية

فالسِّـحرُ والتَّنجيمُ والكَهانَةُ والشَّـعوَذَةُ أعمالٌ ذاتُ ارتباطٍ كبيرٍ بالرَّمزِ والطِّلَّسْمِ والعَقـدِ والنَّفـثِ وغيرهـا ، وكَقِراءَةِ الأبـراجِ والطَّوالِـعِ والنُّجومِ وما يُعـرَفُ بِعِلمِ الكَـفِّ والحَرفِ ، وما يترتَّبُ على هذه الانفعالاتِ والتَّحضيراتِ مِن ضَرَرٍ وخَطَرٍ وفَسـادٍ في الأرضِ وإفسـادٍ ، كُلُّها عُلومٌ سَـلبِيَّةٌ ذاتُ ضَرَرٍ خطيرٍ وشَـرٍّ مُسـتطيرٍ ، وصَفَـهُ اللـه فـي كتابِـهِ بقولـه : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ

عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ١٠٢] .

الرمز بالأفعى والشمس

ومن سَلبيّاتِ الرَّمزِ والإشارَةِ ما نراه في بَعضِ الصُّوَرِ المُجَسَّمَةِ والتَّماثيلِ المنحوتَةِ والنُّقوشِ القديمَةِ المُعَبِّرَةِ عن معانٍ خاصَّةٍ ورُموزٍ وشاراتٍ ذاتِ مَعنًى، كالرَّمزِ بالأفعى عند البَعضِ والرَّمزِ بالشَّمسِ والرَّمزِ بالزَّهرَةِ واختلاطِ بَعضِ هذه الرُّموزِ في بَعضٍ، بل إنَّ قَضِيَّةَ الرَّمزِ قد بلغت في عالَمِ السِّياسَةِ مبلَغاً خطيراً لا يَعرِفُ مدى خُطورَتِهِ إلا بعضُ المُختَصِّين في قراءَةِ رُموزِ السِّياسَةِ المُتَحوِّلَةِ،

رموز العملات وأعلام الدول والمنظمات

ويدخُلُ في هذا الأمرِ ما نراهُ ونشهَدُهُ من رُموزِ العُملاتِ والرَّاياتِ والمُنظَّماتِ والأنظِمَةِ والدُّوَلِ، وكُلُّها تَنُمُّ عن أمرٍ مُعَيَّنٍ وفِكرَةٍ مُحَدَّدَةٍ ذاتِ مغزى في عالَمِ الكُفرِ أو عالم السِّحرِ أو عالَمِ عِبادَةِ الشَّيطانِ أو مغزى من مغازي الانتقامِ أو العُنفِ أو التَّطَرُّفِ أو القَتلِ أو غيرِ ذلك .. بل أُدخِلَ الحَيَوانُ في هذه اللُّغَةِ لِيُعَبِّرَ كُلُّ نَوعٍ منها عن مغزىً وهَدَفٍ وغايَةٍ .

وكلُّ هذا يُعيدُنا إلى ما سبقت الإشارَةُ إليه في أوَّلِ كتابنا عن انقسامِ القِراءَةِ في العالَمِ الإنسانيِّ إلى مدرَسَتَينِ :

المدرستان الأنوية والأبوية لكل منهما لغته ورموزه

١- مدرسةٍ أَنَوِيَّةٍ إبليسِيَّةٍ وَضعِيَّةٍ لها لُغَتُها ورُموزُها وشاراتُها ومعانيها[1] .

٢- ومدرسةٍ نَبَوِيَّةٍ أَبَوِيَّةٍ شَرعِيَّةٍ ولها لُغَتُها ورُموزُها وشاراتُها ومعانيها.

دراسة هذه الرموز من فروع فقه التحولات

ومِن مُهِمَّاتِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ دراسَةُ هاتَينِ اللُّغَتَينِ بِعُمقٍ وتَدَبُّرٍ لِيتَمَكَّنَ المُختَصُّ في هذا العِلمِ من معرِفَةِ الدِّلالَةِ بالعلامةِ والسِّمَةِ والشَّارَةِ، بل وبها يستطيعُ معرِفَةَ رُموزِ التَّحالُفِ السَّلبِيِّ في العالم ورُعاةَ الشَّرِّ مِن رُعاةِ الخَيرِ، وبهذا العِلمِ وحدَهُ يُعرَفُ مَوقِعُ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ وسَماسِرَتُهُ وعساكِرُهُ ورُموزُهُ وأتباعُهُ وجُنودُهُ

(١) ومن هذه الإشارات والرموز ما نشهده في بعض شعارات الدول والمنظمات الكافرة وفي ألويتهم وعملاتهم وشارات شركاتهم ومؤسساتهم، ومنها شارة الصليب كرمز اتخذ لعقيدة التثليث وصلب المسيح ومجسم مريم العذراء لدى النصارى .

سـواءً كانـوا في صُفوفِ الجُيـوشِ المُقاتِلَةِ .. أو كانـوا فوق منابِرِ الدِّيانَـةِ العادِلَةِ، كمـا ورد مِثـالُ ذلك في حديثِ مَن لا ينطِقُ عن الهـوى ﷺ .. وقد رأى في المنام مـا أحزنَـهُ وأبـكاه ﷺ .. فقال : «**مَا لِـي رَأَيْتُ بَنِي الحَكَـمِ يَنْزُونَ عَلَـى مِنْبَرِي نَزْوَ القِرَدَةِ**»[1] ، وفي نزول سورة القدر قام رجل إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقال : يا مسـود وجه المؤمنين ، فقال الحسـن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لا تؤنبني رحمك الله ، فإن رسول اللـه ﷺ قـد رأى بني أميـة يخطبون على منبره رجـلاً رجلاً ، فسـاءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ نهر في الجنة ، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تملكهـا بنو أمية فحسـبنا ذلك ، فإذا هو لا يزيد ولا ينقص »[2] .

رمزية القردة والخنازير على المنبر النبوي

ولـما نزلـت سـورةُ النَّصـرِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] اختلـف الصَّحابَةُ في تفسـيرِها ، وسـأَلَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وفي مجلِسِه الأشياخُ عن مغزى السُّورَةِ فقال : «هو أَجَلُ رَسولِ اللهِ ﷺ» [3] .

رمزية النصر والفتح

وخطـب النَّبـيُّ ﷺ يومـا وقال عن رجلٍ خُيِّـرَ بين ما في الدُّنيا وبيـن ما عند اللهِ فاختار ما عند اللهِ ، فبكى أبوبكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ما بالُ هذا الشَّيخِ

رمزية الرجل الذي خير بين الدنيا والآخرة في خطبة النبي ﷺ

---

(١) «المسـتدرك علـى الصحيحيـن» (٨٤٨١) قـال الحاكـم هـذا حديـث صحيح على شـرط الشـيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وفي «تفسـير ابن أبي حاتم» (١٣٣٢٤) رواية فيها تتمة لتفسير الرؤيا: فقيل له : إنما هم بنو فلانٍ ، وإنما هي دنيا أُعطوها، فَسُرِّيَ عنه ﷺ» .

(٢) «سنن الترمذي» (٣٣٥٠) و«المستدرك على الصحيحين» (٤٧٩٦) وقال أبو عبد الله : هذا إسناد صحيح و«المعجم الكبير» (٢٧٥٤) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٢٩٤) (٤٩٧٠) ، «الدر المنثور» (٨: ٦٦٢) ولا زالت كتب التفسير ترمز لأوائل السور المستعجم فهمها على العلماء والمفسرين بقولهم: الله أعلم بالمراد به، لما في الرسم والاسم من دلالة مجهولة المعنى والهدف، مع أن بعض المفسرين اجتهدوا فـي فـك الرمز المقصـود ولم يقطع أحـد بصحة المعنى المسـتنبط فهمه، بل كان التفسـير مجـرد محاولة وتقريب لمعنى يعتقد فيه الصواب وعدمه، ويدخل في هذا المعنى الرمزي الألوان والأرقام والرايات والأعلام والملابس والعمامة والسيوف وغيرها من الوسائل.

يبكي؟[1] وقد فَهِمَ أبوبكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الإشـارَةَ والرَّمـزَ في العِبارَةِ أنَّ الرَّجُلَ الذي خُيِّرَ هو رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ فاختارَ الآخِرَةَ على الدُّنيا .

فقه التحولات يدرس العلامات والإشارات في نصوص المعصوم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وما انطوت عليه من المواقف والدلالات

وقـام فِقـهُ التَّحـوُّلاتِ الـذي نحـن بِصَـدَدِ دِراسَـتِهِ علـى العلامـاتِ والرُّمـوزِ والإشـاراتِ بـدءاً مـن حديث جبريـلَ وما فيه مـن مادَّةِ الرُّكـنِ الرَّابعِ المسكوتِ عنـه ونهايَةً بالعلاماتِ الكُبرى والوُسـطَى والصُّغرى وما انطـوت عليه من العُلومِ والفُهـومِ والدِّلالاتِ والمواقف ، ومنها متابَعةُ الرَّسـولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لابن صَيَّادٍ وملاحَقَتُهُ ليعرِفَ حقيقَتَهُ عن طريقِ الرُّموزِ والإشارَةِ ، وقد ورد في الصَّحيحِ : «ذهابُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ مع بَعـضِ الصَّحابَةِ نحو طائِفَةِ النَّخلِ ، فلمّا كان قريباً منه رأتهُ أُمُّ ابنِ صَيّادٍ فصاحت : هذا مُحَمَّدٌ ، فقام ابنُ صيادٍ من مرقَدِهِ وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : لو تَرَكَتْهُ لبَيّنَ ، وسألَه رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : ماذا ترى؟ قال : أرى عَرشاً على الماءِ ، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : ذاك عَرشُ إبليسَ ، ثُمَّ قال له : خَبأتُ لك خبيئاً فقال : هو الدُّخُّ ، وكان النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قد خَبأَ له كَلِمَةَ (الدُّخانِ) أو معنى ما في سورَةِ الدُّخانِ، فقال له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**اِخسأ فلن تعدُوَ قَدرَكَ**»[2].

رمزية طول اليد

وفي الجانبِ الإيجابيِّ قال رسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِنسـائِهِ : «**أوَّلُكُنَّ لَحاقاً بي أطوَلُكُنَّ يـداً**»[3] فذهبت النِّسـاءُ يَنظُرنَ فـي الطُّولِ الحِسِّـي للأيدي كما فَهِمنَـهُ من المعنى الظّاهِرِ للعِبارَةِ ، وكان الأمرُ غيرَ ذَلِكَ إنَّما طولُ اليَدِ رَمزٌ للإنفاقِ وكَثرَةِ الإحسانِ .

علم الإحسان يزيد الفهم الذوقي والوعي الإشاري

ويرتَبِطُ الرَّمزُ والإشـارَةُ في الإسـلامِ بِسَـلامَةِ الذَّوقِ ، بل هو فَرعٌ من فروعِ عِلمِ الإحسـانِ وثَمَرَةٌ من ثَمَراتِهِ ، وبِمِقدارِ تَرَقِّي المسـلِمِ في هـذا العِلمِ الخاصِّ يزدادُ فَهمُهُ الذَّوقِيُّ ويرتقي وعيُهُ الإشـارِيُّ ، وهذا ما يُمَيِّزُ المُسـلِمين في عِلمِ الإحسانِ بالعِلـمِ اللَّدُنِّـيِّ الخاصِّ ، ومنه سـلامَةُ الذَّوقِ فـي الفَهمِ الباطِـنِ والظَّاهِرِ ، وكُلَّما ارتقـى المُطَّلِـعُ على العِلمِ اللَّدُنِّيِّ في ثنايا الرُّموزِ والإشـارَةِ والعلامَةِ كَتَمَ ما يظهَرُ

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٦) .

(٢) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٣٠٥٥) و«صحيح مسلم» (٢٩٣٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (١٤٢٠) ونصه : أن بعض أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قلن للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ أينا أسرع بك لحوقاً ؟ قال : «**أطوَلُكُنَّ يَداً**» .

لـه من سِـرِّ المعاني حتى يقال له : عارِفٌ باللـه ، أو (من العارفين باللهِ) ، وفي هذا المعنى يأتي ما يُسمَّى بِمَرتَبَةِ العِرفانِ[1].

---

(١) كتـب عن هذا الأمر الدقيـق الخاص الإمام العلامة عبدالرحمن بـن عبدالله بلفقيه العلوي الشـافعي الحضرمي رسالة سـماها: فتح بصائر الإخوان في شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسـان والعرفـان، وكأنـي بهذا السـيد العلامـة الذي أطلق عليـه الحبيـب عبدالله بن علـوي الحـداد (علامة الدنيا) قد أدرك المعنى الإشـاري في العلم بعلامات السـاعة وفقه التحولات وما يترتب على هذا العلم من ضرورة الكتمان وعدم الكشف والإيضاح لمنافذ النفـس والهوى والدنيا والشـيطان، فحلق بالمريدين فوق مسـتوى العيوب والنقائص إلى الحكمة التي أجرى الله بها سـر الدفع والجلب والنفع والضر والخير والشـر وأطلق على ثمرات المزيج الخالص من علم الإسـلام والإيمان والإحسـان (العلم العالي: علم مرتبة العرفان) فهاهو يمهد لهذا العلم اللدني بقوله:

فإن العبد إذا تمكن في الإسلام والإيمان ، وأخذ طرفا صالحا من العلوم الشرعية الواردة فـي السـنة والقرآن ، فاتسـع علمـه ، وانفتح فهمه ، وانشـرح صدره ، عرف نفسـه ، فعرف ربه، وطلب رضاه وقربه . فإنه يشـهد عجزه ، وذله ، وشـدة افتقاره وجهله . فإنه كغيره من الأكوان، خلق من عدم وراجع إلى عدم ، في غاية الاحتياج والاضطرار ، ليس له استقلال بقدرة ولا اختيار ، ولا وجود ولا بقاء ، ولا فضل ولا جود ، إلا بواجب الوجود، في جميع الشـان . فـإن وجوده ودوامـه ، وكل كماله فيـه ، وفعله وانفعاله ، حتى قعـوده وقيامه ، من فضل الله وإنعامه . فيعرف نعمة الله عليه ، وأن المنة لله – سبحانه – إذ وفقه لشكره وذكره فـي كل طاعة وإحسـان ، فلا يطالب جزاء فيهـا ، ولا ينظر إليها ، بل يخاف من وجودها مع القلة والتقصير في شكرها . وما شكرها إلا الاعتراف وشهود المنة فيها .

إلـى أن قال: فعند ذلك تسـطع عليه أنوار الحقيقة ، ويـذوق جنى معاني الوحي والنبوة ، في مقامات القرب والولاية والفتوة ، فيشهد حقائق التنزيل على التفصيل ، ويعرف معارف التفريع والتأصيل ، ويفهم بالله عن الله كل مشـكلة ، ويتضح له بنور الله حل كل معضلة ؛ وذلك ثمرة التقوى ، واليقين، وصحبة أهل الله المتقين .

قـال اللـه تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ أي من كل مشـكل ومعضل ، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ﴾ علما وفهما ، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وقال أيضا : وقال أيضا : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

وهـي مرتَبَةُ الكَمالِ النِّسـبِيِّ التي يبلُغُهـا العارفون المُتَدَرِّجـون بالعُلومِ الثَّلاثَةِ : عِلـمِ الذِّكرِ وعِلمِ الفِكرِ وعِلمِ الشُّـكرِ، على أُسُـسِ اليقينِيّاتِ الثَّلاثَـةِ: عِلمِ اليقينِ وعَينِ اليقينِ وحَقِّ اليقينِ ، ولأنَّ هذه العُلومَ عُلومُ القَومِ الرَّاسِخين فَخيرٌ لنا ولمن رَغِبَ المعرفَةَ من معدِنها ألا يَشـتَطَّ به الخيالُ ولا صُروفُ الاحتمالِ ، فيرجِعُ إلى مـا نحن بِصَدَدِهِ من قراءَةِ الأركانِ الأربَعَةِ بِلُغَةِ الوُضوحِ البَيِّنِ التي لا غُموضَ فيها ولا إشـكالَ مع شـرطِ الأَدَبِ التَّامِّ في كُلِّ حالٍ، فإنَّ الزَّلَلَ الذي وقع فيه المُثَقَّفون والمُتعلِّمـون وقُرَّاءُ الحُروفِ سَبَّبَ لهم شَـطحَاً في الحُكمِ علـى الرِّجالِ أكبَرَ من شَطحِ الرِّجالِ في ذوقِهم النِّسبِيِّ من وارِدِ الكمالِ .

علم الإشارة والرمز معركة أبدية بين الأخيار والأشرار

والمعرَكَـةُ الإشـارِيَّةُ الرَّمزِيَّةُ بين أهلِ اللهِ من الأوليـاءِ والأصفياءِ والأتقياءِ على طريـقِ الجَنَّةِ وبين عَبَدَةِ الشَّـيطانِ من السَّـحَرَةِ والمُنَجِّميـن والكذَّابين على طريقِ الباطلِ مُستَمِرَّةٌ أَبَدَ الآباد .

عندهم : الغاية تبرر الوسيلة وعندنا: الغاية تقرر الوسيلة

وهي وحدَها فِقهٌ يختَصُّ بما هو معلومٌ له من التَّحوُّلاتِ والعلاماتِ والأماراتِ ومن لم يَفهم المعنى يصعُبُ عليه الحديثُ بهذه اللُّغةِ مَعَنا، وخيرٌ لنا وله ولأمثالِنا وأشـباهِنا أن نخوضَ البَحرَ بالوَسـائِلِ ، والغاية تُقَرِّرُ الوسـيلَةَ كما هو في شعاراتِنا النَّبوِيَّةِ الأَبَوِيَّةِ .

وقـال تعالـى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[الأنفال:٢٩] وباللـه التـوفـيق ، وذلك ثمرة الطريق ، وزبدة التحقيق .

وفي ثنايا الرسـالة عبارات لا يتسـع لها فهم المتأخرين تجاوزنا ذكرها، لعدم الحاجة لها فيما نحن بصدده .

وقـد تناول العلامة المذكور في رسـالة خاصة سـماها «عمدة المحقق فـي العقائد» ـ لا زالت مخطوطة ـ في الفصلين السـابع والثامن موضوعي الحشـر والنشر ، وجعل موضوع الحشـر فصلا منظوما بكل ما يختص بعلامات السـاعة والنفخة الأولى حتى انتهاء الكون، وأمـا النشـر فهو كل ما يخص الأمـور الآتية بعد النفخـة الثانية ، وما يترتـب على ذلك من مسائل الإيمان والبعث والنشور والقبر ونعيمه وما إلى ذلك .

أمـا في شـعاراتِ المدرَسَـةِ الأَنَويَّةِ الإبليسِـيَّةِ فالغايَـةُ تُبَرِّرُ الوسـيلَةَ ، وفرقٌ بين شعاراتِ المدرَسَتَينِ ، ومَن لم يَطَّلِع على شعارِ مدرسَتِهِ ولم يفهَم رَمزَ هُويَّتِهِ فخيرٌ له أن يستَمِعَ الحكمَةَ من أهلِها ، ويسيرَ في ركبِ أساطينِها لِيَسلَمَ من الغَرَقِ في طوفانِ الأَنَوِيَّةِ المُهلِكِ الفاتِكِ .

وأنَّى لقارئٍ ذلك وهو بعدُ لم يعرِف حقيقةَ المعنى القائِلِ : العَقلُ السَّليمُ في القلبِ السَّليم، فهل هذا الشِّعارُ حقيقةٌ ؟ أم أنَّ الحقيقَةَ لديك : العقلُ السَّليمُ في الجِسمِ السَّليمُ ، إذن فالرَّمزُ والإشارَةُ والعلامةُ مدرسَةٌ عظيمةٌ في الإسلامِ ، فتعرَّف على رجالِها تَسلَم ، وإياك من مدرسةِ الأعورِ الدَّجَّالِ ، مدرسَةِ الذَّوقِ الممسوخِ والوَعي المنسوخِ ، فلها في عالَمِ الإشارَةِ والرَّمزِ واللَّونِ والشَّارَةِ مكانٌ ، وأَثَرٌ وتأثيرٌ ، ومتى ما تأمَّلَ المُتَأَمِّلُ في رُموزِ العُملاتِ النَّقدِيَّةِ ، والرَّاياتِ والبُنودِ والألويَةِ العَسكَرِيَّةِ والشَّاراتِ والشِّعاراتِ المنسوبَةِ لِبَعضِ الدُّوَلِ والإمبراطوريَّاتِ لَرَأى العَجَبَ العُجابَ .

عندهم : العقل السليم في الجسم السليم
وعندنا : العقل السليم في القلب السليم

بل إنَّ أتباعَ الدِّيانَتَينِ اليهودِيَّةِ والمسيحِيَّةِ جعلوا لهما شعاراتٍ وشاراتٍ لم يُنزِلِ اللـه بها من سُلطانٍ ، كالصَّليبِ عند النَّصارى ، ونَجمَةِ داوُدَ عند اليهودِ ، وكُلُّها شِعاراتٌ وضعِيَّةٌ ذاتُ هَدَفٍ سِياسيٍّ ودينيٍّ مُعَيَّنٍ .

صليب النصارى ونجمة اليهود شعاران دينيان وسياسيان

أمَّا شعاراتُ الإسلامِ وخاصَّةً على عَهدِ الرِّسالَةِ على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ فكانت قليلةً ومحدودةً ، وتتلَخَّصُ فيما يلي :

١- شِعاراتٌ وألفاظٌ تُرَدَّدُ في الحَربِ .

٢- راياتٌ وألوِيَةٌ ترمُزُ إلى المهاجرين والأنصارِ .

وكم سَنَجِدُ من رُموزِ الشِّعاراتِ الأَنَوِيَّةِ والشِّعاراتِ النَّبويَّةِ الأَبَويَّةِ من ملامحَ وأهدافٍ وغاياتٍ ، وخُذ على هذا أمثِلَةً مُصَوَّرَةً .

خاتم عرش بريطانيا
للاستزادة انظر مراجع المادة في موسوعة wikipedia.org تحت مسمى
Royal coat of arms of the United Kingdom



الشعار المسمى (خاتم أمريكا الأعظم)، وهو موجود خلف الورقة فئة الدولار الواحد
للاستزادة انظر مراجع المادة في موسوعة wikipedia.org تحت مسمى
Great Seal of the United States





شعار الخلافة العثمانية

انظر شرح تفاصيله ص ١٩٤



التَّفصيلُ الجامِعُ لأقسامِ العِلمِ بعلاماتِ السّاعةِ

عُلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ أنَّ أقسامَ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ ثلاثَةٌ :

الأوَّلُ : العِلمُ بالعلاماتِ الكُبرَى .

الثَّاني : العِلمُ بالعلاماتِ الوُسطَى .

الثَّالِثُ : العِلمُ بالعلاماتِ الصُّغرَى .

ونَضَعُ التَّفصيلَ الكامِلَ للعلاماتِ الكُبرَى آخِرَ البَحثِ باعتبارِ موقِعها في آخِرِ الزَّمانِ .

أما العلاماتُ الوُسطَى والصُّغرَى فسنَذكُرُها حَسَبَ التَّرتيبِ الاستِقرائِيِّ الذي فَهِمناهُ من واقِعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ مُستَفيدِين من بعضِ ما سَبَقَت خِدمَتُه على أيدي العُلَماءِ والباحِثِين الذين تناوَلوا موضوعَ العلاماتِ والأشراطِ ؛ إلا أنَّنا فَرَّقنا بين العلاماتِ الوُسطَى والصُّغرَى بقاعِدَةٍ مُختَلِفَةٍ عمَّا سَبَقَ التَّناوُلُ له عند أهلِ هذا العِلمِ .

القِسمُ الأوَّلُ العِلمُ بالعلاماتِ الوُسطى

الاستقراء الزمني هو الذي حدد توسط العلامات

وقد اعتَمَدنا في تحديدِها على استقراءِ المعنى المقصودِ بالوُسطى ، أي : التَّوسُّط الزَّمَني لمُجرَياتها بين الصُّغرى ابتداءً والكُبرى اختِتاماً ، وارتباطِ هذه العلاماتِ بالقرارَينِ قرارِ الحُكمِ وقرارِ العِلمِ وما يترتَّبُ عليها من ثوابتَ ونواقِضَ ، كما أضفنا إلى العلاماتِ الوُسطى علاماتٍ وضَعَها البعضُ في الصُّغرَى فوضعناها في الوُسطى لمُناسَبَةِ موقِعِها المتلائِمِ من مُجرياتِ الأحداثِ والزَّمَنِ الُمشارِ إليه بالقرارَينِ : قرارِ الحُكمِ وقَرارِ العِلمِ ، بل واستَقرَأنا من الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ علاماتٍ إضافيَّةٍ وضعناها في العلاماتِ الوُسطى لأهمِّيَّةِ علاقَتِها بالتَّحوُّلِ السِّياسِيِّ والاجتماعيِّ ما بين بَعثَةِ النَّبيِّ ﷺ وبِدايَةِ العلاماتِ الكُبرى بالإمامِ المُنتَظَرِ .

وسنبدأُ بالعلاماتِ الوُسطى مجموعةً كما استقرأناها من مصادِرِها . وكُلُّها تندَرِجُ تحت قِسمِ العلاماتِ المُرتَبِطَةِ بمرحلَةٍ واحِدَةٍ ، بمعنى وقوعها مرة واحدة مرتبطةً بالاسمِ والحَدَثِ ، بِمَعْنَى وُقُوعِهَا مرةً واحدةً فَقَطْ مُرْتَبِطَةً بِاسْمِ الحَدَثِ وَصَاحِبِهِ ، كَفِتْنَةِ مَقْتَلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ومقتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ومقتل الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ولا تتكَرَّرُ ما عدا علامَتَي فِتنَةِ الخوارِجِ ، والفِتَنِ الفِكرِيَّةِ المُتلاحِقَةِ .

أهميةُ العلاماتِ الوُسطى

تعتبر العلامات الوسطى في فقه التحولات من أهم العلامات تقريراً ومكانة وقواعد، لأنها ارتبطت بمرحلة التأسيس الأول للدولة الإسلامية، وتكاد أن تكون هي القاعدة الشرعية، وخاصة مرحلة الرسالة المحمدية الحاوية على قسميها الهامين: المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ففي هاتين المرحلتين تأسس علم فقه التحولات كما تأسست بقية العلوم الشرعية، وتبدأ مراحلها ببعثة النبي ﷺ كما سيأتي.

بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ

بعثة النبي محمد ﷺ علامة وسطى

أُولَى عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَى بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ، وفيها يقولُ ﷺ: «**بُعِثتُ أنا والسّاعَةُ كهاتَينِ**»[1] .. قال القُرطُبِيُّ: (أوَّلُها بَعثَةُ النَّبِيِّ ﷺ لأنَّه نَبِيُّ آخِرِ الزَّمانِ، وقد بُعِثَ وليس بينه وبين القيامة نَبِيٌّ يُوحَى إليه بِشَرعٍ) [2]، وقال البَغَوِيُّ في «تفسيره»: (وكان النَّبِيُّ ﷺ مِن أشراطِ السّاعةِ)[3]. وفي «السننِ الوارِدَةِ في الفِتَنِ» لأبي عمرٍو الدانيِّ: عن أبي عِمرانَ الجُونِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حين بُعِثَ إليَّ بُعِثَ إلى صاحب الصُّورِ فأهوى به إلى فِيهِ وقَدَّمَ رِجلاً وأَخَّرَ رِجلاً ينتَظِرُ متى يُؤمَرُ فينفُخُ، ألا فاتَّقوا النَّفخَةَ**»[4]. وفيما بين البَعثِ ومَوتِهِ ﷺ تأسَّسَ أمرُ الدَّعوَةِ إلى اللهِ فيما بين مَكَّةَ والمدينَةِ.

ولأنَّ ما بين هاتَينِ العلامَتَينِ تأسَّسَ الدِّينُ كُلُّهُ فَهِيَ مرحلَةٌ هامَّةٌ من كُلِّ الوُجوهِ، بل هي قاعِدةُ التّأصيلِ للعُلومِ الشَّرعِيَّةِ كُلِّها ولأركانِ الدِّينِ الأربَعَةِ مُجتَمِعَةً أو

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٤) (٦٥٠٥) و«صحيح مسلم» (٢٩٥١).

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ص (١: ١٢١٩)، ونقل بتصرف بإضافة (نبي يوحى إليه بشرع) لتمام الإفادة.

(٣) «تفسير البغوي» (٣: ٧١).

(٤) «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني بتحقيق المباركفوري (٣٧٧) (٧١٨).

مُتَفَرِّقَـةً حيثُ كان النَّبيُّ ﷺ يسـوسُ أمرَ الأُمَّة (بالوَحـيِ والعِصمَةِ) ويضَعُ ثوابتَها ويرسُـمُ مَنهَـجَ الخَيريَّـةِ بِشُـروطِهِ، ويحـذِّرُ ويبيِّنُ مواقِعَ الشَّـرِّ سـواءً فـي مرحَلَتِهِ المُبارَكَةِ أو فيما يتلوها من المراحِلِ إلى يومِ الدِّينِ .

وتنقسم دراسة هذه المرحلة إلى قسمين :

الأولـى المرحلـة المكيـة : وهـي المرحلة الأولى مـن تحمل مسـؤولية الدعوة وممارسـة قواعدها الشـرعية علماً وحالاً، فالعلم هو الوحـي المنزل والحال هي صفـة الأخـلاق النبوية التي عالـج بها جفاة المرحلة واسـتجلب الأتبـاع ، ولكلا الأمديـن (العلـم والحـال) فقه شـرعي خاص أصل أسـلوب الدعوة إلـى الله في الأمم والشعوب الكافرة ورسم قواعد العلم والمعاملة إلى يوم الدين .

الثانيـة المرحلـة المدنية : وهي المرحلة الثانية والأخيـرة من مراحل فقه الدعوة وممارسـة قواعدهـا وتطبيقاتها الشـرعية قـولاً وفعـلاً وتقريراً وحـالاً ، وكان من مظاهِرِ هـذه المرحلَةِ تحصينُ الصَّحابَةِ العُـدولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالنُّصوصِ والمواقِفِ ، مع بروز ظاهرة النفاق لدى آخرين ليميز الخبيث من الطيب .

أهمية التحصين الشرعي للصحابة وما يترتب عليه

ومعنـى (النُّصـوصِ) أي : بتحصيـنِ النَّبيِّ ﷺ لمـن صَحِبَه مِن أتباعِـهِ وتعديلِه إيّاه كبَشـارَتِه بالجَنَّةِ للخُلَفاءِ الرَّاشِـدِين وغيرِهم ، جاء فـي الفتح (٦/ ٤٥١) باب الجاسـوس : «**وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شـئتم فقد غفـرت لكم**[1]» ، ودَفعِ تُهمَةِ النِّفاقِ والخِيانَـةِ بذلك عن حاطِبِ بن أبي بَلتَعَةَ في قِصَّتِهِ المشـهورَةِ عامَ الفَتحِ ، وقولِهِ في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**لو كنتُ مُتَّخِذاً خليـلاً لاتَّخـذتُ أبا بكر**»[2] ، وقوله في عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**والَّذي نَفْسِـي بيدِه ما لَقِيَكَ الشَّـيطانُ قَطُّ سـالكاً فَجًّا إلاّ سَـلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ**»[3] ، وقوله في عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٠٠٧) و«صحيح مسلم» (٢٤٩٤) .
(٢) «صحيح البخاري» (٤٦٦) (٤٦٧) و«صحيح مسلم» (٥٣٢) .
(٣) «صحيح البخاري» (٣٢٩٤) (٣٦٨٣) و«صحيح مسلم» (٢٣٩٦) .

«**تستحي منه الملائِكَةُ**»[1] و«**بَشِّرهُ بالجَنَّةِ على بلوى تُصيبُهُ**»[2]، وقولِهِ في عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أنت مِنِّي بِمَنزلَةِ هارون من موسى**»[3] وقوله في جَعفرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**أشبَهتَ خَلقِي وخُلُقي**»[4]، وقولِهِ في أبي عُبيدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمَّةِ أبوعبيدةَ بنُ الجرَّاح**»[5]، وقولِهِ في عُموم الصّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «**لا تَسُبُّوا أَصحابي، فلو أنَّ أَحَدَكُم أنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَه**»[6].

وأمّا تحصينُهُ بالمواقِفِ فعَدَمُ قَدحِهِ في بَعضِ أصحابِهِ رَغمَ اتِّخاذِهِم رأياً خاصّاً في بعضِ الأحوالِ كمَوقِفِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في عَدَمِ الصَّلاةِ على ابنِ أُبَيٍّ، ثُمَّ وافقَهُ القُرآنُ بذلك.

القدح في معنى الصحبة إما أن يحصل بقول لفظي أو موقف ذاتي

إنَّ القَدحَ في بعضِ الأتباعِ والصَّحابَةِ الحامِلين اسمَ الصُّحبَةِ دون معناها العَمَلِيِّ وانقطاعَ الحصانَةِ عنهم نِسبيّاً يَتَحَقَّقُ بواحِدٍ من سَبَبَين:

- القَدحُ اللَّفظِي.
- الموقِفُ الذّاتيِّ.

ومَثَلُ القَدحِ اللَّفظِيِّ تَكْنِيَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعامِرِ الرَّاهِبِ "بأبي عامرٍ الفاسِقِ". ومَثَلُ الموقِفِ الذّاتيِّ نَفيُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الطائفِ ذلك الشّابَّ الذي وصف بِنتَ غيلانَ لِنِسائِهِ فأمَرَهُنَّ بالاحتِجابِ منه.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٤٠١).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٧٤) و«صحيح مسلم» (٢٤٠٣).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٤٠٤).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٦٩٩) (٤٢٥١).

(٥) «صحيح البخاري» (٤٣٨٢).

(٦) «صحيح البخاري» (٣٦٧٣) و«صحيح مسلم» (٢٥٤١)، وذلك لأن فِقه التَّحوُّلات يُعدّل المرحلة وما اجتهده فيها الصحابة العدول رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، بما أثر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من النص في سلامة المرحلة ورجالها، وهذا لا يتعارض مع فقه المناقب والخصوصيات، فالمناقب تبرز حقائق مراتب الرجال، ولا يصدر بها حكم مخالف على مجتهد معدل بنص مشابه، ويلتزم فيها بما التزمه الخلفاء العدول.

موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَى موتُ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لقولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**اُعدُد ستّاً بين يَدَي السّاعَةِ: موتي... الحديث**»[1]. قال في «الإشاعة»: وهو من أعظَمِ المصائبِ في الدِّين، بل أعظَمُها، ومن ثَمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا أُصيبَ أَحَدُكم بِمُصيبةٍ فليذكُر مُصيبتَه بي فإنَّها من أعظَمِ المصائِبِ**» رواه ابنُ سَعدٍ عن عطاءِ بن رباح[2]، وعن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أيُّمَا أحدٌ من الناسِ أو من المؤمنينَ أُصيبَ بمصيبةٍ فَلْيَتَعَزَّ بمصيبتِه بي عن المصيبةِ التي تُصِيبُهُ بغيري، فإنّ أحداً من أمَّتي لن يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدَّ عليهِ مِن مصيبتِي**»[3].

المواقف المطلوبة بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنَّ ما بعد موتِهِ مصدَرٌ من مصادِرِ التَّحوُّلِ الذي يَجِبُ فيه الالتزامُ بِضَوابِطِ السُّلوكِ المُوجَّهِ منه وخاصَّةً لأصحابِهِ وآل بَيتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومن ذلك قولُهُ صلى الله عليه وآله وسلم: «**ستكونُ أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنْكِرُونَها**» قالوا: يا رسولَ اللهِ فما تأمُرُنا؟ قال: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»[4].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٧٦) واختُلف في أسباب موته صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أشارت المصادر ـ ومنها صحيح الإمام البخاري ـ إلى أن موته صلى الله عليه وآله وسلم كان من أثر الشاة المَصْليّة التي أهدتها زينب بنت الحارث اليهوديةُ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلاك منها صلى الله عليه وآله وسلم مضغةً وقال: «إنها مسمومة»، وأكل منها البراء بن معرور فمات من حينه، وظلت المضغةُ التي أكل فيها صلى الله عليه وآله وسلم مؤثرةً عليه، وتعاوده بالمرض حتى توفي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد رأى البعض أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات بالسم، وإلى ذلك أشار الحاكم عن داوود بن يزيد الأودي قال: سمعتُ الشعبي يقول: واللهِ لقد سُمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسُم أبوبكر الصديق، وقتل عمر بن الخطاب صبرا، وقتل عثمان بن عفان صبرا، وقتل علي بن أبي طالب صبرا، وسُم الحسن بن علي، وقتل الحسين بن علي صبرا.. فما نرجو بعدهم؟ المستدرك ٣/ ٥٩.

(٢) «سنن الدارمي» (٨٥)، قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: وهذا إسناده صحيح إسناده صحيح (١١٠٦).

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٥٩٩)، قال الألباني: إسناده صحيح، «صحيح ابن ماجه» للألباني (٨٣١).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٦٠٣) و«صحيح مسلم» (١٨٤٣)، وانظر تحقيق المباركفوري

وهذا الحديثُ يضبطُ سُلوكَ الأفرادِ في مسأَلَةِ السُّلطَةِ والقَرارِ والمَوقِفِ منها بعد موتِهِ ﷺ، وفي الحديثِ الآخَرِ: «إنَّكم سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فاصبِروا حتى تلقَونَني»[1].

وهذه الأحاديثُ وأمثالُها جعلت الجَميعَ يقبَلُ سَيرَ التَّحوُّلاتِ ويرضى بها ويشارِكُ الأُمَّةَ في سلامَتِها، خلافاً لمن جاء من المسلمين عُلماءَ ودَهماءَ فيما بعدُ مِنْ تَفْسِيرِ أَمْرِ السَّقِيفَةِ، وَقَبْلَهَا مِنْ تفسيرِ أمرِ الوصيةِ التي أرادَ رسولُ الله ﷺ أَنْ يَكْتُبَهَا في مرض موته، وما ابتُلِيَ به المسلمون بَعْدُ في نهايَةِ مرحلةِ الخلافَةِ الرّاشِدَةِ وبَدءِ مرحلَةِ المُلكِ العَضوضِ، وما شاع وذاع من الفِتنَةِ بينهم من تفسيرِهم أمرَ السقيفة وما قبلها، أو الوصيةِ التي أراد رسولُ الله ﷺ في مرض موتِه أن يكتبَها.

وأخرج مسلمٌ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ مرفوعاً: «**سيكونُ بعدي أُمراءُ فتعرفون وتنكرون، فمن كَرِهَ بَرِئَ، ومن أنكر سَلِمَ، ولكن مَن رَضِيَ وتابَعَ**» قالوا: أفلا نقاتِلُهم؟ قال: «**لا.. ما صَلَّوا**»[2]، وفي روايةٍ: «**وإذا رأيتم من وُلاتِكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عَمَلَهُ ولا تنزعوا يداً من طاعَةٍ**»[3].

وهذه الأحاديثُ كما أشرنا ومثلُها هي ضوابطُ المواقِفِ أمامَ التَّحوُّلاتِ السِّياسِيَّةِ بعد موتِهِ ﷺ، وأشدُّ ما في المعارَضَةِ السِّياسِيَّةِ قولُهُ ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[4]، وقولُهُ في حديثٍ آخَرَ: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[5] قال الكِرمانِيُّ: أي: ما فارق الجماعةَ أَحَدٌ إلا وقع

«لفتن الداني» (١٣١).

(١) «صحيح البخاري» (٣٧٩٣) (٤٣٣٠) و«صحيح مسلم» (١٠٦١) (١٨٤٥)، وانظر تحقيق المباركفوري «لفتن الداني» (١٠).

(٢) «صحيح مسلم» (١٨٥٤).

(٣) «صحيح مسلم» (١٨٥٥).

(٤) «صحيح البخاري» (٧٠٥٣) و«صحيح مسلم» (١٨٤٩).

(٥) «صحيح مسلم» (١٨٥١).

له كذا وكذا.

وَالمَقْصُـودُ هُنَـا بِالبَيْعَـةِ: البَيْعَةُ العَامَّةُ فـي كُلِّ العُصُورِ مِنَ المُسْـلِمِينَ ، أَمَّا أَهْلُ الحَصَانَةِ الَّذِينَ حَصَلَ مِنْهُمْ عَدَمُ البَيْعَةِ في بَعْضِ العُصُورِ كَسَـيِّدِنَا الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَهُمْ أَهْلُ الِاجْتِهَادِ الخَاصِّ في تَرْكِ البَيْعَةِ.

وَقَدْ ظَلَّتْ هَذِهِ البَيْعَةُ مِنْ ذَلِكَ العَصْرِ مِنْ سُقُوطِ القَرَارِ الإِسْلَامِيِّ مَعَ سُقُوطِ بَنِي عُثْمَـانَ وَقَدْ نَقَـلَ العُلَمَاءُ البَيْعَةَ مِنْ بَيْعَةِ الحُكْمِ إِلَى بَيْعَةِ السُّـلُوكِ وَالطَّرِيقَةِ ، وَكَانَ آخِـرُ مَنِ اعْتَنَى بِذَلِكَ الخَلِيفَةُ عَبْدُالحَمِيدِ الثَّانِي الَّـذِي بُويِعَ بِالحُكْمِ مِنَ النَّاسِ ثُمَّ اعْتَمَدَ البَيْعَةَ الخَاصَّةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَـيْخِهِ في العِلْمِ، وَظَلَّ هَذَا الأُسْـلُوبُ مُسْتَمِرًّا بَعْدَ سُقُوطِ الخِلَافَةِ فِيمَا يُعْرَفُ بِبَيْعَةِ الطَّرِيقَةِ[1].

ومنه حديثُ : «**مَن فارَقَ الجماعة شِبراً فقد خَلَعَ رِبقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ**»[2] ، وقيَّدَ الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطَّاعَةَ والصَّبرَ في أحاديثَ أُخرى بطاعَةِ اللهِ وعدمِ المُخالَفَةِ الصَّريحَةِ للدِّين ، كحديثِ : «**سَيَلِي أُمورَكُم من بعدي رِجالٌ يُعرِّفونكُم ما تُنكِرون ، ويُنكِرون عليكم ما تعرِفون ، فلا طاعةَ لمن عصى اللهَ**»[3] ، وفي روايةٍ : «**فليس لأولئك عليكم طاعةٌ**»[4].

الخِلافة الرَّاشِدَةُ

الخلافة الراشدة علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ الخِلافة الرَّاشِدَةُ ، وتبدأ الخلافةُ الرَّاشِدَةُ بخلافةِ

(١) رَاجِعْ كِتَابَنَا (البُذُورُ وَالجُذُورُ) قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِنَشْـأَةِ التَّصَوُّفِ الإِسْـلَامِيِّ مِنْ وَاقِعِ دِرَاسَـةِ أَرْكَانِ الدِّيـنِ الأَرْبَعَةِ وَمُعَالَجَةٌ شـرعيةٌ لخطأ المفكِّرين والكُتّـاب والباحثين الذين وصفوا التصوفَ بما لا يتناسبُ مع ديانتهم وأمانتهم ، ووضع كلٍّ منهم في مقامه وحجمه المناسب لقَلَمِه وفِكْرِه.

(٢) «سنن أبي داود» (٤٧٥٨) و«سنن الترمذي» (٦٣) .

(٣) «مسـند أحمد» (٢٢٧٨٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٥٥٣٠) وقال : وقد روي هذا الحديث بإسناد صحيح على شرط الشيخين .

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٢١) .

أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كأوَّلِ لَبِنةٍ من لَبِناتِ البِناءِ لمرحلةِ الخلافةِ الراشدةِ المدعومةِ بالنَّصِّ الشَّرعيِّ، ومواقفِ الصَّحابةِ والآلِ الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، المُثبِتَةِ لانتقال الأمانةِ من مرحلةِ الرِّسالةِ الى مرحلةِ الخلافةِ بشُروطِها المُعتبَرة، وهي «سلامةُ الخُلفاءِ» بالاجتهادِ المشروعِ، وبالصَّحبةِ المحصَّنَةِ بالنَّصِّ النَّبويِّ خلال مرحلةِ الرسالةِ، وبسلامةِ المرحلةِ ـ أي: مرحلةِ الخلافةِ ـ ذاتِها بالنَّصِّ أيضاً ومواقفِ الصَّحابةِ وإجماعِهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وفيها يقولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**خِلافةُ النُّبوَّةِ ثلاثون سنةً، ثُمَّ يؤتي اللهُ المُلكَ ـ أو: ملكه ـ مَن يشاءُ**»[1].

نصوص عدالة مرحلة الخلافة الراشدة ورد شبه القدح في سلامتها

وفي ذلك ورد ما أخرجَه التِّرمِذيُّ من قول سفينةَ مولى الرَّسولِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يقولُ: قال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**»[2]، وفي روايةٍ عن حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**أَوَّل دِينكُمْ نُبُوَّة وَرَحْمَة، ثُمَّ يكونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ يكونُ مُلْكاً وَجَبْرِيَّةً**»[3] وورد: لمَّا بنى رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ مسجدَ المدينةِ جاء أبو بكر بحَجَرٍ فوَضَعَه ثُمَّ جاء عُمَرُ بحَجَرٍ فوَضَعَه ثُمَّ جاء عُثمانُ بحَجَرٍ فوَضَعَه فقالَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**هؤلاء يَلُون الخِلافَةَ بعدي**»[4].

قال ابنُ كثيرٍ: كانت خلافةُ أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سَنتَينِ وأربعةَ أشهُرٍ إلا عَشرَ لَيالٍ. وكانت خِلافةُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَشرَ سِنينَ وسِتَّةَ أشهُرٍ وأربعةَ أيّام. وخلافَةُ عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتا عَشرةَ سَنةً إلا اثنَي عَشَرَ يوماً. وكانت خِلافةُ عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خمسَ سِنينَ إلا شَهرَينِ. ثم قال: وتكمِيلُ الثَّلاثينَ بخِلافَةِ الحَسَنِ بن

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٤٦) (٤/ ٢١١) قال الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: صحيح (٣٢٥٧ـ١٣٩٣) (١/ ٦١٩).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٢٢٦)، وفيه: ثم قال لي سفينةُ: أمسِك.. خلافةُ أبي بكر.. ثُمَّ قال: وخلافةَ عُمَرَ وخلافةُ عثمانَ.. ثُمَّ أمسِك.. خلافةُ عليٍّ.. فوجدناها ثلاثين سنةً. وللحديث تتمةٌ.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٥٩١) (٢٢: ٢٢٣).

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٢٥٨) (٢٥٩).

عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحواً من سِتَّةِ أشهُرٍ حتى نزل عنها لِمُعاوِيَةَ عامَ أربعينَ من الهِجرَةِ .

وبصرف النظر عن اختلاف العلماء من شتى المذاهب الإسلامية في مسألة الخلافة فإن فقه التحولات يقرأ الأمر من النصوص لا من سير الحوادث والحكم عليها ، وتنقسم النصوص في هذه المسألة إلى قسمين :

- **نصوص مناقب** ، وهي مجمل الفضائل التي نطق بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حق صحابته وآل بيته وأدخلهم بها في مستوى الحصانة الشرعية .
- **نصوص تحولات** ، وهي المقولات التي حصن بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المراحل وحملة قرارها بعموم اللفظ الدال على سلامة قرار المرحلة أو سلامة جزء منها ، أو سلامة المرحلة دون حامل القرار وهكذا .

والحصانة في فقه التحولات تأتي على أربعة أنماط :

١- حصانةُ حاملِ قرارٍ ومرحلةٍ ، كحصانة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مرحلتيهما.

٢- حصانةُ حاملِ قرارٍ مع مرحلةٍ مضطربةٍ ، كحصانة سيدنا عثمان والإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في مرحلتي الحكم.

٣- حصانةُ مرحلةٍ دونَ حاملِ القرارِ ، كعصر معاوية وبعض خلفاء بني أمية وبني العباس، بما فيها من حفظ بيضة الإسلام وقيام شعيرة الجهاد في سبيل الله ، ومحافظة آل البيت كالحسن والحسين وعلي زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على قرار العلم بعد انفصالهم عن قرار الحكم، والتصدر في منابر المعرفة العلمية.

٤- حصانةُ حاملِ قرارٍ دون مرحلةٍ ، كحصانة الخليفة السادس عمر بن عبدالعزيز في مرحلة الملك العضوض .

وهناك مراحل لا حصانة لها من النص كمرحلة الغثاء ، وعلينا أن ندرس كل مرحلة بما كان فيها من الاستقرار والعدل النسبي بما يحمد عليه ، وهو مما يدخل في معنى التنفسات المرحلية ، وفي مثل هذه الحالة ينظر في (المواقف والدلالات) وهي من سنن فقه التحولات ، فيعدل حامل القرار أو المرحلة بهما أو بأحدهما وفق الاستقراء للدلالة من النص الشرعي ـ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**اسمعوا**

وأطيعوا ما أقاموا الصلاة فيكم»[1]ـ درءاً للفتنة وجمعاً للكلمة وربطاً بالمصير .

أما الخلافة في آخر الزمان فأمرها مرهون بظهور الإمام المهدي وليس قبل ذلك ، لانعدام النص المشير لحصولها ، وسنتناول هذا الموضوع لاحقا عند حديثنا عن المرحلة السفيانية وهل يمكن قيام خلافة راشدة قبل المهدي.

فَتحُ بَيتِ المقدِسِ

فتح بين المقدس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ فَتحُ بَيتِ المقدِسِ ، لقولهِ ﷺ : «**أُعدُد سِتّاً بين يَدَي السّاعةِ** .. الحديثَ»[2]، وذكر فيه : « **فَتحَ بَيتِ المَقدِسِ** » ، وقد فُتِحَ بَيتُ المقدِسِ على عَهدِ الخليفةِ عُمَرَ بن الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة سِتٍّ من الهِجرَةِ ، وذهب عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليها بنفسِه وصالحَ أهلَها وفتحها وطهَّرها من اليهودِ والنَّصارى وبنى بها مسجداً في قِبلَةِ بيتِ المقدِسِ .

طاعونُ عِمواسَ

طاعون عمواس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ طاعونُ عِمواسَ ، وقد أدرَجه البِرزِنجِيُّ وغيرُهُ في العلاماتِ الوُسطى ، وقد وقع في سنةِ ثمانِيَةَ عَشرَ للهِجرَةِ في خلافةِ عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومات فيه من المسلمين خمسَةٌ وعشرون ألفاً منهم عَدَدٌ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ومنهم أبو عُبيدَةَ بن الجَرَّاحِ أمينُ هذه الأُمَّةِ[3] .

مقتَلُ عُمَرَ بن الخَطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مقتَلُ الخليفةِ الثَّاني عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (غَلَقِ الفِتنَةِ) وإليها يُشيرُ حديثُ البُخارِيِّ : (أنَّ عُمَرَ سأل حُذيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٨٢) و«المعجم الكبير» (١٨: ٦٣) (١١٦) (١١٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٧٦)، وذكر هذه العلامة د. يوسف الوابل في «فقه أشراط الساعة» ص٨٥ .

(٣) ذكر هذه العلامة د. يوسف الوابل في «فقه أشراط الساعة» ص٦٨.

الفِتنَةِ التي تموجُ كمَوجِ البَحرِ ، قال : يا أميرَ المؤمنين لا بأسَ عليك منها إنَّ بينك وبينها باباً مُغلَقاً .. قال : يُفتَحُ البابُ أم يُكسَرُ ؟ قال : لا بل يُكسَرُ ، قال : ذاك أحرى أن لا يُغلَقَ .. وفيه أنَّ البابَ هو عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)[1] ، وحديثُ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : لقي عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخذ بيده فغمزها فقال له أبو ذر : (أرسل يدي يا قفل الفتنة ...الحديث) وفيه أن أبا ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : (لا تُصيبُكم فِتنَةٌ ما دام هذا فيكم ، وأشار إلى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [2]) .

وحديثُ : «ما بينكم وبين أن يُرسَلَ عليكم الشَّرُّ فراسِخَ إلا موتُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» عن حذيفة [3].

مَقتَلُ عُثمانَ بن عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقتل الخليفة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علامة وسطى وهو اختراق لموقع القرار وبه تكوّن أول قرن من الخوارج

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مَقتَلُ الخليفةِ الثَّالِثِ عُثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وفيها يقول ﷺ : «**أَوَّلُ الفِتَنِ قَتلُ عُثمانَ ، وآخِرُها خُروجُ الدَّجَّالِ..والذي نفسي بِيَدِهِ ما مِن أَحَدٍ في قَلبِهِ مِثقالُ حَبَّةٍ من مقتَلِ عُثمانَ إلا حُشِرَ مع الدَّجَّالِ إن أدرَكَه ، وإن لَم يُدرِكْهُ آمَنَ بِهِ فِي قَبرِهِ**»[4].

روى أحمد من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمر رجل فقال : «**يقتل فيها هذا ظلماً**» . قال فنظرت فإذا هو عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)[5] إسناده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٨) .

وفي مقتَلِهِ علاقَةٌ وطيدَةٌ بِمَبدأ سِياسةِ التَّمهيدِ للدَّجّالِ في الأُمَّةِ ، بِنجاحِ المُنافِقِين

---

(١) «صحيح البخاري » (٣٥٨٦) .

(٢) «المعجم الأوسط» للطبراني (١٩٤٥)، إسناده صحيح ، «در السحابة» للشوكاني (١٠٣) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٥٢) بهذه اللفظة «**موت عمر**». وفي «المصنف لابن أبي شيبة» : «**إلا مَوتَةٍ فِي عُنُقِ رَجُلٍ يَمُوتُهَا وهُو عُمَر**» (٣٧٢٩٠) .

(٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٤٧) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩٢:٧) .

(٥) «مسند أحمد» (٥٩٥٣) .

في اختِراقِ موقِعِ القَرارِ والتأثيرِ عليه ، وتكوُّنِ أوَّلِ قَرنٍ من قُرونِ الخوارِجِ .

موقِعةُ الجَمَل

موقعة الجمل وصون أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَى موقِعَةُ الجَمَلِ وفيها جُملَةٌ من الفِتَنِ المنصوصِ عليها في علاماتِ السّاعةِ ،كخُروجِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومقتَلِ الزُّبير وطَلحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فعن مُطرِّفٍ قال : قُلنا للزُّبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا أبا عبدَ اللهِ ما جاء بِكُم ؟ ضيَّعتُم الخليفَةَ حتى قُتِلَ ثُمَّ جِئتُم تطلُبون بِدَمِهِ ؟ قالَ الزُّبيرُ : «إنا قَرأناها على عَهدِ رَسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبي بَكرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥] لم نكن نحسِبُ أنّا أهلُها حتى وقعت مِنّا حيثُ وقعت..» [١].

ومنها حديثُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع الزُّبيرِ وقولُه له عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لَتُقاتِلَنَّه وأنت له ظالِمٌ»[٢] وكانت هذه المقولَةُ سَبَباً في اعتزالِ الزُّبَيرِ لجيشِ الجَمَلِ ، ثُمَّ لَقِيَهُ أحَدُ أصحابِ الإمامِ علِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقتَلَه ـ باعتبارِه من الجيشِ المُعادي ـ وجاء يُبَشِّرُ الإمامَ بِقَتلِهِ للزُّبيرِ ، فغَضِبَ الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقالَ : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**بَشِّر قاتِلَ ابنِ صَفِيَّةَ بالنَّارِ**»[٣]، وأقام عليه الحَدَّ وقَتَلَه الإمامُ عَلِيٌّ بالزُّبيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

خروج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وموقف الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهميته في فقه التحولات

وفي خُروجِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نُصوصٌ مِثلُ قولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِنسائِهِ: جاء في الفتح (١٣/ ٦٢) حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لنا ذات يوم : «**كيف بأحدكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[٥] .

---

(١) «مسند أحمد» (١٤١٤) «مجمع الزوائد» (٧: ٢٧) (١١٠٢٧) ، وقال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٤١٥) ، «المطالب العالية» لابن حجر (٤٤٠٤) .

(٣) «مسند أحمد» (٦٨١) و«المستدرك على الصحيحين» (٥٥٨٠) قال أبو عبد الله : هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين علي وإن لم يخرجاه بهذه الأسانيد .

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢: ٦١٠) .

(٥) «مسند أحمد» (٢٤٦٥٤) ، «صحيح ابن حبان» (٦٧٣٢) ، «مسند البزار» (٤٧٧٧) ، «المستدرك على الصحيحين» (٤٦١٣) ، «مسند أبي يعلى» (٤٨٦٨) .

وعن زيدِ بنِ وَهبٍ قال: بينما نحنُ حولَ حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذ قالَ: «كيف أنتم وقد خرج أهلُ بيتِ نَبيِّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ فِرقَتَينِ يَضرِبُ بعضُكم وُجوهَ بعضٍ بالسَّيفِ؟!» قُلنا: يا أبا عبد الله فكيفَ نَصنَعُ إن أدركنا ذلك؟ قال: «انظُرُوا إلى الفِرقَةَ التي تدعو إلى أمر عَلِيٍّ فإنَّها على الهُدى»[1]. وفي رواية أخرى للبزار أيضاً كما في «الفتح» (١٣/ ٨٥) بلفظ: «وقد خرج أهل دينكم ـ ويضرب بعضهم ـ قالوا فما تأمرنا» إلى قوله: «فَالزَمْهَا فَإنّهَا عَلى الحَقّ». وعن أبي رافعٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قال لعليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّه سيكونُ بينَكَ وبينَ عائِشَةَ أمرٌ» قال: أنا يا رسولَ اللهِ؟!! قال: نعم، قال: أنا أشقاهم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارْدُدها إلى مأمَنِها**»[2]، وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِنسائِهِ: «**ليت شِعري أيَّتُكُنَّ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأدبَبِ، تخرُجُ فتنبَحُها كِلابُ الحَوأَبِ، يُقتَلُ عن يمينِها وعن يسارِها قَتلى كثيرٌ، ثُمَّ تنجو بعد ما كادت**»[3].

خروج عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لا يقدح في عدالتها

ولا يقدَحُ هذا الأمرُ في أُمِّ المؤمنين عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ولا يجرَحُ عدالَتَها كَأُمٍّ للمُؤمِنين وزَوجَةٍ لِرَسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِحَصانَتِها بالنُّصوصِ، وأنها زوجَةُ رسولِ اللهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، ولما ترتَّبَ على اعتذارِها فيما بعدَ الجَمَلِ من الإمام عَليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[4].

---

(١) «مسند البزار» (٢٨١٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢٧١٩٨) و«المعجم الكبير» للطبراني (٩٩٥) و«مسند البزار» (٣٨٨١).

(٣) «مسند البزار» (٤٧٧٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٨٥).

(٤) وهذا ما يميز فقه التحولات عن غيره، فالظالمون لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ساقوا في كتبهم ما ينتقد من سلوك طبعي جرى من أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وجعلوا من حصيلة هذا فقهاً يؤيد ما حملته نفوسهم الطبعية نحوها، وهم لا يعلمون الفرق بين أم المؤمنين وبين غيرها من النساء اللاتي ليس لهن مناقب أو حصانة من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، أما الذي كان يعلم ذلك كالإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقد كانت معاملته لها وفق النصوص ووفق الأدب مع من سماها عمار بن ياسر (زوجة النبي في الدنيا والآخرة) كما في البخاري (٣٤٨٨)؛ لأن الإمام علياً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من رجال فقه التحولات بل حتى حديثه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن «الخوارج» يدل على سلامة قلبه عن الضغينة والحقد والتشفي، وهذه هي مواقف الرجولة لدى رجال النمط الأوسط رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

موقِعَةُ صِفّينَ

موقعة صفين علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ موقِعَةُ صِفِّينَ ، وفيها يقولُ ﷺ: «**شَـرُّ قتيلٍ بين صَفَّينِ، أحدُهما يطلُبُ المُلكَ**»[1]، وفيها قَتلُ عَمَّارٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي قال فيه ﷺ: «عَمَّارٌ تقتُلُه الفِئَةُ الباغِيَةُ»[2] ، وفيها خُدعَةُ التَّحكيم ، وفي هذا الشَّـأنِ ذَكَرَ نُعيمُ بنُ حَمَّادٍ عن أبي سـالمٍ الجَيشانِيِّ قالَ: سَمِعتُ عَلِيّاً رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالكوفَةِ يقول: «إنِّي أُقاتِلُ على حَقٍّ لا يقومُ ولن يقومَ ، والأمرُ لهم». قال: فقُلتُ لأصحابي :ما المقامُ هاهنا ، وقد أخبَرَنا أنَّ الأمرَ ليس لهم فاستأذَنّاهُ إلى مِصرَ ، فأَذِنَ لمن شاءَ مِنَّا وأعطى كُلَّ رَجُلٍ مِنّا ألفَ درهم ، وأقام معه طائِفَةٌ منا[3].

وكان من نتائجها انقِسامُ المسلمين إلى :

١- أتباعِ النَّمَطِ الأوسَطِ، وهم الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وآلُ بَيتِهِ .

٢- شِيعَةِ التَّحكيم ، وهم الذين ألزَمُوا الإمامَ عَلِيّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِقَبولِ التَّحكيم .

٣- الخوارِجِ ، وهم الذين خَرَجوا على الإمامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمّا رَضِيَ التَّحكيمَ .

واتَّسعَت دائِرَةُ هذه الفِتَنِ وكانت سَبَباً في الحوادِث اللّاحِقَةِ وفِتنَةِ الفِئَةِ المارِقَةِ .

ظُهورُالخوارِجِ ووَقعَةُ النَّهروانِ

ظهور الخوارج ومقتلة النهروان علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ ظُهورُ الخوارِجِ ووَقعَةُ النَّهروانِ واستمرارُ فِتنَتِهم

---

(١) «المعجم الأوسط» (٦٤٦٩) .

(٢) «صحيـح البخـاري» (٤٤٧) ، وكان مقتـل عمـار مفصلًا تاريخيـاً في المعركـة وما ترتب عليهـا من ظهور فقـه المبررات والمغالطـات، كمثل قول فريق الشـام: إن الذي قتل عمار هـو مـن جاء به للمعركـة ، أو ما برز من أهمية فقه الأحاديث الاسـتباقية كقـول عبدالله بن عمـر لرجليـن اختلفا فـي مقتل عمار كل منهما يدعـي أنه قتله: فليهنـأ كلٌّ منكما لصاحبه، فإنـي سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: بَشِّـرْ قاتلَ ابن صفيـة بالنار ، فرمـى كلٌّ منهما بما في يـده وأنكـر القتل . وانظر في ذلك كتابَنـا «إظهار العلم المكنون عن نمـاذج حَيْصَات الفتن والرَّدَاح المُطْبِقَة والشُّرْف الجُون» ص٩٧.

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٠٤) .

إلـى عَصرِ الدَّجّالِ، وهم أوَّلُ مَن كفَّرَ المُسـلِمين بالذُّنـوبِ ويُكفِّرون مَن خالَفَهم فـي بِدعَتِهم ويسـتَحِلُّون دَمَـهُ ومالَهُ، قال البُخـارِيُّ في صحيحـه: وكانَ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا يراهم شِـرَارُ خَلقِ اللـهِ، وقالَ: إنَّهم انطَلَقوا الى آيـاتٍ نزلت في الكُفَّارِ فجعَلوها على المؤمنينَ[1].

فتنة الخوارج تجاوزت الزمان والمكان

وفِتنَتُهـم مـن الفِتَـنِ التي تجـاوزت الأزمِنَـةَ وامتـدَّت جيلاً بعد جيـلٍ وصارت مدرسـةً مُنحَرِفَـةً فـي الإسـلامِ عَبـرَ التّاريخِ الإسـلاميِّ كُلِّـهِ إلى اليومِ ومـا بعده، ويُعرَفـون بالعلاماتِ، وبِدعَتُهم كانت أوَّلَ بِدعَةٍ حَدَثَت في الإسـلامِ، وأوَّلُ قَرنٍ ظَهَـرَ فيهم على عَهدِ رَسـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان ذا الخُوَيصِـرَةِ التَّميمِيَّ[2] الذي طعَنَ في قِسـمَةِ غنائِمِ هَوازَنَ، وقال لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اتَّقِ اللهَ واعدِل فإنَّك لم تَعدِل، فقال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَيلَكَ أو وَيحَكَ، ومَن يَعدِلُ إذا لم أكُن أعدِلُ؛ قد خِبتُ وخَسِرتُ إن لـم أعدِل**» فقال عُمَرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يا رَسـولَ اللـهِ ائذَنْ لي فيه أضرِبْ عُنُقَهُ، قـالَ رسـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**دَعـهُ، فإنَّ له أصحابـاً يحقِرُ أحدُكم صلاتَـهُ مع صلاتِهم، وصيامَهُ مع صِيامِهم، يقرَؤُون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيهم، يمرُقُون من الإسـلامِ كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ**»[3].

المدرسة الحرقوصية التميمية

بدء ظهور مدرسة الخوارج

وأما انتشارُها وظُهورُها فقد كان بعد الانتهاءِ من معرَكَةِ صِفِّينَ واتِّفاقِ أهلِ الشَّام والعِراقِ على التَّحكيمِ بين الطَّائِفَتَينِ، وكانت أوَّلَ نموذَجٍ للمُعارَضَةِ السَّـلبِيَّةِ ضِدَّ القرارِ الحاكِمِ، وقد بَلَغَ عددُهم في هذه المرحلةِ ثمانيةَ آلافٍ ـ وقيل: سِـتَّةَ عَشَـرَ ألفـاً ـ نزلوا مكاناً يُسَـمَّى (حـروراءَ) وهي قريةٌ على بُعدِ مِيلَينِ من الكوفةِ ونُسِـبَ

---

(١) «صحيـح البخاري» (بـاب قتل الخوارج والملحديـن بعد إقامة الحجـة عليهم) و«الفتح» (١٢: ٢٨٦)، وقد وصل الطبري هذا التعليق في مسـند علي من «تهذيب الآثار»، وسـنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (١٢: ٢٨٦).

(٢) ذوالخويصـرة التميمـي هو ذاتـه حرقوص بن زهير السـعدي كما أشـارت إلى ذلك بعض المصادر منها «أسد الغابة» (١٥٤١)، و«المستفاد» لأبي زرعة (٢: ١٢٩٢)، وهذا يجمع المدرستين في هدف واحد: المدرسة الحرقوصية.. ومدرسة ذي الخويصرة التميمية.

(٣) «صحيح البخاري» (٣٦١٠) «صحيح مسلم» (١٠٦٤).

الخوارِجُ إليها فسُمُّوا بالحَرورِيَّة .

الامتداد الطبيعي للمدارس الخارجية حتى يظهر في أعراضهم الدجال

وجُملةُ هذه الأحاديثِ منها ما يبرِزُ سُلوكَ ومواقِفَ الخوارِجِ إبّانَ مرحلةِ الرِّسالَةِ ذاتَها كما هو في ذي الخُوَيصِرَةِ ، ومنها ما يُشيرُ إلى الخوارِجِ فيما بعد وفاتِهِ ﷺ وامتدادِ فِتنَتِهم في عُصورِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والتّابعين ، ومنها ما يُشيرُ إلى عَودَةِ بِدعَتِهم في آخِرِ الزَّمانِ بِصُوَرٍ شتَّى حتى يكونَ آخرُهم مع الدَّجّالِ .. وفيهم يقولُ ﷺ فيما رواهُ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : «**يخرُجُ من أُمَّتي قومٌ يُسيؤون الأعمالَ ، يقرَؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهم ، يحقِرُ أَحَدُكم عمَلَهُ مع عَمَلِهم ، يقتُلون أهلَ الإسلامِ ، فإذا خرجوا فاقتُلوهم ، فطوبى لمن قتَلَهم وطوبى لمن قتَلوه ، كُلَّما طلع منهم قَرنٌ قَطَعَه اللهُ**» ، فردَّدَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ عِشرين مَرَّةً أو أكثَرَ وأنا أسمَعُ[1]. رواه أحمد ، وفي رواية ابن ماجه يقول : «كُلَّما خَرَجَ قَرنٌ قُطِعَ – أكثَرَ مِن عِشرِينَ مَرَّةً– حتى يَخرُجَ في عِراضِهم الدَّجّالُ»[2].

وعن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «بعثَ عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من اليَمَنِ بِذُهَيبَةٍ في أَديم مقروظٍ لم تُحصَّل من تُرابِها ، قال : فقَسَّمَها بين أربَعةِ نَفَرٍ بين عُيَينَةَ بنِ بَدرٍ ، وأَقرعَ بنِ حابِسٍ ، وزيدِ الخَيلِ ، والرَّابع إمّا عَلقَمَةَ بنِ عُلاثَةَ وإمّا عامِرَ بنَ الطُّفَيلِ ، فقالَ رَجُلٌ من أصحابِهِ : كُنَّا نحن أحَقَّ بهذا من هؤلاء ، قال : فبلَغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال : «**ألَا تأمَنُونِي وأنا أمينُ مَن في السَّماءِ ، يَأتيني خَبَرُ السَّماءِ صَباحاً ومَساءً**» قال : فقامَ رَجُلٌ غائِرُ العَينَينِ مُشرِفُ الوَجنَتَينِ ناشِزُ الجَبهَةِ كَثُّ اللِّحيَةِ محلوقُ الرَّأسِ مُشَمِّرُ الإزارِ فقال : يا رَسولَ اللهِ اتَّقِ اللهَ ، قال : «**وَيلَكَ أَوَلَستُ أحَقَّ أهلَ الأرضِ أن يَتَّقِيَ اللهَ**» ، قال : ثُمَّ ولّى الرَّجُلُ ، قال خالِدُ بنُ الوليدِ : يا رَسولَ اللهِ ألا أضرِبُ عُنُقَهُ قال : «**لا ، لعلَّه أن يكونُ يُصلِّي**» ، فقال خالدٌ : وكم من مُصَلٍّ يقولُ بِلِسانِهِ ما ليس في قلبِه ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ : «**إنِّي لم أُؤْمرُ أن أَنْقُبَ عن قُلوب النّاسِ ولا أَشُقَّ بُطونهم**» ، قال :

---

(١) «مسند أحمد» (٥٥٦٢) .

(٢) «سنن ابن ماجه» (١٧٤) .

ثُـمَّ نظـر إليه وهـو مُقفٍّ فقـال : «**إنَّه يخرُجُ من ضِئضِـئِ هذا قومٌ يتلـون كتابَ اللهِ رَطباً لا يُجاوِزُ حناجِرَهم ،يمرُقون من الدِّين كما يمرُقُ السَّـهمُ من الرَّمِيَّةِ** – وأظنُّه قال–: **لَئِن أدركتُهـم لأقتُلَنَّهم قتلَ ثَمودَ**»[1]. وورد بِرواياتٍ عِدَّةٍ فيها زياداتٌ، قال الخَطَّابـيُّ وابـنُ الأثيـرِ وغيرهما : (الضِّئضِئُ) الأصـلُ ، قال الخَطَّابـيُّ : (يريد أنَّه يخـرُجُ من نسـلِهِ الذين هو أوَّلُهم أو يخـرُجُ من أصحابِهِ وأتباعِـهِ الذين يقتَدون به ويَبنُون رأيَهُم ومَذهَبَهم على أصلِ قَولِهِ) .

قـال مُؤَلِّفُ «إتحاف الجماعة» تعليقاً : قلتُ : وهذا الأخيرُ أرجَحُ ، ويؤيِّدُهُ قولُهُ ﷺ : «**إنَّ لـه أصحابـاً يحقِـرُ أحدُكم صلاتَه مـع صلاتِهم وصيامَه مـع صيامِهم**» ، وقولُهُ في الحديثِ الآخَرِ : «**إنَّ له شـيعَةً يتعَمَّقون في الدِّين حتى يخرُجوا منه**»[2]. وفي روايةٍ أُخرَى : «**سـيماهُم التَّحليقُ ، لا يزالـون يخرُجون حتى يخرُجَ آخِرُهم ، فـإذا رأيتُموهم فاقتُلوهم (قالها ثلاثا) شَـرُّ الخَلقِ والخليقَـةِ (قالها ثلاثا)**»[3]. وفي روايـةِ أحمدَ : «**لا يزالون يخرُجون حتى يخرُجَ آخِرُهـم مع الدَّجَّالِ**»[4]. ورواه أبو داود والطيالسي والنسائي بنحوه[5].

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : ذُكِرَ لي أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال –ولم أسـمَعْهُ منه– : «إنَّ فيكم قوماً يتعبَّدون فَيدأبون حتى يُعجَبَ بهم النَّاسُ وتُعجِبُهم أنفُسُهم يمرُقون من الدِّين مُروقَ السَّهمِ من الرَّمِيَّةِ»[6].

وعن مُسلمِ بن أبي بَكرَةَ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسولُ الله ﷺ : «**سيخرُجُ قومٌ أحداثٌ أحِدَّاءُ أَشِدَّاءُ ذليقَةٌ ألسِنَتُهم يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيهم فإذا لَقِيتُموهم**

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٣٥١) و«صحيح مسلم» (١٠٦٤) .

(٢) «إتحاف الجماعة» للتويجري (١/ ٢٨٠) والحديث في «مسند أحمد» (٧٠٣٨) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٩١٧) و«مسند أحمد» (١٩٧٨٣) .

(٤) «سـنن النسائي المجتبى» (٤١٠٣) و«مسند أبي داود» الطيالسي (٩٦٥) و«سنن أبي داود» (٢٤٨٤) و«مسند أحمد» (١٩٨٠٨) .

(٥) «إتحاف الجماعة» (١/ ٢٩٠) .

(٦) «مسند أحمد» (١٢٨٨٦) .

فأنيموهم ثُمَّ إذا لقيتُموهم فاقتُلوهم فإنَّه يُؤجَرُ قاتِلُهم»[1]، والإنامةُ القتلُ .

موقف الإمام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من الخوارج في النهروان

وقد قاتل الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخوارِجَ في عهدِهِ وهَزَمَهم في وَقعَةِ النَّهرَوانِ وفيها قال الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «أُمِرنا بِقِتالِ ثلاثَةٍ : النّاكِثين والقاسِطين والمارِقين، فقد قاتَلتُ النَّاكِثين والقاسِطين ، وأنا مُقاتِلٌ إن شاء اللهُ المارِقين» [2]، وفيها مَقتلُ ذي الثَّدِيَّتَينِ وهو علامةٌ ممّا ذَكَره رَسولُ اللهِ ﷺ : «**وآيةُ ذلك أنَّ فيهم رَجُلاً له عَضُدٌ ليس فيه ذِراعٌ على رأسِ عَضُدِهِ مِثلُ حَلَمَةِ الثَّدي عليه شَعَراتٌ بِيضٌ**»[3] وعن أبي سعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «**تمرُقُ مارِقَةٌ عند فِرقَةٍ من المُسلِمين فيَقتُلُها أَولَى الطَّائِفَتَينِ بالحَقِّ**»[4] ولما فرغ من قَتلِهم الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال رجلٌ : الحمدُ لله الذي أبادَهُم وأراحنا منهم ، فقال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «لا والذي نفسي بِيَدِهِ ، إنَّ فيهم لَمَن في أصلابِ الرِّجالِ لم تحمِلهُ النِّساءُ بعدُ ، وليكونَنَّ آخِرُهم ألصَاصَاً حرادينَ»[5] .

مسمى الحرورية نسبة إلى حروراء

وحديثٌ رواه أبو سعيدٍ الخُدرِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «**تمرُقُ مارِقَةٌ عند فِرقَةٍ من المُسلِمين يقتُلُها أَولَى الطَّائِفَتَينِ بالحَقِّ**» [6] .

وعنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه لما سُئِلَ عن الحرورِيَّةِ قال : لا أدري ما الحرورِيَّةُ ؟ سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ : «**يخرُجُ في هذه الأُمَّةِ - ولم يَقُل منها - قومٌ تحقِرون صلاتَكم مع صلاتِهم ، يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ حُلُوقَهم أو حناجِرَهم ، يمرُقون من الدِّين مُروقَ السَّهمِ من الرَّمِيَّةِ** ..» [7]، ولما قاتَلَ الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ طلائِعَهم في عَصرِهِ وقال لأصحابِهِ : «اطلُبوا رَجُلاً صِفَتُهُ كذا وكذا» ، فطلَبوه فلم يَجِدوه ، ثُمَّ طلبوه فوجدوه على النَّعتِ الذي ذكرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ ، فقالَ رَجُلٌ : الحمدُ للهِ الذي

---

(١) «مسند أحمد» (٢٠٣٨٢) .
(٢) «المعجم الكبير» (٤٠٤٩) .
(٣) «صحيح مسلم» (١٠٦٦) .
(٤) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) .
(٥) «مسند عبدالرزاق» (١٨٦٥٥) .
(٦) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) ، وهي إشارة إلى معركتهم مع الإمام علي في وقعة النهروان .
(٧) «صحيح البخاري» (٦٩٣١) .

أبادَهم وأراحَنا منهم .. فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «كلا .. والذي نفسي بيده إنَّ منهم لمن في أصلابِ الرِّجالِ لم تحمِلهُ النِّساءُ بعدُ وليكُونَنَّ آخِرُهم لِصاصاً وحرادينَ»[1] .

تحديد هوية الخوارج على لسان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وعن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِي ، فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ النَّهَرِ : أَمُشْرِكُونَ هم؟

قَالَ: مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا ،

قِيلَ : فَمُنَافِقُونَ هُمْ ؟

قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ،

قِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ ؟

قَالَ: قَوْمٌ بَغوْا عَلَيْنا[2] .

وفي الحديث إشارةٌ إلى أن فقهَ التحولات لا يُصدِر أحكاماً.. وإنما يُبين العلاماتِ..

وكان أغلَبُ الخوارِجِ مِمَّن لم يصحَب النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفيهم وفي أمثالِهم يقولُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «قد علِمتُ وربِّ الكعبَةِ متى يهلَكُ العرَبُ !! إذا وَلِيَ أمرَهُم مَن لم يصحَب الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يُعالِج أمرَ الجاهِلِيَّة»[3] .

ومما يُؤَكِّدُ نَصّاً استمرارَ ظاهِرَةِ الخوارِجِ تاريخياً حتى يُدرِكَ آخِرُهم الدَّجَّالَ ما رواهُ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**ينشَأُ نَشءٌ يقرأون القُرآنَ لا يجاوِزُ تَرَاقِيهم كُلَّما خَرَجَ قَرنٌ قُطِعَ**» قال ابنُ عُمَرَ : سَمِعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «**كُلَّما خرجَ قَرنٌ قُطِعَ (أكثَرَ من عِشرين مَرَّةً) حتى يخرُجَ في أعراضِهم الدَّجَّالُ**»[4]، وفيهم أيضاً يقولُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «ما أخافُ على هذه الأُمَّةِ من مُؤمِنٍ ينهاه إيمانُه ولا مِن فاسِقٍ بَيِّنٍ فِسقُهُ ، ولكن أخافُ عليها رَجُلاً قرأ القُرآنَ حتى

(١) «مسند عبدالرزاق» (١٨٦٥٥) .
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٩٤٢) .
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٨٣١٨) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٤٧٢) .
(٤) «سنن ابن ماجه» (١٧٤) .

أزلَقَه بِلِسانِه ثُمَّ تأوَّلَه على غير تأويلِه»[1] .

مقتَلُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مقتل الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مقتَلُ الإمام عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفيه روى الطبرانيُّ عن جابرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يا عليُّ ، إنَّك مُؤَمَّرٌ مُستَخلَفٌ وإنَّك مقتولٌ ، وإنَّ هذه مخضوبةٌ من هذه**» يعني: لِحيَتَه من رأسِهِ[2] .

وكان مقتَلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في يوم الجُمُعةِ سابعَ عشَرَ رمضانَ سنة أربعينَ من الهجرة ، قتَلَه عبدُ الرَّحمنِ بنُ مُلجِمِ المُراديُّ من طائِفَةِ الخوارِجِ ، وقال في قَتلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ الأُمَّةَ ستغدِرُ بك بعدي ، وأنت تعيشُ على مِلَّتي وتُقتَلُ على سُنَّتي ، ومن أحبَّكَ أحَبَّني ومن أبغَضَك أبغَضَني ، وإنَّ هذه ستُخضَبُ من هذا .. يعني لِحيتَهُ من رأسِهِ**» أخرجه الحاكم[3] .

صُلحُ الإمامِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

صلح الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ صُلحُ الإمامِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وفيه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ ، وسيُصلِحُ الله به بين فِئتَينِ من المسلمين**»[4] .

وفي صُلحِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَلحَظٌ هامٌّ بإنهاءِ معرَكَةِ الصِّراعِ فيما بين المسلمين ، وهو ما قَصَدَهُ الإمامُ الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خُطبَةِ التَّنازُلِ في قولِه : «أيُّها النّاسُ ، إنَّ اللهَ هداكم بأوَّلِنا وحَقَن دِماءَكُم بآخِرِنا ، وإنّ مُعاوِيَةَ نازَعَني أمراً أنا

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢٣٦٨) و«كنز العمال» (٢٩٤٠٤) .

(٢) «المعجم الأوسط» (٧٣١٨) و«المعجم الكبير» (٢٠٣٨) .

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤٦٨٦) .

(٤) «صحيح البخاري» (٢٧٠٤) .

أَحَقُّ به ، وإنّي تَركتُهُ حَقناً لِدِماءِ المُسلمين وطَلَباً لما عند اللهِ »[1].

وعن عبد الرَّحمن بنِ جُبَيرِ بن نُفَيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قُلتُ للحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إنّ النّاسَ يقولون إنّك تُريدُ الخِلافَةَ ، فقال : «قد كانت جماجِمُ العَرَب في يدي : يحارِبون مَن حارَبتُ ويُسالِمون مَن سالمتُ . تركتُها ابتغاءَ وَجهِ اللهِ تعالى وحَقنِ دماءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم أَبْتَزُّهَا بِأَتْيَاسِ أَهْلِ الحِجازِ؟! »[2].

مُلكُ بني أُمَيَّةَ

ملك بني أمية علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مُلكُ بني أُمَيَّةَ (المُلكُ العَضوضُ) ، وفيه يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**بدأ هذا الأمرُ بِنُبُوَّةٍ ورَحمَةٍ**[3] **ثُمَّ خلافَةٍ ورَحمَةٍ ، ثم مُلكاً عَضوضاً ، ثم عُتُوّاً وجَبْرِيَّةً**» [4].

---

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير (١: ٢٦١) .

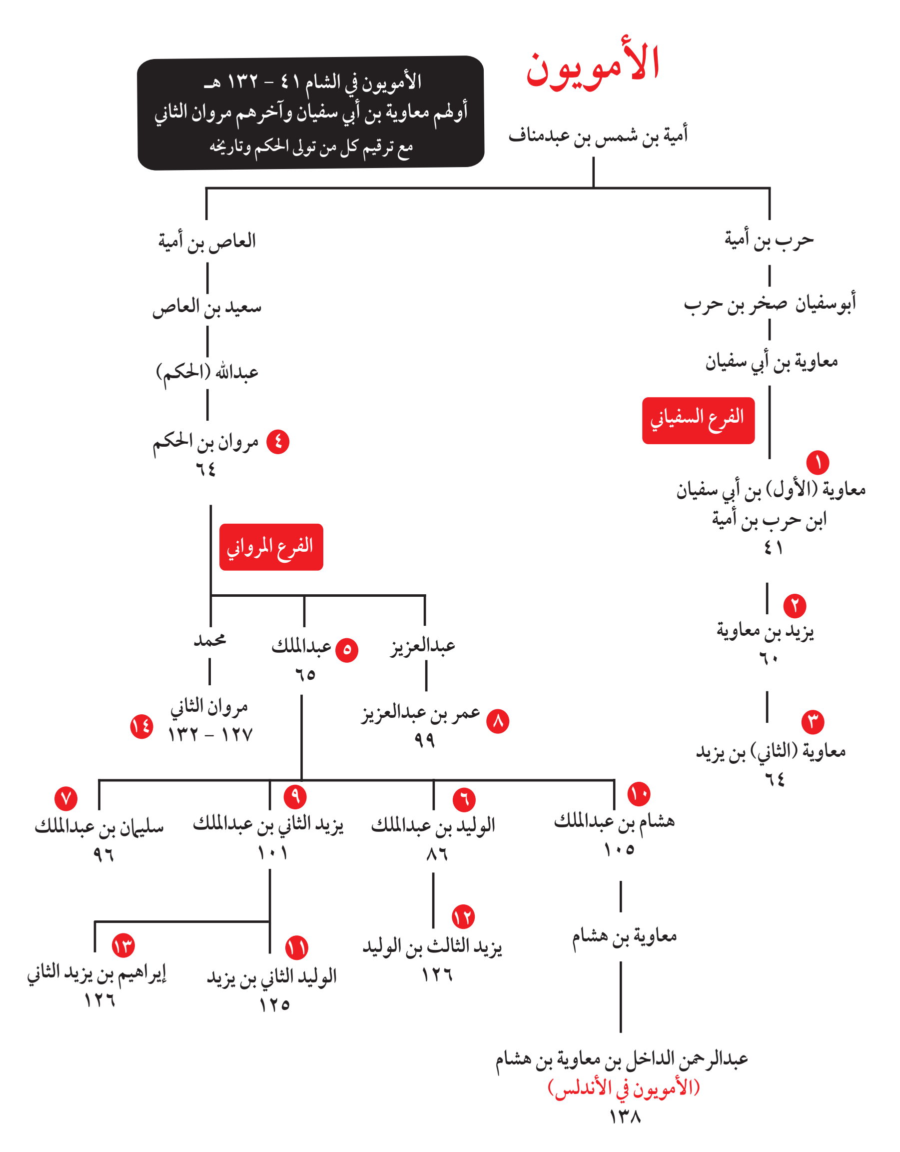
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤٧٩٥) قال الحاكم هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، و«إتحاف الجماعة» (١: ١٩٦) .

(٣) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**خلافة ورحمة**» يشير إلى مرحلة تنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما يكون في تلك المرحلة من السكون والهدوء بعد القلق والاحتدام .

وكان من مظاهر الخلافة موقف الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجامع بين خلافتي الحكم والعلم ، ومن مظاهر الرحمة حفظه لدماء المسلمين وتضحيته بصنمية الحكم التي يعبدها المقاتلون من أجلها .

ومن فوائد تنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كشف حقيقة المطالبة بدم عثمان كذبا وزورا ، حيث إنهم بعد أن ملكوا الحكم بتنازل الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم نسمع عن مطالبتهم بثأر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بل اشترك جملة من قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقتلة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ترسيخ دولة الملك العضوض .

(٤) «مسند أبي يعلى» (٣٦٧) و«المعجم الكبير» (٨٧٣) و«الإشاعة»/ ٣٦٤ .



مشجر الأمويين ، تمت إعادة الرسم مع شيء من التصرف ، «أطلس تاريخ العرب» ص٤٦

وهذا الحديثُ يشمَلُ مرحلةَ بني أُمَيَّةَ وبني العَبّاسِ .

وحديثُ : «**خِلافةُ النُّبوَّةِ ثلاثون سنةً ثُمَّ يؤتي اللهُ المُلكَ ـ أو : ملكه ـ مَن يشاءُ**»[1]، وأما أحاديثُ الاختصاصِ ببَني أُمَيَّةَ فمنها قولُهُ ﷺ : «**تعوَّذوا باللهِ من رأسِ السَّبعينَ ومِن إمارَةِ الصِّبيانِ**»[2] .

رؤيا النبي ﷺ للقردة والخنازير تتنزى على منبره

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**رأيتُ بني الحَكَمِ يَنزُون على مِنبَري كما تنزُو القِرَدَةُ**» قال : فما رُؤِيَ النَّبيُّ ﷺ ضاحِكاً حتى تُوُفِّي[3] .

وعن ابن المُسَيَّبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : رأى النَّبيُّ ﷺ بني أُمَيَّةَ على مِنبَرِهِ فساءَهُ ذلك ، فأوحِيَ إليه (إنَّما هي دُنيا أُعطوها) فَقَرَّت عينُهُ .[4]

وعن عُمَارَةَ بنِ أبي حَفصَةَ قال : سَمِعتُ علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ : «عَجِبتُ مِن إخوانِنا بني أُمَيَّةَ ، إنَّ دَعوَتَنا دعوَةُ المؤمنين ، ودَعوَتَهم دَعوَةُ المُنافِقين ، وهم يُنصَرون علينا»[5].

وتنقَسِمُ هذه المرحلةُ إلى قِسمَين :

١- العَهدُ السُّفيانِيُّ الأُمَوِيُّ ، ويبدَأُ بِمُعاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدٍ (اليَزيدِيَّة السُّفْيَانِيَّة) وينتهي بِمَروانَ بنِ الحَكَمِ .

٢- العَهدُ المروانِيُّ الأُمَوِيُّ ، ويبدأ بِعَبدِالمَلِكِ بنِ مَروانَ وينتَهي بِمَروانَ بنِ مُحَمَّدٍ .

وبينهما العهد اليزيدي الذي استُشهد فيه الإمامُ الحسينُ عليه السلام ، وهو متفرعٌ من العهد السفياني الأموي.

(١) «سنن أبي داود» (٤٠٢٨) وقد تقدم ص١٨٢ .

(٢) «مسند أحمد» (٨٣١٩) (٨٣٢٠) (٨٦٥٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٥) .

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٨١) وقد تقدم ص١٦٢ .

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» حديث رقم (١٣٦٩٦) .

(٥) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٠٥) .

مقتل الإمام الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنهُ

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَى مَقتَلُ الإمامِ الحُسَينِ بن عَليٍّ[1] رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ، ففي الأثر ورد عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قالت : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ جبريلَ أخبَرَني أنَّ ابني هذا -يعني الحُسَينَ- يُقتَلُ وأنَّه اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ على مَن يقتُلُه**» رواه ابن عساكر[2].

وعن مُعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أمسِك يا مُعاذُ وأَحصِ فلمَّا بَلَغَ خمساً - يعني من الخُلَفاءِ - قال : يزيدُ ، لا بارك اللهُ في يزيدَ ، نُعِيَ إليَّ حُسَينٌ وأُتيتُ بِتُربَتِهِ وأُخبِرتُ بقاتِلِه ، والذي نفسي بِيَدِه لا يُقتَلُ بين ظَهرانِي قوم لا يمنَعونه إلا خالفَ اللهُ بين صُدُورهم وقُلُوبِهم وسَلَّطَ عليهم شِرارَهم وألبَسَهُم شِيَعاً**»[3] .

---

(١) قتل رَضِيَ اللهُ عَنهُ يوم عاشوراء بكربلاء وكان يوم السبت سنة ٦١ هـ وكان عمره يوم قتل ثمان وخمسين سنة رَضِيَ اللهُ عَنهُ .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٤ : ١٩٣) .

(٣) «المعجم الكبير» (٢٠ : ٣٨) قلت: وهذا الحديث ـ كما قال صاحب «الاشاعة» : ـ ذمٌّ للذين بايعوه وأخرجوه ثم أسلموه إلى العدو ولم يمنعوه .

وفيه إشارة لنتيجة مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنهُ بين تخاذل المحبين وبغض المبغضين وما يترتب على فعلهم من دمار فيما بينهم ، ولا شيء غير ذلك إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وهذا ما حل بالقوم من المبغضين ومن المحبين المتخاذلين من ذلك اليوم حتى مرحلتنا المعاصرة، ومثل هذا النص درس لمن ألقى السمع وهو شهيد، والصراع كما هو في النص عقوبةٌ وليس نصرةً للإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنهُ ولا لآل البيت كما يفيد الحديث الشريف .

وعن شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنهَا حين جاء نعي الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا لعنتْ أهل العراق وقالت : (قتلوه قتلهم الله ، غروه ودلوه لعنهم الله) . اهـ . رواه أحمد والطبراني قال الهيثمي : ورجاله موثوقون . وعن عائشة أو أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنهَا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لإحداهما : «**لقد دخل عليّ البيتَ ملكٌ لم يدخل علي قبلها قال : إن ابنك هذا حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها ، قالت : فأخرج تربة حمراء**» رواه الإمام أحمد قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . اهـ «إتحاف الجماعة»

وَقعةُ الحَرَّةِ

وقعة الحرة علامة وسطى

وَمِـنْ عَلَامَـاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ وَقعَةُ الحَـرَّةِ ، وهي مرحلـةُ فُقـدانِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ، يـومَ الأربعـاءِ لثـلاثٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّةِ سـنة ثلاثٍ وسِـتِّين للهجرة، قال فيها ﷺ : «**والذي نفسـي بيَدِه لَيَكونَنَّ بالمدينةِ مَلحَمَةٌ يقالُ لها (الحالِقَةُ) ، لا أقولُ حالِقَةَ الشَّـعَرِ ولكن حالِقَةُ الدِّينِ .. فاخرُجوا من المدينةِ ولو على قَدرِ بريدٍ ، ولَهَلاكُ أُمَّتي على يَدِ أُغَيلِمَةٍ من قُرَيشٍ**».

وأخرج البيهَقِيُّ عن الحَسَنِ قال : «لما كان يَومُ الحَرَّةِ قُتِّلَ أهلُ المدينةِ حتى كاد لا ينفَلِتُ منهم أَحَـدٌ» ، وأخرجَ عن مالكِ بن أَنَسٍ قال : «قُتِلَ يوم الحَرَّةِ سـبعُ مئةِ رَجُـلٍ من حَمَلَةِ القـرآنِ منهم ثلاثُ مِئَةٍ من الصَّحابَةِ وذلـك في خلافةِ يزيدَ» وفيه زيـادة : «علـى رأسِ السِّـتينِ » ، وفيها تولَّى يزيدُ[1]. وورد : «**لا تقومُ السّـاعةُ حتى يُلتَمَسُ الرَّجلُ من أصحابي كما تُلتَمَسُ الضَّالَّةُ**»[2] .

وعن سـعيدِ بنِ المُسَـيِّبِ قال : (وقعت الفِتنَةُ الأولى –يعنـي مقتَلُ عُثمانَ– فلم تُبـقِ مـن أصحابِ بَدرٍ أحـداً ، ثُمَّ وقعت الفِتنَـةُ الثّانِيَةُ –يعني الحَـرَّةَ– فلم تُبقِ من أصحابِ الحُدَيبِيَةِ أحداً، ثم وقعت الثَّالِثَةُ فلم ترتَفِع ولِلنَّاسِ طَباخٌ)[3].

قال الحافِظُ في قولِه : (لم تُبقِ من أصحابِ بَدرٍ أَحَداً) أي : إنَّهم ماتوا منذُ قامت الفِتنَـةُ بمقتَلِ عُثمانَ إلى أن قامت الفِتنَةُ الأخرى بِوَقعَةِ الحَرَّةِ ، وكان آخرَ مَن مات مِن البَدرِيِّين سعدُ بنَ أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ومات قبل وقعةِ الحَرَّةِ بِبِضعِ سِنينَ[4] .

. (١: ٢٣٨)

(١) «الإشاعة» ص٦٨ .

(٢) «مسند أحمد» (٧٢٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٠٢٤) .

(٤) «فتح الباري» (٧: ٣٢٥) .

فِتنَةُ ابنِ الزُّبَير

فتنة ابن الزبير ومقتله علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ فِتنَةُ ابنِ الزُّبَير ، فعن عُمَرَ بن دينارٍ قال : قال أبو هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : «فِتنَةُ ابنِ الزُّبَيرِ حَيصَةٌ مِن حَيصاتِ الفِتَنِ»[١] .

وعن أبي المنهالِ قالَ : لمّا كان ابنُ زيادٍ ومروانُ بالشَّـامِ ووَثَبَ ابنُ الزُّبَيرِ بِمَكَّةَ ووثَـبَ القُـرَّاءُ بالبَصرَةِ فانطلقتُ مع أبـي إلى أبي بَرزَةَ الأسـلَمِيِّ حتى دَخلنا عليه في دارِهِ وهو جَالِسٌ في ظِلِّ عُلِّيَةٍ له من قَصَبٍ ، فَجَلَسـنا إليه فأنشـأَ أبي يَسـتَطعِمُه الحديثَ ، فقال : يا أبا بَرزَةَ ! ألا ترى ما وقع فيه النَّاسُ ؟ فأوَّلُ شـيءٍ سَـمِعتُهُ تَكَلَّم به : «إنِّي احتَسَبتُ عند اللهِ أنِّي أصبَحتُ ساخِطاً على أحياءَ قُرَيشٍ ، إنَّكم يا مَعشَرَ العَـرَبِ كُنتُم على الحالِ الذي عَلِمتُم من الذِّلَّةِ والقِلَّةِ والضَّلالَةِ ، وإنَّ الله أَنقَذَكُم بالإسلامِ وبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى بَلَغَ بكم ما تَرَونَ وهذه الدُّنيا التي أفسَدَت بينكم . إنَّ ذاك الذي بِالشَّامِ والله إن يُقاتِلُ إلا على الدُّنيا . وإنَّ هؤلاء الذين بين أَظهُرِكم واللهِ إن يقاتِلون إلا على الدُّنيا ، وإن ذاك الذي بِمَكَّةَ واللهِ إن يُقاتِلُ إلا على الدُّنيا»[٢] .

وعـن نافعٍ عـن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أنَّـه قال لِرَجُلٍ يسـأَلُهُ عن القِتالِ مـع الحَجَّاجِ أو مـع ابـنِ الزُّبَيـرِ فقال له ابنُ عُمَـرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا : «مع أيِّ الفريقَين قاتلـتَ فَقُتِلتَ في لَظَىً»[٣] ، وما قال ابنُ عُمَرَ ما قال كراهِيَةً لابنِ الزُّبَيرِ وإنَّما يخافُ الفِتنَةَ وما يترتَّبُ على قِتالِ المُسلِمِ للمُسلِمِ ، وما ورد عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك ، وفي قولِهِ إشارةٌ إلى أنَّ السَّلامَةَ من الفِتَنِ أولى من الوُقوعِ مع أَحَدِ الطَّرَفَينِ في النّارِ .

خِلافَةُ عُمَرَ بن عبدِ العزيز

خلافة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللهُ عَنهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ خِلافَةُ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ ، فعن نافعٍ قال : قال

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٤٧٣) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٦١٩) .

(٢) «صحيح البخاري» (٧١١٢) .

(٣) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٤٥٢) . وانظر «إتحاف الجماعة» (٤٢٥) .

عُمَرُ بن الخَطَّابِ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ : «يكونُ رَجُلٌ من وَلَدِي بِوَجهِهِ شَينٌ يَلِي فَيَملأُها عَدلاً»، قال نافِعٌ : (ولا أحسَبَنَّه إلا عُمَرَ بن عبدَ العزيزِ)[1].

وعن ضَمرَةَ بنِ شَوذَبٍ قال : (دخل عُمَرُ بن عبدِ العزيزِ اصطَبلاً لأبيهِ فَشَجَّهُ فَرَسٌ لأبيه فخرج والدِّماءُ تسيلُ على وجهِه، فقال أبوه : لعلَّك تكونُ أشَجَّ بني أُمَيَّةَ)[2]، وقد ورد في كُتُبِ السِّيَرِ شُمولُ عَدلِهِ وكَثرَةُ إنفاقِهِ للمالِ في أوجُهِهِ الشَّرعِيَّةِ[3]، ومِمَّا يؤكِّدُ موقِعَ مرحلةِ خلافَةِ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ من العلاماتِ الوُسطى للسّاعةِ، ما ورد عن إبراهيمَ بنِ مَيسَرَةَ قال : قُلتُ لِطاووسَ : عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ المهدِيُّ ؟ قال : لا، إنَّه لم يستكمِلِ العَدلَ كُلَّهُ[4]، وعن إبراهيم بن ميسرة بن طاوس قال : (قد كان عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ مَهدِيّاً وليس به، إنّ المهدِيَّ إذا كان زِيدَ المُحسِنُ في إحسانِه وتِيبَ على المُسيءِ من إساءَتِهِ)[5]. ويُعَدُّ الخليفةُ عُمَرُ بنُ عبدِالعزيزِ الخليفَةَ السّادِسَ في سِلسِلَةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين.

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٣١) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦ : ٤٩٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥ : ١٥٥).

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٣٢) و«طبقات ابن سعد» (٥ : ٢٥٤).

(٣) وفي «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٣٣) مقارنة بين الخليفة عمر بن عبد العزيز وبين الإمام المهدي فيما يشير إلى كونهما من علامات الساعة : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر قال : ذكر عنده عمر بن عبد العزيز فقال : بلغنا أن المهدي يصنع شيئا لم يصنعه عمر بن عبد العزيز، قلنا ما هو ؟ قال : يأتيه رجل فيسأله، فيقول : ادخل بيت المال فخذ، فيدخل فيأخذ فيخرج، فيرى الناسَ شباعاً فيندم، فيرجع إليه فيقول : خذ ما أعطيتني، فيأبى ويقول : إنا نعطي ولا نأخذ.

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٤٢).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٦٥٢).

مُلكُ بني العَبّاس

ملك بني العباس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مُلكُ بني العَبَّاس (المُلكُ العَضوض الثاني)، فعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**ويلٌ لِأُمَّتِي مِنْ بَنِي العَبَّاسِ**»[1]، وفي رواية أخرى: «**إنَّ لبني العباسِ لرايةً لا تُرَدُّ**»[2]، وفي أخرى: أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جعل على العباسِ وولدِه كساءً ثم قال: «**اللهمَّ اغفرْ للعباسِ وولدِه مغفرةً ظاهرةً وباطنةً، ولا تغادرْ ذنباً، اللهمَّ اخلُفْهُ في ولده**»[3]، قال البرزنجيُّ: فتُحمَلُ الأحاديثُ الأُوَلُ - إن صَحَّت- على شرارِهم، وهذا وأمثالُهُ على أخيارِهم[4]. وفي رواية أخرى: «ليكوننَّ في ولدِ العباسِ ملوكٌ»، ولعلَّ في مثلِ هذه الأحاديثِ إشارَةً إلى ما أُقِيم في بَعضِ عُصورِهم من الفُتوحاتِ الإسلامِيَّةِ وحِفظِ بَيضَةِ الإسلامِ.

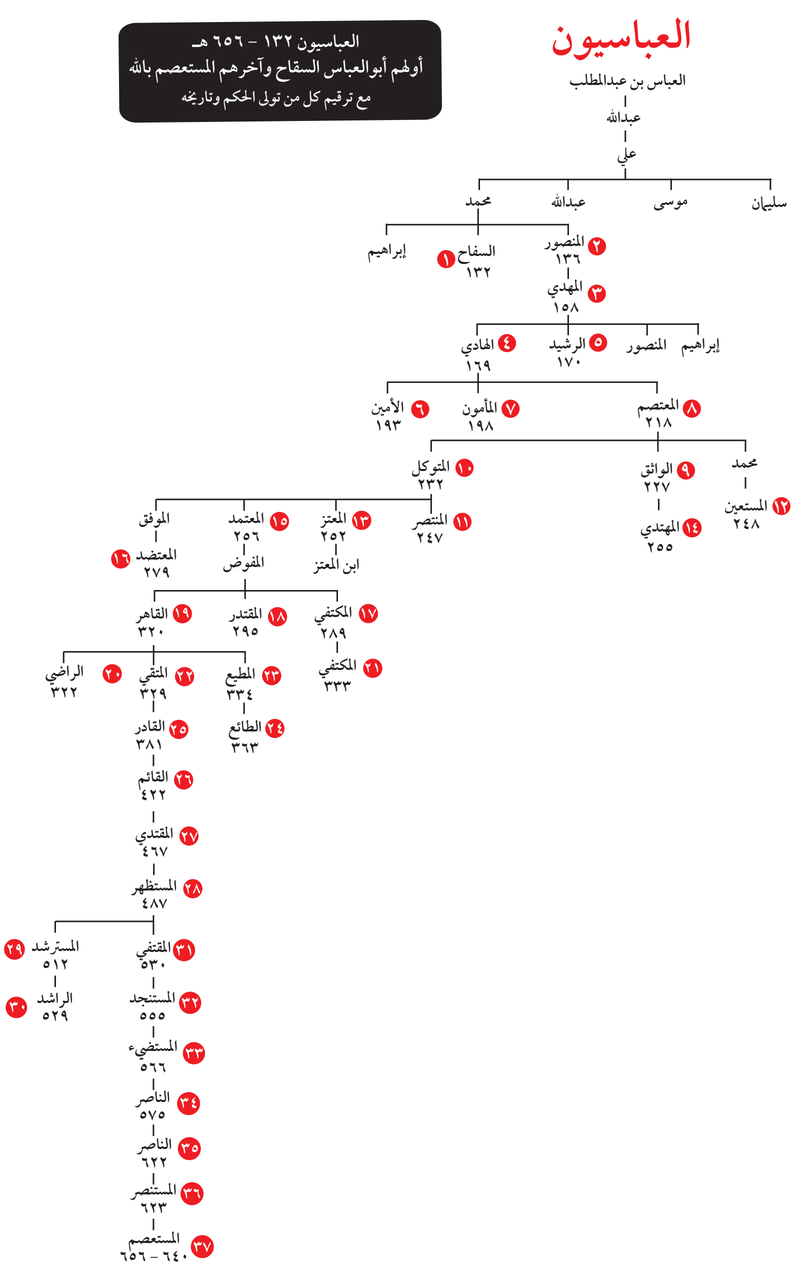
---

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤: ٤٢٢).

(٢) «لسان الميزان» (٢: ١٥٢)، قال ابن حجر: فيه الحارث بن شبل، قال العقيلي: ضعيف.

(٣) «سنن الترمذي» (٣٧٦٢) و«مسند البزار» (٥٢١٣) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢: ٨٩) وقال: إسناده جيد. ومع ذلك فقد ذكر جل أهل الحديث بأنه لم يصح في روايات بني العباس شيء واتهموا أكثر أسانيدها بالنكارة. وهذا مما ينبغي اعتباره لوجود عامل التسييس أيام الثورة ضد الأمويين والتي لم تخل من حركة الوضاعين.

(٤) «الإشاعة» ٧٨.



مشجر العباسيين ، تمت إعادة الرسم مع شيء من التصرف، المصدر السابق ص٧٢

أقسام مرحلةِ المُلكِ العَضوض

باستقراءِ النُّصوص النَّبويَّةِ حول مراحِلِ المُلكِ العضوضِ وموقِعِها من الزَّمانِ تبيَّنَ أنّ مرحلةَ المُلكِ العضوض مُمتَدَّةٌ من عهدِ تنازُلِ الإمامِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُما إلى عهدِ التَّداعي والوَهَنِ والغُثاءِ.

وهذه المراحِلُ طويلةُ المدى مُتباعِدَةُ الزّمانِ يجمَعُها حديثُ لَيثِ بنِ أبي سُلَيم عن ابنِ سابطٍ عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نُبُوَّةً ورحمَةً، وإنَّه كائِنٌ رحمةً وخلافةً، وإنه كائنٌ مُلكاً عضوضاً، وعُتُوّاً وجَبريَّةً، وفساداً في الأُمَّةِ، يستَحِلُّون الخُمورَ والحريرَ والفُروجَ ويُرزَقون عليه حتى يلقَوُا اللهَ**»[1].

مناقشة لمعاني (الملك العضوض)

قلتُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ: ويُنظَرُ إلى معنى (المُلكِ العضوضِ) بتفصيلٍ كما هو في نماذِجِ النُّصوصِ وتَنَوُّعِ عِباراتِها.

فالمُسمَّى العامُّ للمُلكِ العضوضِ يُطلَقُ على مَرحَلَتَي بني أُمَيَّةَ وبني العَبّاسِ عُموماً، ومَدَّ بعضُهم المعنى للمُلكِ العَضوضِ إلى عَهدِ الانهيارِ والغُثاءِ والتَّداعي.

والمعلومُ أنَّ تَنَوُّعَ الألفاظِ في النُّصوصِ تحمِلُ تَنَوُّعَ المعاني، ويصعُبُ أن تُنَزَّلَ الألفاظُ النَّبويَّةُ على المراحِلِ دون أن يُدرَكَ مقصودُ اللَّفظِ النَّبَويِّ على وَجهِهِ، وخاصَّةً أنّ هناك (خِلافةً ونُبُوَّةً) كما هو في ألفاظِ الأحاديثِ، وعلى اللَّفظَتَينِ مدارُ الأمرِ كُلِّهِ.

الفرق بين النبوة والخلافة

فالخِلافَةُ يُقصَدُ بها قرارُ الحُكمِ، والنُّبُوَّةُ يُقصَدُ بها قرارُ العلمِ والأخلاقِ، وهي أساسُ مَنهَجِ الدِّيانَةِ الصَّحيحِ، والأصلُ أن يجتَمِعا في حامِلِ القرارِ وفي سِياسَةِ مرحلتِهِ وَفقَ مُرادِ اللهِ، وعندما يتدخَّلُ الطَّمَعُ وحُبُّ الدُّنيا والرَّغبَةُ في الامتلاكِ فإنّ الرّاغِبَ في الخِلافَةِ والحُكمِ يتخطّى مفهومَ الأمانَةِ في مُسَمَّى النَّبوَةِ ومُرادِ اللهِ

---

(١) الحديث صحيح بهذا اللفظ، أورده الداني في «السنن الواردة في الفتن» تحقيق أبي عمرو العبوشي (٣٣٤)، وكذلك رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٧). والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٦٣٠).

في الأمرِ ، فيتعسَّفُ المعاني ويتأمَّرُ بذلك على النّاسِ ، فيكونُ بذلك المُلكُ ، أي : يخرُجُ عن معنى الخلافةِ الشَّرعِيَّةِ إلى معنى الامتلاكِ الطَّبعِيِّ ، فيُسمَّى شرعاً مُلكاً عاضّاً أو مُلكاً عضوضاً ، ويُفسِّرُ هذا المعنى مقولَةُ الإمامِ الحَسَنِ مع أخيه الإمامِ الحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو على فِراشِ المَوتِ في سِياقِ حديثِهِ : «وإنِّي لأرى ألا يجمَعَ اللهُ لنا الخلافَةَ والنُّبُوَّةَ ، فلا أرى سُفَهاءَ الكوفَةِ يستَخِفّونَكَ فيُخرِجوك...»[1] .

الخلافة في الحكم والنبوة في شرف الإرث للعلم

وهذه الرُّؤيَةُ من الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قاعِدَةٌ شرعِيَّةٌ تُفَسِّرُ معنى كلامِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن معنى الخِلافَةِ في الحُكمِ وعن معنى النُّبُوَّةِ في شَرَفِ الإرثِ للعِلمِ .

وكفى بهذه الألفاظِ الصَّحيحَةِ ضابطاً شرعِيّاً لِسَلامَةِ المراحِلِ وعَدَمِ سلامَتِها ، ومن ذلك قَولُ حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثُمَّ يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكونُ خِلافَةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكون مُلكاً عاضّاً ، فيكونُ ما شاءَ اللهُ أن يكونَ ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكونُ مُلكاً وجَبرِيَّةً ، فتكونُ ما شاء الله أن تكونَ ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكونُ خِلافَةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ.. ثُمَّ سَكَتَ**»[2] .

فإن أُخِذَت هذه المعاني على ما فَهِمَهُ أولئك على عهدِ عُمَرَ بنِ عبدالعزيزِ فالفَهمُ مُنقَطِعٌ عن تلك العُصورِ حيثُ زاد في الرِّوايَةِ: قال حبيبٌ : فلمّا قام عُمَرُ بن عبدُالعزيزِ وكان يزيدُ بنُ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ في صحابَتِهِ فكتبتُ إليه بهذا الحديثِ أُذَكِّرُه إيَّاهُ ، فقلتُ له : إنِّي لأرجو أن يكونَ أميرُ المؤمنين يعني عُمَرَ بن عبدالعزيزِ بعدَ المُلكِ العاضِّ والجَبرِيَّةِ ، فأُدخِلَ كتابي على عُمَرَ بنِ عبدِالعزيزِ ، فَسُرَّ به وأعجَبَهُ .

معاني حديث .. (لم تكون خلافة على منهاج النبوة)

وإن أخذنا المعنى على امتدادِ المراحِلِ المعنِيَّةِ بعد الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ فخاتِمَةُ الحديثِ تُشيرُ إلى خلافَةٍ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ في أُخرَياتِ الزَّمانِ ، ولعلَّ هذا هو ما

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبدالبر (١ : ٣٩١) «أسد الغابة» (٢ : ١٣) .

(٢) «مسند أحمد» (١٨٤٠٦) و«مسند البزار» (٢٧٩٦) .

فَسَّرَهُ الإمامُ السُّيوطِيُّ وغيرُهُ عن الاثني عَشَرَ أميراً من قُرَيشٍ ، يكونُ آخِرُهم الإمامُ المهدِيُّ في آخِرِ الزَّمانِ .

وفي معنى آخرَ فإنّ الخلافَةَ الأخيرَةَ على مَنهَجِ النُّبُوَّةِ هي مرحلَةُ الدَّولَةُ العُثمانيَّةِ في رَفعِها شِعارَ الجِهادِ في سبيلِ اللهِ ، وخُصوصاً بعد فَتحِ القُسطَنطِينِيَّةِ إلى مرحلَةِ الانهيارِ ، وأمّا بعدَها فمراحِلُ لها ما يُناسِبُها من النُّصوصِ الأُخرَى .

وفي «المستدرك» عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقولُ : «إنّ اللـه بدأ هذا الأمرَ حين بدأ بِنُبُوَّةٍ ورَحمَةٍ ، ثم يعودُ إلى خلافَةٍ ، ثم يعودُ إلى سُلطانٍ ورحمَةٍ ، ثم يعودُ مُلكاً ورحمَةً ، ثم يعودُ جَبرِيَّةً فتتكادَمون تكادُمَ الحميرِ»[1]، فالذي يظهَرُ ـ والله أعلم ـ أنّ التّفصيلَ المُشارَ إليه فيما رواه الحاكم أنّ النُّبُوَّةَ والرَّحمَةَ عَصرُ صَدرِ الرِّسالَةِ ، ثُمَّ الخلافَةُ الرَّاشِدَةُ ، ثم يرجِعُ الأمرُ من مفهوم اجتماعِ كَلِمَتِها إلى حِفظِ بَيضَةِ الإسلامِ واستمرارِ رايةِ الجِهادِ وإن كان القرارُ معلولاً بِعِلَّةِ المُلكِ العضوضِ خلال العَهدِ الأُمَوِيِّ والعَبَّاسِيِّ، ففيها مرحلَةٌ تُدعَى (سُلطَاناً ورَحمَةً) ثم تَعُودُ مُلْكَاً ورَحمَةً ، تَشمَلُ آخِرَ المرحلَةِ الأُمَوِيَّةِ وأوَّلَ عَهدِ المرحلَةِ العَبَّاسِيَّةِ، ثم يعودُ جَبرِيَّةً ، وفيها ورد قولُهُ : «ثم تتكادَمون تكادُمَ الحميرِ» ، ثم تتحوَّلُ بعدُ إلى مرحلَةِ الانهيارِ وضَعفِ الدَّولَةِ .

وقد ربط سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين هذا الحديثِ وبين (الجهادِ والغَزوِ في سبيلِ اللهِ) وكأنَّهُ يُشيرُ واللهُ أعلَمُ إلى أنَّ مَنهَجَ النُّبُوَّةِ في أحَدِ معانيه قائِمٌ بالجِهادِ في سبيلِ اللهِ ، وفيه مَلحَظٌ لأهمِّيَّةِ الدِّفاعِ عن بَيضَةِ الإسلامِ في كُلِّ دولةٍ إسلاميَّةٍ ونظامٍ ، وإلى أنَّ ضَعفَ الدَّولَةِ بِضَعفِ جِهادِها ، أو ضَعفِ رِجالِ قَرارِها الشَّرعِيِّ ، فَقِيامُ الجِهادِ كِشعارٍ فِعليٍّ أمامَ الأعداءِ والأضدادِ مع حِفظِ كَيانِ بَيضَةِ الإسلامِ والمُحافَظَةِ على الشّعائِرِ واحتِرامِ المشاعِرِ يُقيمُ الحَدَّ المقبولَ من مِنهاجِ النُّبُوَّةِ في المرحلَةِ .

حديث (الأئمة بعدي اثناعشر كلهم من قريش)

وتتقيَّدُ بعضُ مراحِلِ المُلكِ العضوضِ بمعنى من معاني القَبولِ النِّسبِيِّ أيضاً

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٥٩) .

كما هو في النَّصِّ بِوُجودِ أُمَراءِ قُرَيشٍ من قولِه ﷺ: «**لا يَزالُ أمرُ أُمَّتي صَالِحَاً حتَى يَمضِيَ اثنا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُم من قُرَيشٍ**»[1]. وفي روايةٍ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً**»[2]، وفي روايةٍ: «**عزيزاً حتى يكون اثنا عشرَ خليفةً كُلُّهم من قُريشٍ**»[3]، وحديثُ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ عزيزاً يُنصَرُون على من ناوَأَهم عليه اثنا عَشَرَ خليفةً كُلُّهم من قُرَيشٍ**» متفق عليه[4].

وفي روايةٍ: «**لا يزال هذا الأمرُ ماضياً**»[5] وأخرى: «**لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً**»[6] وفي روايةٍ: «**لا يزالُ أمرُ أمتي صالحاً إلى اثني عَشَرَ خليفةً**»[7]، وقد تناوَلَ الإمامُ السُّيوطِيُّ والقاضي عياضُ وغيرهم شرحَ هذا الحديثِ وغيرِهِ واعتبروا الأمرَ قائماً من عصرِ الخلافَةِ الرّاشِدَةِ وما بعدَها[8]. وأنّ آخِرَ هؤلاءِ الأمراءِ هو الإمامُ المهدِيُّ في آخِرِ الزّمانِ .اهـ.

تحديد الأمراء الاثني عشر ومراحلهم

قلتُ ـ والله أعلم: لا يُستفادُ من الأحاديثِ معنى الأُمَراءِ الاثنَي عشر أنّ آخِرَهم الإمامُ المهديُّ لمُخالَفَةِ هذا الأمرِ واقِعَ النَّصِّ ذاتِهِ، فالأمَراءُ الاثنا عَشَرَ كُلُّهم من قُرَيشٍ خلال مراحِلِ الحُكمِ العضوضِ ويَنتَهي حَسَبَ الاستقراءِ للأحاديثِ بِهَجمَةِ التَّتارِ وإسقاطِ الخليفَةِ العَبّاسِيِّ على يدِ هولاكو، ويستَمِرُّ الأمرُ بعد ذلك

---

(١) «مسند البزار» (٤٢٨٤) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٦٢١١) و«المستدرك على الصحيحين» (٦٥٨٩).

(٢) «المعجم الكبير» (٢: ٢١٤) (١٨٧٦).

(٣) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

(٤) «صحيح مسلم» (١٨٢١) «مسند أحمد» (٢٠٩٢٦) (٢٠٩٦٦) «صحيح ابن حبان» (٦٦٦٣) وفي «صحيح البخاري» (٧٢٢٢) بلفظ: «**يكون اثنا عشر أميراً**» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «**كلهم من قريش**».

(٥) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

(٦) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

(٧) «المعجم الأوسط» (٦٢١١) و«المستدرك على الصحيحين» (٦٥٨٩).

(٨) قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة.

عُتُـوّاً وجَبرِيَّةً كما عبر عنـه ﷺ : ثم يكونُ الهَرْجُ . و(العُتُوّ) و(الجَبرِيَّةُ) و(الهَرْجُ) لا يستَقيمُ مع (بقاءِ أمرِ الإسـلامِ عزيزاً) . وينقَطِعُ الأمرُ عن أُمَراءِ قُرَيشٍ لانقطاعِ نَسَـقِ الدَّولَـةِ الواحِدَةِ وتحوُّلِ الأمـرِ إلى دُوَيلاتٍ مُمَزَّقَةٍ ، فتكـونُ مرحلةُ الخلافَةِ لأُمَراءِ قُرَيشٍ مُقَسَّـمَةً على عهدِ الخِلافَةِ الرّاشِـدَةِ وعهدِ بني أُمَيَّةَ وبعضِ عَهدِ بني العَبَّـاسِ ، بِصَـرفِ النَّظَرِ عن الأسـماءِ وسـلامَةِ التَّوجُّـه العَامِّ أو عدم سـلامَتِهِ، ثم مرحلة الَهَرْجِ الُمسَمَّاةِ في الحديث .

مرحلة الهرج والانفصام

وتأتي بعدها مرحَلَةُ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ راعِيَةُ الخلافَةِ الإسـلامِيَّةِ الأخيرَةِ في بعضِ تَنَفُّساتِ المرحلةِ إلى عهدِ الخليفةِ عبدِالحميدِ الثّاني[1]، أما ما بعدها فمرحلَةُ غُثاءٍ

(١) ارتبطت الدولة العثمانية بالخلافة على مراحل :

الأولى : مرحلة استعادة شرف الدولة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله من عهد المؤسس طغرل بك إلى عهد السلطان بايزيد .

الثانية : مرحلة حفظ بيضة الإسـلام وإقامة شـعيرة الجهاد في سـبيل الله والانطواء تحت راية الخلافة العباسـية وتبدأ بانتصار السـلطان بايزيد الأول في معركـة نيكوبولي في بلغاريا وفرنسـا ووصـول أخبـار الانتصار إلـى مصر ومنها إلـى الخليفة العباسـي المتـوكل والذي أرسـل جوابا وتشريفا وخلعة وسـيفا إلى بايزيد ، ومعناه الاعتراف ببايزيد سلطانا تحت إمرة الخليفة، وبذلك أصبح بايزيد أول عثماني يحمل لقب سلطان في آل عثمان باسم الخلافة .

الثالثة: عندمـا أمر السـلطان المملوكي (جقمق) باسـم الخلافة العباسـية أن يذكر اسـم السـلطان مراد الثاني في خطبة الجمعة ويدعى له بعد الخليفة العباسـي كما يدعى لشـهداء الجنود العثمانيين بعد انتصارات مراد الثاني على شـواطئ البحر الأسـود على الأوروبيين عام ٨٤٨ هـ (١٤٤٤م) .

الرابعة : بعـد انتصـار السـلطان محمـد الفاتـح عـام ٨٧٤ هــ (١٤٥٣ م) وفتـح مدينـة القسـطنطينية وتسميته لها (إسلامبول) أي : مدينة الإسلام ، وإرساله الرسائل إلى عواصم بلاد الإسـلام بالانتصار ومنها رسـالة إلى شـريف مكة وقراءة الرسـالة أمام الكعبة ودعاء المسلمين للفاتح بالنصر والتأييد .

الخامسة : عنـد تولي السـلطان سـليم الأول مقاليد الدولة فـي ٩٣٣ هـ (١٥١٢ م) ومد نفوذ الدولة إلى كثير من البلاد الأوروبية ودفاعه المستميت عن البلاد العربية أمام هجمات

ووَهَنٍ وضَياعِ أمانَتَي قرارِ الحُكمِ والعِلمِ .

مرحلة المهدي مستقلة بذاتها عن مدلول مرحلة الأمراء الاثني عشر

أما مرحلَةُ الإمامِ المهدِيِّ فهي علامَةٌ مُستَقِلَّةٌ بِذاتِها لا تَرتَبِطُ بحديثِ الأُمَراءِ الاثني عَشَرَ من قُرَيشٍ لأنَّ مرحلَةَ الهَرَجِ الآتِيَةِ بين المرحلتَينِ قد فَصَلت بينَهُما، ويؤيِّدُ هذا المعنى حديثُ : «**لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً حتى يَمضِي اثنا عَشَرَ أميراً كُلُّهم من قُريشٍ**»[1] وعند أبي داود زيادَةُ : «فلمّا رجع إلى مَنزِلِه ﷺ أَتَتهُ قُرَيشٌ فقالوا : ثم يكونُ ماذا ؟ قال : الهَرَجُ ؟»[2]، وقد أشار السُّيوطِيُّ إلى أن مرحلَةَ الهَرْجِ هي الفِتَنُ المُؤذِنَةُ بِقيامِ السّاعةِ من خُروجِ الدَّجّالِ وما بعده .

مبتدأ مرحلة الهرج المنصوص عليه بالهجمات المغولية والصليبية

والأقرَبُ إلى فهمِ النُّصوصِ واللهُ أعلَمُ أنّ الهَرْجَ كان سابِقاً لذلك بكثيرٍ ، ورُبَّما صَحَّ الاستقراءُ أن مُبتَدَأَ الهَرْجِ بِهَجماتِ التَّتارِ وتيمورلنكَ والصَّليبِيِّين وانقسامِ العالَمِ الإسلامِيِّ إلى دُوَيلاتٍ مُتنازِعَةٍ ومُتَحارِبَةٍ ، أي : بدأت المرحلةُ بِسُقوطِ

البرتغال ثم مساندته للمماليك في ذلك ، واستقرت به الشام ومصر حتى جرى الخلاف مجراه بين المماليك والسلطان سليم ونشبت الحرب مع السلطان الغوري وانتهت في رجب ٩٢٢ هـ بمعركة مرج دابق التي قتل فيها السلطان المملوكي الغوري وانتصر سليم الأول وتوجه إلى مصر واستولى عليها وأنهى حكم المماليك واجتمعت له رايات الجميع وأرسل شريف مكة أبونمي ولده إلى القاهرة ومعه مفاتيح مكة والمدينة (الكعبة والحجرات الشريفة) اعترافا بالخلافة العثمانية .

وعاد السلطان سليم الأول إلى إسلامبول ومعه الخليفة المتوكل وقاضي قضاة مصر وجملة من الوجهاء والعلماء، وأقيم حفل التنازل من الخليفة المتوكل وتولية الخليفة العثماني سليم الأول في جامع أبي أيوب الأنصاري ، وقام الخليفة المتوكل بإلباس الخليفة العثماني الخلعة وقلده السيف على مرأى ومسمع من علماء الدولة العثمانية وعلماء مصر والشام وانتقلت الخلافة رسميا من العباسيين إلى العثمانيين وأصبح سليم الأول أول خليفة عثماني يحكم دولة الخلافة الإسلامية ، واستمر من بعده الخلفاء بين القوة والضعف حتى عهد الخليفة عبدالحميد الثاني وكان آخر خلفاء الدولة العثمانية ، وأما بعده فكان ثلاثة سلاطين تحت إمرة الاتحاديين ومن معهم من يهود الدونمة .

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢ : ١٩٧) (١٨٠١) .

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٨١) .

الخِلافـةِ العَبّاسِـيَّةِ على يَـدِ التَّتارِ وانتهت بِفَتحِ القُسـطنطينِيَّةِ ، وتبـدأ مرحلَةُ حِفظِ بَيضَةِ الإسـلامِ وعُلُوِّ رايةِ الخلافَةِ الإسـلاميَّةِ مرَّةً أخرى على يَدِ السُّـلطانِ سـليم الأوَّلِ عـام ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ، واسـتمرت حتى نهايـةِ دَولةِ الخلافَـةِ العُثمانيَّةِ بِسُـقوطِ السُّـلطانِ عبدالحميدِ الثَّاني ، على ضَعفٍ ووَهَنٍ في بعضِ المراحلِ . أما عهـدُ الإمـامِ المهديِّ فَمُتَنَفَّسٌ مُسـتَقِلٌّ بذاتِهِ له أحاديثُهُ الخاصَّةُ وفِقهُهُ المُناسِـبُ. ومع هذا وذاك فلا نَجْزِمُ بصحةِ ما أوردنا حول هذه المسألةِ ؛ لِاختلافِ النصوصِ واختلاف العلماءِ في تفسيرها ، وتبقى الحقيقةُ المطلقةُ عندَ اللهِ.. والله أعلم.

ومـن أحاديثِهِ : «**لو لم يَبقَ من الدنيا إلا يـومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يُبعَثَ فيه رَجُلٌ مِنِّي أو من أهلِ بَيتي يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي واسمُ أبيه اسمَ أبي**»[1] زادَ في حديثٍ آخَرَ : «**يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئَت ظُلماً وجَوراً**»[2].

سُقوطُ قرارِ الخلافةِ بِهجمَةِ التَّتارِ

سقوط قرار الخلافة على يد التتار علامة وسطى

وهذه المرحلة من أشَدِّ المراحلِ في تاريخِ الإسلام ، حيثُ تجَزَّأ فيها قرارُ الأُمَّةِ إلـى دُوَيـلاتٍ وإماراتٍ صغيـرَةٍ ، وكان مُبتَدَأُ ذلك بِدُخولِ التَّتـارِ عاصِمَةَ الخِلافَةِ بغدادَ سنة ٥٦٥ هـ وقَتلِ الخليفةِ العبّاسِيِّ وحَرقِ البِلادِ وقَتلِ العُلَماءِ والصّالحين وتدميرِ المكتباتِ العِلمِيَّةِ والمسـاجِدِ وما تلاها من خرابٍ ودمارٍ ، قال السُّـيوطِيُّ فـي «تاريـخِ الخُلفاءِ» عن هذا الخَبَـرِ المُفجِعِ : هو حديثٌ يـأكُلُ الأحاديثَ وخبرٌ يطـوي الأخبـارَ وتاريـخٌ يُنسـي التَّواريخَ ونازِلَـةٌ تُصَغِّرُ كُلَّ نازِلَـةٍ وفادِحَةٌ تطوفُ الأرضِ وتملَؤُهـا مـا بيـنَ الطُّولِ والعَـرضِ . اهـ . وفي ذلك يقـولُ ﷺ : «**إنّ بني**

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٨٢) .

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٨٥) ، وتتلخص حصانة هذه المراحل في ثلاثة أنواع :

١- حصانة مرحلة الخلافة الراشدة، بالنص «ثلاثون عاما» وبالاجتهاد وبالمواقف .

٢- حصانة مرحلة الملك العضوض، بحفظ بيضة الإسلام وقيام الجهاد في سبيل الله .

٣- حصانـة مراحـل الدويلات والغثاء، ليـس حصانة للقرار، وإنما بحفظ الإسـلام في الخويصة والخاصة، وبقاء الخير في الأمة .

قنطـورا أَوَّلُ من سَـلَبَ أُمَّتي مُلكَهم»[1] أخرجه الطبرانيُّ مـن حديثِ مُعاوِيَةَ ، قال ابـنُ حَجَرٍ في «الفتـحِ» (٦/ ٦٦٩) : وكأنه يُريـدُ بقوله : «أُمَّتي» أُمَّةَ النَّسَـبِ لا أُمَّةَ الدَّعوَةِ . يعني العرب اهـ .

وفَتَحَـت هذه المِحنَةُ والفِتنَةُ أبوابَ الفِتَنِ السَّـابِقَةِ واللاحِقَةِ ، حتى عَودةِ القَرارِ الإسلاميِّ بِبَني عُثمانَ سنة ٨٧٤ هـ في مرحلة لاحقة .

وبيـن هاتَيـنِ المرحَلَتَينِ وقعت بعـضُ الوقائِعِ الإيجابيَّةِ كانتصـارِ صلاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِـيِّ على الصَّليبِيِّيـنَ وفتحِ بَيتِ المقدِسِ ، وكاجتماعِ أهلِ مِصرَ والشَّـامِ على تعيينِ السُّـلطانِ قُطزَ الذي لُقِّبَ بالمَلِكِ المُظَفَّرِ لمُقاوَمَةِ التَّتارِ[2] واستطاعَ بِحِكمَةِ قادَتِهِ واجتماعِ كَلِمَةِ العُلَماءِ والرَّعايا هَزيمَةَ التَّتارِ في معرَكَةِ عَينِ جالوتَ الشَّهيرَةِ في ١٥ رمضانَ سـنةَ ٦٥٨ هـ، ثم تعيَّنَ السُّـلطانُ بيبرسُ وتسمَّى بالمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وقـد تمكَّنَ بيبرسُ من قبلُ من أن ينتَصِرَ على جُيوشِ الصَّليبيِّين الذين تحالَفوا مع التَّتارِ واسـتردَّ منهم المُدَن العديدَةَ في الشَّامِ وأقام دَولةً قوِيَّةً للمماليكِ حتى وفاتِهِ سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٨ م) .

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠: ١٨١) (١٠٣٨٩) .

(٢) أجمـع المؤرخون على أن المماليك بقيادة السـلطان قطز قد انتصروا على المغول انتصاراً عالمياً في معركة (عين جالوت) حيث عجزت كل من الدولة الخوارزمية والدولة العباسية عـن مقاومتهم، وبهذا اكتسـبت دولـة المماليك مركز الصدارة بين دويـلات العالم العربي والإسلامي آنذاك .



معركة عين جالوت ، المصدر أطلس التاريخ الحديث ص٨

وهكـذا ظلَّت بلادُ المسـلمين مُجَـزَّأةَ القَـرارِ عديمَةَ الاسـتقرارِ تنخُرُها الآفاتُ والفِتَنُ الفِكرِيَّةُ القديمَةُ والجديدةُ كفِتنَةِ القرامِطَةِ والمُعتَزِلَةِ والباطِنِيَّةِ والزَّرادِشتيَّةِ والمودِكيَّـةِ والمانَويَّـةِ والرافِضَـةِ والنَّواصِـبِ والسَّـبَئِيَّةِ والهندوسِـيَّةِ والقاديانِيَّـةِ والبهائِيَّةِ وغيرِها.

ويصـدُقُ فيهـا قَولُ مَـن لا ينطِقُ عن الهـوى ﷺ فيما ترويهِ عائِشَـةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج ذاتَ يَومٍ نِصفَ النَّهارِ مُشتَمِلاً بثَوبِهِ مُحمَرَّةً عَيْنَاهُ وهو يُنادِي بِأعلَـى صَوتِـهِ : «**أيُّها النَّـاسُ ، أظلَّتكُم الفِتَنُ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِـمِ ، أيُّها النَّاسُ ، لو تعلمون ما أعلَمُ لبَكَيتُم كثيراً وضَحِكتم قليلاً**»[1].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : «**لو تعلمون ما أعلَمُ لبَكَيتم كثيراً ولضَحِكتُـم قليلاً ، يظهَرُ النِّفـاقُ ، وتُرفَعُ الأمانَةُ ، وتُقبَضُ الرَّحمَةُ ، ويُتَّهمُ الأمينُ ، ويؤتَمَنُ غيرُ الأمينِ ، أناخُ بكم الشُّرْفُ الجُونُ**» قالوا : وما الشُّرفُ الجُونُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : «**فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ**» رواه ابن حبان[2].

والشُّرْفُ – بِضَمِّ الشِّينِ وسُكونِ الرَّاءِ وبالفاءِ – جمعُ شارِفٍ وهي النَّاقَةُ المُسِنَّةُ، والجُونُ : السُّـودُ ، قال ابنُ الأثيرِ : (شـبَّهَ الفِتَنَ في اتِّصالها وامتدادِ أوقاتِها بالنُّوقِ المُسِنَّةِ السُّودِ)[3].

أحاديث الفتن

وحديثُ : «**ستأتوني أفناداً يُفني بعضُكم بعضاً**» وقد رواهُ ابنُ حِبَّانَ في صَحِيحِه ولفظُهُ قال : «كُنَّا جُلوساً عند رسولِ الله ﷺ وهو يُوحى إليه فقال : «**إنِّي غيرُ لابِثٍ فيكم ولسـتُم لابِثين بعدي إلا قليلاً ، وسـتأتوني أفناداً ، يُفني بعضُكم بعضاً ، وبين يدي السّاعةِ موتان شديدٌ ، وبعده سَنَواتُ الزَّلازِلِ**»[4].

---

(١) «مسند أحمد» (٢٤٥٢٠) .

(٢) «صحيح ابن حبان» (٦٧٠٦) .

(٣) ويُـروى هـذا الحديث بالقـاف ـ يعني الفتن التي تجـيءُ من جِهَةِ المشـرق ـ «النهاية» لابن الأثير (٢: ٤٦٣) .

(٤) «صحيح ابن حبان» (٦٧٧٧) .

قيام دولة الخلافة الإسلامية الأخيرة وفتح القسطنطينية قبيل المرحلة الغثائية

ومن العلاماتِ الوُسطى في آخرِ مراحِلِ التَّمزُّقِ والدُّويلاتِ عودَةُ القرارِ الإسلامِيِّ العالَمي، وفتحُ مدينةِ القُسطَنطينِيَّةِ التي وَعَدَ ﷺ المسلمين بِفَتحِها .

وكان مُبتَدَأُ عودَةِ القرارِ الإسلاميِّ على يدِ الأتراكِ العُثمانِيِّين الذين كانوا من أصولٍ عربيةٍ كما ذَكَرَهُ المجاهدُ السَّيِّدُ فضلُ بنُ عَلَوِيٍّ مَوْلَى الدويلةِ أميرُ ظَفَارٍ في رسالته «الدُّرُّ الثمينُ للعاقلِ الزكيّ الفطين» ، والتي صاغها عن طريق أهل الله ، وفي ص٤٩ قال في الخاتمة:

تَمَّتْ هذه الرسالةُ بعونِ اللهِ تعالى في زمنِ ناصرِ الدولةِ والملة السلطانِ الغازي عبدِالحميد الثاني حفظه اللهُ ونَصَرَه آمين في دار الخلافةِ التي هي القسطنطينية ، الذي قال ﷺ في حَقِّ فاتِحِها كما رواه ابن ماجه: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدنيا إلا يومٌ لطَوَّلَهُ اللهُ حَتَّى يملكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي جَبَلَ الدَّيْلَمِ وَالقُسْطَنْطِينِيَّةَ**» ، وسنده صحيح[1] .

وفي مدحِه ومدح جيشه فيما رواه الإمامُ أحمدُ في مسنده وصحَّحه عن بِشْرٍ الغَنَوِيِّ قال ﷺ: «**لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينيةُ ، فَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا ، وَنِعْمَ الجَيْشُ ذلِكَ الجَيْشُ**»[2] .

فتَوَجَّهَتْ هذه الأحاديثُ نحو السلطانِ محمدٍ لأنه هو فاتحُ القسطنطينية سنة سبع وخمسين وثمانمئة ، وتاريخ فتحها: (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) ٨٥٧ هـ .

وتحقَّقَ بهذا الحديث أن سلاطين آل عثمان من آل البيت الخاص أو العام ، فالخاصُّ هو سيدنا الحسن والحسين وما تناسلَ منهما ، والعامُّ من اتصل بنسبه ﷺ .

وذكر العلامةُ الشيخُ النابُلْسِيُّ في تاريخه أن جدَّ آل عثمان من العرب المنتقلين

---

(١) رواه القرطبي في التذكرة (٦١٩) وصححه.

(٢) رواه الحافظ البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٨: ١٠٦) وصححه.

مـن الحجـاز ، وذكر فـي تاريخ «درر الأثمـان» أن أصلَ منبعِ ملـوكِ آلِ عثمانَ من صميمِ عربِ الحجاز ، وصميمُ الشيءِ خلاصتُه ، وخلاصةُ العَرَبِ قُرَيْشٌ.

وذكـر الشـيخُ محمدُ بن إياسٍ فـي تاريخه أنَّ آلَ عثمـانَ مِنْ نَسْـلِ الإمامِ عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحضرة أرطغرل الغازي من أجداد السـلطان محمد الفاتح وأبو السلطان الغازي عثمان. اهـ.

وأشـار المؤلف إلى رؤيا مبشرةٍ رآها السلطان تُشـيرُ إلى ظهور مُلْكِ بني عثمان فقال: وهُمْ – أي: بنوعثمان – جارين على مذهب أهل السـنة والجماعة ، مُقْتَفِينَ لطريقِ الحقِّ مع السمع والطاعة ، فلم يُنْقَلْ عن أحدٍ منهم سوءُ اعتقادٍ ، بل يكرهون الزيـغَ والإلحـاد ، وقد اتصفَ بعضُهم بولايـةِ الباطن والظاهر ، لمـا ثَبَتَ لهم من الكراماتِ الباهرة ، مع إجلالِهِم للشرفاءِ والأولياءِ والعلماءِ والصلحاءِ ، وحفظِهم للحرمين الشـريفين ، وقيامِهم بكمال الخدمةِ وسَوْقِ الأَرزاقِ الكاملةِ إلى من حَلَّ بهما ، كما هو مشـاهدٌ من حُسْـنِ الاعتناءِ الَّذي لم يَسْـبِقْ لدولةٍ من دول الإسـلام مثله. إلخ ما ذكره في رسالته[1].

---

(١) وينبغـي تنبيـه القارئ إلى أننا في هذا العلم ليس من شـأننا تحقيـق التواريخ أو الترجيح في الأنساب ، فهذه صناعةٌ لها أهلُها ، وإنما نتأمل في التحولات والعلامات والآيات ، وعلى هذا المعنى نُلفتُ القارئَ هنا إلى أمور منها:

١. أن عثمـان هـذا قيضـه اللـه للأمر مطلـع القـرن الثامـن ٦٩٩ بعد وفاة آخـر ملوك السـلاجقة، وقـد تعجب من ذلـك صاحب كتاب «تاريـخ الدولة العليـة العثمانية» ص١١٨ المـؤرخ فـؤاد بك، بعد سـرده لمجموعة منهـم بدءاً بعمر بـن عبدالعزيز الذي تولى عام ٩٩ ، ثم روى الحديث المشهور في المجددين .

٢. أن عثمـان هـذا ولد سـنة سـقوط الخلافة العباسـية ٦٥٦ ، مما يضيء لنا شـيئا في المعنـى الشـرعي لوراثة للأرض ، وأن الفترة ما بين العباسـيين والعثمانيين يسـيرةٌ في عين التاريخ .

٣. أن بـدء فتنـة التتار الذين سـمتهم النصوص بنـي قنطوراء ـ وقد تقـدم فيها الكلام ـ وسـقوط دولة المسـلمين بدأ قبـل ذلك بعاميـن ـ أي: عام ٦٥٤ ـ مع بدء اكتساح

التتار لبلاد خراسان وفارس التي خرج منها المصنفون وأغنوا تراثنا الإسلامي، وصدروا كافة العلوم إلى العالم، فكانت فتنةً داهيةً دَمَّرتِ البلاد والعباد وعاثتْ في الأرض الفساد، وهي نفسُ السنة التي ظهرتْ فيها نار الحجاز من أودية المدينة كما حددها الإمام النووي عام ٦٥٤ هـ، وقد وجدنا في الأدبيات والأشعار في ذلك الزمان من يشكو ظهور فتنة التتار ويشكو معها في الحجاز ظهورَ النار!

٤. أن مفهوم وراثة الأرض جزءٌ هامٌّ من علم التاريخ الشرعي أُمرنا بقراءته مرة بعد مرةً، وقد أشار لذلك الشيخُ النابلسيُّ بقوله في أرجوزته عن ابتداء مملكة آل عثمان ومدة خلافتهم (مخطوط بجامعة الملك سعود برقم ٤٩٣٨) فقال:

وهي إشارةٌ من القرآنِ ... إلى سلاطين بني عثمانِ
بقوله لقد كَتَبْنَا في الزَّبُورْ ... بأن إرثَ الأرض أي حكم الأمورْ
إلى العباد الصالحين هكذا ...

ثم قال:

وأصلُهم من عرب الحجازِ ... وجدُّهم عثمانُ هذا الغازي
هاجرَ من مدينة الرسولِ ... للتُّرْكُمَانِ الرُّحَّلِ النُّزُولِ
وكان معْهُمْ في نواحي قُونِيَةْ ...

والشيخ النابلسيُّ هنا يشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾[الأنبياء:106] وهذا المعنى الشرعي ينبغي التنبه لأهميته، ففيه بلاغٌ إلهيٌّ نتعبد الله بقراءته ودراسته في كل زمان ومكان.

٥. أن عثمان هذا ذكر عن شأن أصله المؤرخ محمد بن إياس (ت ٩٣٠) في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» (٥: ٢٦٤) بتحقيق محمد مصطفى فقال: أصله من عرب الحجاز من وادي الصفراء بالقرب من المدينة النبوية، فلما وقع الغلاء بالمدينة خرج منها عثمان فارا إلى بلاد بني قرمان فنزل بقونية.. إلخ ما ذكره. وانظر كذلك شذرات الذهب (٦: ٦٧) للمؤرخ ابن العماد (ت ١٠٨٩)، نقله عن «غرر الأثمان في تاريخ بني عثمان» لابن أبي السرور (ت ١٠٦٠) مخطوط، ونَسَبَهُمْ في تاريخه الآخر «المنح الرحمانية في الدولة العثمانية» إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. فهنا نجد عدةَ تحولاتٍ: نارٌ من أودية المدينة عام ٦٥٤، مع بدء فتنة

وفيهم ينطَبِقُ قَولُ النَّبيِّ ﷺ بعد ذكرِهِ لِقِتالِ التُّركِ قال : «**وتَجِدونَ مِن خَيرِ النَّاسِ أشـدَّهم كراهِيَـةً لهذا الأمـرِ حتى يَقَعَ فيـه ، والنّاسُ مَعـادِنُ خِيارُهم فـي الجاهِلِيَّةِ**

التتـار، ثم سـقوط الخلافة ، ثم هجـرة رجلٍ من أحد أوديتها إلـى كرمان ، ثم توليه الأمرَ في رأس المئة الثامنة ٦٩٩.

٦. وادي الصفـراء هـذا كان محط عناية سـلاطين آل عثمان ضمـن عنايتهم بالحجاز وأهله، وانظر في ذلك المخصصات والصرة السلطانية التي خصصت لقبائله ، في وثيقة (صرة عرب صفراء لعام ١١٥٥) للباحث فائز البدراني الحربي.

٧. وحتى لو رجحنا كونهم من التركمان فإن سـلمان الفارسي منسوب إلى أهل البيت بالنص ، وكما أن النصوص تعطي مفهوم النسـبة لأشـخاص محددين ولو لم تتوفر فيهم صفة القرابة النَّسَبية ؛ فإن إعطاء هذه النسبة لبني عثمان (التركمانيين كما تقول المصادر المشـهورة) كائـنٌ بالنص كذلك، وهذا هو ما قصده السـيد فضل بكلامه هذا عن الانتسـاب الخـاص والعام عندما وَجَّـه حديثَ «...حَتَّى يملـكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي جَبَلَ الدَّيْلَمِ ...».

٨. إن العبـرة فـي التاريـخ بالمواقف لا بالشـخوص، فـإذا كان الصفويون قد انتسـبوا إلى العترة الهاشـمية وغيـروا الخريطة المذهبية لبلاد فارس بالقوة وإسـالة الدماء، فـإن سـقوط قـرار آل عثمـان (التركمانييـن) كان بموقف شـرعي خالـص ، عندما منـع السـلطان عبدالحميـد الثاني قائـد الجيش الأول من اسـتخدام القـوة وتفريق المتظاهريـن عـن القصر وأبى أن تسـال الدماء فـي حكمه وقال لآمـر المدفعية في إسطنبول: إنما يريدون شخصا واحدا وهو أنا. وهذا موقف أخلاقي شرعي تاريخي عظيم لسـلطان حكم مملكة واسـعة الأطواف ٣٣ عاما. والمقاربة بين أحداث يوم سقوط القرار لآل عثمان وأحداث يوم الدار لسيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضرورةٌ بحثيةٌ.

٩. التاريخ جمع تراكمي للأخبار والنقول ، ولذلك لم نشـغل أنفسـنا بادعاء الأعلمية والوصايـة عليـه أو الردود والترجيح في هذا الشـأن ، بل شـغلنا أنفسـنا بمـا طالَبَنَا القـرآن بـه وهو التفكـر والتدبر في تاريخ الأمم والشـعوب ، واسـتنطاق الأحداث بالعبر والآيات، وهذا ما عليه المعوَّل في فقه التحولات.

خِيارُهم في الإسلامِ»[1]، وكان من خِيارِهم بلا شَكٍّ مُؤسِّسُ الدَّولَةِ العُثمانِيَّة[2].

وفيها ـ أي: في مرحلَةِ العُثمانِيِّين الأتراكِ ـ تحقَّقَ أيضاً وعدُ النَّبيِّ ﷺ بفَتحِ القُسطَنطِينِيَّة على يَدِ مُحَمَّدٍ الفاتِحِ، السُّلطانِ العُثمانِيِّ السَّابعِ في سِلسِلَةِ آل عُثمانَ، والذي تَمَكَّنَ بِفَضلِ اللهِ وحُسنِ إعدادِهِ للجُيوشِ وواسِعِ هِمَّتِهِ وقُوَّةِ عزيمَتِهِ من بَدءِ حَملَتِهِ العسكَرِيَّةِ في ١٣ رمضان سنة ٨٠٥ هـ#التاريخ خطا# مُبتَدِئاً بِحِصارِ المدينَةِ والإعدادِ لاقتِحامِها حتى تَمَكَّنَ من ذلك وتحقَّقَ الفَتحُ على يَدِهِ، وجعلَها عاصِمَةَ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ وأطلَقَ عليها لَقَبَ «إسلام بول» أي: مدينةَ الإسلامِ. ويُعتبَرُ فتحُ القُسطنطِينِيَّةِ من أَهَمِّ أحداثِ التّاريخِ العالَمِي وخُصوصاً تاريخَ أوروبا وعلاقتِها بالإسلامِ.

وتحقَّقَ على يَدِهِ النَّصرُ الموعودُ على لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ في قوله: «**لَتُفتَحَنَّ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٨٨).

(٢) عثمان بن أرطغرل الذي وصفته مراجع التاريخ بالعدل والحكمة والوفاء والصبر والشجاعة، ولم يؤسس عثمان دولته حبا في السلطة وإنما حبا في نشر الإسلام، ويقول أوغلو: لقد كان عثمان بن أرطغرل يؤمن إيماناً عميقاً بأن وظيفته الوحيدة في الحياة هي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وقد كان مندفعاً بكل حواسه وقواه نحو تحقيق هذا الهدف. اهـ. وفي «التاريخ العثماني المصور» عبارات هامة في وصية عثمان لأبنائه وأصدقائه تبرز مقومات دولته الإسلامية الثابتة، فهاهو يقول: وارعوا علو الدين الإسلامي الجليل بإدامة الجهاد في سبيل الله، أمسكوا راية الإسلام الشريفة في الأعلى بأكمل جهاد، اخدموا الإسلام دائما، اذهبوا بكلمة التوحيد إلى أقصى البلدان بجهادكم في سبيل الله. وفي كتاب «مأساة بني عثمان» نجد وصية أخرى لولده يقول فيها: يا بني إني أنتقل إلى جوار ربي وأنا فخور بك بأنك ستكون عادلا في الرعية مجاهدا في سبيل الله لنشر دين الإسلام. يا بني .. أوصيك بعلماء الأمة .. أدم رعايتهم وأكثر من تبجيلهم وانزل على مشورتهم فإنهم لا يأمرون إلا بخير. يابني إياك أن تفعل أمراً لا يرضي الله عز وجل، وإذا صعب عليك أمر فاسأل علماء الشريعة فإنهم سيدلونك على الخير، واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو نشر دين الله، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا. اهـ. انظر «الدولة العثمانية .. عوامل النهوض وأسباب السقوط» ص٥٢. وكانت هذه الوصية منهاجا سار عليه العثمانيون منذ مبتدأ أمرهم حتى عهد الانهيار والضعف.

القُسطَنطِينِيَّةُ، فَلَنِعمَ الأميرُ أميرُها، ولَنِعمَ الجَيشُ ذلك الجيش» رواه أحمد [1].
وفي روايةٍ : «**لَتُفتَحَنَّ القُسطَنطينِيَّةُ على يَدِ رَجُلٍ، فَلَنِعمَ الأميرُ أميرُها ولَنِعمَ الجيشُ ذلك الجيشَ**»[2]. واستمَرَّ بعدها في فَتحِ بِلادِ الصِّربِ واليونانِ ورومانيا وألبانيا والبوسنةِ والهرسك حتى وفاته في ربيع الأول عام ٨٨٦ هـ ودُفِنَ بالأَسِتانَةَ .

وكتبَ بعضُ الأوروبيِّين عن وفاته : ماتَ النَّسرُ الكبيرُ . وأوصى الفاتِحُ ابنه بايزيدَ بِوَصِيَّةٍ عظيمَةٍ قال فيها : (ها أنذا أموتُ ، ولكني غير آسفٍ لأني تاركٌ خَلَفاً مِثلَكَ . كن عادِلاً صالِحاً رَحِيماً ، وابسُط على الرَّعِيَّةِ حِمايَتَك بِدُون تمييزٍ ، واعمَل على نشرِ الدِّينِ الإسلامِيِّ ، فإنَّ هذا هو واجِبُ المُلوكِ على الأرضِ ، قَدِّمِ الاهتمامَ بِأمرِ الدِّين على كُلِّ شَيءٍ ، ولا تَفتُر في المُواظَبَةِ عليه ، ولا تستَخدِمِ الأشخاصَ الذين لا يهتَمُّون بِأمرِ الدِّين ، ولا يَجتَنِبون الكبائِرَ ، وينغَمِسون في الفُحشِ ، وجانِبِ البِدَعَ المُفسِدَةَ ، وباعِد الذين يُحَرِّضونك عليها ، وَسِّع رُقعَةَ البِلادِ بالجِهادِ واحرُس أموالَ بَيتِ المالِ من أن تتبَدَّدَ ، إيّاكَ أن تَمُدَّ يَدَكَ إلى مالِ أَحَدٍ من رَعِيَّتِك إلا بِحَقِّ الإسلامِ ، واضمَن للمُعوِزين قُوتَهُم ، وابذُل إكرامَكَ للمُستَحِقِّين .

وبما أنَّ العُلَماءَ هم بِمَثابَةِ القُوَّةِ المبثوثةِ في جِسمِ الدَّولَةِ ، فَعَظِّم جانِبَهم وشَجِّعهم ، وإذا سَمِعتَ بِأَحَدٍ منهم في بَلَدٍ آخَرَ فاستَقدِمهُ إليكَ وأكرِمهُ بالمالِ .

حذارِ حذارِ ، لا يغرُّنَّكَ المالُ ولا الجُندُ ، وإياك أن تُبعِدَ أهل الشَّريعَةِ عن بابِكَ ، وإيَّاك أن تَميلَ إلى أيِّ عَمَلٍ يُخالِفُ أحكامَ الشَّريعَةِ ، فإنَّ الدِّينَ غايَتُنا ، والهِدايَةَ

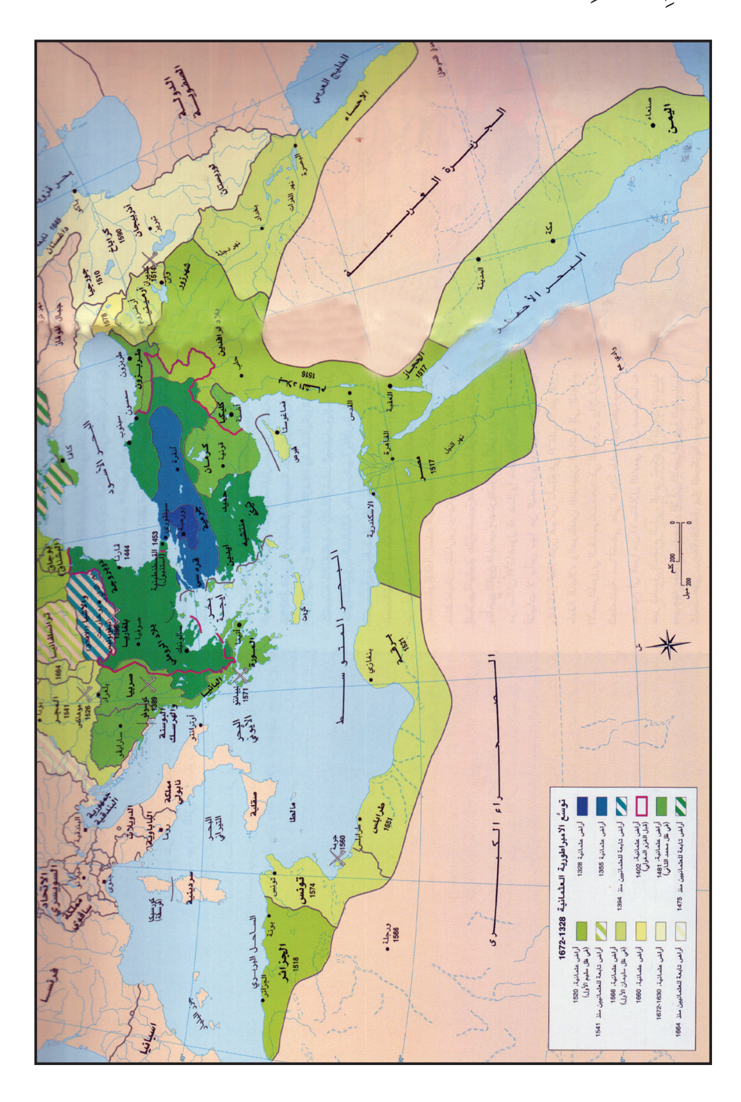
---

(١) «مسند أحمد» (١٨٩٥٧) و«التاريخ الكبير» للبخاري (١٧٦٠) و«المعجم الكبير» للطبراني (٢/ ٣٨) (١٢١٦) وغيرهم .

(٢) ولعل الوقوف عند هذا الحديث الشريف وما يحمله من معان عظيمة في شرف المعركة والمرحلة والجيش والأمير يعيد لنا شيئا من شرف هذه الرسالة العظيمة وما يحمله فيها فقه التحولات من بشائر وإشارات يجري تحقيقها على أيدي جنود الله في الوقت المحدد بأمر الله ، ومن ثم يمكن متابعة قراءة وقائع المعارك والفتوحات وإسقاط دلالاتها على عظمة النصوص النبوية المعبرة عن سير الحركة التاريخية المرتبطة بشرف الديانة .

مَنهَجُنا ، وبذلك انتَصَرنا .

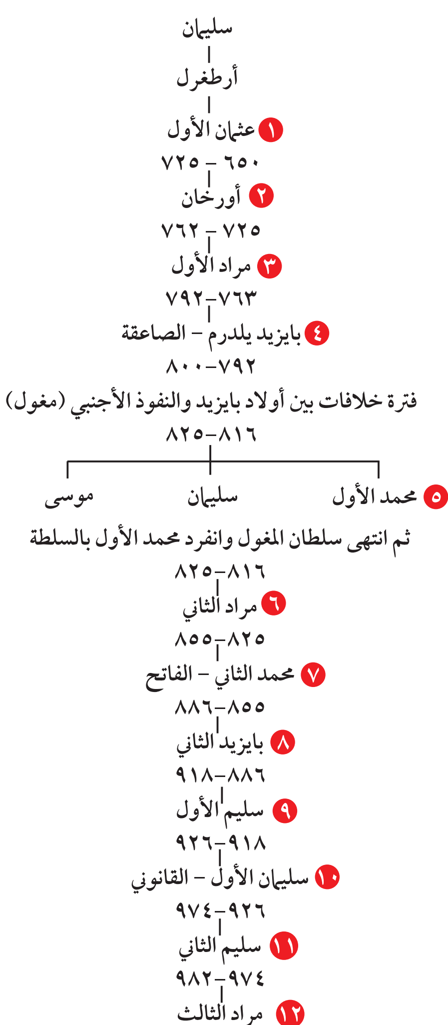
خُـذ مِنِّي هذه العِبـرَةَ : حَضَرتُ هذه البـلادَ كَنَملَةٍ صغيـرَةٍ ، فأعطاني اللهُ تعالى هذه النِّعَمَ الجليلةَ ، فالزَم مَسـلَكي ، واحذُ حَذوِي ، واعمَل على تعزيزِ هذا الدِّين وتَوقيـرِ أهلِـهِ ولا تصرِف أموالَ الدَّولَةِ في تَرَفٍ أو لهـوٍ أو أكثَرَ مِن قَدرِ اللُّزومِ فَإِنَّ ذلك مِن أعظَمِ أسبابِ الهلاكِ .



مخطط توسع الدولة العثمانية ، أطلس التاريخ الحديث ص٦٢

سلاطين آل عثمان

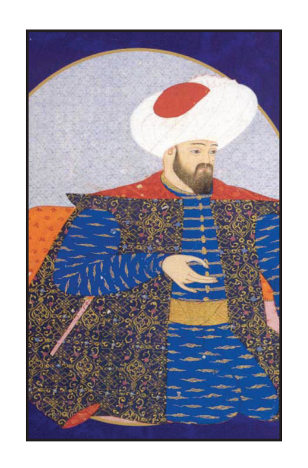
«دور القوة»



المشجر العام لآل عثمان في دور القوة، المرجع السابق ص٢٦



محمد الثاني (الفاتح)



عثمان الأول



السلطان بايزيد

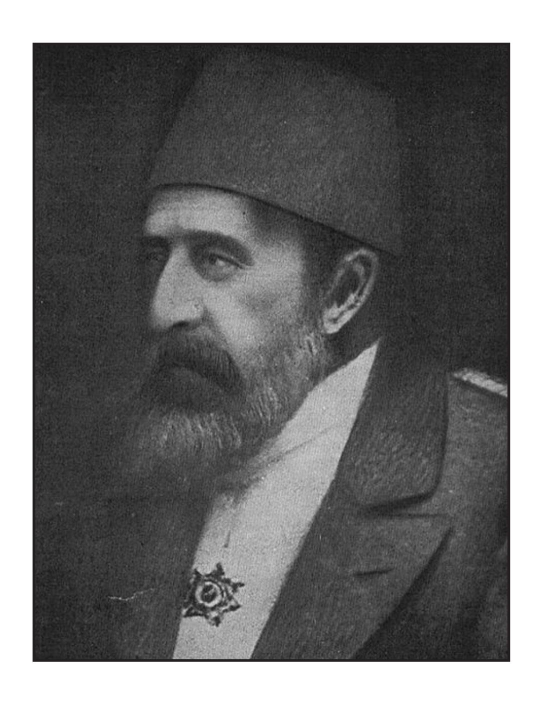


سليمان القانوني



محمد السادس

أخذت الصور عن المصدر السابق ص٦٤-٦٥

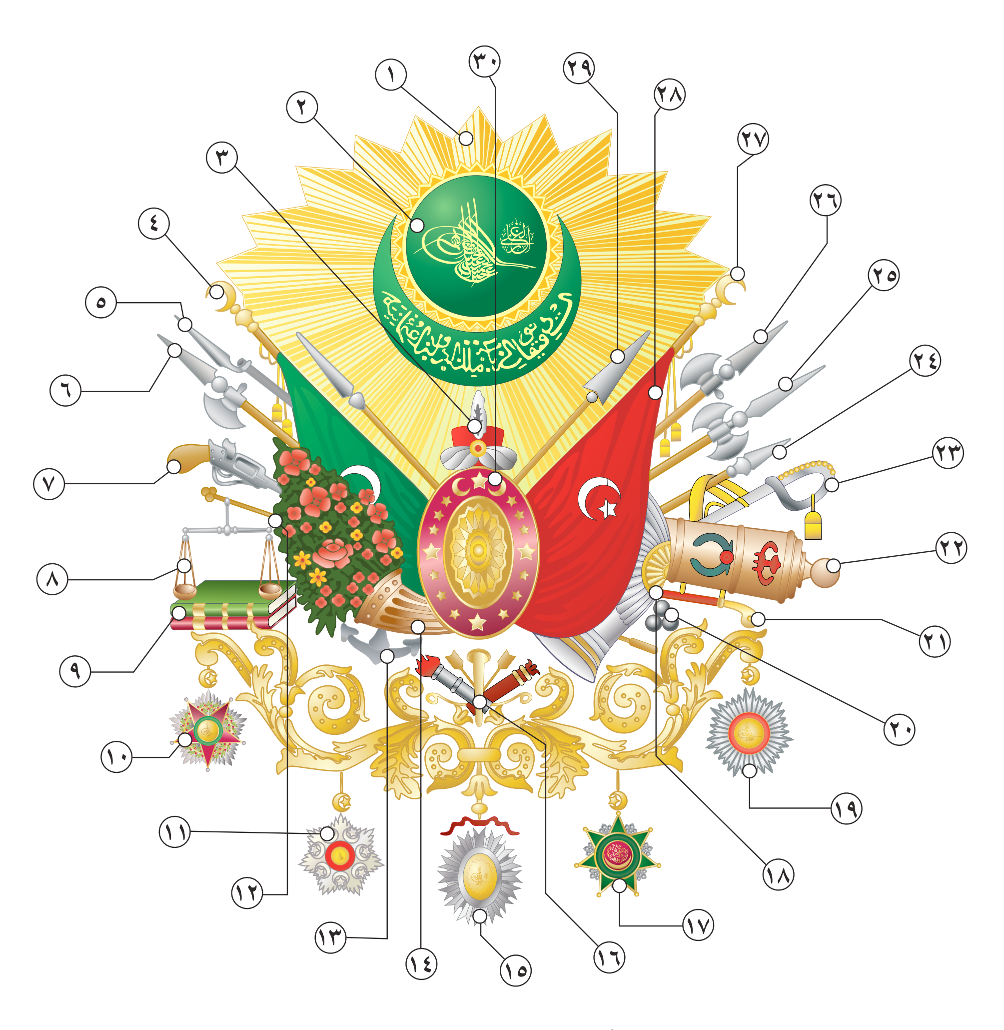


السلطان عبدالحميد الثاني ، السلطان ٣٤ للدولة العثمانية، تولى الحكم عام ١٨٧٦م ، حتى تنازله الإجباري ١٩٠٩ م ، ثم نفي إلى البلقان (اليونان) ومكث تسع سنين في المنفى حتى توفي عام ١٩١٨ م عن ستة وسبعين عاما رحمه الله ، دامت مدة حكمه ٣٣ عاما



طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، وهو نموذج من أختام سلاطين آل عثمان وتوقيعاتهم الرسمية، ونصه: المظفر دائما عبدالحميد بن عبدالحميد خان الغازي، المصدر: موقع tugra.org للباحث التركي إركان منسز

شِعارُ الدَّوْلَةِ العَلِيَّةِ العُثْمَانِيَّةِ



شعار الدولة العثمانية ، صمم أصله واعتمده السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٨٨٢ م
ترجم الشرح عن اللغة التركية ، للاستزادة انظر المادة في موسوعة wikipedia.com باسم
Osmanli-nisani

١- نموذج للشمس حول الطغراء (التوقيع) وتعبر عن تشبيه السلطان بالشمس .

٢- طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، وفي الهلال الأخضر مكتوب بالتركية عبارة

قريبة من : توفيقات الربانية ملك الدولة العثمانية.

٣- طربوش له طرة (ريشة): يعبر عن عثمان الغازي وعرشه.

٤- علم الخلافة الأخضر.

٥- بندقية ذات حربة مدببة كانت بمثابة سلاح أصيل للجيش العثماني هي والنظم الحديثة.

٦- فأس مزدوج، له جهتان. ٧- طبنجة (مسدس) لها مقبض.

٨- ميزان: في الأساس هو الرمح والعصا، ويمثل العدالة.

٩- في الأعلى: القرآن الكريم، وفي الأسفل: القوانين.

١٠- وسام الامتياز، كان يمنح لرجال العلم الذين يقدمون خدمات جليلة للدولة هم والإداريين والعسكريين.

١١- وسام عثماني قرره السلطان عبدالعزيز عام ١٨٦٢ م وكان يمنح لمن يوفق في خدمة الدولة.

١٢- الرمح (سلاح قديم) والعصا. ١٣- المرساة، شعار البحرية العثمانية.

١٤- نفير البركة. ١٥- وسام الافتخار. ١٦- قوس. ١٧- وسام مجيدي.

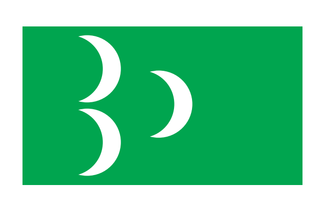
١٨- بوق: آلة للعزف من الفرق الموسيقية الحديثة.

١٩- وسام الشفقة، أوجده السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٨٧٨ م وكان يمنح للنساء اللواتي يقدمن خدمات للدولة والشعب في المحن والمصائب الكبرى.

٢٠- قذائف مدفعية (توجد على بعض الشارات). ٢١- سيف.

٢٢- قذيفة، تعبر عن فيلق المدفعية.

٢٣- سيف بدرع يدوي للاحتفالات، لم يكن سيفا تركيا تقليديا، وكان يستخدم من قبل الضباط في هذا الوقت. ٢٤- مزراق (رمح).



٢٥- بلطة مزدوجة، كانت تستخدم باعتبارها نموذجا للرفعة من قبل المنتسبين ذوي المراتب العليا من الجيش.

٢٦- فأس (بلطة) لها جانب واحد. ٢٧- البيرق.

٢٨- العلم العثماني، الراية الحمراء ذات الهلال والنجمة هي راية بني عثمان، والراية الخضراء ذات الأهلة الثلاثة هي الراية الإسلامية.

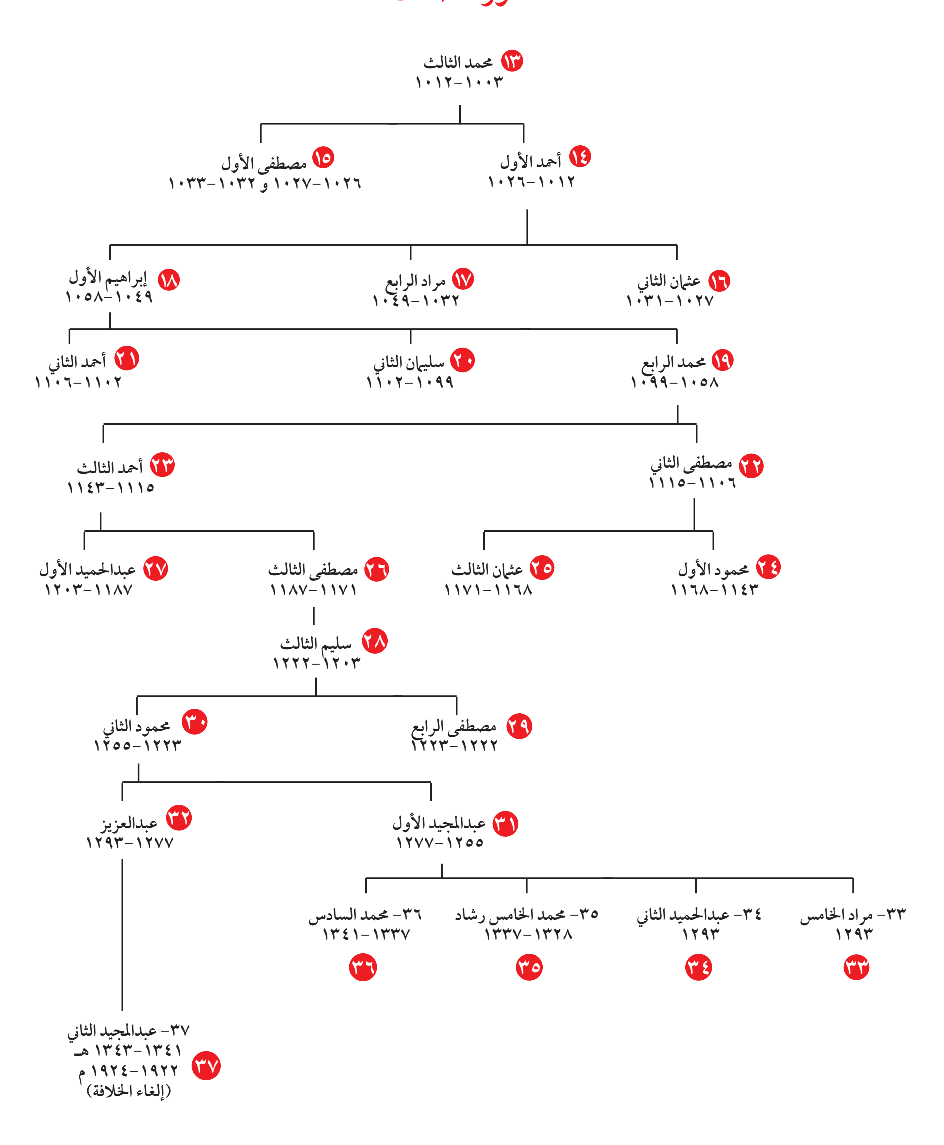
٢٩- مزراق (رمح) ، يرمز إلى ألوية المشاة الذين يحملون الرماح في العصور المتأخرة.

٣٠- درع ذهبي يحيط بالطغراء.

وظلَّت الدَّولَـةُ العُثمانِيَّةُ رمزَ الفُتوحاتِ الإسـلامِيَّةِ واجتماعِ القرارِ الإسـلاميِّ خِـلالَ مراحِلِهـا المُتنامِيَـةِ ، ففتحت بلادَ القَرمِ وبلاد العَجَمِ مـن أرضِ فارِسَ بعد تمرُّدِهم، وفتحت المَجَرَ وغزت السَّواحِلَ الإيطاليَّةَ والفرنسيَّةَ والإسبانيَّةَ ، وطاردَ السُّلطانُ القانونيُّ البُرتغالِيِّين في مياهِ المُحيطِ الهندِيِّ وبحرِ العَرَبِ[1] .

(١) قامـت دولـة البرتغـال عـام ١٤١٥ م بغـزو المغـرب الأقصـى ، وكانت هذه بداية سلسـلة الغـزو البرتغالـي علـى الشـمال الإفريقـي، ثـم إلـى المحيط الأطلسـي والالتفـاف حول العالم الإسـلامي بدوافع صليبية تؤكدها مقولات بعض زعمائهـم وهو (البوكيرك) القائد البرتغالـي: نحـن علـى يقين لو انتزعنـا تجارة (ملقـا) هذه مـن أيديهم ـ أي: المسـلمين ـ لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين. اهـ. وقال: كان هدفنا الوصول إلى الأماكن المقدسـة للمسـلمين واقتحام المسجد النبوي وأخذ رفات النبي محمد رهينة لنساوم عليه العرب من أجل استرداد القدس. اهـ .

وهذا يظهر للباحث في الغزو البرتغالي أنه عامل مهم من العوامل التي دفعت البرتغاليين لارتيـاد البحـار والالتفـاف حـول العالم الإسـلامي مصدرين المراسـم والأوامر ورسـم الصليـب والمدفع كشـعار للحملات، واسـتعانوا فـي حملاتهم باليهود الذين اسـتخدموا كجواسـيس، ونجح البرتغاليون في خططهم وتمكنوا من السـيطرة على معابر التجارة في الساحل الإفريقي والخليج العربي وبحر العرب، وشهدت المناطق التي وصلوا إليها كثيرا من المجازر والتدمير والاعتداء على الحرمات ومنع المسلمين من الجمع وهدم المساجد عليهم، وقد واجه العثمانيون البرتغاليين بشجاعة نادرة وتمكنوا من استرداد بعض الموانئ الإسلامية في البحر الأحمر والساحل الإفريقي والخليج العربي وبحر الهند وبحر العرب وخليـج عدن، وتـم طـرد البرتغاليين وإيقافهـم بعيدا عـن الممالك الإسـلامية والحد من نشـاطهم وحماية الأماكن المقدسـة. اهـ. بتصرف من «الدولة العثمانية.. عوامل النهوض وأسباب السقوط» ص٢٦٠-٢٦٦ .



المشجر العام لآل عثمان في دور الضعف ، أطلس التاريخ الحديث ص٦٣

عوامل الضعف والانهيار لبني عثمان

وهكذا استمرَّت دولَةً إسلاميَّةً عزيزةً لِعِدَّةِ قُرونٍ حتى سرى الضَّعفُ إلى الدَّولَةِ في أواخِرِ عَهدِها وبدأت أطماعُ الدُّوَلِ الأوروبِّيَّةِ بعد اكتشافِ رأسِ الرَّجاءِ الصَّالِحِ وظُهورِ الآلَةِ البُخاريَّةِ ، حتى تهيَّأت عوامِلُ الانهيارِ والسُّقوطِ بالأسبابِ التَّالِيَةِ :

(١) تأثُّرِ عناصِرِ الدّولَةِ بالحضارَةِ الغَربـيَّةِ والتمتُّعِ بالشَّـهَواتِ والرُّكونِ إلى الدَّعَةِ وتَركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ .

(٢) اتِّصـالِ المُفكِّرين والمُثقَّفين المُسـلِمين بالأوربِّيِّين ، وكَثرَةِ البَعثَاتِ إلى أوربا والانغماسِ في مفاهيمِ الحُرِّيّاتِ الأوروبـيَّةِ.

(٣) تَغلغُـلِ يهودِ الدّونمَـةِ في الجمعيّاتِ والتّكتُّلاتِ السِّياسِـيَّةِ ، ووُصولِهِم مـن خـلالِ الحِزبِيَّةِ إلـى مواقِعِ القَرارِ ، وتشـجيعِ هـذه الجمعيَّاتِ علـى النُّمُوِّ واختراقِ الواقِعِ التقليدِيِّ .

بدء ظهور العلمنة: إفراط المسلمين في الانبهار بعلمانية الغرب

(٤) التأثُّرِ الأعمى بِسِياسَـةِ القومِيَّاتِ التي رَوَّجَ لها اليهودُ ، كِسِياسَـةِ التَّتريكِ والتَّعريبِ وحَرَكَةِ الانفصالِ، وخاصَّةً في شُعوبِ البَلقانِ المسيحِيَّةِ .

(٥) تأثُّرِ العديدِ من الحُكَّامِ وبِطاناتِ البَلاطِ العُثمانيِّ والجُندِ بِدَعوَةِ العِلمانيَّةِ «فَصـلِ الدِّينِ عن الدَّولَةِ» ، وهو ما كانت تُرَوِّجُ له الدُّوَلُ الأوروبِّيَّةُ إبَّانَ مرحلَةِ الثَّورةِ الصِّناعِيَّةِ من مفاهيمِ الحُرِّيَّاتِ والدِّيمقراطِيَّةِ ودَولَةِ البَرلمانِ .

وقـد عـزَّزَ الخليفـةُ عبدُالحميـدِ الثّانـي دولَـةَ الخلافَـةِ إبّـانَ مرحلَـةِ خِلافَتِهِ بالإصلاحـاتِ العديـدةِ وواجَـهَ السِّياسَـةَ الأوروبِّيَّـةَ واليهودِيَّةَ بِثَبـاتٍ وحَزمٍ ، واستطاعَ أن يُعيدَ لها التَّوازُنَ مُدَّةَ خِلافَتِهِ حتى تنازُلِهِ الإجبارِيِّ في السادس من ربيع الآخر عام ١٣٢٧ هـ (٢٧/ ٤/ ١٩٠٩ م) للاتحاديين .

بدء ظهور العلمانية وفصل الدين عن الدولة مع سقوط القرار الإسلامي

وبتنازُلِهِ القسـرِيِّ القائِمِ على الخِداعِ والحَبكَةِ اليهودِيَّةِ الدونمِيَّةِ دخل العالَمُ العَرَبـيُّ والإسـلاميُّ مرحلَةً خطيرَةً في مسـتوى القرارَين : قـرارِ الحُكمِ وقَرارِ العِلمِ، وظهرت آثارُ وتداعياتُ ما سُمِّي بالخِلافةِ المُدَونَمَةِ[1].

---

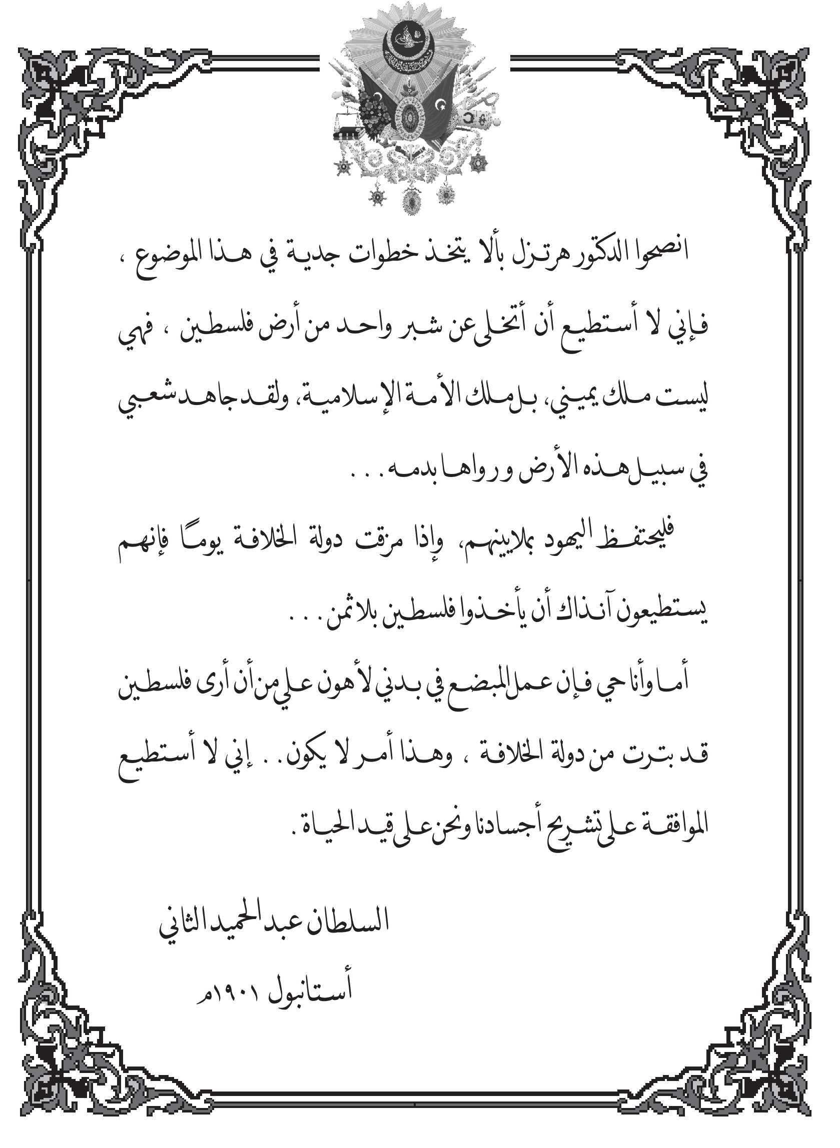
(١) ويطلـق هـذا التعريف على المرحلة الخطيرة التي تولى فيها الاتحاديون سياسـة الأمور ومن ارتبط بهم ونهج منهجهم من يهود الدونمة في تسييس قرار الخلافة الإسلامية وتمزيق دولته الواسعة وإلهاب نار الفتنة القومية بين الأتراك والعرب وما ترتب على ذلك من ثورة الشعوب

نبذة عن السلطان عبدالحميد الثاني

وكان مُبتَدَأُ حُكمِ عبدالحميدِ الثَّاني من عامِ ١٨٧٩ وانتهى عام ١٩٠٩ م ودامَ حكمُه ثلاثةً وثلاثينَ عاماً ، حيث كانت السَّلطَنَةُ مُثقَلَةً بالمتاعِبِ والأزَماتِ ، فقام بِمُهِمَّةِ الخلافَةِ في عهدِهِ وعَمِلَ على زيادَةِ نَشاطِ العُمرانِ والسِّكَّةِ الحديديَّةِ والمرافِئِ المُتَعَدِّدَةِ وإنشاءِ خَطِّ الحِجازِ والشّامِ وأنشأ الجامِعَةَ الإسلاميَّةَ لِلَمِّ شَعَثِ العالَمِ الإسلاميِّ ووُقوفِهِ صَفّاً واحداً أمام المُؤامَراتِ والدسائِسِ ، وفي عام ١٨٩٧ م عَرَضَ هِرتِزل مُؤَسِّسُ الدَّولَةِ الصُّهيونيَّةِ على السُّلطانِ عبدالحميدِ إنشاءَ الوَطَنِ القوميِّ لليَهودِ في فِلَسطِين وتَعَهَّدَ له بِتَسدِيد كافَّةِ دُيونِ الدَّولَةِ وتقديم مَبلَغٍ كبيرٍ للسُّلطانِ ، فرَفَضَ السُّلطانُ الطَّلَبَ ورَدَّ عليه ، وهذه صورة عن نَصِّ الوثيقة .

العربية ضد الأتراك وسياستهم، والوقوع بسبب ذلك في مخطط الاستعمار ووعوده الكاذبة ، مما أدى إلى الفصل بين القرار الإسلامي العالمي وبين العرب الثائرين ، وكان بها تمزيق أوصال الأمة وبدء استتباعها السياسي والاقتصادي للقرار العالمي الكافر .

وقد بدأت الخلافة المدونة بعد التنازل الإجباري للسلطان عبدالحميد الثاني عام ١٩٠٩ م ، وانتهت بإلغاء أتاتورك للخلافة عام ١٩٢٤ م ، وفي هذه السنوات الخمسة عشر ظهرت سياسة التتريك (١٩١١ م) التي كانت أحد مولدات التيار العربي القومي، ودخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م) إلى جانب ألمانيا، ووقعت مذابح العثمانيين للأرمن (١٩١٥ م) ، وفي الإجمال فقد أشرف الدونمة على قرارات ٣ سلاطين عثمانيين: محمد الخامس ، محمد السادس ، وعبدالمجيد الثاني الذي ألغيت الخلافة في عهده إلغاء رسميا عام ١٩٢٤ م. وعلى وجه التدقيق فيها فقد دامَت سيطرة الدونمة على القرار عشر سنواتٍ بَينَ عامَي (١٩٠٩م– ١٩١٩م) . ثم ٥ سنوات رضخت فيها تركيا لحكم عساكر الحلفاء بقيادة بريطانيا (١٩١٩م– ١٩٢٤م) .


انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع ، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين ، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، ولقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه . . .

فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن . . .

أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة ، وهذا أمر لا يكون . . إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

السلطان عبد الحميد الثاني

أستانبول ١٩٠١م

رد السلطان عبدالحميد الثاني على هرتزل مؤسس الصهيونية

وكانت الدُّوَلُ الأوروبِّيَّةُ (فرنسا ، انكلترا ، روسيا) غاضِبَةً من عَمَلِ السُّلطانِ

لِمَنـحِ امتيـازاتِ الخَطِّ الحديديِّ الواصلِ بين اسـتانبولَ وبغـدادَ لألمانيا ، فدَأَبَت علـى تحريـكِ العناصِرِ المُعارِضَـةِ ومَدِّها بالمعوناتِ السِّـرِّيَّةِ لإعـلانِ العِصيانِ ، وتأسَّسَـت أحزابٌ مُناوِءَةٌ للسُّـلطانِ ، وكان بعضُ اليهودِ المُتظاهِرين[١] بالإسـلامِ علـى رأسِ المُفسِـدِين ، إضافَـةً إلى تَغذِيَـةِ الـرُّوحِ القَومِيَّةِ لدى العَـرَبِ والأكرادِ والأرمَنِ والشَّراكِسَةِ والأرناؤوطِ وأحزابٍ اتَّخَذَت لها شعاراتٍ إصلاحيَّةً مُغرِضَةً ومنهـا حِـزبُ الاتِّحـادِ والتَّرَقِّي في (سُـلانيك) الذي سـعى إلى الدَّعوَةِ للدُّسـتورِ وخرجوا في مظاهراتٍ صاخبةٍ مِمَّا حَمَلَ السُّـلطانَ على إعادَةِ الدُّسـتورِ ، كما كان للإرسـاليَّاتِ والبَعثاتِ والمـدارِسِ الأجنَبِيَّةِ والقُنصِلِيَّاتِ نَفـخٌ في الرَّمادِ وتأجيجٌ لِنارِ الحِقدِ والصِّراعِ ضِدَّ السُّلطانِ وما يدعو إليه كالجامِعَةِ الإسلاميَّةِ .

ورَفَـعَ حِـزبُ الاتِّحادِ والتَّرقِّـي بديلاً عن الجامِعَةِ الإسـلاميَّةِ مبـادئ (الحُرِّيَّةِ – العَدلِ – المُساواةِ) وأكثَروا حولَها الشَّائِعاتِ ، واختَلَقوا الأخبارَ عن ظُلمِ السُّلطانِ والرَّعايـا وقَتلِهـم حتى أسـمَتهُ الصُّحُفُ (السُّـلطانَ الأحمـرَ) زُوراً وكَذِبـاً وكَيداً ، وتنامَت هذه الفِتَنُ وتلاحَقَت حتى طالَبَت هذه العناصِرُ بِخَلعِ السُّلطانِ .

وعندما خُلِعَ السُّـلطانُ تسـابَقَت الأحزابُ والقُـوَى لِكِتابَةِ التَّاريخِ السِّياسِـيِّ بما يخـدِمُ الإثـارَةَ والفِتنَـةَ ضِدَّ عَصرِ السُّـلطانِ وخِلافَتِـهِ، واعتبَروا أنَّ حِـزبَ الاتِّحادِ والتَّرَقِّـي هـو المُنقِـذُ للأُمَّـةِ مـن الاسـتبدادِ الحميـدِيِّ (العهـدُ الحميـدِيُّ = عهدُ عبدِالحميـدِ) ، وكانـت الكارِثَتان بعـد ذلك : الأولـى الاعترافُ بِفِلَسـطِين كوَطَنٍ قَومِـيٍّ لليهودِ، والثانية إسـقاطُ الشَّـريفِ حُسـينٍ بعد أن وَعَـدوه بالخِلافَـةِ العَرَبيَّةِ ودفعوا به إلى مُحارَبَةِ الأتراكِ وإعلانِ الثَّورَةِ ضِدَّهم.

ولمـا خُلِـعَ السُّـلطانُ وُضِعَ فـي أَحَدِ القُصـورِ اليهودِيَّةِ في سُـلانيك فـي البلقان (اليونـانِ)، وشُـدِّدَت عليه الحِراسَـةُ في إقامـةٍ جَبرِيَّةٍ، وكان من بيـن الحُرَّاسِ أَحَدُ أتباعِ الشَّـيخِ أبي الشاماتِ شَيخِ السُّلطانِ عبدالحميد ، وعن طريقِهِ تَمَّت المواصلَةُ سِـرّاً بين السُّـلطانِ والشَّـيخِ وحَفِظَ الزَّمانُ للأُمَّةِ إحدى رسـائِلِ السُّلطانِ المخلوعِ

التي أرسلها إلى شَيخِهِ. ومكث في منفاه تسع سنين حتى توفي في ٢٨ من ربيع الآخر عام ١٣٣٦ هـ (١٠/ ٢/ ١٩١٨ م) عن ستةٍ وسبعينَ عاماً رحمه الله.

وهذا يُؤَكِّدُ علاقَةَ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ بالتَّصَوُّفِ وعِنايَتَها به، وأنَّ أَوَّلَ أسبابِ نَكثِ العُهودِ لهذه الأمانَةِ وهي مَرتَبَةُ الإحسانِ إسقاطُ رَجُلِ القرارِ في الخلافةِ ليُصبِحَ التَّصَوُّفُ أَحَدَ تَبِعاتِ المرحلةِ الحميدِيَّةِ عند الصُّهيونِيَّةِ وعُمَلائِها، والذي عَمِلَ الجميعُ فيما بعدُ على مُحارَبَتِه وخَلطِ أوراقِهِ لِيَصِلَ فيما بعدُ إلى ما وصلَ إليه من تعريفِهِ بـ(الشِّركِ والضَّلالَةِ).

رسالة السلطان عبدالحميد الثاني في المنفى إلى شيخه عام ١٩١١ م (باللغة التركية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وأفضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسليمِ على سَيِّدنا مُحَمَّدٍ رَسولِ رَبِّ العالمينَ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين والتَّابعين إلى يومِ الدِّينِ.

أرفَعُ عريضَتي هذه إلى شَيخِ الطَّريقَةِ العلِيَّةِ الشاذِلِيَّةِ، إلى مُفيضِ الرُّوحِ والحياةِ، وإلى شَيخِ أهل عَصرِهِ الشَّيخِ محمود أفندي أبي الشَّاماتِ، وأُقَبِّلُ يَدَيهِ المُبارَكَتَينِ راجياً دَعَواتِهِ الصَّالِحَةِ. بعد تقديمِ احترامي أعرِضُ أنـي تلقَّيتُ كِتَابَكم المؤرَّخَ في ٢٢ مارس من السَّنَةِ الحالية، وحَمِدتُ المولى وشكرتُهُ أنَّكم بِصِحَّةٍ وسلامَةٍ دائِمَتَينِ.

سَيِّدي : إنَّنـي بِتَوفيقِ اللهِ تعالـى مُداوِمٌ على قِراءَةِ الأورادِ الشَّاذِلِيَّةِ ليلاً ونهاراً، وأعرِضُ أنَّني مازِلتُ مُحتاجاً لِدَعَواتِكم القلبِيَّةِ بصورَةٍ دائِمَةٍ.

بعد هذه المُقَدِّمَةِ أعرِضُ لِرَشَادَتِكم وإلى أمثالِكم أصحابَ السَّماحَةِ والعُقولِ

السَّليمَةِ المسألَةَ المُهِمَّةَ الآتِيَةَ كأمانَةٍ في ذِمَّةِ التّاريخ:

إنَّني لم أتَخَلَّ عن الخلافَةِ الإسـلامِيَّةِ لِسَـبَبٍ ما، سـوى أنني - بِسَبِبِ المُضَايَقَةِ من رُؤساءِ جمعِيَّةِ الاتِّحادِ المعروفَةِ بِاسـمِ (جون تورك) وتهديدِهم- اْضطُرِرتُ وأُجبِرتُ علـى تَرِكِ الخِلافَـةِ. إنَّ هـؤلاءِ الاتِّحادِيِّين قـد أَصَرُّوا وأَصَـرُّوا عَلَيَّ بأن أُصـادِقَ على تأسـيسِ وَطَنٍ قَومِيٍّ لليهودِ في الأرضِ المُقَدَّسَـةِ (فِلَسـطِين)، ورَغـمَ إصرارِهم فلم أقبَـل بِصـورَةٍ قَطعِيَّةٍ هذا التَّكليفِ، وأخيرًا وَعَدوا بِتَقدِيم ١٥٠ مائة وخمسـين مليونَ ليرةٍ إنجليزيَّةٍ ذَهَباً، فرفَضتُ هذا التَّكليفَ بِصورَةٍ قطعِيَّةٍ أيضاً، وأجبتُهم بهذا الجوابِ القَطعـيِّ الآتـي: (إنَّكم لو دَفَعتُم مِـلءَ الأَرضِ ذَهَباً - فَضلاً عن ١٥٠ مائة وخمسـين مليـون ليرةٍ إنجليزيَّةٍ ذَهَبًا - فلن أقبَلَ بِتَكليفِكُم هـذا بوجهٍ قطعيٍّ، لقد خَدَمتُ المِلَّةَ الإسـلاميَّةَ والمُحَمَّدِيَّةَ ما يزيدُ عن ثلاثين سَـنَةً فلم أُسَـوِّد صحائِفَ المسـلمين آبائي وأجـدادي من السَّـلاطينِ والخُلَفاءِ العُثمانِيِّيـن، لهذا لن أقبَلَ تكليفَكُـم بوجهٍ قَطعِيٍّ أيضـاً). وبعد جوابـي القطعِيِّ اتَّفَقوا علـى خَلعِـي، وأبلَغوني أنهم سَـيُبعِدونَني إلى (سُـلانيك) فقَبِلتُ بهذا التَّكليفِ الأخيرِ. هذا وحَمِدتُ المولى وأحمَدُه أنَّني لم أقبَل بأن أُلَطِّخَ الدَّولَةَ العُثمانِيَّةَ والعالَمَ الإسلامِيَّ بهذا العارِ الأَبَدِيِّ النَّاشِئِ عن تكليفِهم بإقامَةِ دَولَةٍ يهودِيَّةٍ في الأراضي المُقَدَّسَـةِ فلسطينَ... وقد كان بعد ذلك ما كان، ولذا فإنَّني أُكَـرِّرُ الحَمدَ والثَّنـاءَ على اللهِ المُتَعالِ، وأعتَقِدُ أنَّ مـا عرضتُهُ كافٍ في هذا الموضوعِ الهامِّ، وبه أختِمُ رِسـالَتي هذه. أَلثُمُ يَدَيكُم المُبارَكَتَينِ، وأرجو وأسـتَرحِمُ أن تَتَفَضَّلوا بِقَبولِ احتِرامي بِسَلامي على جَميعِ الإخوانِ والأصدِقاءِ.

يا أُسـتاذِي المُعَظَّمُ لقـد أَطَلتُ عليكم التَّحِيَّةَ، ولكن دَفَعَني لهـذه الإطالَةِ أن نُحيطَ سماحَتَكم عِلماً، ونُحيطَ جماعَتَكم بذلك عِلماً أيضاً.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللّٰهِ وبركاتُهُ

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩

خادِمُ المسلمينَ

عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ المجيدِ

قِراءةُ مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ من واقِعِ فِقهِ التحوُّلات

مرحلة مفصلية فصلت تماماً بين قراري الحكم والعلم

بِما أنَّ مرحلةَ الغُثاءِ المُشارِ إلَيها هي مرحلةُ حياتِنا المُعاصِرةِ، ولها ارتِباطٌ وثيقٌ بعلاماتِ الساعةِ الوُسطى والصُّغرى وما يتفرَّعُ عنها من مفاهيمِ فِقهِ التحوُّلاتِ، وفي شأنِها بسطَ النبيُّ ﷺ الأخبارَ والآثارَ مُجملةً ومُفصَّلةً، فيبقى علَينا أمامَ ذلِكَ ترتيبُ الزمنِ الغُثائيِّ ووضعُه في مَوقِعِه الصحيحِ مِنَ النُّصوصِ، سواءٌ في الحُكمِ أوِ العِلمِ أوِ الحياةِ بعُمومِها؛ لِأنَّ مرحلةَ الغُثاءِ مرحلةٌ مفصليَّةٌ في تاريخِ التحوُّلاتِ كُلِّها، ولها أهميةٌ عظيمةٌ في كافَّةِ شُؤونِها المُتحوِّلةِ والمُتَحَوْصِلَةِ، وتكادُ أن تفصلَ تمامًا ـ في شأنَي: «قرارِ الحُكمِ» أولًا، و«قرارِ العِلمِ» ثانيًا ـ بَينَ التاريخِ الأبويِّ الشرعيِّ المُسنَدِ برِجالِه وأهلِه برغمِ اختلافِهم، وبينَ التاريخِ الأنويِّ الوضعيِّ المُوسَّدِ وسقوطِ الأمرِ بيدِ غيرِ أهلِه، كما عبَّرَ عن ذلِكَ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ في قولِه عن علامةِ الساعةِ وتضييعِ الأمانةِ ـ مُجيبًا على مَن سألَه: وكيفَ إضاعتُها؟ ـ قالَ: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه**»[1].

إذا وسّد الأمر إلى غير أهله

---

(١) الحديث ورد بلفظ «التَّوسيدِ» في «صحيح البخاري» (٥٩) الفتح برقم (١: ١٢٣) وبلفظ «الإسناد» البخاري (٦٤٩٦) الفتح كما هو في «صحيح البخاري» برقم (٦٠١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظِرِ الساعةَ**». قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسنِدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتظِرِ الساعةَ**».

وفي «فتحِ الباري» لابن حجر (١١/ ٣٧٦): قال الكرماني: أجاب عن كيفية الإضاعة بما يدل على الزمان؛ لأنه يتضمَّن الجوابَ؛ لأنه يلزمُ منه بيانُ أن كيفيتَها هي الإسنادُ المذكورُ، وقد تقدّم هناك بلفظ «**وُسِّدَ**» مع شرحه، والمراد من «**الأمر**» جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك، وقوله: «**إلى غَيرِ أهلِه**» قال الكرماني: أتى بكلمة «إلى» بدل اللام؛ ليدل على تضمين معنى الإسناد.

قوله: «**فَانتَظِرِ السَّاعَةَ**»، الفاء للتفريع، أو جواب شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر كذلك فانتظِرْ. قال ابن بطّال: معنى «**أُسنِدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه**» أن الأئمة قد ائتمنهم الله

الكلام عن الإسناد وتأصيل هذا المعنى إذا أسند

وأعتقدُ جازِمًا أنَّ هذا التعليلَ خطيرٌ وهامٌّ جِدًّا جِدًّا عِندَ قِراءتِنا لِلتحوُّلاتِ في هذه المرحلةِ، ويكادُ أن يكشِفَ عن أخطرِ مُؤامرةٍ عرَفَها الإسلامُ في تاريخِه الأبويِّ، كما يكشِفُ عن أهمِّ مكسبٍ تاريخيٍّ غنِمَه الشيطانُ والدَّجَّالُ والكُفرُ في تاريخِهما الأنويِّ، وبدأَ بِه الانحِدارُ الذي انتظَرَه المخلوقُ الإرهابيُّ آلافَ السنين منذُ عهدِ «الحِوارِ الأوَّلِ» بينَ الحقِّ سُبحانَه والشيطانِ، إلى عهدِ «الحِوارِ الأخيرِ»، وهو الحِوارُ اللَّادينيُّ بينَ أهلِ الحضاراتِ وأهلِ الأديانِ تحتَ مُسمَّى «تقاربُ الدياناتِ وحِوارُ الحضاراتِ».

فالأمرُ لَيسَ كما يبدو، ولا كما يتناولُه المحاوِرون مِن كلا الطرفَين في المرحلةِ المعاصِرةِ، سواءٌ كانوا مُخلصين فيما ذهبُوا إلَيه واجتهدُوا في تحقيقِه لرسمِ السلامِ العالميِّ، أو كانوا مُسَيَّسين ومُهندسين أساسيِّين في أطرافِ اللُّعبةِ الإقليميةِ والدوليةِ، فالمرحلةُ كُلُّها مفصلٌ هامٌّ وخطَيرٌ في التاريخِ الكَونيِّ لِمَن ألقى السمعَ وهو شهيدٌ.

مرحلة السير الإجباري نحو جُحر الضبِّ

إنها مرحلةُ السَّيرِ الإجباريِّ نحوَ «جُحرِ الضّبِّ» بإدراكٍ أو بِغَيرِ إدراكٍ، وبديانةٍ شرعيةٍ أو خِيانةٍ وضعيةٍ، فالجميعُ يَحْفِزُون طَوعًا وكرهًا نحوَ المصيرِ الأخيرِ، بصرفِ النظرِ عمَّا يكونُ في المرحلةِ مِن مقاطِعَ إيجابيةٍ وتنفُّساتٍ موعودةٍ.

فِقهُ التحوُّلاتِ يفتحُ آفاقًا جديدةً في قراءةِ التاريخِ

وأجزِمُ أن هذه العباراتِ عِندَ فهمِها وتتبُّعِ ثمراتِها الإيجابيةِ ستفتحُ آفاقًا جديدةً في قِراءةِ التاريخِ الإنسانيِّ والإسلاميِّ، كما ستُوجِّهُ أقلامًا وثقافاتٍ إلى مسارِها الصحيحِ في كتابةِ التاريخِ الأبويِّ الشرعيِّ المُسنَدِ، وستدفعُ بأقلامٍ أُخرى وثقافاتٍ عقرى إلى رفضِ هذه المعاني؛ لينفُذَ بهذا الرفضِ قدرُ اللَّهِ في الشُّعوبِ من نقضِ الأمانةِ وبناءِ الهَيكلِ الأنويِّ الوضعيِّ المُوسَّدِ، كما سمَّاه النبيُّ ﷺ في صحيحِ الأحاديثِ الخاصَّةِ بِفقهِ التحوُّلاتِ.

على عباده، وفرض عليهم النصيحة لهم؛ فينبغي لهم توليةُ أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين؛ فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها.

غِيابُ الفِقهِ الشرعيِّ للتحوُّلاتِ جرَّاً المترسِّمين على المصلِّين

إذ كانَ غيابُ هذا الفِقهِ الشـرعيِّ سـببًا في تطاولِ المترسِّـمين بالدينِ على أشباهِهم وأمثالِهـم مِـنَ المصلِّين ، كما كانَ سـببًا في طُغيانِ مدارِسِ الشـكِّ والإلحـادِ والكُفرِ والنِّفاقِ واختراقِها صفوفَ الأمةِ بدفعِ المسـتعمِرِ والمسـتهترِ والمسـتثمِرِ ، حتَّى غدا العالَـمُ العربـيُّ والإسـلاميُّ لا يملِكُ قـرارًا ولا يُحقِّقُ اسـتقرارًا إلَّا بمـا ترضاه قُوى الحركةِ العالميةِ المُهَيمنةِ على مجموعِ حياةِ الشُّعوبِ المُستضعفةِ ، ولِئلَّا يفوتَ على المُسـلِمين في مرحلتِنا المعاصِرةِ ما فاتَ على من سـبقَهم في هذا الشـأنِ فقد وضعَنا هاهنا اسـتقراءً كاملًا لِما وصفَه ﷺ من تقسـيمٍ شـرعيٍّ لمرحلةِ الغُثاءِ وما تلاها ، وفِيهـا يقولُ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُوشِـكُ أن تداعى علَيكم الأُمـمُ كما تداعى الأكلةُ علـى قصعتِهـا**» . قالـوا : أمِن قِلةٍ نحنُ يا رَسُـولَ اللَّهِ ؟ قالَ : «**لا أنتـم يَومَئِذٍ كَثيرٌ ، ولكِنَّكم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّـيلِ يُلقَى علَيكمُ الوَهَنُ**» . قالوا : وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قـالَ : «**حبُّ الدنيـا وكراهيةُ المَوتِ**»[1] . وفـي روايةٍ : «**وتُنـزَعُ المهابةُ من صُدورِ عَدُوِّكُم**»[2] .

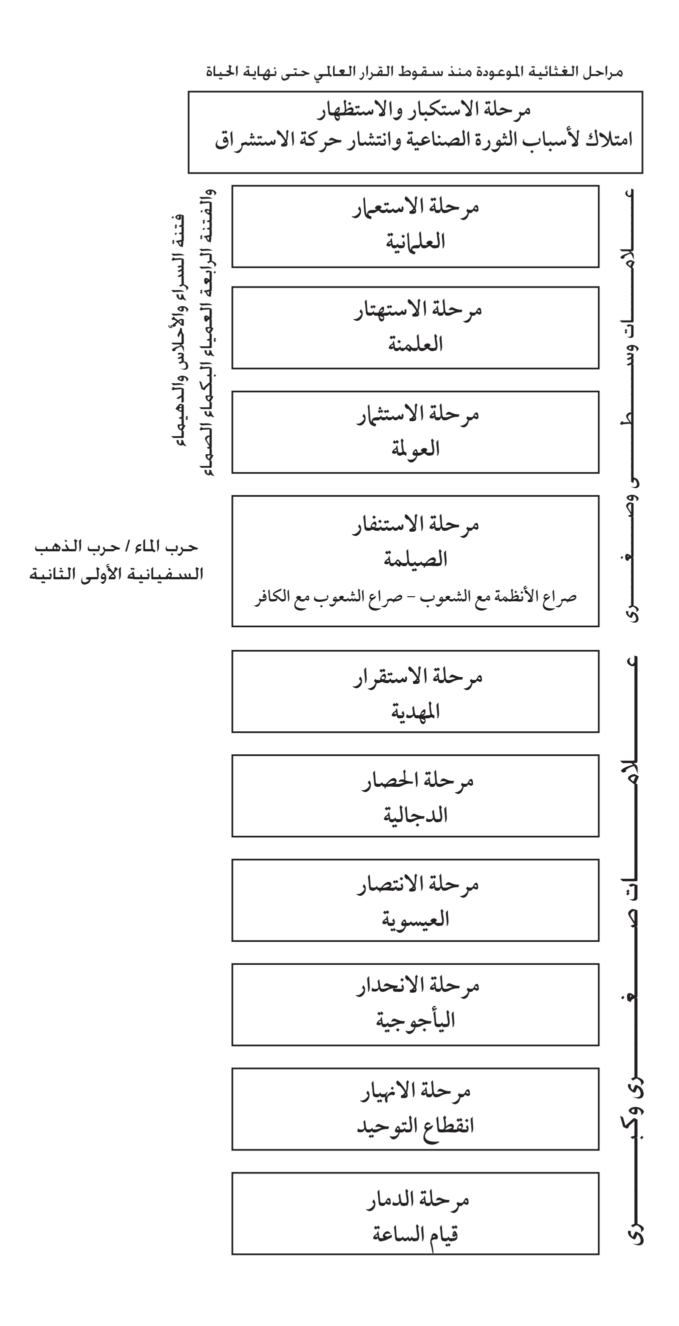
الغثائية من حديث ثوبان

وفي روايةٍ : «**كيفَ بكَ يا ثوبانُ ، إذا تداعَت علَيكمُ الأُمَمُ كتداعيكم على قصعةِ الطعـامِ تصيبـون مِنـه**» . قـالَ ثوبـانُ : بأبي أنتَ وأمـي يا رَسـولَ اللَّهِ أمِـن قِلةٍ بنا؟ قـالَ : «**لا أنتـم يومئِـذٍ كثيرٌ ، ولكِن يُلقـى في قلوبِكمُ الوهنُ**» . قـالَ : وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ، قالَ : «**حبُّكم الدُّنيا وكراهيتُكم القِتالِ**»[3] .

وعِندَ النظرِ إلى هذا الحديثِ وغيرِه يتحدَّدُ الاستقراءُ بتكالُبِ الأُممِ على الإسلامِ والمُسـلِمين خِلالَ مرحلةِ نقضِ الخلافةِ العُثمانيةِ وبدءِ مرحلةِ الاسـتعمارِ ، ولِأن هـذه المرحلةَ قد مـرَّت بتداعياتٍ عديدةٍ فلا بُدَّ من معرفةِ أقسـامِ هـذه التداعياتِ على النحوِ التالي :

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٩) .
(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٩٧) «مسند أحمد» (٢٢٣٩٧) .
(٣) «مسند أحمد» (٨٧١٤) .



مراحل الغثائية الموعودة منذ سقوط القرار العالمي حتى نهاية الحياة
مرحلة الاستكبار والاستظهار
امتلاك لأسباب الثورة الصناعية وانتشار حركة الاستشراق
مرحلة الاستعمار
العلمانية
مرحلة الاستهتار
العلمنة
مرحلة الاستثمار
العولمة
مرحلة الاستنفار
الصيلمة
صراع الأنظمة مع الشعوب - صراع الشعوب مع الكافر
مرحلة الاستقرار
المهدية
مرحلة الحصار
الدجالية
مرحلة الانتصار
العيسوية
مرحلة الانحدار
اليأجوجية
مرحلة الانهيار
انقطاع التوحيد
مرحلة الدمار
قيام الساعة
علامات وسطى وصغرى
علامات صغرى وكبرى
فتنة السراء والأحلاس والدهيماء
والفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء
حرب الماء / حرب الذهب
السفيانية الأولى الثانية

تَفْصِيلُ المَرْحَلَةِ الغُثَائِيَّةِ . . تَمْهِيدًا وَٱمْتِدَادًا . .

تنقسم المرحلة الغثائية إلى أقسام عدة، أهمها:

مرحلةُ الأحلاسِ (الاستكبار والاستظهار)

(أ) مرحلة الأحلاس: (مرحلة الاستكبار والاستظهار)

وَهِيَ مرحلةُ ظهورِ الآلةِ ، وامتلاكِ أسبابِ الثورةِ الصناعيةِ ، وما تَرَتَّبَ عليها من عِزَّةٍ بالإثم وشعورٍ بالقوةِ ، من خلالِ وسائلِ الهَيْمَنَةِ وَالتَّنْمِيَةِ .

وقد استُخلص معنى (مرحلة الاستكبار) من الإشارةِ القرآنيةِ في قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

وقد فُهِم من معنى ﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عِزَّتُهُم بالثورةِ الصناعيةِ وامتلاكِ الآلةِ، ثم ما تلاهُ من سياسةِ الاستظهارِ فالاستعمارِ التي تحقَّقَ فيها معنى قوله سبحانه: ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ .

وهي أيضاً مرحلةُ ضعفِ الدولةِ العليةِ حامية قرارِ الخلافةِ الإسلاميةِ ، وكانَ مُبتدأُ الضعفِ مُعاصِرًا للنهضةِ الأوربيةِ واتِّفاقِ دُولِ أوربا ـ معَ خلافِها الداخليِّ ـ على تفكيكِ وتقسيمِ الدولةِ العُثمانيةِ ، وأطلقَ الأوربيون على هذا الاتِّفاق «المسألَةَ الشرقيةَ» ، أي : مشكلةَ الدُّولِ الواقِعةِ في الشرقِ مِن أوربا . اهـ . وعبَّرَ عنها الحديثُ بـ «فِتنةِ الأحلاسِ» .

«والحِلْسُ» في اللغةِ : ما يُبسَطُ تحتَ الثيابِ إشارةً إلى الخفاءِ والتمويهِ . وهذه المرحلةُ يَبدُو أنّها ـ حسبَ استقراءِ الأحداثِ ـ المرحلةُ التي تحركَت فِيها قُوى الاستعمارِ الأوربيِّ بُعَيدَ ظهورِ الثورةِ الصناعيةِ وإطلاقِ مُسمَّى «تركةِ الرجلِ المريضِ» على بلادِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ ، وبدْءِ وضعِ الخُططِ والمؤامراتِ لتفكيكِ وحدتِه السياسيةِ والاستيلاءِ على ثرواتِه ومواقِعِه الاستراتيجيةِ ، من

خلالِ بدْءِ النشاطِ الاستشراقيِّ، والعملِ السياسيِّ الدُّبلوماسيِّ لدراسةِ الواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ، وبذرِ الفِتنِ والمؤامراتِ فيه، بإثارةِ مطلبِ الدعوةِ إلى الحريةِ والمساواةِ وسيادةِ القانونِ، وإدخالِ عُلومِ الحياةِ الحضاريةِ كالعلومِ الثقافيةِ والصناعيةِ والزراعيةِ والعسكريةِ وغيرِها كذريعةٍ لهدمِ القيمِ والديانةِ.

بدءُ الغزوِ البُرتُغاليِّ

وفي أوَّلِ هذه المرحلةِ بدأَ الغزوُ البرتغاليُّ على أطرافِ البلادِ العربيةِ كما سبقَ ذِكرُه، وإلى ذلكَ يُشيرُ معنى الحديثِ مِن قولِه ﷺ: فقالَ قائلٌ: وما فِتنةُ الأحلاسِ؟ قالَ: «**هربٌ وحربٌ**». والهربُ والحربُ كانا بارِزَينِ في هجماتِ البُرتُغاليين على سواحلِ البلادِ العربيةِ طمعًا في السيطرةِ عليها، وحديثُ: «**ستكونُ بعدي فِتَنٌ مِنها (فِتنةُ الأحلاسِ) يكونُ فِيها حربٌ وهربٌ، ثُمَّ بعدها فِتَنٌ أشدُّ مِنها، ثُمَّ تكونُ فِتنةٌ كُلَّما قيلَ انقطعَت تمادَت، حتَّى لا يبقى بيتٌ إلَّا دخلَته، ولا مسلمٌ إلَّا صكَّته حتَّى يخرجَ رجلٌ مِن عِترَتي**»[1]

معنى الحِلْس

قالَ الخطابيُّ: إنَّما أُضيفَتِ الفِتنةُ إلى الأحلاسِ لدوامِها وطولِ لُبثِها، يُقال للرجُلِ إذا كانَ يلزمُ بيتَه لا يبرحُ منه: «هو حِلْسُ بيتِه». لِأن الحِلْسَ يُفترَش، فيبقى على المكانِ ما دامَ لا يُرفَعُ[2]. والمقصودُ من طولِ لُبثِها استمرارُ خُططِ المؤامرةِ الاستعماريةِ، مرحلةً بعدَ أُخرى، وجيلًا بعدَ آخرَ.

وتحتوي على مرحلتين أساسيتين، وهما:

١- مرحلة الاستكبار

٢- مرحلة الاستظهار

وهما المرحلتان الممهدتان لمرحلة الاستعمار.

حملة نابليون، المسألة الشرقية، سايكس بيكو، كلها تحولات متتالية ذات طابع تآمري

وهذا ما أثبتَته الأحداثُ المتتاليةُ: بدءًا مِن ظهورِ الحروبِ الاستعماريةِ كحملةِ نابِليونَ على مِصرَ سنة ١٧٩٨ م[3]، ومُرورًا بـ« المسألةِ الشرقيةِ »، ونِهايةً

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٥).

(٢) «معالم السنن» (٤: ٣٣٧).

(٣) وهي من ثمرات مرحلة الأحلاس، فالحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م)

بمفاوضاتِ الدُّولِ الأُوربيةِ والخروجِ باتِّفاقِ «سايكس بيكو» بشأنِ اقتسامِ تركةِ الرجُلِ المريض . هذا الاتفاقُ الذي صارَ فيما بعدُ مُرتَكَز السيطرةِ الاستعماريةِ .

وثائق المراحل مرجع بحثي هام

وقد أكدَت وثائقُ المرحلةِ ذلكَ الأمرَ ، راجِعْ «الجزيرةُ العربيةُ : نجدُ والحجازُ في الوثائقِ البريطانيةِ»[1] . وفي هذا التأكيدِ ملحَظٌ هامٌّ في مجرى علاماتِ الساعةِ ، وما يسبقُ كشفُه من وقائعَ وتحوُّلاتٍ نطقَ بها مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ تغفُلُ الأُمةُ عن إدراكِها ومعرفةِ خطرِها ، بل ورُبما ساهمَ البعضُ في إنفاذِها وإنجاحِها بِعِلمٍ أو بِغَيرِ عِلمٍ لِيقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولاً .

جاءت بعيد تدهور الدولة العثمانية وبروز مرحلة الضعف فيها ، وكان هذا الهجوم يعتبر أول هجوم صليبي على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث ، وعلى الفور أعلن السلطان سليم الثالث الجهاد ضد الفرنسيين الصليبيين ، وتكونت جبهة حربية إسلامية في مواجهة الفرنسيين ، وقامت العديد من المعارك التي اشترك فيها علماء الأزهر والمسلمون من كافة البلاد ؛ لمحاولة إعادة مصر إلى حظيرة الخلافة الإسلامية، وقد واجهتها الحملة الفرنسية بالانتقام والقوة والهدم والتنكيل بالشعب عدة مرات ، حيث دارت رحى الجهاد ضد الفرنسيين في مصر مرات عديدة ، ولم يتم جلاء الفرنسيين عن مصر إلا بعد هجوم مشترك من العثمانيين والإنجليز أرغم الفرنسيين على الخروج من مصر، إلا أن الحملة الفرنسية إبان وجودها بمصر قد وضعت بذورا خطيرة ، ومنها الانبهار بقوة السلاح الأوربي وبالصناعة والعلم والإدارة ، حتى إن بعض قادة الحكم بمصر كمحمد علي باشا الذي حكم مصر ، قام بإدخال أساليب الفرنجة وعوائدهم إلى الجيش والحياة الاجتماعية فيما بعد ، وهي الأساليب التي وصفت في الأحاديث بالغثائية .

(١) هذا الكتاب مكون من سبعة مجلدات ضخمة، ويعد من أغزر المراجع عن الجزيرة العربية منذ بداية القرن العشرين ، ويضم ترجمة لأهم الوثائق التي تفصح عن سياسة بريطانيا ومواقفها منذ عام ١٩١٤م ، وهي مرحلة نشوب الحرب العالمية الأولى وما بعدها ، وكانت هذه الوثائق محاطة بسرية تامة نظرا لأن القانون البريطاني الخاص بحفظ الوثائق كان يحتم بقاءها بعيدة عن أيدي الباحثين لمدة خمسين عاما ؛ ولكن هذه المدة خفضت عام ١٩٦٧ إلى ثلاثين عاما ، ولذلك أخذ الباحثون والمؤرخون يتدفقون على مركز الوثائق بلندن للاطلاع على ذلك . اهـ من صدر مقدمة الكتاب ، الجزء الأول ، لمترجمه د. نجدة فتيحي .

(ب) مرحلةُ فِتنةِ السرَّاءِ[1]

هـي المرحلةُ التي تحدَّدَ مُسـمَّاها في فِقهِ التحوُّلاتِ بمرحلةِ الاسـتِعمارِ ، وهي

(١) والسـراء : قال القاري : المراد بالسـراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرضا والعافية من البلاء والوباء ، وأضيفت إلى السـراء لأن السـبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثـرة النعـم ، أو لأنها شـر العـدو . قلت : وكلا المعنييـن محتمل في تعليـل معاني مرحلة المؤامرة ، وهي اشـتراك بعض أمراء المسـلمين ورؤسـاء القبائل في فتـن الصراع المؤدية إلى تدخل الكفار وعقد المعاهدات معهم لإسـقاط قرار الخلافة الشـرعية وإقامة الأنظمة القومية والقبلية ، وقد أشـار الشـيخ التويجري في كتابه «اتحاف الجماعة ص٥٤/ الأول» إلـى علاقـة السـراء بمرحلة المؤامرة ، ولكنه فسـرها تفسـيرا جزئيا ، وقـال : « وهذه الفتنة تنطبـق علـى ما وقع بين أهل نجد وبين الأتراك والمصريين في الحروب العظيمة في القرن الثالـث عشـر للهجرة ، وقـد كانت هذه الفتن مـن أعظم الفتن التي وقعت فـي هذه الأمة ، وقد وهن الإسـلام بسـببها وانطمسـت أعلامه » ، ثم قال : «حتى رد الله الكرة لأهل نجد بعـد ذلك فعاد الإسـلام عزيزا ولله الحمـد والمنة» . والمفيد من التعليل المشـار إليه ربط السـراء بمرحلـة الحرب القبليـة والصراع الذي كانـت تديره القوى العالميـة بين « العرب والمسـلمين» . وأما تفسـيره لـ«عود الإسـلام عزيزا بانتصار أهل نجد» فلا علاقة له بالأمر المراد في الحديث والمرحلة ، بل كانت الدول الاسـتعمارية معينة بالمال والسـلاح لأهل نجـد علـى حكام الحجاز ، ومعينة لحكام الحجاز ضد الأتـراك ، وربما كان الظرف القائم آنذاك أصعب من تفسيرنا له اليوم ؛ ولكن العلماء حين لا يعلمون ما يدور من أمور السياسة والتسـييس ينزلون الأحاديث على الأحداث والوقائع على ما يظهر لهم من الفهم أو يوافق أحوالهـم مـن المواقـف ، لعدم دراسـتهم فقه التحـولات ولانعدام إدراكهـم أهمية الركن الرابع من أركان الدين .

وقـد علـل المؤلف التويجري حديث الفتنة التي تقبل مـن المغرب بقوله : « فهي ـ والله أعلـم ـ مـا وقع مـن الأتراك والمصرييـن من محاربة أهـل نجد في القرن الثالث عشـر من الهجرة، وهي من أعظم الفتن وأنكاها لدين الإسلام» .اهـ.

مع العلم أن هذه المسـألة برمتها تدخل تحت الفتنة المسـماة بالسـراء ، وكل ما دار فيها بيـن «أهل الجزيـرة» وبين الأتراك أو المصريين أو غيرهم ينـدرج تحت مفهوم «التحريش في جزيرة العرب» ونجاح سياسة الاستعمار وتخطيطه .

أيضًا مُرتبطةٌ بمرحلةِ الأحلاسِ ارتباطًا وثيقًا، بل هي ثمرةٌ من ثمراتِها، وسياقُ الحديثِ ذاتِه يُؤكِّدُ تلازُمَ المرحلتَين فقد وردَ في النصِّ قولُه: «فقالَ قائلٌ: يا رسولَ اللَّهِ وما فِتنةُ الأحلاسِ؟ فقالَ: «**هربٌ وحربٌ، ثُمَّ فِتنةُ السرَّاءِ**»[1].

وحديثٌ آخرُ عن عُمَيرِ بنِ هانئٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**فِتنةُ الأحلاسِ فِيها حربٌ وهربٌ، وفِتنةُ السراءِ يخرجُ دخنُها مِن تحتِ قدمَي رجُلٍ يزعُمُ أنَّه مِني، ولَيسَ مِني، إنَّما أَوليائي المُتَّقون، ثُمَّ يصطلِحُ الناسُ على رجُلٍ، ثُمَّ تكونُ فِتنةُ الدُّهَيمِ كُلَّما قِيلَ انقطعَت تمادَت حتَّى لا يبقى بيتٌ مِنَ العربِ إلَّا دخلَته يُقاتِلُ فِيها لا يدري على حقٍّ يُقاتِلُ أم على باطِلٍ، فلا يزالون كذلِكَ حتَّى يصيروا إلى فُسطاطَين: فُسطاطِ إيمانٍ لا نِفاقَ فيه، وفُسطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه. فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجَّالُ اليَومَ أَوْ غَدٍ**»[2].

تفسير السهارنفوري لفتنة السراء

وقدِ اختلفَ العُلماءُ في تحديدِ زمنِها إلَّا أنَّ الشَّيخَ السهارنفوريَّ رحِمَه اللَّهُ في حاشيةِ بذلِ المجهودِ (٥: ٨٩) كانَ أقربَ إلى التَّوفيقِ في تحديدِها مرحليًّا فقد ربطَها بمرحلةِ العملِ المُشتركِ بَينَ بعضِ أُمراءِ المُسلمين والحُكومةِ البريطانيةِ ضِدَّ الخِلافةِ الإسلاميةِ المُتمثِّلةِ آنذاكَ في الدولةِ العُثمانيةِ، بعدَ أن برزَت ظواهِرُ التفكُّكِ ونخرَتها مؤامراتُ الدُّونَمَةِ وجمعيةِ الاتِّحادِ والترقِّي، ووجدَ زُعماءُ العربِ والمُسلِمين أنفسَهم أمامَ خِلافةٍ تعملُ على إفسادِ العِلاقةِ بَينَ الرعايا مِمَّا حدا ببعضِهم إلى تبنِّي فِكرةِ الخِلافةِ العربيةِ والانفِصالِ عن قرارِ الدولةِ العُثمانيةِ، وقدِ استثمرَ الغربيُّون هذه الحالةَ القلِقةَ واستفادوا مِن تَوظيفِها لصالحِ سياستِهِمُ الاستِعماريةِ، وأغرقوا العربَ والمُسلمين بالوُعودِ الكاذبةِ واستدرجوهم إلى نقضِ قرارِ الحُكمِ الإسلاميِّ كُلِّه بتحريضِ المُجتمعِ العربيِّ والإسلاميِّ ضِدَّ ما يُسمَّى بِالعدوِّ المُشتركِ: الأتراكِ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) و«مسند أحمد» (٦١٦٨).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢)، وقالَ مُؤلِّفُ كِتابِ «موسوعةِ أحاديثِ الفِتنِ وأشراطِ الساعةِ» عن درجةِ الحديثِ ص٥٤: إسنادُه صحيحٌ.

والألمـانِ ، باعتِبارِ عِلاقةِ الدولةِ العُثمانيةِ بالدولةِ الألمانيةِ ، وما ترتبَ على ذلِكَ مِنَ استِغلالِ الحُلفاءِ والدُّولِ الأُوربيةِ لهذا الأمرِ مِن كُلِّ وجهٍ .

تجاوزنا تفسيرنا الذي قدمناه في «التليد والطارف» وربطنا الموضوع كله بالأصل التاريخي لمسيرة المرحلة

ويبدو أنَّ تفسيرَ الشَّيخِ السهارنفوريِّ لم يُوافِقْ فهمَ البعضِ عن المرحلةِ وتفسيرِها ، بل ونحى البعضُ إلى الطعنِ في الحديثِ كُلِّه وفي سندِه وتخريجِه والكلامِ الجارِحِ في مَنِ اعتمدَه ونقلَه وبنى علَيهِ تفسيرَ المرحلةِ وما جاءَ فِيها ، ولِهذا فقد تجاوزنا هذا التعليلَ الذي اعتمدنا علَيهِ في «التليدِ والطارِفِ» حولَ ما فسرَ بهِ الشَّيخُ السهارنفوريُّ معنـى الحديـثِ ، وربطنـا المَوضوعَ كُلَّه بالأصـلِ التاريخيِّ لمسـيرةِ المرحلةِ ، دونَ التعـرضِ لِمـا يُثيرُ النفوسَ ويؤزِّمُ المَواقِفَ ويحوِّلُ الأمرَ إلى اختِلافٍ يُفسِـدُ الهدفَ الأسمى مِنَ المعاني الشرعيةِ في القِراءةِ التاريخيةِ لِلمراحِلِ .

كما يبدو أنَّ مُستوى الحماسِ الشعبيِّ الدائرِ في الحِجازِ وغَيرِها مِن بِلادِ العربِ كانَ أقربَ إلى التأثيرِ العامِّ في العُقولِ والقُلوبِ بِحُكمِ الشُّعورِ السائدِ ضِدَّ الخِلافةِ المُدَونةِ[1] آنذاكَ ، ومواقِفِها السياسـيةِ المُتردِّيةِ ، بل كانَ الشـارعُ الحِجازيُّ آنذاكَ في أعلى درجاتِ غليانِه الثَّوريِّ ضِدَّ السياسةِ الاتِّحاديةِ إلى جانبِ الشريفِ حُسَينٍ ومَن معه .

موقف الشارع الحجازي والحالة السائدة آنذاك في مكة وجدة

ويُصوِّرُ لنا د . مُحمَّدِ الجواديِّ في ترجمته للسيد محمد الدباغ نموذجًا عَنِ الحالةِ السـائدةِ آنـذاكَ في مكةَ وجِدةَ نقلًا عَنِ الأُسـتاذِ عُمرَ عبدالجبـارِ[2]، فيقولُ ص٢٦ : فمظاهـرُ الثَّورةِ في الحِجـازِ كانَت مظاهِرَ عميقةَ التأثيرِ في نُفوسِ الناشـئةِ الحِجازيةِ إذ ذاكَ ، لِأنَّ الحِجـازَ كانَـت مَعقِـلَ الثَّورةِ ، وكانَت وُفودُ ثُـوارِ العربِ تترى علَيهِ مِن

(١) انظر شرحها ضمن المصطلحات آخر الكتاب .

(٢) «سـير وتراجـم» ص٢٨٢-٢٨٥، وليلحـظ القـارئ أن هـذه الفتـرة هـي مـا بيـن عـام ١٩٠٩ ـ حيـث نحـي السـلطان عبدالحميـد وصـار القـرار للاتحاديين وبدؤوا سياسـات التتريك وأقحموا الجيوش المسـلمة في الحـرب العالمية الأولى مع ألمانيا ـ وعام ١٩١٦ حيث أعلنت الثورة العربية. انظر التواريخ في المخطط ص١٩٤.

كُلِّ البِـلادِ العربيةِ ، وكانَت مواكبُ المُتطوعين لِلحـربِ مِن أبناءِ الحِجازِ تزدحِمُ بها شـوارِعُ المُدُنِ الحِجازيةِ ، وكانَ الشـبابُ مُدجَّجًا بِالسـلاحِ يسـيرُ في قُوةٍ وحماسٍ ، ويهزجُ بالأناشيدِ العربيةِ الوطنيةِ ، وكانَت الأعلامُ تُرفِرفُ علَيهم ، وموسيقى الحربِ تعزِفُ بألحانِها الثائرةِ المُثيرةِ ، وكانَ خطباءُ الثَّورةِ مِن حِجازيِّين وسوريِّين وعراقيِّين يقفـون في السـاحاتِ العامَّةِ ويُصـوِّرون للجماهيرِ ما هم فيه من حاضِرٍ لا يُشـرِّفُ ، وينتقلون بأذهانِهم إلى ما كانَ لهم من ماضٍ عريقٍ ، وتاريخٍ حافِلٍ بالأمجادِ .

ثُمَّ يقولُ ص٢٧ : ولم يكُنِ الخَيارُ سهلًا بَينَ بدائلَ مُتعدِّدةٍ : مِنَ الثَّورةِ على ظُلمِ الأتراكِ والاتِّحاديِّين الذين سيطروا على مُقدَّراتِ الأُمورِ في دولةِ الخِلافةِ، وساموا الأقاليـمَ العربيةَ الكثيرَ مِنَ الظُّلمِ ؛ والضيقِ بتدخُـلاتِ الدُّولِ الأوربيةِ الكُبرى في المسـألةِ العربيةِ ؛ والانتصارِ للشـريفِ حُسَـينِ بنِ عليٍّ الذي قادَ ثَـورةً عربيةً على حُكمِ الأتراكِ ؛ ثُمَّ الثَّورةِ على هذا الثائرِ نفسِـه ، والانتِصارِ للاتِّجاهِ الفتيِّ المُتمثِلِ في زحفِ الملِكِ عبدِالعزيزِ آلِ سُعودٍ رحِمَه اللَّهُ الذي حقَّقَ نجاحاتٍ مُتواليةٍ .



الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٠١ م

مؤلف كتاب «لورنس كما عرفته» وقائد جيش الثوار العرب يصف الوضع القائم

وفـي مُقدمةِ كِتـاب «لورنس.. الحقيقـةُ والأكذوبةُ» لصُبحي العِمـريِّ[1] يصفُ

(١) قائـد عسـكري عاصر عـدة مراحل تاريخية ، ولد بدمشـق وتخرج بمدرسـة ضباط الصف

المُؤلِّفُ حِقيقةَ الوضعِ القائمِ الذي دفعَ بِالشـريفِ إلى ما لابُدَّ منه فقالَ : إذا حلَّلنا الأحداثَ والأسبابَ والعوامِلَ التي دفعَتِ الحُسَينِ لإعلانِ ثَورتِه على السُّلطانِ لا نجدُ فِيها أيَّ سببٍ شخصيٍّ ، فقد كانَت الثَّورةُ عربيةً نتيجةً لِيقظةٍ قَوميةٍ ترجعُ إلـى ثلاثِ أجيالٍ تعاقبَت بِخُطواتٍ بطيئةٍ وانتِشارٍ مُتزايدٍ جيلًا بعدَ جيلٍ ، وكانَ لجِيلِها الأخيرِ الذي رافقَ بدايةِ الحربِ العالميةِ الأولى واعتلى عددٌ من قادتِه أعوادَ المشانِقِ جهدُه ورأيُه ومشاركتُه في إثارةِ الثَّورةِ ودفعِها إلى التحقُّقِ . اهـ مُقدمة الكِتابِ .

وكتبَ المُؤلِّفُ ذاتُه ص١٩ حولَ قِيامِ الثَّورةِ قَولَه : ووجدَ أميرُ الحِجازِ الشَّريفُ حُسَينُ بنُ عليٍّ نفسَه وجهًا لوجهٍ أمامَ مَوقِفٍ مصيريٍّ يتعلَّقُ بحاضِرِ العربِ ومُستقبلِهم يتطلَّبُ مِنه حلًّا سريعًا يتناسبُ معَ السُّرعةِ التي يسيرُ علَيها الأتراكُ لِتطبيقِ خُطتِهم ، وكانَت الأُمورُ الرئيسةُ التي تدورُ حولَ المَوقِفِ بِالنسبةِ لِلعربِ أربعةً :

١- المظالِمُ التي يقومُ بها الأتراكُ في الشامِ والعراقِ .
٢- العزلةُ التي أصبحَ فِيها الحِجازُ من جرَّاءِ الحِصارِ البحريِّ .

١٩١٥ وحضر معارك غزة وبئر السبع في الجيش العثماني على البريطانيين ، لحق بالثورة العربية عام ١٩١٧م ، ثم كان من قادة الجيش، شهد موقعة ميسلون ، ورافق الملك فيصل بن الحسين في خروجه من دمشق . واستقر في شرقي الأردن ١٩٢١ وكان من مؤسسي الجيش العربي الأردني .

أخرجه الإنكليز ١٩٢٤ لاتصاله بالحركة الاستقلالية السورية ؛ فرحل إلى العراق . قاد جيش الجهاد الفلسطيني ١٩٤٨ عقب استشهاد عبد القادر الحسيني، وأحصي ما خاضه من المعارك فكان ٤١ معركة.

تلقى أربعة أحكام بالإعدام : من الأتراك الاتحاديين عندما لحق بالثورة العربية ، ومن الفرنسيين عندما قاتلهم مع العصابات السورية في البقاع والحولة ، وعندما قاتلهم في ثورة ١٩٢٥ ، والرابعة ١٩٥٦ بتهمة العمل للوحدة مع العراق . توفي بدمشق ١٩٧٣م . له «مذكرات عن الحركة العربية» مخطوط عند أسرته بدمشق في عشرة أجزاء ، وله «لورنس الحقيقة والأكذوبة» مطبوع . اهـ « مختصر الأعلام» الزركلي « ٦ : ١٦٦ » . والكتاب الأخير هو ما نقلنا عنه هنا ، وقد طبع بعدة أسماء منها «لورنس كما عرفته» .

٣- النشاطُ الفِعليُّ الذي شرعَ فيه الأتراكُ في القضاءِ على الامتيازاتِ التي يتمتَّعُ بها الحِجازُ لجِعلِه كباقي الولاياتِ العُثمانيةِ .

٤- الاحتلالُ الإنكليزيُّ الذي يزحَفُ على أراضي القُطرَينِ العِراقِ والشامِ .

رفض الشريف حسين لإعلان الجهاد من منبر الحرم كان بداية تأزم العلاقة مع الاتحاديين

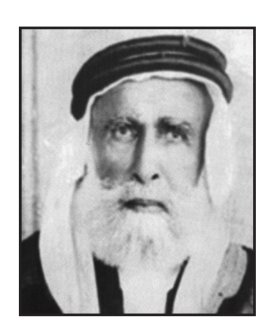
ويبدو أنَّ تفجيرَ المُشكِلةِ بَينَ الشَّريفِ والأتراكِ كانَ عِندَما قرَّرَ الأتراكُ إعلانَ الجِهادِ المُقدَّسِ فيما سمي فيما بعد بالحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) مع ألمانيا، على أن يُذاعَ هذا الإعلانُ على العالمِ الإسلاميِّ من مِنبرِ المسجِدِ الحرامِ في مكَّةَ داعين المُسلِمين لِقتالِ الحلفاء، ورفَضَ الحُسَينُ إعلانَ ذلِكَ قبلَ تحقيقِ رغباتِ العربِ والتي أرسلَها الشَّريفُ كشُروطٍ ببرقيةٍ إلى أنورِ باشا ، فلقِي علَيها جوابًا قاسِيًا غيرَ مُهذَّبٍ ، وبعدَها بدأ الإنكليزُ مُفاوضاتِهم معَ الحُسَينِ في أواخِرِ آب ١٩١٥م . اهـ ص٢٠-٢٣ . وقد بدأ البحثُ في مسألةِ الخِلافةِ العُثمانيةِ وموقِفِ العربِ مِنها بعدَ خلعِ السُّلطانِ عبدِالحميدِ الثاني ١٩٠٩م .

بدء البحث في مسألة الخلافة وموقف العرب منها بدأ بعد عزل السلطان عبدالحميد ١٩٠٩

ولعلَّ أخطرَ ما يُقرِّرُه الحديثُ الشَّريفُ بعيدًا عَنِ العواطِفِ وإحراجِ المواقِفِ خطورةُ المُجرياتِ التاريخيةِ التي تَرتَّبَت على نجاحِ الفصلِ السياسيِّ بَينَ مرحلةِ الخِلافةِ العُثمانيةِ حامِلةِ قرارِ الإسلامِ وبَينَ مرحلةِ الخِلافةِ العربيةِ المُجْهَضَةِ قبلَ وِلادتِها على يدِ خُبراءِ الدجلِ السياسيِّ المُدَونَم ، والمُجرياتِ التاريخيةِ تتلخَّصُ في كَونِ مرحلةِ الأحلاسِ تُمهِّدُ لمرحلةِ السرَّاءِ ، ومرحلةُ السرَّاءِ تُمهِّدُ لمرحلةِ الدُّهَيماءِ ، ومرحلةُ الدُّهَيماءِ تُمهِّدُ لمرحلةِ الفِتنةِ الرابعةِ العمياءِ البكماءِ الصمَّاءِ، وكُلُّها تصبُّ في رصيدِ مستثمِرٍ إبليسيٍّ واحِدٍ ، وكُلُّها تنطلِقُ لِخدمةِ هدفٍ دجاليٍّ واحِدٍ في قرارَي «الحُكمِ والعِلمِ».. يصبحُ الرجُلُ فِيها مؤمِنًا ويُمسي كافِرًا حتَّى يصيرَ الناسُ إلى فُسطاطَينِ : فُسطاطِ إيمانٍ لا نِفاقَ فيه ، وهو تيَّارُ الشُّعوبِ المهزوزِ ، وفُسطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه ، وهو تيَّارُ الدجلِ الأنويِّ المرموزِ ، وعلى هذه المسيرةِ المرحليةِ المُتتابِعةِ يقولُ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ : «**فإذا كانَ ذاكُم فانتظِروا الدجَّالَ مِنَ اليَومِ أوِ الغدِ**»[1] . وفي رِوايةٍ : «**فانتظِرُوا الدجَّالَ مِن يَومِه أو**

(١) «مسند أحمد» (٦١٦٨) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٤١) .

مِن غدِه»[1].



الشريف حسين عام ١٩١٦ م

السياسة العالمية أكثر استثمارا للصراع من رؤى شيوخ العشائر، ويدل عليه التمعن في صياغتهم للمراسلات، ويضاف لذلك انعدام بعد النظر لدى القادة والعلماء آنذاك

ورُبَّما كان الشريفُ حسينٌ أكثرَ صدقاً وإخلاصاً في قضيتِه ، وبهذا الإخلاصِ والصدقِ كان لابد له من وجودِ المساندِ العالميِّ ولو مؤقتاً لمّا رآه لازماً من الحالة التي بلغت إليها، ولكنّ مسيرةَ الحركةِ السياسيةِ العالميةِ كانت أكثر احتواءً للأمرِ وتطبيعاً للصراعِ واستثماراً له ، ويدلُّ على ذلك التمعنُ في أسلوبِ صياغة الانجليزِ للرسائلِ فيما بينهم وبين الشريف ، وقد اخترنا منها مجموعةً منتقاة لإطلاعِ القارئِ على الحالة الصعبة آنذاك[2] ، والوضع القلق المؤلم .. إضافة إلى مسألةٍ أخرى وهي قصورُ بعدِ النظرةِ السياسيةِ للأمور ، فهذه المسألةُ كانت لدى العديدِ من القادةِ والعلماءِ ـ وهم حَمَلَةُ قَرَارِ الحكمِ والعِلْمِ ـ مِنَ الضَّعْفِ بمكانةٍ ، وخاصةً فيما يتعلقُ بقراءةِ أطماعِ المستعمرينَ وأبعادِ سياستِهم الشيطانيةِ في المنطقةِ .

وهذه الحالةُ قد أصابتْ عدداً كبيراً من القادةِ والعلماءِ في البلادِ العربيةِ والإسلاميةِ منذ اختراقِ العالمِ الغربيِّ دولةَ الإسلامِ ومؤسساتِها الإداريةِ والثقافيةِ والفكريةِ . وظلتْ في الوطنِ العربيِّ والإسلاميِّ مستمرةً كظاهرةٍ خطيرةٍ على مدى مراحلِ التطبيعِ الاستعماري ، حتى بلغ لدى العربِ والمسلمين حُسْنُ الظنِّ بالسياسةِ الغربيّةِ ورموزِها إلى حدِّ السذاجةِ المطلقة !

السذاجة السياسية لحملة قرار الحكم والعلم مكنت الأعداء من النجاح

وبهذه السذاجةِ تمكنَ المهندسون الغربيونَ من بسطِ سياسةِ الاستعمارِ العسكريِّ ثم الثقافيِّ العلمانيِّ ، ثم فيما بعد ذلك ترسَّخَ الاستعمارُ في الشعوب

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) .

(٢) انظر ملحق وثائق مرحلة السراء آخر الكتاب .

وغَـرَسَ أفكارَه وسياسـتَه لِيَنْتُجَ عـن ذلك ما عُرِفَ بالعلمنةِ ثـم العولمة وما ترتبَ عليهما من احتواءِ الثوابتِ الإسلاميةِ وإفراغِ محتواها من التربيةِ والتعليمِ والثقافةِ.

وليـس أدلَّ علـى ذلـك مـن قراءتِنـا لكتـابِ المنـدوبِ السـامي البريطاني على عدن جاكوب المسـمى (ملـوكُ جزيرةِ العربِ)، مـع مطابقةِ الحالةِ المشـارِ إليها فـي الكتابِ بنصوصِ أحاديثِ علامات السـاعةِ المؤكدةِ حالةَ المسـلمينَ الغثائيةَ المؤديةَ إلى صفةِ (الاسـتتباعِ)، كما هي في حديث: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَـنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِـبْراً بِشِـبْرٍ وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ** ..»[1] إلخ. ولا زالتْ هذه الحالـةُ المرضيةُ جاثمةً على عقـولِ الأمةِ بعمومها وبعضِ حَمَلَةِ قرارِ الحكـمِ والعلمِ إلى اليومِ وإلى أنْ يقضيَ اللّهُ أمراً كانَ مفعولاً.

معاهدات الحماية وتَدَخُّل الكفر في بِلاد المُسلِمين

قُلتُ: وكما فسَّـرَ الشَّيخُ السـهارنفوريُّ رحمِهُ اللَّهُ فِتنةَ السَّرَّاءِ بهذه المرحلةِ مِنَ المُؤامرةِ السِّـرِّيةِ على قرارِ الإسـلامِ وبلادِ المُسـلِمين؛ فإنَّ العدوَّ ذاتَه قد فعلَ معَ بعضِ الحُكَّامِ والأُمراءِ ومشايخِ القبائلِ والسلاطين عِدَّةَ مُعاهداتٍ في السِّرِّ لِنقضِ مـا كانَ مُبرَمـاً بَينَهم وبَيـنَ حُكومةِ الدَّولـةِ العُثمانيةِ، ومِنها ما فعلَتـه دَولة بريطانيا مِن مُعاهـداتٍ واتِّفاقاتٍ معَ وُجهاءِ جنوب اليمن ومشـايخِه وسـلاطينِه[2] آنذاكَ، ومـعَ أمثالِهم وأشـباهِهم في عُمـانَ والخليجِ والكُوَيتِ ونجـدٍ وغيرِها، وتمكنَتْ بِهذه المُعاهداتِ السِّـرِّيةِ مِن تغييرِ الولاءِ السياسـيِّ لِدَولةِ الإسلامِ العامَّةِ في أفسدِ مراحلِهـا السياسـيةِ إلـى ولاءٍ مُبطَّنٍ لِدَولـةِ الكُفرِ وقَبـولِ حِمايتِهـا المُؤدِّيةِ إلى ما عُرِفَ ـ فيما بعدُ ـ بالاستِعمارِ[3].

العبارات المعسولة في المراسلات مع الهدايا وعرابين الصداقة هي شباك الخداع

ورُبَّما كانَتِ الظُّروفُ ومُجرياتُها آنذاكَ ليسَ فِيها أكثرُ مِنَ الخِيارِ السـائدِ حسـبَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٢٠) وقد تقدم.

(٢) للاسـتزادة انظـر كتابنا «الطـرف الأحور في تاريـخ مخلاف أحور» حيث طبعنـا منه الجزء الأول، وفيـه تفصيل واف ووثائق ومعاهدات شـتى تغطي هـذا الجانب، عرضت تاريخيا كوثائق عن المرحلة.

(٣) انظـر ملحق الوثائق آخر الكتاب: نماذج من مؤامرة (فتنة السـراء) المقررة في فقه علامات الساعة.

وعيِ الحُكَّامِ وشُيوخِ العشائرِ العربيةِ ، ولم يقِفِ الأمرُ عِندَ هذا الحدِّ ، وإنَّما وقعَ في شِباكِ العملِ المُبطَّنِ لِمصلحةِ الاستِعمارِ بعضُ العُلماءِ وأهلِ الفتوى دونَ إدراكِ خُطورةِ الأمرِ وخُدعةِ الأعداءِ المُتآمِرين ، ويُلاحَظُ مِثلُ هذا الأمرِ في صِياغةِ الرسائلِ واختِيارِ عِباراتِها المعسولةِ المُمجِّدةِ لزُعماءِ العربِ وشرفِ الدِّينِ الإسلاميِّ وحاجةِ الأُمَّةِ إلى الوحدةِ الإسلاميةِ وإحياءِ منهجِ الخِلافةِ الهاشِميةِ التي صدَّقَها بعضُ الزُّعماءِ ورِجالِ الحُكمِ العربيِّ ، وفي الردودِ العربيةِ المُمجِّدةِ لِدِينِ الإسلامِ وشرفِ العُروبةِ والشهامةِ استدرارًا لِطلبِ الوفاءِ مِن دَولةِ بِريطانيا ووُكلائها .

نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى صاحب الأصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأَضَنَه من حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت أيضا بمزيد من السرور والرضى تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره من السادة الخلفاء الأولين.. التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء. هذا وفي قولكم: إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يُعلمُ منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء. أما شأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودوّنت ذلك عندها بعناية تامة؛ ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق ، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب.

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت وأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا أدق وأتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

وإننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل

تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة آل عثمان والأتراك. هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه.

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام.

تحريرا في ٨ صفر ١٣٣٣

المخلص نائب جلالة الملك بمصر

السيد آرثور هنري مكماهون

شيخ الإسلام مصطفى صبري وكتابه «الرد على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»

بل إنَّ شَيخَ الإسلامِ مُصطفى صبري[1] اغترَّ وخُدِعَ بِدعوى الإصلاحِ التي نادى بها « الاتحاديون » فشارك في إقرارِ عزلِ الخليفةِ عبدِالحميدِ لما كان نائباً في مجلسِ «المبعوثان» ثُمَّ لما تبيَّنَ حقيقةَ الأمرِ وبعدَ رحيلِهم ومجيءِ «الكماليين» اجتهدَ في كشفِ مخططاتِ أتاتورك[2].

(١) عَيَّنَ الشيخُ مصطفى صبري نائباً عن مدينة توقاد عام ١٩٠٨م، وكان نائبا في مجلس المبعوثان عام ١٩٠٩ حين عزل السلطان عبدالحميد، ثم عين شيخاً للإسلام في عهد عبدالمجيد الثاني آخر الخلفاء، فكان آخر من تقلد هذا المنصب قبل إلغاء الخلافة ، وقد كرس جهوده في فضح مخططات الاتحاديين فسجنوه ثم تفرغ لفضح مخططات أتاتورك وأصدر صحيفة تركية لذلك ، ثم تم نفيه واستقر به النوى في مصر وفيها ألف كتابه «الرد على منكري النعمة» وطبعه في لبنان قبل إلغاء الخلافة بعام واحد، ثم لما ألغيت الخلافة تبين للمخدوعين من المسلمين صدق ما أخبرهم به شيخ الإسلام، وبقي في القاهرة حتى وفاته عام ١٩٥٤ رحمه الله تعالى.

(٢) كان المفتي وقت عزل السلطان عبدالحميد هو الشيخ نوري أفندي وقد رفض التوقيع على فتوى الخلع وأحال الأمر إلى شيخ الإسلام ضياء الدين أفندي الذي رفض أيضاً ثم وقعها بعد تهديده بقتل السلطان عبدالحميد إذا لم يوقعها. وكان الاتحاديون قد قاموا من قبل بذبح سلطان سابق وهو السلطان عبدالعزيز عم السلطان عبدالحميد في قصره بقطع شرايين زنده ثم أشاعوا أنه انتحار. «السلطان عبدالحميد الثاني، حياته وأحداث عهده»، لأورخان محمد علي ص٢٧٩-٢٨٠ ، والكتاب مزود بالمراجع والوثائق التركية، دار

وفي البداية فقد كانَ موقِفُ الشريفِ حُسَينٍ إلى جانبِ الخِلافةِ العُثمانيةِ ، ويتَّضِحُ ذلِكَ مِن خلالِ رسائلِه إلى الإمامِ يَحيى وإلى سُلطانِ لحج ، ففي رسالتِه للإمامِ يَحيى : وإنَّ واجبَ كُلِّ مُسلِمٍ تقويةِ خليفةِ المُسلِمين حتَّى بِعِقالِ بعيرٍ . وفي كِتابِه لسُلطانِ لحج : ومِنَ الأهميةِ بمكانٍ تقويةُ سُلطانِ المُسلِمين تحتَ الزعامةِ التُّركيةِ بقيادةِ الخليفةِ العُثمانيِّ ، وقبلَ القيامِ بأيِّ عملٍ نسعى إلَيه ينبغي الاهتمامُ بالوحدةِ الإسلاميةِ معَ الخِلافةِ التُّركيةِ . اهـ ص٨٦ «الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ» لِنِضالِ المومني . وسعَت بريطانيا لِلاتِّصالِ بالعربِ سنةَ ١٩١٤م لِكَونِهم أكثرَ عناصِرِ الدَّولةِ العُثمانيةِ عددًا ، ويتمتَّعون بتقديرٍ أكبرَ مِنَ الأتراكِ مِنَ الناحيةِ الدِّينيةِ .

وتضمنَتِ الرِّسالةُ مِن بريطانيا إلى الشريفِ حُسَينٍ بتاريخِ ٨ آب ١٩١٤م شُكرَ الشريفِ على خِدمتِه الحسنةِ لِلأماكِنِ المُقدَّسةِ ، وتقولُ : إنَّها لا تُعارِضُ في إعادةِ الخِلافةِ إلى العربِ ، واقترحَتِ السِّفارةُ البريطانيةُ بالآستانةِ إمكانَ خلقِ خِلافةٍ جديدةٍ في الجزيرةِ العربيةِ لِضربِ سُلطةِ السُّلطانِ العُثمانيِّ إذا ما أعلنَتِ الدَّولةُ العُثمانيةُ الحربَ ضِدَّ الحُلفاءِ ، ثُمَّ عدَّلَت بريطانيا نظرتَها بِشأنِ الخِلافةِ واعتبرَتها مسألةً تخُصُّ المُسلِمين ، ثُمَّ عادَت بريطانيا لِلتدخُّلِ في مسألةِ الخِلافةِ وأشارَت إلى الخِلافةِ العربيةِ في الرِّسالةِ التي بعثَ بها ستورزُ المُستشارُ البِريطانيُّ في القاهرةِ إلى الشريفِ عبدِاللّهِ بتاريخِ تِشرين الثاني ١٩١٤م ، وجاءَ فِيها : وعسى اللّهُ أن يمُنَّ على المؤمنين بِخليفةٍ عربيِّ الأصلِ والحسبِ والنسبِ ، يُشرِفُ على البُقعتَينِ المُباركتَينِ : بيتِ اللّهِ الحرام ، والمدينةِ المُنوَّرةِ ، وبذلِكَ يُبدِّلُ يومئِذٍ ربُّكَ الشرَّ بخيرٍ . اهـ ص٨٩ « الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ» .

عدلت بريطانيا مواقفها تجاه الحسين والعرب عدة مرات بحسب ما أملته عليها مصالحها

تأمل العبارات التي تحمل العاطفة الدينية من سياسي أوروبي

النيل ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ .

CERTIFIED TRUE COPY.

BRITISH EMBASSY
CAIRO

Assistant Oriental Secretary.
19.6.37.

6.

Arabic Version of letter from Sir Arthur McMahon to King Hussein dated 14.12.15
(Despatch 172 of 14.12.15)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين ادامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رايت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين واضنه من حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت ايضا بمزيد السرور والرضى تاكيدكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء.

هذا وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يفهم منه طبعا ان هذا يشمل جميع البلاد الداخله في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد ابرمت بيننا وبين اولئك الرؤساء.

اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كلما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة - ولكن لما كانت مصالح حليفتنا فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق - وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب.

نموذجٌ لبعضِ مُراسلاتِ الشريفِ معَ الإنكليزِ، الصفحة الأولى، عن «وثائق بريطانية» (١ : ٦٣٧)

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فاخبرتكم مستعدة
لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى
المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب ادارة
ودية ثابتة كما تسلمون على ان صيانة هذه المصالح كما
يجب تستلزم نظراً ادق واتم مما تسمح به الحالة
الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.
واننا نستصوب تماماً رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد
ان ندفعكم الى عمل سريع ربما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا
في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً ان تبذلوا مجهوداتكم
في جمع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم
على ان لا يمدوا يد المساعدة الى اعدائنا باي وجه كان. فانه
على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعليه التي يمكن للعرب
ان يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف
قوة الاتفاق بيننا وثباته.
وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت
لي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا
العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن
شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من
سلطة الالمان والاتراك.
هذا وبرهاناً على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في
مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم مبلغ
عشرين الف جنيه
واقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات
الودية مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط
الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد
اسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

السير ارثور هنري مكماهون

تحريراً في ٨ صفر ١٣٣٤

نموذجٌ لبعضِ مُراسلاتِ الشريفِ معَ الإنكليزِ ، الصفحة الثانية ، عن « وثائق بريطانية » (١ : ٦٣٨)

كانَ مَوقِفُ الشريفِ حُسَينٍ في ذلِكَ الوقتِ مُتردِّدًا ، وما زالَ مُرتبطًا بالدَّولةِ العُثمانيةِ ، فردَّ على تلكَ الرِّسالةِ بالمُماطلةِ والتسويفِ ، وكانَ الشريفُ عبدُاللَّهِ قد أكَّدَ قبلَ ذلِكَ التاريخِ في رسالةٍ إلى ستورزَ تمسُّكَ العربِ في الحِجازِ بالخِلافةِ العُثمانيةِ ، وذكرَ أنَّ الشريفَ حُسَينًا لم يُفكِّرْ بالخِلافةِ العربيةِ قبلَ سنةِ ١٩١٤م ، وكانَ مِن أسبابِ مُعاودةِ بريطانيا الاتِّصالَ بالشريفِ حُسَينٍ خَوفُ بريطانيا مِن تأثيرِ الخِلافةِ العُثمانيةِ على المُسلِمين في الهِندِ الذين يدينون رُوحيًّا بالولاءِ لِلسُّلطانِ العُثمانيِّ ، فأرادَت بريطانيا مِنَ اتِّصالِها بالشريفِ إبطالَ تأثيرِ الدعوةِ إلى الجهادِ المُقدَّسِ ، التي أعلنَها السُّلطانُ العُثمانيُّ ، أو على الأقلِ تخفيفَ أثرِها ، وشاركَت فرنسا بريطانيا هذا الرأيَ فساندَتها في خلقِ فِكرةِ الخِلافةِ العربيةِ خِلالَ سنةِ ١٩١٤م لضربِ الخِلافةِ العُثمانيةِ ، ويُذكَرُ أنَّ فِكرةَ تنصيبِ الشريفِ حُسَينٍ فِكرةٌ فِرنسيةٌ بحتةٌ ، وأنَّ خَوفَ الحُلفاءِ مِن إعلانِ الجِهادِ دفعَهم إلى زِيادةِ الاهتمامِ بالشريفِ حُسَينٍ . اهـ ص٩٠ – ٩٢ .

فكرة الخلافة العربية فكرة فرنسية، كان المرجو منها خلق بابوية إسلامية

وفي ص٩٩ أشارَ المُؤلِّفُ إلى الأسبابِ التي أدَّت إلى قيامِ الثَّورةِ ، فقالَ : ومهما اختلفَ القَولُ في أسبابِ خُروجِ العربِ بزعامةِ الشريفِ حُسَينٍ على الدَّولةِ العُثمانيةِ فإنَّه مِنَ المُؤكَّدِ أنَّ القضاءَ على الخِلافةِ العُثمانيةِ وإقامةَ خِلافةٍ عربيةٍ هاشِميةٍ لم يكُنْ مِن بَينَ تِلكَ الأسبابِ وإنَّما كانَت ضِدَّ الاتِّحاديِّين وتسلُّطِهم على الدَّولةِ العُثمانيةِ . اهـ ، وفي ص١٠٠ قالَ : وحرصَ حُسَينٌ مُنذُ إعلانِ الثَّورةِ على الأتراكِ على إعلانِ تمسُّكِه بالخِلافةِ الإسلاميةِ العُثمانيةِ وإظهارِ إخلاصِه وولائه لِلسُّلطانِ العُثماني ، ويتَّضِحُ ذلِكَ مِنَ الرِّسالةِ التي بعثَها إلى السُّلطانِ مُحمَّد رشاد بتاريخِ ١٢ تموز عامَ ١٩١٦م أكَّدَ فِيها أنَّ إعلانَ استِقلالِ البِلادِ العربيةِ لا يعني إنكارَ أعمالِ سلاطينِ آلِ عُثمانَ لِلبِلادِ الإسلاميةِ ، وإنَّما جاءَ هذا الإعلانُ ضِدَّ الاتِّحاديِّين ، وجاءَ في نِهايةِ رِسالتِه : واللَّهُ يعلمُ مدى احترامِنا وعظيمِ تقديرِنا لِشخصِكم الهمايونيِّ الساميِّ ولِلسلطنةِ العُثمانيةِ . اهـ .

وعِندَما عزلَ الاتِّحاديون الشريفَ حُسَينًا مِن منصبِ الإمارةِ وعيَّنوا الشريفَ علي حَيدر أميرًا على مكَّةَ في ٢٠ شعبان ١٣٣٤هـ « ٢١ حُزَيران ١٩١٦م » ـ وكانَ

هدفُهم ضربَ العربِ بالعربِ ـ كتبَ الشريفُ حيدرٌ إلى الشريفِ حُسَينٍ كتابًا يلومُ فيه الشـريفَ وولدَه عليًّا لِخُروجِهما على الدَّولةِ، فأجابَه الشـريفُ حُسَينٌ بِكِتابٍ فـي مُحرَّمٍ ١٣٣٥ قالَ فيـه: إنَّ خُروجَ العربِ على الاتِّحاديِّيـن أصبحَ فرضًا على العربِ والمُسـلِمين، وأضافَ: إنَّ أسـبابَ خُروجِ العربِ هـي أعمالُ الاتِّحاديِّين ضِدَّ الإسـلامِ والعربِ، وإنَّ هدفَ الثَّورةِ حفظُ استِقلالِ البِلادِ العربيةِ بعدَ سُقوطِ الدَّولةِ العُثمانيةِ، الذي أصبحَ وشيكًا. اهـ ص١٠٣ «الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ».

وفي ص١٠٤ قالَ: عارضَ المُسـلِمون في الهِندِ الثَّورةَ العربيةَ، واعتبروها ضِدَّ الخِلافـةِ، واعتبروا الشـريفَ حُسَـينًا خارِجًا على طاعـةِ الخليفةِ، وأنَّـه بِخُروجِه عرَّضَ الأماكِنَ المُقدَّسةَ لِلخطرِ.

علماء الشام وفتواهم ضد ثورة الحسين

وأصـدرَ عُلماءُ الشـامِ فتوى ضِـدَّ ثَورةِ حُسَـينٍ، ودعَوا إلى نُصـرةِ الدَّولةِ العليَّةِ العُثمانيـةِ، وجـاءَ في الفتوى: وإنَّ ما فعلَه الشـريفُ حُسَـينٌ أميرُ مكَّةَ السـابِقِ مِنَ الخُـروجِ على أميـرِ المُؤمِنين إمامِ المُسـلِمين مُحمَّدِ رشـاد خان مُخالِـفٌ لِلقرآنِ ولِسُّـنَّةِ النبـيِّ الكريـمِ ﷺ، كمـا أنَّ التِجـاءَه للإنكليـزِ مُوجِبٌ لسـخطِ اللَّهِ تعالى ورسـولِه علَيه الصلاةُ والسـلامُ ونفرةِ عُمومِ المُسـلِمين، وهو مخدوعٌ بِالمواعيدِ الكاذِبةِ والأضاليلِ الباطِلةِ فلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا باللَّهِ. ووقَّعَ الفتوى اثنان وخمسون عالِماً. وعارضَ المُسـلِمون السُّنيُّون في أنحاءِ العالمِ الثَّورة، كما عارضَها العربُ في المغربِ العربيِّ. راجِعْ ص١٠٥-١٠٦ «الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ».

وعلى الرغمِ مِن ذلِكَ فقد باركَ ابنُ سُـعودٍ وشَيخُ الكُوَيتِ وشَيخُ المحمرةِ ثَورةَ حُسَين في تِشرينَ الثاني ١٩١٦م. اهـ. المصدرُ السابِقُ ص١٠٦.

الشيخ رشيد رضا يخطب في مكة بتأييد الشريف حسين

وخطبَ السـيِّدُ رشـيدُ رِضا في مكَّةَ بِمُناسبةِ الحجِّ سـنةَ ١٣٣٤هـ خُطبةً أيَّدَ فِيها الثَّورةَ العربيةَ ومَوقِفَ الشريفِ حُسَينٍ، وقالَ: أيُّها الحِجازيُّون، إنَّ مَن يكفُرُ لهذا الرجُلِ المُصلِحِ المُنقِذِ هذه النِّعمةَ فهو أكفرُ الناسِ لِلنِّعَمِ، أيُّها المُسلِمونَ، يجبُ أن تعلموا أنَّ هذا العملَ هو أعظمُ خِدمةٍ لِلإسلامِ في هذا الزمنِ. ص١٠٨.

واسـتمرَّ الشـريفُ حُسَـينٌ مِن خلالِ جريدةِ القِبلةِ فـي تأكيدِ إخلاصِـه لِلخليفةِ

العُثمانيِّ بالإضافةِ إلى إبرازِ سُلطةِ الاتِّحاديِّين على الدَّولةِ خاصَّةً بعدَ ازديادِ النفوذِ الألمانـيِّ في الدَّولةِ العُثمانيةِ حتَّى أصبحَ الاتِّحاديُّون يُجبِرون الخليفةَ على توقيعِ الأوامرِ التي يُصدرونها . المصدرُ السابقِ ص١١١ .

الشريف ينصب نفسه ملكا لمملكة عربية ومرجعا دينيا للمسلمين

وفـي ص١١٣ تحتَ عنوانِ «الشـريفُ حُسَـينُ ملِكًا خِلالَ مُوسِـمِ الحجِّ لِسـنةِ ١٣٣٤هـ» بعدَ الثَّورةِ بخمسةِ شُهورٍ تقريبًا شرعَ حُسَينٌ بالتأسيسِ لِمملكةٍ عربيةٍ ، وأعلـنَ يَومَ السـبتِ ١ مُحرَّم ١٣٣٥هـ «٢٨ تِشـرين الأوَّل ١٩١٦م» نفسَـه ملِكًا على العربِ ومرجِعًا دينيًّا لهم ، وتمَّ تأجيلُ البحثِ في مسـألةِ الخِلافةِ الإسـلاميةِ حتَّى يجتمِعَ العالمُ الإسلاميُّ على اتِّخاذِ قرارٍ بشأنِها .

وأعلـنَ عُلمـاءُ مكَّةَ المُكرَّمـةِ في خِطابٍ مُوجَّـهٍ إلى العالمِ العربيِّ والإسـلاميِّ بِمُناسـبةِ بَيعتِهم لِلشـريفِ حُسَـينٍ بالمُلكِ وبالمرجعيةِ الدينيةِ خُـروجَ الاتِّحاديِّين على الدينِ الإسـلاميِّ ، وأسـقطَ عُلماءُ مكَّةَ في خطابِهم صِفةَ الخِلافةِ عنِ الدَّولةِ العُثمانيـةِ بِقولِهـم : ها نحنُ نـرى بأعيُنِنا أنَّ المملكـةَ ـ أيْ : الدَّولـةَ العُثمانيةَ ـ قدِ انسلخَت عن شكلِها الإسلاميِّ الذي نعهدُه ، وصِرْنا كُلَّما بحثْنا عن سببٍ مُوجِبٍ لِلطاعةِ وعن أيِّ شرطٍ من شُروطِ الخِلافةِ وانتِظامِ الجماعةِ لا نجدُه . اهـ المصدرُ السابقُ ص١١٥ .

واحتجَّت بريطانيا وفرنسا على لقبِ الحُسَينِ الجديدِ ، وكانَت ردَّةُ فِعلِ الحُلفاءِ تتمثَّـلُ بالتهنئةِ وعدمِ الاعترافِ ، وأُصيبَ حُسَـينُ بِخَيبـةِ أملٍ في الحُلفاءِ حيثُ لم يعترِفوا به إلَّا ملِكًا على الحِجازِ فقط . اهـ المصدرُ السابقُ ص١١٦ .

وصـدرَ أمرٌ ملكيٌّ فـي القِبلةِ بتاريخِ ٤ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ «١٧ تِشـرين الثاني ١٩١٨م[1]» برفعِ اسـمِ السُّـلطانِ العُثمانيِّ في الخُطبةِ الشـريفةِ بناءً على اسـتِمرارِ سـيطرةِ الاتِّحاديِّين على الدَّولةِ العُثمانيةِ ، وأصبحَ الدُّعاءُ في خُطبةِ الجُمُعةِ بِاسـمِ

---

(١) وهي ذاتها سـنة وفاة السـلطان عبدالحميد الثاني في منفاه بالبلقان! وتجدر الإشارة إلى أن السـلطان عبدالحميد هو الذي عينه بإجبار مـن الاتحاديين على إمارة مكة قبيل تنحيته عن الحكم (عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) .

«شـريفِ مكّةَ وأميرِهـا وملِكِ البِلادِ العربيةِ قُرّةَ كُلِّ عَينٍ سـيِّدِنا ومولانا الشـريفِ حُسَينٍ» .اهـ . المصدرُ السابِقُ ص١١٩ .

الملك حسين يلقب نفسه بأمير المؤمنين

وأصدرَ الشـريفُ حُسَـينٌ منشـورًا ملكيًّا بِتلقيبِه «أميرُ المؤمنين» ، وخاطبَه أهلُ الشـامِ بِملِـكِ العربِ والخليفـةِ المُقدَّسِ ، وخاطبَـه أهلُ يافا في برقيـةٍ بعثوا بها : «هذه البَيعةُ وقَبولُ عبوديتِنا الصادِقةِ» . وفِيها إشـارةٌ إلى بَيعتِهم الصريحةِ لِحُسَينٍ بِالخِلافـةِ الإسـلاميةِ الهاشِـميةِ ، وبايعَ أهـلُ العِراقِ حُسَـينًا بِالخلافةِ الإسـلاميةِ صراحةً .

ولـمَّـا تولَّـى مُصطفى أتاتـورك الحُكـمَ وعمِلَ على الخُـروجِ عن مبـدأِ الخِلافةِ قالَ الملِكُ حُسَـينٌ : يرحمُ اللّهُ الخِلافةَ ، وأحسـنَ عزاءَ المُسـلِمين فِيها . المصدرُ السابِقُ ص١٢٣ بِتصرُّفٍ .

بروز مصطفى كمال أتاتورك كبطل قومي في مقاومة الحلفاء الذين احتلوا اسطنبول
أحمد شوقي يمتدح أتاتورك في قصيدة له

وبرزَ مُصطفى أتاتورك كبطلٍ أُسـطوريٍّ في الدِّفاعِ عن أراضي تُركيا ضِدَّ الحُلفاءِ، وكانَ أتاتـوركُ يعمـلُ على تَوحيدِ تُركيـا والحِفاظِ علَيها ، وتعاطُفَ المُسـلِمون معَه وأصبـحَ بِالنسـبةِ لهم أفضلَ مِنَ الخليفةِ مُحمَّدٍ السـادسِ الخاضـعِ لِلنُّفوذِ الأجنبيِّ ، ورحَّـبَ المُسـلِمون بِمقاومةِ الأتـراكِ لِلاحتِلالِ الأجنبـيِّ ، وآزرَه الشُّـعراءُ ، ومِنهم أحمدُ شَوقي ، الذي امتدحَ أتاتوركَ في قصيدةٍ له . المصدرُ السابِقُ ص١٣٦ بِتصرُّفٍ .

وكانَـتِ الخِلافـةُ العُثمانيةُ قد فقـدَت كثيرًا من أهميتِها قُبَيـلَ الحربِ وخلالَها ، وصارَ المجلسُ الوطنيُّ بِرئاسةِ أتاتوركَ في أنقرة هو الذي يُديرُ أمرَ الدَّولةِ ، وتركَ السُّـلطانُ وحيدُ الديـنِ منصِبَ الخِلافةِ ، وعمِلَ أتاتوركُ على ترشـيحِ عبدِالمجيدِ بنِ عبدِالعزيزِ ، ووقَّعَ وثيقةً بِاعتبارِه خليفةً لِلمُسـلِمين وخادمِ الحرمَين الشريفَين . المصدرُ السابِقُ ص١٣٧ ، ١٤٢ بِتصرُّفٍ .

ولـمَّـا خُلِـعَ الخليفـةُ السُّـلطانُ محمد السـادس وحيد الديـن لجأَ إلى السِّـفارةِ البِريطانيةِ ، وطَلَبَ الحِمايةِ في ١٧ نوفمبر عام ١٩٢٢ ، وعُين السلطان عبدالمجيد الثاني آخر سلاطين بني عثمان من بعده ، وقبل سفره وحيد الدين الى أوروبا أرسلَ الملِكُ حُسَينٌ إليه يدعوه لِلقُدومِ إلى الحِجازِ ، وقبِلَ السُّلطانُ الدعوةَ .

ووصلَ إلى جِدةَ يَومَ الإثنَين ١٥ كانون الثاني ؛ فاستقبلَه الملِكُ حُسَينٌ ، وجرَت مراسيمُ الاستِقبالِ ، وفي ٢٠ كانونَ الثاني توجَّه الجميعُ إلى مكَّةَ واستُقبِلَ بها استقبالًا كبيرًا ، وصلى الجُمُعةَ في ٢ شُباط في المسجِدِ الحرامِ بِصُحبةِ الملِكِ حُسَينٍ ، وكذلِكَ في الجُمُعتَين التاليتَين ، وسمعَ الدُّعاءَ لِلملِكِ حُسَينٍ في الخُطبةِ وليسَ الدُّعاءُ لِلخليفةِ ، وانتقلَ الخليفةُ وحيدُ الدينِ محمد السادس إلى الطائفِ في الخميس ١ آذار ١٩٢٣م ، وأقامَ بها أيَّامًا في قصر شبرا ثُمَّ عادَ إلى مكَّةَ ومِنها إلى جِدةَ ، ثُمَّ سافرَ في ١ رمضان ١٣٤١هـ باعتبارِ اعتِلالِ صِحتِه ، وأعلنَ السُّلطانُ وحيدُ الدِّينِ قُبَيلَ مُغادرةِ الحِجازِ منشورًا لِلعالَمِ الإسلاميِّ جاءَ فيه عرضُ وضعِ تُركيا خِلالَ الحربِ العالميةِ ، وظُروفِ تولِّيه الخِلافةِ ، وسَيطرةِ الاتِّحاديِّين على الدَّولةِ ، ودِفاعِ السُّلطانِ عن نفسِه ، وسعيِ مُصطفى كمال لِلقضاءِ على الخِلافةِ . وضمَّنَ المنشورَ بِشُكرٍ لِملِكِ الحِجازِ على ضيافتِه وأهلِه في البِلادِ المُقدَّسةِ وتوجه نحو سويسرا .

الخليفة المخلوع يغادر إلى مكة ثم إلى سويسرا

وقِيلَ : إنَّ الملِكَ حُسَينًا ضغطَ على السُّلطانِ وحيدِ الدينِ ؛ لِيتنازلَ له عنِ الخِلافةِ ولكِنَّه رفضَ ، وأصرَّ على المُطالبةِ باستِرجاعِها لنفسِه . المصدرُ السابقُ ١٥٣ – ١٥٨ بِتصرُّفٍ .

الخليفة عبدالمجيد الثاني ينتخب بلا سلطة حقيقية

وانتُخِبَ عبدُالمجيدِ الثاني خليفةً لِلمُسلِمين في ١٨ تِشرين الثاني ١٩٢٢ مِنَ المجلِسِ الوطنيِّ «خِلافةً دونَ سُلطةٍ» حتَّى نجحَ أتاتوركُ فيما بعدُ بالتنسيقِ معَ بريطانيا على إلغاءِ الخِلافةِ وإعلانِ الجُمهوريةِ .

وأدى إعلانُ الجُمهوريةِ إلى سخطِ المُسلِمين وتبرُّؤِ الكثيرِ مِنهم مِمَّا فعلَ أتاتوركُ ، وذمَّه الذين مدحوه سابِقاً . المصدرُ السابقُ ص١٤٤ بِتصرُّفٍ .

وعلى هذا التفسير الذي فسَّرَه الشَّيخُ السهارنفوريُّ رحِمَه اللَّهُ يكونُ معنى «فِتنةِ الأحلاسِ» يعودُ إلى مرحلةِ ضعفِ الدَّولةِ العُثمانيةِ وما طرأَ مِن مُؤامراتٍ مُبطَّنةٍ لِتمزيقِها ، وما جرى في تمرُّداتِ البلقانِ والبُلغارِ وثوراتِهما ، ثُمَّ الحربِ الرُّوسيةِ العُثمانيةِ ؛ فانضمَّت رومانيا إلى الرُّوسِ ، وامتدَّ هُجومُ الرُّوسِ على الوِلاياتِ

العُثمانيةِ حتَّى الأناضولِ .

وتلاهـا مرحلـةُ «فِتنةِ السـرَّاءِ» ، وهـي المرحلةُ التـي تجاوبَ فِيها بعـضُ حُكَّامِ ورؤسـاءِ قبائـلِ البِلادِ العربيـةِ والإسـلاميةِ ـ بـإدراكٍ أو بغَيرِ إدراكٍ ـ لِمُسـاوماتِ الدُّولِ الاسـتِعماريةِ وقَبـولِ إغراءاتِهم بإثـارةِ النَّعرةِ القوميةِ ، كالقوميـةِ العربيةِ[1] والانفِصالِ عن جسـدِ الدَّولةِ الإسـلاميةِ العُثمانيـةِ آنذاكَ مُقابِلَ مُسـاعداتٍ مُعينةٍ مِـنَ المـالِ والسـلاحِ والأغذيةِ وغيرِهـا ، بِاعتِبارِ فسـادِ الدَّولـةِ العُثمانيةِ سياسـيًّا وانعِـكاسِ ذلِكَ على البِلادِ العربيةِ والإسـلاميةِ ، ومُحاولـةِ البعضِ إنقاذَ ما يُمكِنُ إنقاذُه مِمَّا يُعتقَدُ أنَّه مِن مصلحةِ الإسلامِ والأُمَّة العربيةِ ، فكانَ الأمرُ بعدَ ذلِكَ على غَيـرِ المُتوقَّعِ ، وتحولَتِ القضيةُ إلى وِصايةِ الغربِ على القرارِ السياسـيِّ معَ إثارةِ الصِّـراعِ الداخلـيِّ بَينَ حُكَّامِ العربِ على الحُكمِ ومُسـاندةِ كُلِّ فريقٍ ضِدَّ الآخَرِ[2]

---

(١) كان لليهود وعلى رأسـهم « هرتزل » الدور المباشـر في إثارة المسـألة القومية ، حيث كان اليهـود يطالبـون بوطن قومي لهـم ولكنهم لم يجدوا في البداية قبـولا من الدول العظمى ، حتـى بدأ العمل المشـترك بين بريطانيا واليهـود ، وعقدت المؤتمـرات العديدة حول هذه المسألة ، وبدأت بعض الدول بتبني مشروع القوميات وإثارة النعرات فيها ، وكان أول من عانى من ذلك دولة الخلافة نفسها ؛ حيث قامت العناصر المحرضة على القومية بالمطالبة الملحـة بفصل قوميات بلغاريا والمجر والبوسـنة والهرسـك وغيرها عن دولة الإسـلام ، وتذرعوا بشـتى الحيل والوسـائل ، وكان هذا تمهيدا سياسـيا لإنجاح مطالبة اليهود بوطن قومي في قلب البلاد الإسـلامية ، ونجحت الفكرة بدعم الدول الأروبية وأمريكا ، وتحقق الانهيـار والتقسـيم في الدولة الإسـلامية ، وتحققـت دولة الصهيونية وغيرها من مشـاريع الدجل والسياسة .

(٢) ظهرت في مصر بعد سقوط دولة الخلافة دعوة من خلال الأزهر لعقد مؤتمر إسلامي عام لمناقشة مسألة « الخلافة الإسلامية » ، وكان وراء هذه الدعوة الملك فؤاد الذي كان يرغب في أن يصبح خليفة للمسـلمين ، وعقد المؤتمر في العاشـر من شعبان سنة ١٣٤٣هـ ، بعد أيـام من هدم الخلافـة ، واتفق المؤتمرون على عقد مؤتمر آخـر ، يدعى إليه جميع ممثلي الأمم الإسـلامية للبت في من تسـند إليه الخلافة الإسلامية بدلا عن عبدالمجيد العثماني، الذي وصفت بيعته بأنها غير شرعية ، ومر عام كامل من التحضير لهذا المؤتمر ، حتى عقد المؤتمـر الثانـي عـام ١٩٢٥هـ ، وفيه طغـت الخلافات بين زعماء العـرب حول الخلافة،

حديث التمايز والتمايل والمعامع

، وهو ما سمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ بِالتمايُزِ والتمايُلِ والمعامِعِ في حديثِ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**لن تفنى أُمَّتي حتَّى يظهرَ فيهِمُ التمايُزُ والتمايُلُ والمعامِعُ**» . قال حذيفة بأبي أنت وأمي : يا رسولَ اللَّهِ وما التمايُزُ ؟ قالَ : «**عصبيةٌ يُحدثُها الناسُ بعدي في الإسلام**» . قُلتُ فما التمايُلُ ؟ قالَ : «**يميلُ القبيلُ على القبيلِ فيستحِلُّ حُرمتَها ظلماً**» . قال : قُلتُ : ما المعامِعُ ؟ قالَ : «**مَسيرُ الأمصارِ بعضُها إلى بعضٍ ، فتختلِفُ أعناقُها في الحربِ**» [1]. وكانَ ما كانَ ...

تداعي الأمم أكلة القصعة على ثروات الأُمَّة

ويندرِجُ في هذا المُسمَى « السرَّاءِ » معنًى آخرُ ، وهو «ظُهورُ النِّعمةِ على الفردِ أوِ الجماعةِ أوِ الأُمَّةِ» باعتِبارِ المعنى المُقرَّرِ في قَولِه : «**أصابَته سرَّاءُ فشكرَ**» . فمِن معاني السرَّاءِ التي يشكُرُ العبدُ ربَّه علَيها ما يُجريه علَيهِ مِن نِعمةٍ ، وفي هذا الصددِ يُلاحَظُ ما قد هيَّأه اللَّهُ مِن أسبابٍ حضاريةٍ ونِعمٍ مادِّيةٍ لِلعربِ والمُسلِمين في هذه المرحلةِ ، ومِنها « ظُهورُ واكتِشافُ البترولِ » ، ولكِنَّ القرارَ العالميَّ المُهَيمِنَ على هذه الثرواتِ جعلَ المرحلةَ ومُخرجاتِها تنصبُّ في المصلحةِ الاستيراتيجيةِ

وادعى كل من الحضور الخلافة لنفسه، فطالب البعض بأن تكون للملك فؤاد ، والبعض للشريف حسين ، والبعض الآخر لأمير نجد عبدالعزيز بن سعود . كما دب الخلاف حول شكل الخلافة ومضمونها، وتم تأجيل المؤتمر إلى السنة القادمة ١٩٢٦م ، ثم فشل أيضا في معالجة المشكلة .

(١) رواه الحاكمُ في «مُستدركِه» (٨٥٩٧) ، وقالَ صحيحُ الإسنادِ وتعقَّبَه الذهبيُّ بأنَّ فيه سعيدَ بنَ سِنانٍ قالَ : (وسعيدٌ مُتَّهمٌ به) . قالَ صاحِبُ كِتابِ «إتحافِ الجماعةِ» : وهذا الحديثُ وإن كانَ ضعيفَ الإسنادِ فقد ظهرَ مِصداقُه بما أحدثَه الناسُ مِنَ العصبيةِ في الإسلامِ ، ومِن هذه العصبيةِ ما يُسمَّى في زمانِنا بـ«القوميةِ العربيةِ» ، وكذلِكَ مَيلُ القبائلِ بعضُها إلى بعضٍ واختلافُ أعناقِهم في الحربِ ، كُلُّ ذلِكَ وقعَ في هذه الأُمَّةِ ، وهذا مِمَّا يشهدُ لِهذا الحديثِ ويدُلُّ على أنَّ له أصلًا . واللَّهُ أعلمُ . «إتحافُ الجماعةِ» (١ : ٥١) .

قُلتُ : ومنه ما تصنعُه مِن تهديدِ بعضِ الدُّولِ الإسلاميةِ والعربيةِ لِجاراتِها ، أوِ الهُجومِ علَيها واستقطاعِ بعضِ أراضيها ، أو فرضِ سياستِها الفِكريةِ علَيها تحتَ المُسمَّياتِ المُتنوِّعةِ ، وقد يكونُ مِنها التمحُّكُ بِالإسلامِ ذاتِه أو بِمذهبٍ مُعَيَّنٍ مِنَ المذاهِبِ المُنتميةِ إلَيه . وقد حصلَ مِثلُ هذا في جزيرةِ العربِ وغَيرِها .

لِلدُّولِ المُهَيمِنةِ .

ويجمعُ هذه الجُزئياتِ المُتنوِّعةَ مِنَ العملِ المُبطَّنِ والعملِ المُشتَرَكِ بَينَ بعضِ المُسلِمين – بِإدراكٍ أو بِغيرِه – والعالمِ الاستِعماريِّ قولُه ﷺ عنِ المرحلةِ : «**يُوشِكُ أن تداعى علَيكُمُ الأُمَمُ كما تداعى الأكلةُ على قصعتِها**» . قالوا أمِن قِلةٍ نحنُ يا رسولَ اللَّهِ قالَ : «**لا ، أنتُم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكِنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ يُلقى علَيكُمُ الوهنُ**» . قالوا : وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قالَ : «**حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ ، وتُنزَعُ المهابةُ مِن صُدورِ عدوِّكم**»[١] .

سقوط الخِلافة وبدء العهد العلماني

وبِهذه الأحداثِ والتحوُّلاتِ وما تلاها بدأَ عهدُ الغُثائيةِ والوهنِ في الأُمَّتَين العربيةِ والإسلاميةِ ، بدءًا مِنَ المؤامرةِ المُدبَّرةِ ، ثُمَّ نقضِ الحُكمِ الإسلاميِّ بِالحكمِ العِلمانيِّ فيما بعدُ ، وإعلانِ الدَّولةِ العِلمانيةِ في ٣٠ تِشرين الأوَّلِ ١٩٢٣م، وصُدورِ مرسوماتِ الدَّولةِ بفكرِها العِلماني الجديدِ على النحوِ التالي :

- تخلِّي مُصطفى أتاتوركُ عن جُملةِ أراضي تُركيا وسواحِلِها ومضايقِها للحُلفاءِ .
- إلغاءُ القوانين الشرعيةِ وإقامةِ الدُّستورِ المدنيِّ .
- تعميقُ مفهومِ الطورانيةِ «المفهومِ القَوميِّ» .
- إلغاءُ حِجابِ المرأةِ .
- تحويلُ العُطلةِ الرسميةِ مِنَ الجُمُعةِ إلى الأحدِ .
- الأذانُ باللغةِ التُّركيةِ بدلًا مِنَ اللُّغةِ العربيةِ .
- منعُ التعامُلِ بالعربيةِ واستِبدالُ الإنكليزيةِ بها .


أتاتورك

مؤتمرات الأعداء ضد القرار الإسلامي

وقد سبقَ هذه الإجراءاتِ إجراءاتٌ مُشابِهةٌ في مُؤتمرِ لوزانَ عامَ ١٩٢١م ، وحضرَه وفدُ تُركيا برئاسةِ مُصطفى أتاتوركَ ، وفيه وضعَ الوفدُ الإنكليزيُّ أربعةَ شُروطٍ للاعتِرافِ بِاستقلالِ تُركيا :

- إلغاءُ الخِلافةِ الإسلاميةِ .

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٩) سبق تخريجه ص ٢٣٨ .

- طردُ الخليفةِ خارجَ الحُدودِ .
- إعلانُ عِلمانيةِ الدَّولةِ .
- مُصادرةُ أملاكِ بني عُثمانَ .

المكاسب الاستعمارية بسقوط الخِلافة

ومُنذُ تِلكَ اللحظةِ ونظامُ الدَّولةِ العِلمانيةِ يُحقِّقُ المُقوِّماتِ الاستِعماريةَ التاليةَ:

- سياسةُ يهودِ الدونمةِ في سالونيكَ ومحافِلُهم الماسونيةُ في البِلادِ العربيةِ والإسلاميةِ .
- الإرسالياتِ التبشيريةِ (التنصيرية) في فُروعِها المُختلِفةِ ، وما تحتويه مِن تغييرٍ في شبابِ العربِ والمُسلِمين .
- تفعيلُ دَورِ جمعيةِ الاتِّحادِ والترقِّي ، وتسهيلُ مُهِمَّاتِها وتعاونِها معَ الأقلياتِ الأجنبيةِ .
- إنجاحُ مشروعِ هِرتزِلَ لِلبحثِ عن وطنٍ قَوميٍّ لِليهودِ[1] ، ولم تنتهِ الحربان

---

(١) ترجع البدايات الأولى لفكرة إنشاء وطن خاص لليهود ، يجمع شتاتهم ، ويكون حارساً أمينا على مصالح دول « أوروبا » الاستعمارية في الشرق إلى ما قبل الحملة الفرنسية على مصر ، وتجلى ذلك بوضوح في خطاب نابليون ، الذي وجهه إلى يهود الشرق ؛ ليكونوا عونا له في هذه البلاد ، وقد وجدت هذه الدعوة صدى لها لدى كثير من اليهود .

ومع نهايات القرن التاسع عشر انتقلت فكرة الصهيونية التي تزعمها تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية من مرحلة التنظير إلى حيز التنفيذ ، وذلك بعد المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ م ، وتجلى ذلك بوضوح في سعي الصهيونيين الدائب للحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لهم ، وكانت بريطانيا بشخص وزير خارجيتها صاحبة الفضل في الوعد المشؤوم ، الذي اقترن باسمه في التاريخ .

وبتكليف من الحلفاء أقدمت بريطانيا على تلك الخطوة الخطيرة ، فأصدرت وعد بلفور، ونشرته الصحف البريطانية صباح ٢ نوفمبر ١٩١٧ م ، وكان نصه :

وزارة الخارجية ٢ نوفمبر ١٩١٧ م

عزيزي اللورد روتشيلد ، يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحبة الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته : إن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي

العالميتان الأولى والثانيةِ على تباعُدِ أزمِنتِهما إلَّا لِتحقيقِ أهدافِها الاستِعماريةِ في العالم كُلِّه ، ومِنها إيجادُ سقفٍ عالميٍّ لِحمايةِ مكاسبِ الاستِعمارِ سُمِّيَ بِعُصبةِ الأُمَمِ ثم الأُمَمِ المُتحِدةِ .

- تقسيمُ العالمِ إلى كُتلتَين شرقيةٍ وغربيةٍ لِتفعيلِ الصِّراعِ الرأسماليِّ والشُّيوعيِّ وتوزيعِ الأُمَمِ العربيةِ والإسلاميةِ ضِمنَ هاتَين الكُتلتَين ، لِتفعيلِ الصِّراعِ الطبقيِّ والسِّياسيِّ والاجتماعيِّ والثقافيِّ المُؤدِّي إلى ما سُمِّيَ بِالحربِ البارِدةِ .
- غرسُ الكِيانِ الصهيونيِّ في فِلسطِينَ والاعتِرافُ بِه دوليًّا وحِمايتُه .
- دعمُ البرنامجِ القَبليِّ « التحريشِ » في الجزيرةِ بِتفعيلِ الصِّراعِ القَبليِّ

للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يكون مفهوما بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقد الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن بفلسطين ، ولا الحقوق أوالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى ، وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علما بهذا التصريح .　　　　　　المخلص . آرثر بلفور

فور هذا الوعد سارعت دول الغرب وعلى رأسها فرنسا وإيطاليا وأمريكا بتأييده ، بينما كان في مناطق العالم العربي له وقع الصاعقة ، واختلفت ردود أفعال العرب بين الدهشة والاستنكار والغضب .

ودخلت الجيوش البريطانية بقيادة اللورد اللنبي إلى القدس ، وترجل القائد الإنكليزي وقال كلمته الشهيرة : اليوم انتهت الحروب الصليبية .

وبعد ذلك بنحو ٣ أعوام دخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق في عام ١٩٢٠م ، ووضع قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي وهو يقول في تحد وتشف لا يخلو من الحقد : ها نحن قد عدنا ثانية يا صلاح الدين .

وفي نيسان إبريل ١٩٢٠م وافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء على أن يعهد إلى بريطانيا بالانتداب على فلسطين ، وأن يوضع وعد بلفور موضع التنفيذ ، ثم ما لبث مجلس عصبة الأمم المتحدة أن وافق على مشروع الانتداب في ٢٤ يوليو ١٩٢٣م ، ثم دخل مرحلة التطبيق الرسمي في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣م .

والمذهبيِّ بَينَ المُصلِّينَ مِنْ عربِ الجزيرةِ، كما بيَّنه ﷺ بقوله: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**». رواه الترمِذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

امتداد العلمانية بالاستعمار

- تثبيتُ السياسةِ العِلمانيةِ في تُركيا ومدِّ الفكرِ العلمانيِّ في الحكم عبرَ السياسةِ الاستِعماريةِ إلى بِلادِ الإسلامِ والمُسلِمين مِن خِلالِ الغزوِ العسكريِّ والثقافيِّ والإعلاميِّ والتعليميِّ المسيسِ المُتدرِّجِ.

وثيقة وعد بلفور

Foreign Office,
November 2nd, 1917.

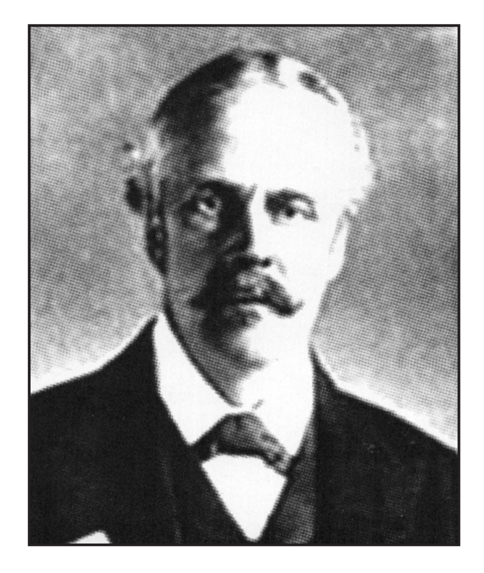
Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Yours
Arthur James Balfour



وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور

فتنة الدُّهَيماء علامة صغرى في مرحلة الغثاء

ج) فِتنةُ الدُّهَيماءِ .. مرحلةُ الاستِهتارِ

سبقَتِ الإشارةُ إلى مرحلةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ وتلازُمِهما معًا في تهيئةِ كُلٍّ مِنها لِلأُخرى فيما عُرِفَ بمرحلةِ الدُّهَيماءِ، وقد وردَت في أحاديثِ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ، ومِنها حديثُ: (فِتنةِ الأحلاسِ وفِتنِ السرَّاءِ) وقالَ فيه: «**ثُمَّ فِتنةُ الدُّهَيماءِ... فإذا قيلَ انقطعَت تمادَت**»[1]، «... **لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إلاَّ دَخَلَتْهُ**...»[2]، وفي الفِتنة الثالثةِ (الدُّهَيماءِ): «**يقاتِلُ الرجُلُ فِيها لا يدري على حقٍّ يُقاتِلُ أم على باطِلٍ**»[3]، وفِيها تحوَّلَتِ القضايا كُلُّها إلى قضايا قَوميةٍ وعصبيةٍ، ومِنها «قضيةُ فِلسطِينَ» حيثُ صارَت قضيةَ الفِلسطينيِّين والصهاينةِ، ولم تعُدْ قضيةَ الإسلامِ، وذلِكَ مُنذُ تقسيمِ وتجزئةِ دَولةِ الخِلافةِ رسميًّا حتَّى اليوم.

تحول القضية الإسلامية إلى أطماع قومية إقليمية

ومُنذُ رسمِ خرائطَ مناطقيةٍ جديدةٍ شُغِلَتِ البِلادُ العربيةَ بِسياساتِ التجزئةِ والصراعِ الداخليِّ والحُدوديِّ والإقليميِّ والانقلاباتِ السياسيةِ، كما ورد في الحديثِ: «**فلا يزالونَ كذلِكَ حتَّى يصيروا إلى فُسطاطَين: فُسطاطُ إيمانٍ لا نِفاقَ فيه، وفُسطاطُ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه، فإذا هما اجتمعَا فارصُدِ الدَّجَّالَ اليومَ أو غدِه**»[4]، وحديثِ الوليدِ بنِ مُسلِمٍ رفعَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قالَ في الفِتنةِ الثالثةِ فِتنةِ الدُّهَيماءِ: «**ويُقاتِلُ الرجُلُ فِيها لا يدري على حقٍّ يُقاتِلُ أم على باطِلٍ**»[5].

وكما هو في مرحلةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ وتلازُمِهما، وتسميةِ كُلٍّ مِنهما لِلأُخرى، فإن فِتنةَ الدُّهَيماءِ هي ثمرةٌ مِن ثمراتِ العملِ المُشتركِ في مرحلةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ، فتدخُلُ في هذه المرحلةِ جُزءاً مِمَّا عُرِفَ بمرحلةِ الاستِعمارِ ثُمَّ الاستِهتارِ، وهو ما أفرزَه الوطنُ العربيُّ والعالَمُ الإسلاميُّ مِنَ التحوُّلاتِ المنبثقةِ عنِ صِراعِ

صراع القوتين: الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) وقد تقدم.
(٢) «صحيح البخاري» (٣١٧٦).
(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٨).
(٤) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) «مسند أحمد» (٦١٦٨) وقد تقدم.
(٥) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٨).

الكُتلتَين العالمِ الرأسماليِّ والعالمِ الإلحاديِّ الشُّيوعيِّ ، وانقسامِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ إلى رأسماليٍّ وشُيوعيٍّ ، وامتِدادِ الصِّراعِ بَينَهما على المدى الطويلِ ، وتأثيرِ هذا الصِّراعِ على التُّركيباتِ الاجتماعيةِ اقتصاديًّا وثقافيًّا وتربويًّا وتعليميًّا وطبقيًّا ، ومِن ذلِكَ ما رُوِيَ عن عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو بِقَولِه : «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن تُوضَعَ الأخيارُ ، وتُرفَعَ الأشرارُ ، ويسودَ كُلَّ قومٍ مُنافِقوهم**»[1] .

ومن مظاهرِ هذهِ المرحلةِ بروزُ (الهرجِ) الجماعيِّ بينَ المسلمينَ تحتَ مبرِّراتِ السياسةِ القوميةِ والحزبيةِ والعرقيةِ والطائفيةِ، وفيها يقول ﷺ : «**إنّ بينَ يَدَي الساعةِ لَهَرْجاً**» ، قالَ : قلتُ : يا رسول الله ما الهَرْجُ ؟ قال : «**القتل**»، فقالَ بعضُ المسلمينَ : يا رسولَ اللهِ.. إنّا نقتلُ الآن في العامِ الواحدِ من المشركينَ كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : «**لَيْسَ بِقَتْلِ المشركينَ ولَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً حَتّى يَقْتُلَ الرجلُ جارَه وابنَ عمِّه ذا قَرابتِه**» ، فقال بعض القوم : يا رسول الله ومعنا عقولُنا ذلك اليوم ؟! فقال رسول الله ﷺ : «**لا.. تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذلك الزمانِ ويَخْلُفُ لَهُ هباءٌ مِنَ النّاسِ لا عُقُولَ لَهُمْ**»[2] .

ولعلَّ المقصودَ منْ قولِه : «**لا عُقُولَ لَهُمْ**» أي : لا وَعْيَ لهمْ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الحَقِّ والباطلِ ، وهذا ينطبقُ على أُخْرَيَاتِ الزمانِ عندَ قبضِ العلماءِ ونقضِ العلمِ وفُشُوِّ الجهلِ وعبادةِ الدينار والدرهمِ.

وهذه العلاماتُ قد وقعتْ وازدادَ بروزُها وظهورُها في هذه المرحلةِ ، وزاد على الهَرْجِ التَّنَاكُرُ كما أخبرَ عنهُ ﷺ في حديثِ حذيفةَ قال : سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الساعةِ فقال: « ﴿**عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**﴾ **ولكنْ أُخْبِرُكَ بِمَشَارِيطِها وما يكونُ بينَ يَدَيْهَا ، إنّ بينَ يَدَيْهَا فتنةً وهَرْجاً**» ، قالوا : يا رسول اللهِ الفتنةُ قد عَرفْنَاهَا فَما الهَرْجُ ؟ قال : «**بِلِسَانِ الحَبَشَةِ : القَتْلُ قال : ويُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التناكرُ فلا يكادُ**

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٩١) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٤٩) .

(٢) «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٩) .

أحـدٌ يَعْرِفَ أحداً»[1]، وهذه جملةٌ من ظواهرِ المرحلة وما تَفَرَّعَ عنها بعد ذلك في حياةِ الأمّةِ .

وهـذه المرحلـة أقرب مـا تكون لمـا ورد في الفتـن لنعيم بن حمـاد ص٢٩٤ : عـن علي رضي الله عنه قال: الفتن أربع: فتنة السـراء والضـراء... وفتنة كذا إلخ. فالمشار إليه بفتنة الضراء ينطبق على مرحلة الاستهتار الشيوعي.

---

(١) رواه أحمـد فـي «مسـنده» بسـند صحيـح (٢٣٣٠٦) ورواه الطبراني وابـن مردويه مطابقة الاختراعات العصرية» (١١٥) .

المرحلة الغثائية

آخر مراحل الخلافة العثمانية

الغـزو البـرتـغـالي ثم البـريـطـاني
تـداعـي الأمـة
(تركة الرجل المريض + المسألة الشرقية)

تحديات الخارج

* أطماع الدول الأوروبية
* أطماع اليهود في فلسطين
* أطماع المحافل الماسونية
* يهود الدونمة

تحديات الداخل

* ضعف الدولة الاقتصادي
* بدء تمزق الدولة
* دعوات القوميات
* جمعيات الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة ونحوها
* التأثر بالعالم الغربي

إسقاط عبدالحميد الثاني ١٣٢٤ هـ (١٩٠٩م)

الخلافة العثمانية المدونمة

تفكيك عرى الدولة العثمانية وإقحامها في اللعبة الدولية

مؤتمر سايكس بيكو يونيو ١٩١٦
إعلان الثورة العربية يوليو ١٩١٦

بدأت ١٩١٤ — **الحرب العالمية الأولى** — انتهت ١٩١٨

وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧
الثورة البلشفية ٨ نوفمبر ١٩١٧

هزيمة تركيا في الحرب وتقسيم تركة الرجل المريض ١٩١٨

تأسيس عصبة الأمم ١٩١٩

إلغاء الخلافة الإسلامية وقيام النظام العلماني في تركيا ١٩٢٤

معاهدات الحماية والتعاون بين الغرب والدويلات والقبائل

بدأت ١٩٣٨ — **الحرب العالمية الثانية** — انتهت ١٩٤٥

تأسيس الأمم المتحدة / صندوق النقد الدولي / البنك الدولي ١٩٤٥

سلطنات
إمارات
دويلات
مشيخات
محميات

العـهـد القـبـلـي

الاعتراف بدولة اليـهـود

إلغاء أفكار
الخلافة الإسلامية
والثورة العربية

الحرب الباردة

صراع الرأسمالية والشيوعية

مرحلة الاستهتار

ثمرات الصراع في الوطن العربي والإسلامي

مرحلة الاستهتار

الصراع الحزبي — الصراع الطبقي — الصراع الاعتقادي — الصراع الطائفي

إلغاء مقياس الذهب من النظام المالي العالمي ١٩٧١

إسقاط النظام الشيوعي ١٩٩١

مرحلة العولمة

نظام القطب الواحد

مرحلة الاستثمار

الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر

مرحلة الاستثمار

الانهيار الاقتصادي
وإعادة ترتيب النظام

التدخل في شؤون الدول العربية والإسلامية
السودان / فلسطين / لبنان / العراق

نزع السلاح النووي
وهيمنة الاستعمار الجديد

مرحلة الاستكبار — مرحلة الاستعمار — مرحلة الاستهتار — مرحلة الاستثمار الفوضى الخلاقة

فتنة الأحلاس — فتنة السراء — فتنة الدهيماء — الفوضى الخلاقة

الفتنة الرابعة التي يؤول أمر الأُمَّة فِيها إلى الكافر

(د) الفِتنةُ الرابعةُ «العمياءُ البكماءُ الصمّاءُ»

«مرحلةُ الاستثمارِ» - «الألفيَّةُ الثالثةُ»(١)

وهـي الفِتنـةُ الرابعةُ اللاحِقةُ والمُكمِّلةُ لِلخُططِ الاستِعماريةِ السابقةِ، وتُعرَفُ بِالاستِقراءِ والمتابعـةِ والربطِ بَينَ الأقـوالِ النبويـةِ ومُجرياتِ التحـوُّلاتِ، وقد تعـددَتِ الأحاديـثُ المعبِّرةُ عنهـا، وبعضُها مُجمَلٌ وبعضُها مُفصَّلٌ، ومن هذه الأحاديثِ:

(١) عـن أبـي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ: «**تأتيكـم مِن بعدي أربعُ فِتَـنٍ، فالرابِعـةُ منها الصمَّاءُ العميـاءُ المُطبِقةُ تعرك الأُمَّة فِيهـا بِالبلاءِ عركَ الأديمِ**،

(١) ربطنـا هـذه المرحلـة بمسـمى «الألفيـة الثالثـة» بعـد الاسـتقراء المتأني والمقارنة الموضوعية بين المراحل السابقة والمسماة في الأحاديث بالدهيماء والسـراء والأحلاس (عدا تصاعديا)، وهي المراحـل الغثائيـة، وتبين أن ما عرف بأحداث الحادي عشـر من أيلـول سـبتمبر ٢٠٠١م، المتسـم بتحطيم برجـي: مركز التجارة الدولـي رمز الاقتصـاد، والبنتاجون الرمز العسـكري. وما ترتب عليـه مـن تفاعلات وحـوادث وتغيرات فـي العلاقـات الدولية، وظهور الهيمنة الاستبدادية «للقوى العالمية»، واجتماعها لتنفيذ إرادتهـا علـى العالم بما فيه العالم العربي والإسـلامي؛ يمثل إلى حـد ما بـدء «مرحلـة الفتنة الرابعة» المشـار إليها فـي الأحاديث النبويـة، مـن مثـل قوله ﷺ فيمـا رواه نعيم بن حماد فـي «الفتن» عن أرطأة بن المنذر قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**تكون في أمتـي أربع فتن، يصيب أمتي في آخرهـا فتن مترادفة، إلى أن ذكر الفتنـة الرابعة فقال: والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر**». انظر «التهذيب الحسـن لكتـاب العراق فـي أحاديث الفتن» لمشـهور حسن ص٢٧٦.



حتَّـى يُنكَـر فِيها المعروفُ ويُعـرَفُ فِيها المُنكـرُ ، تموتُ فِيها قلوبُهـم كما تموتُ أبدانُهم»[1] .

أحداث ١١ سبتمبر تمثل إلى حدٍّ ما بدء (مرحلة الفتنة الرابعة)

(٢) حديثُ أبي هُرَيرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ – وذكرَ الفِتنةَ الرابعةَ ، «**لا ينجو من شرِّها إلَّا مَن دعا كدُعاءِ الغَرَقِ ، أسعدُ أهلِها كل تقيٍّ خفيٍّ إذا ظهرَ لم يُعرَفْ ، وإن جلسَ لم يفتقد ؛ وأشقى أهلِها كُلُّ خطيبٍ مِصْقَعٍ أو راكِبِ موضِعٍ**»[2] .

(٣) وعـن أبي هُرَيـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ ﷺ : «**الفِتنةُ الرابِعـةُ عمياءُ مُظلِمةٌ تمورُ مَـورَ البحرِ ، لا يبقـى بَيتٌ مِنَ العربِ والعجمِ إلَّا ملأَته ذُلًّا وخَوفًا ، تُطيفُ بالشـامِ وتغشـى بالعِـراقَ وتخبُطُ بالجزيرةَ بيدِهـا ورِجلِها ، تعركُ الأُمَّـةُ فِيها عركَ الأديمِ ، ويشـتدُّ فِيها البلاءُ حتَّى يُنكَرَ فِيها المعروفُ ، ويُعرَفُ فيها المُنكَرُ ، لا يستطيعُ أحدٌ يقـولَ : مَـهْ مَهْ . ولا يرقعونهـا مِن ناحيةٍ إلَّا تفتَّقَـت مِن ناحيةٍ ، يصبِـحُ الرجُلُ فِيها مؤمنًـا ، ويُمسـي كافرًا ، ولا ينجـو مِنها إلَّا مَن دعا كدعاءِ الغـرقِ في البحرِ ، تدومُ اثني عشـرَ عامًـا تنجلي حيـنَ تنجلي وقد انحسـرَت الفُراتُ عن جبـلٍ مِن ذهبٍ ؛ فيقتتِلون علَيها ، حتَّى يَقتَلَ من كُلِّ تِسعةٍ سبعةٌ**»[3].

جبل الذهب والاقتتال عليه

(٤) وعن أبي هُرَيرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**الفِتنةُ الرابِعةُ ثمانيةَ عشرَ عاماً، ثُمَّ تنجلي وقد انحسـرَ الفُراتُ عن جبلٍ مِن ذهبٍ ، تكُبُّ علَيهِ الأُمَّةُ فيُقتَلُ علَيه مِن كُلِّ تِسعةٍ سبعةٌ**»[4].

وعـن علـيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قـالَ : «الفِتَن أربعٌ : فِتنةُ السـرَّاءُ ، والضـرَّاءُ ، وفِتنةُ كذا – فذكـرَ معـدِنَ الذَّهبِ – ثُـمَّ يخرجُ رجُلٌ مِن عِترةِ النبيِّ ﷺ يُصلِـحُ اللَّهُ تعالى على يدَيه أمرَهم »[5] .

مفهوم الحديث: يؤول أمر الأُمَّة إلى الكافر

وخُلاصـةُ القَولِ فيما وردَ مِـنَ الأحاديثِ المُتنوِّعةِ عنِ الفِتنـةِ الرابعةِ قَولُه ﷺ:

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٨) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٦٧) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٧٦) وفي رواية أخرى : «**انحسر**» .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٧٢) .

(٥) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٤) .

«**تصيرون فيها إلى الكفر**»[1]. ومفهومُ الحديثِ يدُلُّ على ما نحنُ نشهدُه مِنَ الضُّغوطِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والإعلاميةِ ... إلخ في الحياةِ العربيةِ والإسلاميةِ، والارتباكِ الواضحِ في المُجتمعاتِ المذكورةِ بالسياساتِ المُشتركةِ، والتدخُّلِ الثقافيِّ والاقتصاديِّ والسياسيِّ والاجتماعيِّ والسياحيِّ والإعلاميِّ المفروضِ على العالمِ الإسلاميِّ والعربيِّ في المرحلةِ، حتَّى رُبَّما يصِلُ في بعضِ أحوالِه إلى تهديدِ حملةِ القرارِ عِندَ مُخالفتِهم، وغَزوِ أراضيهم واستبدال غيرِهم بهم، وإثارةِ الفِتَنِ داخلَ مُجتمعاتِهم ورعاياهم بِشتَّى أصنافِ السياساتِ والأسبابِ[2]، ومنها: ما يصِلُ إليهم مِنَ الغِنى المُطغِي، وهو وجودُ الثرواتِ الكثيرةِ، وتبديدُها فيما لا يعودُ بنفعٍ لِلشُّعوبِ، بالإضافةِ إلى الطُّغيانِ السياسيِّ والاقتصاديِّ والعالميِّ والاجتماعيِّ والثقافيِّ المُوجَّهِ لِلاستِهلاكِ والخِدْماتِ.

التدخل الكافر في سياسة الإسلام ونقض العرى

وكذلك ما يَصِلُ إليهم مِنَ الفقرِ المُنسي، وهو تركُ الاكتفاءِ الذاتيِّ وعدمُ الاعتمادِ على الحِرفِ اليدويةِ والزراعةِ المحليةِ، والاشتغالُ بالوظائفِ والنُّزوحِ مِنَ الأريافِ إلى المُدُنِ طلبًا لِخِدْماتِ العَيشِ الرغيدِ وهُروبًا مِن مُعاناةِ الأعمالِ الحِرفيةِ والرعي والزراعةِ وغيرِها، وخاصَّةً في أجيالِ هذه البداواتِ بعدَ أن تهيَّأَت لهم أسبابُ الدراسةِ الحديثةِ، وذهبوا لِلبحثِ عنِ الوظائفِ في المُدُنِ والعواصِمِ، وفي ذلِكَ روى عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه ﷺ كان يقولُ: «**لَنْ تَنْفَكُّوا بِخَيْرٍ ما استَغْنَى أهلُ بَدْوِكُمْ عن أَهْلِ حَضَرِكُمْ**»[3]، قال: «**وَلَتَسُوقَنَّهُمُ السِّنِينُ والسِّنَاتُ حَتّى يَكُونُوا مَعَكُمْ في الدِّيَارِ، ولا تُمْنَعُوا مِنْهُمْ لِكَثْرَةِ مَنْ يُسْتَرَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ**»، قال: «**يَقُولُونَ: طَالَمَا جُعْنَا وَشَبِعْتُمْ، وَطَالَمَا شَقِينَا وَنَعِمْتُمْ، فَوَاسُونَا اليَوْمَ**»[4].

ظاهرة الهجرة إلى العواصم وترك العمل الحرفي الزراعي وهجر الاكتفاء الذاتي من الفقر المنسي

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩١).
(٢) وهي ما يطلق عليه اليوم بالفوضى الخلاقة من وجهة نظر العولمة.
(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٨٥) تكملة الحديث..: «**فَإِذَا أَتَوْكُم لَم تَمتَنِعُوا مِنهُم لِكَثْرَةِ مَن يَسِيلُ عَلَيكُم، يقولون طال ما جعنا وشبعنا، وطال ما شقينا ونعمتم فواسونا اليوم**».
(٤) آخر الحديث في «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٨٥)، و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٤٨).

زيادة الأسعار في الغذاء والوقود من الفقر المنسي

ومِنَ الفقرِ المُنسي المفروضِ على الأُمَّةِ في الفِتنةِ الرابعةِ زيادةُ الأسعارِ في الموادِ الغذائيةِ والوقودِ وغيرِها بَينَ الحينِ والآخرِ مِمَّا يُسهِم في زيادةِ القَلقِ ونِسيانِ التوكُّلِ علـى اللّهِ والانصـرافِ عن ذِكره تعالى إلى الصراعِ والمُنازعـةِ والاختِلافِ الهالِكِ، كما قد حصلَ وشُوهِدَ في اليمنِ والعِراقِ والصُّومالِ والأفغانِ والسُّودانِ وغيرِها .

أسباب الانحدار الشرعي في الفتنة الرابعة

وكما حدَّدَ رسـولُ اللّهِ ﷺ (حالةَ الأُمَّةِ في الفِتنةِ الرابعةِ) فقد كشفَ عن أسبابِ الانحِدارِ مِنَ الناحيةِ الشرعيةِ بِقَولِه :

كثرة القراء، وهم حملة المعرفة القرآنية المجردة الذين يعكسون سياسة المرحلة ومعانيها

- «**سيأتي على أُمَّتي زمانٌ تَكثُرُ فيه القُرَّاءُ**» أي : حملةُ المعرفةِ القِرائيةِ المُجردةِ، المُـردِّدون ما يُكتَبُ لهم في الصحافةِ والمناهِجِ المقبوضةِ، وبمعنى لائقٍ : العاكسين سياسةَ المرحلةِ المتناقِضةِ والأنظمةِ الحائرةِ القائمةِ فِيها .
- « **وتقِلُّ الفقهاءُ**» أي : حملةُ الفِقهِ بِمعانيه ودقائِقِه، والمقصودُ فِقهُ الديانةِ وكافةِ وُجوهِها الشرعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ والتربويةِ والتعليميةِ والإعلاميةِ .
- «**ويُقبَضُ العِلمُ**»، وسيأتي في الفصل التالي : العلامات الصغرى .

كثرة الاقتتال والصراع الدموي

- «**ويكثُـرُ الهَرْجُ**» وهـو القتلُ والاقتِتالُ، كما وردَ في الحديـثِ : «قالُوا : وما الهَـرْجُ يا رسـولَ اللّهِ ؟ قالَ : «**القتلُ بَينكم، ثُـمَّ يأتي من بعدَ ذلِكَ زمانٌ يقرأُ القُـرآنَ رِجالٌ لا يُجاوِزُ تراقيَهم، ثُمَّ يأتي مـن بعدَ ذلِكَ زمانٌ يُجادِلُ المنافق والكافر المُشرِكُ بِاللّهِ المُؤمِنَ بمِثلِ ما يقولُ**» [(١)].

مؤتمرات الحوار والاستثمار

- والمُشـرِكُ بِاللّـهِ هـو الكافـرُ الأصلـيُّ مِنَ اليهـودِ والنصـارى وأهـلِ الأوثانِ والمجادلـةِ، ومـن معانيه «مؤتمـراتُ الحِوارِ الحضـاريِّ والمصالـحِ الثقافيةِ والاقتصاديةِ والإعلاميةِ المشـتركةِ المخالفة لمناهج الشـريعة، والتي تشتمِلُ على تقاسُمِ العملِ المشتركِ في المبادئِ : المساواةِ والعدالةِ وحُقوقِ الإنسانِ

---

(١) وأوله : «**سيأتي على أمتي زمان، يكثر القراء، ويقل الفقهاء، ويقبض العلم، ويكثر الهرج**» و«المعجـم الأوسـط» للطبراني (٣٢٧٧) و«المسـتدرك على الصحيحيـن» (٨٤١٢) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : صحيح .

وما شاكلَها، على أساسِ تطويعِ العالمَين العربيِّ والإسلاميِّ لِبرامجِ العَولمةِ.

العدالة من مبادئ الإسلام ولا علاقة للكفر بذلك

- وقد كانَت هذه المبادِئُ لُغةَ الإسلامِ فقط، وأما الكُفَّارُ فقدِ انعدمَت بِكُفرِهم معاني القيمِ الصحيحةِ القائمةِ على طلبِ الثوابِ والخَوفِ مِنَ العِقابِ، وبقيَ لهم في الوجهِ الرسميِّ مصالِحُ سياسيةٌ واستِعماريةٌ واستِثماريةٌ؛ ولكِنَّ الفِتنةَ الرابِعةَ تُجبِرُ العالَمَ العربيَّ والإسلاميَّ على تقاسُمِ الرؤيةِ معَ الكُفَّارِ لِما وصل إلَيه المُسلِمون في مراحلِ الغثاءِ مِنَ الجهلِ بِالدينِ وأُسُسِه الاعتباريةِ في العلاقةِ بِالآخَرِ، حتَّى يتنازلَ بعضُ المُسلِمين عن تدريسِ بعضِ آياتِ القُرآنِ الخاصَّةِ بالتعنيفِ على اليهودِ والنصارى، وتُحذَفُ مِنَ المناهِجِ التعليميةِ إرضاءً للكُفَّارِ واستِجابةً لِهَيمنتِهم ومُجادلتِهم وشراكتِهِمُ الثقافيةِ والاقتصاديةِ والإعلاميةِ.

ظاهرة التخلي عن تفسير الآيات القرآنية لِما فيها من إدانة للكفار

خطر الثقافات الغازية على التركيب الإسلامي الموجه

في نَفسِ الوقتِ الذي غزَتِ الثقافةُ الأجنبيةُ المُعاديةُ لِلإسلامِ وثقافتِه عالَمَنا العربيَّ والإسلاميَّ مِن كُلِّ جِهاتِه، تمارِسُ القُوى المُتَنفِذةُ في القرارِ العربيِّ والإسلاميِّ ضُغوطَها المُستمِرَّة؛ لترويضِ شُعوبِ القُرآنِ والسُّنَّةِ بما هي فيه مِنَ الغُثاءِ المسيسِ على قَبولِ هذه الثقافاتِ الغازيةِ واستِعجالِ الارتباطِ بها، وتبنِّيها في مؤسساتِ الثقافةِ والإعلامِ والتربيةِ الحديثةِ والتعليمِ وغيرِها في كُلِّ موقعٍ قرارًا غُثائيًّا بِما يُناسبُه ويناسِبُ مَوقِعَه المحليَّ والإقليميَّ مِنَ «القُربِ والبُعدِ» في السياسةِ الكافِرةِ، وبَينَ «القُربِ والبُعدِ عنِ الإسلامِ ذاتِه»، وهذا ما عبَّرَ عنه النبيُّ ﷺ بِقَولِه: «**كُلَّما انتَقَضَت عُروةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تليها** ...»[1].

فكم من عُروةٍ مِن عُرى الإسلامِ قد نُقِضَت في السياسةِ والاقتِصادِ والثقافةِ والفِكرِ والتربيةِ والتعليمِ والإعلامِ، ومُسمَّى حُقوقِ المرأةِ وحُقوقِ الإنسانِ، وما تلاه ويتلوه مِن سياسةِ النقضِ والقبضِ والتحريفِ والتشويهِ القائمِ على قدمٍ وساقٍ في الأوطانِ المغلوبةِ[2] والمُجتمعاتِ المنكوبةِ؟! فلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) وقد تقدم ص١٥١.

(٢) ومن أخطر ما تعيشه الأمة اليوم من سياسة القبض والنقض والتطبيع والتطويع «مؤامرة

بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

الخيانـة فـي قضية القدس والمقاومة الإسـلامية في فلسـطين ضد العـدو المحتل» ، وهي إحـدى قضايانـا الإسـلامية الملحـة ، وقـد وصلـت إلـى ما وصلـت إليـه مـن (المؤامرة المشـتركة) متدرجة من عصر هرتزل وما جاء بعده من مؤتمرات واختلالات سياسـية إلى عصرنـا الحاضـر ، وقد صارت فيـه القضية على وشـك التطبيع محليا وإقليميـا وعالميا ، مـع تظافـر القوى العربية وبعض المنظمـات والحكومات الإسـلامية والعالمية على تنفيذ المخطـط اليهـودي بأسـلوب أو بآخر ؛ ولكنـا إذا تمعنا فـي العمل الشـعبي المتنامي نجد الأنفاس الإسلامية الحقيقية قائمة بدورها الجهادي ونشاطها الريادي وفق مراد الله ومراد رسـوله ﷺ، ومن ذلك صمود الشـعب الفلسـطيني وبعـض منظماته الجهاديـة ، وصمود بعض الشخصيات المتنفذة سواءً في الحكم أو العلم أو المال أو الإصلاح الشعبي لإعطاء القضية بعدا إسـلاميا جهاديا مسـتمرا ، ومن هؤلاء جملة من الشـخصيات الإسلامية وغير الإسـلامية ـ من واقع التعاطف مع الحق ـ الداعية إلى الوقوف مع الشـعب الفلسـطيني في قضيته العادلة ، وربما كان من آخر محاولاتهم الجادة التي يحسـن ذكرها وإثباتها كنموذج إسلامي واعد عمل « المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين » وشعاره « نحو نصرة دائمة لفلسـطين » ، ومن أهم ما حمله أعضاء هذا المؤتمر في المرحلة الوقوف الشـعبي لإيقاف المؤامرة على نماذجها الثلاثة : تهويد القدس ، مسألة العودة للاجئين ، يهودية الدولة .

كما جعلوا مفهوم النصرة يقوم على معالجة ثلاثة أمور :

الأَوَّلُ : استمرار المقاومة ودعمها بكافة الأشكال والإمكانات الممكنة .

الثانـي : العمل علـى المصالحة الوطنية بين الفصائل لصيانـة الحق والعمل على نصرته وليس التضحية به .

الثالثُ : رفض مشـاريع الوسـاطة العربية والدولية الداعية إلى التطبيع المخل بالشـرف والأرض مع العدو المحتل .

ويتحقق نجاح هذه المطالب :

١ – بحشد الطاقات العربية والإسلامية لترجيح كفة القضية وتحويلها من قضية فلسطينية إلى قضية عربية إسلامية .

٢ – شد أزر المقاومة بجمع كلمة الفصائل داخل الأرض المحتلة ، وتوحيد استيراتيجيات العمل الجهادي ، سواء بأسلوب المطالبة الشرعية القائمة على العدل والإنصاف أو الجهاد والمقاومة القادرين على فرض فكرة الحقوق وعودتها .

ملاحظةٌ على هامشِ المرحلةِ الغُثائيةِ

دراسة الركن الرابع تمنع الزج بالشعوب في سبيل المطالبة بالقرار

تُؤكِّدُ الدراسةُ الشرعيةُ للرُّكنِ الرابعِ مِنْ أركانِ الدينِ ، وما يترتَّبُ على هذه الدراسةِ مِنَ النظرِ في مسألةِ امتِلاكِ القرارِ أو المُطالبةِ بِه خِلالَ مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ المنصوصِ علَيها في الأحاديثِ الشريفةِ ؛ أنَّ الواجبَ الشرعيَّ عدمُ الانزلاقِ بِالمُطالبةِ أوِ الحربِ في سبيلِ امتِلاكِ القرارِ أوِ المُطالبةِ بالقرارِ الجُزئيِّ الإقليميِّ أوِ المحليِّ تحتَ أيِّ مُبرِّرٍ كانَ .

بل لا يليقُ بِمَن ينتمي لآلِ البَيتِ النبويِّ أو من ينتمي لِلإسلامِ بعُمومِه ممن يرغبونَ في القرارِ أو يرَون جدارتِهم له كوِراثةٍ أوِ استحقاقٍ أو غَيرِ ذلِكَ أن يزُجُّوا بالأُمَّةِ والرعايا في حُروبٍ وصِراعٍ مِن أجلِ ذلِكَ لِأسبابٍ مِنها :

- أنَّ مرحلةَ الغُثاءِ والوهنِ ينقطِعُ فِيها الحُكمُ الشرعيُّ العامُّ القائمُ على حِفظِ هُويَّةِ الإسلامِ في مجموعِ العالمِ كوحدةٍ سياسيةٍ واحدةٍ ، ويبقى الحُكمُ الذي وصفَه النبيُّ ﷺ بِتكادُمِ الحَميرِ ، أي : الأطماعِ والصِّراعِ على السُّلطةِ وامتِلاكِها .

لماذا يَشغلُ القرارُ العالميُّ الشعوبَ بالكفاحِ في سبيل امتلاك القرار وبالتصعيد وإدخال الناس في الحروب ؟
هنا ذكر الأسباب

- أنَّ القرارَ العالميَّ ليسَ بيدِ المُسلِمين حُكامًا وشُعوبًا ، وإنَّما لِكُلٍّ مِنهم حُدودُه وسُلطتُه الخاصَّةُ تحتَ سقفٍ عالميٍّ كافِرٍ ينطوي فيه ويلتزِمُ بِقراراتِه في السِّلمِ والحربِ ، بل ويلتجِئُ إلَيه لفضِّ النِّزاعاتِ وشكوى الاعتِداءاتِ كالأُمَمِ المُتحِدةِ ومجلِسِ الأمنِ وغيرِها . ويَتْبَعُهُ كُلِّيَّةً في الاقتصادِ والنظامِ الماليّ .
- أنَّ المُطالِبينَ بِالحُكمِ تحتَ اعتِباراتٍ «مذهبيةٍ ، عائليةٍ ، قبليةٍ» أو غيرِها كمُطالبةِ «بعضِ أهلِ البَيتِ بِالحُكمِ أوِ الحربِ في سبيلِه» أو غيرِهم ـ ممَن

٣- العمل على توحيد الكلمة وإحياء معاني التوحيد ، وهو إحياء أساس العلاقة الإسلامية بين الأمة وبناء وحدتها الإيمانية على القواسم المشتركة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

كانَ لهـم مجدٌ وسُـلطانٌ لِآبائِهم ـ علَيهـم أن يعلموا أنَّ العَـودةَ إلى الحُكمِ الشـرعيِّ يُشـترَطُ فيه «الحُكمُ الإسـلاميُّ العامُّ في مفهومِ الخِلافةِ المُرتبطةِ بِالقرارِ الإسلاميِّ العامِّ» .

- أمـا أن يكـونَ أحدُهـم حاكِمًا على مدينـةٍ أو مُقاطعةٍ أو دَولـةٍ ، ولكِنَّ قرارَه الاقتِصـاديَّ والسياسـيَّ والإعلامـيَّ جُـزءٌ مِـنَ الثقافـةِ العالميةِ والسياسـةِ الدَّوليةِ كما تُسـمَّى ؛ فهو أمرٌ لا يخدُمُ هدفَ الإسـلامِ وقضيةَ الاصطِفاءِ أوِ الأحقيَّـةَ فـي الحُكـمِ ، بـل على مثلِ هـذا ـ مِن أهـلِ البَيتِ أو مِـن غيرِهـم ـ أن يتجنبَ المُماحكاتِ السياسـيةَ المشـبوهةَ ويحفظَ دِمـاءَ الرعايا والأُمَّةِ ، ويُعيدَ النظرَ فيما هو مطلوبٌ منه شـرعًا لِتحقيقِ الاستقرارِ في الشعوبِ كما فعلَ الحسنُ وعليٌّ زينُ العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وليس باشغالِ الشُّعوبِ بِعودتِه وامتـلاكِ الحُكمِ ، معَ أنَّه لا يترتَّبُ علَيه أيُّ نُصرةٍ لِلإسـلامِ ولا لِلدعوةِ ولا لِلجِهـادِ فـي سـبيلِ اللَّهِ إلَّا بما يوافِقُ سُـقوفَ السياسـةِ العالميـةِ المُهَيمِنةِ ، التي تبدَأُ بادئَ ذي بدءٍ بِشـرطِ الاعتِرافِ بِه وبِوجـودِه ، ثُمَّ بِقَبولِه عُضوًا في المنظومـةِ الدَّوليةِ المُلزِمةِ لِلنِّظامِ بِاللوائـحِ والقوانينِ الدَّوليةِ التي لا عِلاقةَ لها بِالإسلامِ ولا بِالمُسلِمِ .
- أنَّ كافَّةَ الدُّولِ والأنظِمةِ التي برزَتْ وظهرَتْ في مرحلةِ الغُثاءِ إنَّما هي قائمةٌ في مشـروعيتِها على اعتِرافِ الـدُّولِ الكُبرى مالكةِ قـرارِ (الفيتو)، والدُّولُ الكُبـرى لا تعترِفُ بِنظامٍ إسـلاميٍّ صحيـحٍ ، إلَّا أن تكونَ إسـلاميتُه وفق ما يُرضي الدُّولَ المتنفذةِ في القرارِ السياسيِّ .
- وفوقَ كُلِّ ذلك فإن حَرَكَةَ الاقتصادِ العالميَّةَ والنظامَ الماليَّ الربويَّ وحركةَ سـوقِ العمـلاتِ لكافـة دول العالـم هـي السـقفُ المهيمنُ على مشـروعيةِ الدُّوَلِ ومَدَى بقائِها منذ نشأتِها وحتّى سقوطِها .

حركة الاقتصاد العالمي والنظام المالي التربوي وحركة سوق العملات هي السقف المهيمن على مشروعية الدول ومدى نشأتها

وعلى هذه الشُّـروطِ التي يكشِفُها فقهُ التحوُّلاتِ والرُّكنُ الرابعُ مِن أركانِ الدينِ تُصبـحُ مسـألةُ امتلاكِ القـرارِ أوِ الموتِ دونَـه أو الدفع بِالرعايا لِلاقتِتـالِ مِن أجلِه

مسألةً لا ترتبِطُ بالحُكّامِ ولا حتّى بآلِ البيتِ أنفُسِهم، وإنّما ترتبِطُ بِقراءةِ نُصوصِ فقهِ التحوُّلاتِ الشرعيِّ.

فالنُّصوصُ الشرعيةُ طعنَت في المُلكِ العضوضِ ـ وهو نِظامٌ إسلاميٌّ وحُكّامُه مِن قُريشٍ ـ لفُقدانِ بعضِ الشُّروطِ في الحُكّامِ والمراحِلِ. وكذلِكَ في عصرِ الغُثاءِ والوهنِ كمرحِلةٍ لا يُمكِنُ بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ أن يُهْلِكَ امرؤٌ نفسَهُ أو رعاياهُ مِن أجلِ قرارٍ ثبتَ شرعًا أنّه لا يعودُ على الإسلامِ بعائدٍ يُؤبَهُ له.

الإسلام قضية أما الحاكم فهو وظيفة

إنَّ الإسلامَ قضيةٌ، والحُكمَ وظيفةٌ، فإن تمكَّنَ المُطالِبُ بالوظيفةِ أن يجعلَها في خِدمةِ القضيةِ فذاكَ، وإلّا فإنَّ التزامَه بِخِدمةِ القضيةِ مِن حيثُما وضعَه اللّهُ في الحياةِ الاجتماعيةِ كفيلٌ بإنجاحِ وظيفتِه الشرعيةِ.

(هـ) ما بعدَ الفِتنةِ الرابعةِ .. مرحلةُ الاستِنفارِ (الصيلمة)

انتهاء الرابعة باستفحال التدهور الاقتصادي وازدياد الغلاء واضطراب العملات والموارد

اختلفَتِ الإشاراتُ النَّبويَّةُ في تحديدِ المُدةِ الزمنيةِ التي تمتدُّ فِيها مرحلةُ الفِتنةُ الرابعةُ، ولِأنَّنا قد أشرْنا سلفًا بعدمِ انشغالِنا بِالزمنِ وتحديدِه، ولا بِالأفرادِ والشُّخوصِ وذِكرِهم؛ فإنَّنا نُلاحِقُ المراحلَ مِن خِلالِ الاستِقراءِ العامِّ عنِ التحوُّلاتِ، ومِنَ الاستِقراءِ العامِّ في طولِ هذه المرحلةِ استِفحالُ المسألةِ الاقتِصاديةِ، وزيادةُ الغلاءِ، وارتِفاعُ الأسعارِ، واضطرابُ العُملاتِ والمواردِ، واتِّساعُ مبدأِ «الفوضى الخلَّاقةِ» التي تدفعُ بها قُوى الشرِّ في العالمِ لإعادةِ السيطرةِ السياسيةِ والاقتِصاديةِ على العالمِ، مِمَّا يترتَّبُ علَيهِ دُخولُ الأُمَّةِ إلى مرحلةِ الاستِنفارِ، وهي المرحلةُ التي تنكشِفُ فِيها أوراقُ الدجلِ والدجاجلةِ، وتُعرَفُ حقيقةُ المؤامراتِ التي تُحاكُ ضِدَّ الشُّعوبِ المُسلمةِ وضِدَّ الإنسانيةِ بِعُمومِها. ولكن دونَ قُدرةِ الشُّعوبِ على التغييرِ أوِ النُّهوضِ المُباشِرِ لِضعفِها الدينيِّ وضعفِها الاقتِصاديِّ واختِلافِها السياسيِّ والاجتِماعيِّ، واختِلافِ المُسلِمين المعنيِّين بِالأمرِ فيما بَينَهم على المذاهِبِ والجماعاتِ والأحزابِ والرؤى المؤديةِ إلى الفشلِ والحَيرةِ[1].

---

(١) ويليق بنا هنا ونحن نقرر هذه المرحلة استنادا على ما فهم من استقراء الأحاديث فإننا نشير إلى ضرورة المراجعة الملحة في داخل الخيمة الإسلامية، وخصوصا بين عناصر الديانة المتخذة صفة الصراع والتحريش حول المعتقدات والعادات وبعض وسائل العبادات أو التحريش السياسي بين الأنظمة والأحزاب المختلفة أن تعي الأمر وتنظر للمسألة بحسن تبصر وتؤدة وخصوصا أن الفشل المشترك قد صار مظهر الجميع.

فالجميع ـ بشهادة من لا ينطق عن الهوى ـ غثاء في غثاء، ولا يخرج من هذا المعنى إلا العباد الزهاد المنقطعون لله بعيدا عن طرفي الإفراط والتفريط المحتدم، وأما ركام الأنظمة والمؤسسات والأكاديميات فلست أفشي سرا إذا قلت: إن الجميع يسيرون ضمن الاتجاه الإجباري على طريق جحر الضب على غير ضابط شرعي ولا رادع طبعي.

وتكادُ الظواهرُ اللائحةُ اليومَ في بعضِ البلادِ الإسلاميةِ تشيرُ إلى بداياتِ مرحلةِ الاستنفارِ الموعودةِ، كمثلِ ما يدورُ في العراق ، وهي من بلادُ المشرق ، وما يدورُ في بلاد المغربِ ، وخاصةً في تونسَ ومصرَ من التحولِ السياسيِّ بهبّاتِ الشعوبِ وتحدِّيها للأنظمةِ والرموزِ .

وقد ورد في الروايات عن فتنِ المغربِ ما مثاله : عن أبي الوليد أزهر بن قيس صاحب النبي ﷺ قال : إنه كان يتعوذ من فتنة المغرب . وفي لفظٍ لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٨٨) أنه كان ﷺ يتعوذُ بالله من فتنةِ المشرقِ ، فقيل له : كيف فتنةُ المغربِ؟ قال : «**تلكَ أعظمُ وأعظمُ**». وفي لفظٍ لنعيمِ بنِ حمادٍ (٧٤٨): «**تلكَ أعظمُ وأطمُّ**»[١].

وَمِمَّا يُؤَيِّدُ تَدَاخُلَ المَرْحَلَتَيْنِ الإِسْتِثْمَارِ وَالإِسْتِنْفَارِ قَوْلُهُ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ أبونُعَيْمٍ في «الفتن» : «أَرْبَعُ فِتَنٍ تَكُونُ بَعْدِي ـ حَتَّى ذَكَرَ الرَّابِعَةَ ـ عَمْيَاءُ صَمَّاءُ تُعْرَكُ فِيهَا أُمَّتِي عَرْكَ الأَدِيمِ[٢]» ، «تَغْشَى العِرَاقَ وَتَطِيفُ بِالشَّامِ وَتَخْبِطُ الجَزِيرَةَ»[٣] ، كَمَا أَوْرَدَ نُعَيْمٌ مَقُولَةَ كَعْبِ الأَحْبَارِ (٥٨٥) : لَيُوشِكَنَّ العِرَاقُ يُعْرَكُ عَرْكَ الأَدِيمِ ، وتُشَقُّ الشَّامُ شَقَّ الشَّعْرَةِ ، وَتُفَتُّ مِصْرُ فَتَّ البَعْرَةِ ، فَعِنْدَهَا يَنْزِلُ الأَمْرُ .

وكأني بقوله: (يَنْزِلُ الأَمْرُ) أي: يحصلُ قضاءُ اللهِ وقَدَرُهُ كثمرةٍ من ثمرات الانحراف ، وعُقُوبَةٌ وفتنةٌ مبرمةٌ لا مفرَّ منها ، وعلامتُها بلوغُ الفتنة الشامَ كما روى أحمد في مسنده : «يكونُ في الأمةِ خمسٌ ـ أي : من الفِتَنِ وذَكَرَ الأربعَ ـ ثم قال: وبَقِيَتْ واحدةٌ وهي الصَّيْلَمُ». ثم قال الراوي : (وهي فيكم يا أهلَ الشامِ ، فإن أدركتَها فإنِ استطعتَ أن تكونَ حَجَراً فَكُنْهُ ، ولا تكنْ مع واحدٍ من الفريقينِ.. وإلا فاتخذْ نَفَقاً

ولأننا جميعاً أمام مرحلة الاستنفار فلا بد لنا من فهم «المعنى والمقصد» ؛ لتجتمع قلوبنا وعقولنا على كلمة سواء ـ ولو من بعض الوجوه على القواسم المشتركة ـ ونرص صفوفنا أمام العدو المشترك ... فلعل وعسى .

(١) قال الهيتمي في «المجمع» : رجاله ثقات. راجع «التهذيب الحسن» ص١٦٥.

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨٨) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد في حديث آخر برقم (٦٧٦) .

في الأرض[1].

والمقصـودُ بقولـه: (وهي فيكم يا أهل الشـام) أنها فتنةُ تبدأُ في موقـعٍ مُعَيَّنٍ من الوطن العربي، ثم تمتدُّ حتى تبلغ الشام، فعندها تُسمى (الصيلم)، ومنه اشْتُقَّ اسمُ (الصيلمة) كمرحلة، ويؤيدُ ذلك ما أُثِرَ عن ابن مسـعود: لكل فتنةٍ شـوىً[2]، حتى تكونَ بالشـام، فإذا كانتْ بالشـام فهي الصَّيْلَمُ، وهي الظُّلمَـةُ)[3]، ومعنى الصَّيْلَمِ: الدَّاهِيَةُ أو الكارثةُ التي تستأصلُ كل شيءٍ، والله أعلم.

وَتَنْطَبِقُ هذه الحالةُ عند المقارنةِ بما يعيشُه العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ اليوم، بدءاً بما جرى في العراق ثم في الشـام ومصر واليمن وغيرها، وليس ببعيدٍ عند التأمل فـي مدلـولِ الرمز أن في (الصوملة) كما تسـمى في قاموس المرحلـة لفظاً مقلوباً (للصيلمـة) مع تقـارب المعنى، و(الصوملـةُ) فتنةٌ بَدَأَتْ بالصومـالِ، ثم صارتْ مدرسـةً شَـرِّيَّةً حيثمـا نَزَلَتْ وكانـت، وكان وقوعُها مصاحباً وممهداً للمشـار إليه بفتنة (الصَّيْلَمِ)، والله أعلم.

الاصطدام المباشر بَينَ الشعوب ورواد الفوضى الخلاقة

وفيها يبدأُ نوعٌ مِنَ الاصطدامِ المُباشِـرِ بَينَ الشُّـعوبِ وبَينَ المُستثمِرِ الكافِرِ على صِفةِ الصِّراعِ على قضايا الأمةِ المصيريةِ وعلى مكاسبِ الحياةِ وموارِدِها وثرواتِها، وفي آخرها يُحسرُ الفُراتُ عن جبلٍ مِن ذهبٍ يقتتِلُ عليهِ مِن كُلِّ فئةٍ تسعةٌ وتسعون ... قالَ ﷺ: «**يُحسرُ الفُراتُ عن كنزٍ فإن أدركتَه فلا تأخُذْ منه شَيئًا**»[4].

وفي أُخرياتِ هذه المرحلةِ تبدأُ المرحلةُ السُّفيانيةُ الأولى ثُمَّ الثانيةُ، وفي بعضِ الرِّواياتِ مرحلةٌ ثالِثةٌ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) مسند أحمد (٢٠٦٩٦).

(٢) شوى الشيء أطرافه، وهي هنا بمعنى الشيء الهين اليسير الذي يصيب الأطراف.

(٣) الفتن لنعيم بن حماد (٦٥٩).

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٧١٠).

و - المرحلةُ السُّفيانيةُ الأُولىٰ وَالثَّانِيَةُ

مُجمـلُ التعريفِ بهـا أنَّها مرحلةٌ مُضطرِبـةٌ بِالحُروبِ والفِتنِ فـي العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، ويُشيرُ إلَيها ما أخرجَه ابنُ عساكِرَ في تاريخِه عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون على بابِ بيتِ المقدِسِ وما حولَها، وعلى أبوابِ إنطاكيـةَ وما حولَها، وعلى أبوابِ دِمشـقَ وما حولَها، وعلـى أبوابِ الطالقان وما حولَهـا، ظاهِرينَ على الحقِّ لا يسـألون مَن خذلَهم ولا مـن نصرَهم؛ حتَّى يُخرِجَ اللَّهُ كنزَ الطالقان فيُحيي بهم دينَه كما أُميت مِن قبلِ**»[1].

والسُّـفيانيُّ حاكِمٌ بطّاشٌ كما وردَ في الحديثِ عـن جراحٍ عن أرطأةَ قالَ: «**يقتُلُ السُّـفيانيُّ كُلَّ مَن عصاه، وينشُـرُهم بالمناشـيرِ، ويطبُخُهم بالقدورِ سـتةَ أشـهُرٍ. قالَ يلتقي المشـرقين والمغربين**»[2]، وفي رِوايةٍ: «**السُّـفيانيُّ شـرُّ مَن مَلَكَ، يقتُلُ العُلماءَ وأهلَ الفضلِ ويُفنيهم، ويستعينُ بهم، فمن أبى علَيهِ قتلَه**»[3].

السفياني يقتل العلماء أو يستفيد مِنهم في تنفيذ سياسته

وفـي الحديـث: «**تكونُ علامةٌ في صفرٍ، ويبتدئُ نَجمٌ له ذنابٌ**»[4]، وإلَيه يُشـيرُ حديثُ خالِدِ بنِ معدانِ: «**إنَّه ستبدو آيةٌ عموداً من نارٍ يَطلُعُ مِن قِبلِ المَشرِقِ، يَرَاهُ**

---

(١) «فضائـل الشـام ودمشـق» لأبـي الحسـن الربعـي (١١٢) و«تاريـخ دمشـق» لابن عسـاكر (١:٢٥٧).

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٢٢٣)، اختلف العلماء في مسمى السفياني: هل هو فرد من أسرة بني أمية؟ أم ما قيل من أنه سـفياني السياسـة؟ أي: يتبع سياسـة الملك العضوض، أم غير ذلك. وقد رد بعضهم أحاديث السفياني، وأنه لم يصح في خبره شيء، ومن ذلك ما ذكره مؤلف «فقه أشـراط السـاعة» نقلاً عن العلامة ابن قدامة رحمه الله قال: اعلم رحمك الله تعالى أنه لم يصح شـيء في أحاديث السـفياني، سـواء منها ما كان مرفوعا أو موقوفا. قال ابن قدامة رحمه الله تحت عنوان «السفياني والمهدي»: قال محمد بن جعفر: وهي هذه الأحاديث التي نهى أحمد بن إسحاق بن داود عن التحديث بها ... وساق الأحاديث. اهـ ص٦٤-٦٥ «فقه أشراط الساعة» ليوسف الوابل.

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨٢٥).

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٢٥).

أهلُ الأرضِ كُلُّهم ، فمن أدركَ ذلِكَ فليُعِدَّ لِأهلِه طعامَ سـنةٍ»[١] . وعنه أيضًا : «**إذا رأيتُم عمودًا مِن نارٍ من قِبَلِ المشرقِ في شهرِ رمضانَ في السماءِ فأعِدُّوا مِنَ الطعامِ ما استطعتُم فإنها سنةُ جوعٍ** ... »[٢] .

علامات كونية وظواهر مناخية: عمود النار

ورُبَّما يكونُ المقصودُ مِن «عمودِ النَّارِ» في بعضِ المعاني أنَّه انفِجارٌ في كَوكبٍ أو نَجـمٍ يظلُّ مُشـعًّا نارًا مُدَّةً طويلةً فيراه أهلُ الأرضِ علـى تِلكَ الصِّفةِ ، وهي بِلا شكَّ علامةٌ كونيةٌ .

ويُخسَـفُ بِقريـةٍ في الشـامِ مِـن قُرى دِمشـقَ ، ولعلَّهـا ـ كما ذكرَ ذلِـكَ صاحبُ الإشاعةِ ـ قريةُ «حرستا» ويسقُطُ الجانِبُ الغربيُّ مِن مسجِدِها[٣] .

شخصيات قيادية متنازعة

ويظهرُ في عهدِ السُّفيانيِّ كُلٌّ مِن : «الأبقعِ ، والأصهبِ ، والأعرجِ» . وتقومُ بَينَ السُّفيانيِّ وبَينَهمُ الملاحِمُ القِتاليةُ حتَّى ينتصِرَ السُّفيانيُّ على الراياتِ الثلاثِ خِلالَ سنةٍ كامِلةٍ ، وإلى ذلِكَ يُشيرُ حديثُ أرطأةَ المرويُّ في كِتاب الفِتَنِ لنُعَيم بن حمَّادٍ مِن قولِه : «السُّفيانيُّ الذي يموتُ ، الذي يُقاتِلُ أوَّلَ شَيءٍ الراياتِ السُّودِ والراياتِ الصُّفرِ في سُـرَّةِ الشـامِ ، مخرجُه مِنَ «المنذروز» شـرقيِّ بيسـانَ على جملٍ أحمرَ علَيهِ تاجٌ يهزِمُ الجماعةَ مرَّتَينِ ، ثُمَّ يهلكُ وهو يقبلُ الجِزيةَ ، ويسبي الذُّريةَ ، ويبقرُ بُطونَ الحبالى ... »[٤].

الرايات السود والصفر رموز لقوى محلية واعدة

ازدياد الأذى لآل البيت بعمومهم

ويـزدادُ الأذى فـي هذه المرحلةِ لبني هاشِـمٍ لِما يُرى مِن تعلُّـقِ الناسِ بِالمهديِّ وأحفادِه قُبيلَ ظُهورِه ، ويُقتَّلون ويُشرَّدون في أنحاءِ الأرضِ . وفي كتاب «الإشاعةِ» لِلأعدادِ مِنَ القتلى وذِكرٌ لأسماءِ البِلادِ التي يكونُ فِيها الهلاكُ لِبني هاشِمٍ .

الجيش الذي يخسف به بَينَ مكَّة والمدينة

ويُخسَـفُ بجيـشِ السُّـفيانيِّ فيما بَيـنَ مكَّةَ والمدينـةِ ، ولا يفلِتُ مِنهـم أحدٌ إلَّا رجُلَين «بشـيرٌ ونذيرٌ» ، أمَّا البشـيرُ فيأتي إلـى الإمامِ المهديِّ في مخبئـه لِيُخبِرَهم

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٣٣) .
(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٤٩) .
(٣) «الإشاعة» ص٢٠٢ .
(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨١٠) .

بِما حصلَ ، ونذيرٌ يأتي إلى السُّفيانيِّ لِيُخبِرَه أيضًا بما حلَّ لِأصحابِه ، ويُشيرُ إلى ذلِكَ ما وردَ في كِتاب «الفِتَنِ» : «**لا ينجو منهم أحدٌ إلَّا رجُلٌ واحِدٌ يُحوِّلُ اللَّهُ وجهَه إلى قفاه ؛ فيمشي كمِشيتِه كانَ مستويًا بَينَ يدَيه**»[1] ، ويُؤيِّدُ هذا ما روَتْه عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «**يغزو جيشٌ الكعبةَ ، فإذا كانوا بِبَيداءَ مِنَ الإرض يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخرِهم**» قالَت : قلت : يا رسولَ اللَّهِ يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخِرِهم وفيهم أسواقُهم ومَن لَيسَ مِنهم ؟! قالَ : «**يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخِرِهم ، ثم يُبعثون على نيَّاتِهم**»[2] .

وفي كِتابِ الفِتَنِ لنعيم بن حماد حديثُ : «**في زمنِ السُّفيانيِّ الثاني المُشوَّه الخلقِ هدةٌ بِالشامِ حتَّى يظُنَّ كُلُّ قَومٍ أنَّه خرابُ ما يليهم**»[3] .

مرحلةُ ما قبلَ الإمامِ المهديِّ . . وهل يَسبِقُها قِيامُ خِلافةٍ راشِدةٍ ؟

مرحلة ما قبل الإمام المهدي

لم يسبقْ لِأحدٍ مِن عُلماءِ الإسلامِ ـ المعروفين في تاريخِ الكتابةِ عن علاماتِ الساعةِ ـ أن ذكرَ قِيامَ خِلافةٍ راشِدةٍ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ قبلَ ظُهورِ الإمامِ المهديِّ وبعدَ المرحلةِ السُّفيانيةِ أو خِلالَها ، إلَّا أنَّ المُلفِتَ للنظرِ تبنِّي بعضِ المُتأخِّرين هذه الفكرةَ والإصرارَ علَيها ، بل واعتبروا النفيَ لِهذا مِن قبيلِ الخُرافةِ والضلالةِ ، التي ألقاها الشَّيطانُ في قُلُوبِ كثيرٍ مِنَ العامَّةِ وبِخاصَّةِ الصُّوفيةُ مِنهم ، حسبَ قولِهم »[4] .

الخِلافة الراشدة بشروطها لا تكون إلَّا بالمهدي

ولِأنَّ الخِلافةَ الراشِدةَ على وجهِها الشرعيِّ مطلبٌ إسلاميٌّ عظيمٌ ، ولَيسَت مُجرَّدَ تخرُّصاتٍ وتمنياتٍ وأراجيفَ ؛ فالجزمُ بها قبلَ مرحلةِ الإمامِ المهديِّ تحتاجُ إلى تأكُّدٍ وحُسنِ بحثٍ في معاني الأحاديثِ المُحتجِ بها ، وخاصَّةً أنَّ تحقيقَها ـ أي: الخِلافةَ ـ في العالمِ سيُصلِحُ اللَّهُ به شأنَ الجميعِ ، ولن يكونَ الفضلُ فِيها لِما يدورُ مِن «تسييسِ الصراعِ بَينَ المُسلِمين أوِ التحريشِ العقديِّ

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٤٩) .

(٢) «صحيح البخاري» (٢١١٨) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٢٦) .

(٤) راجع كتاب «فقه أشراط الساعة» د . محمد أحمد إسماعيل المقدم ص (٢٢٥-٢٣٢) .

والفِكـريِّ بَيـنَ المُصلِّين» وإنَّما سـيكونُ حقيقةً على «قواسِـمِ الديانةِ المُشـتركةِ» لِلطائفةِ المنصُورةِ عِندَ وُجودِها على المعنى المُشـارِ إلَيه في الأحاديثِ، والمعنى المُشـارِ إلَيه في الأحاديثِ أنَّ الطائفةَ المنصورةَ ـ التي لا يحُدُّها مكانٌ مُعيَّنٌ، ولا مذهـبٌ بِعَينِـه، ولا تنطـوي تحتَ ظِلِّ دَولةٍ ولا سياسـةٍ ـ فئةٌ تعمَلُ فـي أرضِ اللَّهِ على تهيئةِ ظُروفِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ، ولكِن دونَ أن تُقيمَ هذه الطائفةَ شكلًا مِن أشكالِ الإدارةِ السياسيةِ العامَّةِ تحتَ مُسمَّى الخِلافةِ السياسيةِ لِلإسلامِ[1].

قـالَ مُؤلِّفُ كِتابِ فِقهِ علاماتِ السـاعةِ: «والخِلافةُ لن تسـقُطَ على المُسـلِمين في قِرطاسٍ مِنَ السـماءِ، ولكِنْ لِلنَّصرِ أسـبابُه المُتعدِّدةُ، وقد بشَّرَ النبيُّ ﷺ بفتحِ رُوميةَ، وهذا الفتحُ لن يتِمَّ إلَّا بالجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، والصبرِ علَيهِ وبذلِ الأمـوالِ والأنفُـسِ. والخِلافةُ التـي يقيمُها هذا الجِهادُ خِلافةٌ راشِـدةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ»[2]. اهـ.

بعض التحريف في معاني الأحاديث سببه عدم دراسة فقه التحولات

وقـالَ أيضـاً: وقـد وردَت أحاديـثُ يُفهَمُ مِنهـا قيامُ خِلافةٍ راشِـدةٍ قبـلَ خُروجِ المهديِّ، مِنها:

مـا رواه ابـنُ حوالةَ الأزديِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: وضعَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ يدَه على رأسـي إلى هامتي، ثُمَّ قالَ: «**يا ابنَ حوالةَ، إذا رأَيتَ الخِلافةَ قد نزلَتِ الأرضَ المُقدَّسـةَ فقد دنَتِ الزلازِلُ والبلابِلُ والأُمورُ العِظامُ والساعةُ يومئذٍ أقربُ مِنَ الناسِ مِن يدي هذه مِن رأسِكَ**»[3].

ومِنهـا مـا رواه مُعاذُ بنُ جبـلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ: «**عُمـرانُ بَيتِ المقـدِسِ خرابُ يثـربَ، وخرابُ يثربَ خُروجُ الملحمةِ، وخُـروجُ الملحمةِ فتحُ**

---

(١) لأن الخلافـة نظـام يوحـد الأقاليم، ويوحـد قرار السـلم والحرب فيها عمومـا، بعيداً عن المناطقية والإقليمية والحدود الذاتية، وهذا غير ممكن في ظل ما وصفته النصوص النبوية من الهرج والمرج والجور والاقتتال؛ ولكن المتابعة والملاحظة لما يقال مكسب معرفي.

(٢) «فقه أشراط الساعة» (ص/ ٢٢٩).

(٣) «سـنن أبـي داود» (٢٥٣٥) و«المسـتدرك على الصحيحيـن» (٨٣٠٩) وقال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و«مسند أحمد» (٢٢٤٨٧).

القُسـطنطينيةِ ، وفتحُ القُسـطنطينيةِ خُروجِ الدَّجَّالِ» ثُمَّ ضربَ بيدِه على فخِذِ الذي حدَّثَـهُ منكبِـه ثُمَّ قـالَ : «**إنَّ هذا الحـقَّ كما أنَّكَ هنـا أو كما أنَّكَ قاعِـدٌ**»[1] . وفتحُ القُسطنطينيةِ سيتِمُّ في زمنِ المهديِّ ، الذي هو في زمنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2] .

استمرار الجهاد في سبيل الله في عصر المهدي

قالوا : وعُمرانُ بَيتِ المقدِسِ[3] سيكونُ بالخلافةِ النازِلةِ فيه وهذا يستلزِمُ تحريرَ القُدسِ ، وتحريرُها سيستلزِمُ قيامَ الجِهادِ الشرعيِّ الإسلاميِّ ضِدَّ اليهودِ هُناكَ .

ومِنها ما رواه المِقدادُ بنُ الأسـودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : سـمِعتُ رسـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «**لا يبقى على ظهرِ الأرضِ بَيتُ مُدرٍ ولا وبرٍ إلَّا أدخلَه اللَّهُ كُلَّه الإسلامَ بعزِّ عزيزٍ أو ذُلِّ ذليـلٍ ، إمـا يُعزُّهمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيجعلُهم مِن أهلِها ، أو يذِلُّهم فيدينون لَها**»[4] ، قالوا : وقَولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**فيدينون لَها**» فيه إشـارةٌ إلى الجِزيةِ وإشـارةٌ أُخرى إلى أنَّ هذا إنَّما يكونُ قبلَ نُزولِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأنَّه لا يقبلُ الجِزيةَ مِن أحدٍ .

قُلتُ : وقبلَ نُزولِ المسيحِ إنَّما هو ظُهورُ الإمامِ المهديِّ ، وقُبَيلَ الإمامِ المهديِّ فِتَـنٌ كقِطَـعِ اللَّيلِ المُظلِمِ ، وفِيها يكونُ تمهيدٌ لِظُهورِه دونَ قِيامِ حُكمٍ عامٍّ لِلخِلافةِ ولَيسَ غَيرَ ذلِكَ .

بـل إنَّ كافَّـةَ الأحاديثِ المُسـتدَلِّ بها لَيسَ فِيها شَـيءٌ يدُلُّ على قِيـامِ خِلافةٍ قبلَ الإمامِ المهديِّ ، ولا إشارةٌ ظاهِرةٌ أو خفيةٌ فيا سُبحانَ اللَّهِ[5] !

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٤) و«مسند أحمد» (٢٢١٢١) .

(٢) وفي كلامِه تداخُلٌ غريبٌ ؛ فمرحلةُ المهديِّ سابِقةٌ لِعهدِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وليست كما عبَّرَ عنه «زمنُ المهديِّ هو زمنُ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ» وإنَّما يأتي عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أُخرياتِها ، وقد حُوصِرَ الإمامُ المهديِّ بِبَيتِ المقدِسِ .

(٣) علـى مـا ذكـره الناقـل : عمران بيت المقدس سـيكون بالخلافـة ، فماذا يعني مـا يقابله من خـراب يثـرب فالجهاد في بيت المقدس يقام بأهلها ، ومـن ذا الذي يخرب يثرب ؛ ليكون بعدها خروج الملحمة . «فقه أشراط الساعة» ص٢٢٨ .

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٨١٤) .

(٥) كتـب صاحـب «كتاب أشـراط السـاعة» ص٢٥٨ « وعـن جابر بن عبداللـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سـمعت رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقـول : «**لا تزال طائفة مـن أمتي يقاتلون على الحـق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال : «**فينزل عيسـى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول أميرهم تعال صل بنا ، فيقول لا إن**

أسباب خُروج الدجال

وأمَّـا الأحاديثُ التي تدُلُّ على حُدوثِ قِتالٍ بَينَ المُسـلِمين واليهودِ وانتصارِهِم على اليهودِ قبلَ زمنِ الدَّجَّالِ فإنَّما هي الحُروبُ التي يُقيمُها الإمامُ المهديُّ وأتباعِه ويُتوَّجُهـا بعدَ ذلِكَ بِغزوِ رُومِيةَ وأخـذِ كُنوزِها إلى بَيتِ المقدِسِ ، فيكونُ ذلِكَ مِن أسبابِ خُروجِ الدَّجَّالِ وغضبِه .

قُلتُ : ويبدو أنَّ هذه المسـألةَ قد التبسَـت على كثيرٍ مِنَ الرُّواةِ وشُرَّاحِ الحديثِ، والمُعتقَـدُ أنَّ هُنـاكَ مدينتين وليسَـت مدينـةً واحِـدةً ، فمدينةٌ هي «القُسـطنطينيةُ» وأُخـرى «رُوميـةُ» كما وردَ فـي رِواياتٍ أُخرى ، فالقُسـطنطينيةُ فُتِحَـت على عهدِ مُحمَّدِ الفاتحِ ، والثانيةُ «روميةُ» سـتُفتَحُ في آخِرِ الزمانِ ، ويُؤيِّدُ هذا المعنى ما في مُسـندِ أحمدَ (٦٦٤٥) حدَّثَنا يحيى بنُ إسـحاقَ حَدَّثنا يحيى بنُ أيُّوبَ حدَّثَني أبو قَبيـلٍ قـالَ : كُنَّا عِندَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ، وسُـئِلَ أيُّ المدينتَين تُفتَحُ أوَّلًا القُسـطنطينيةُ أو روميـةُ فدعَا عبدُ اللَّهِ بصُندوقٍ له حلقٌ قـال : فأخرجَ مِنهُ كتابًا قالَ

بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة» رواه مسـلم كتاب الإيمان . قال المؤلف : فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين أحدهما أنه عند نزول عيسـى بن مريم عليه السلام من السـماء يكون المتولي لأمر المسـلمين رجلا منهم ، والثاني أن حضور أميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح في هذا الأمير ، وهي وإن لم تكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلا أنها تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت ، وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسـانيد وغيرها مفسـرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى محمد بن عبدالله ، ويقال له : « المهدي » والسنة تفسر بعضها بعضاً .

وقال وقد أورد الشيخ صديق حسن في كتابه «الإذاعة» جملة كبيرة من أحاديث المهدي جعـل آخرهـا حديث جابر المذكور عند مسـلم ، ثم قال عقبه : «وليس فيـه ذكر المهدي ، ولكـن لا محل له ولأمثاله في الأحاديث إلا المهـدي المنتظر كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة . اهـ (ص٥٩) «أشراط الساعة» يوسف الوابل .

قلـت : وعلى هـذا القول يبطل قول من قـال : «إن رفض الخلافة الراشـدة قبل المهدي هـي مـن قبيل الخرافة والضلالة التي ألقاها الشـيطان في قلوب كثير مـن العامة ، وبخاصة الصوفية منهم» . راجع (ص٢٢٥) «فقه أشراط الساعة» .

فقالَ : عبدُ اللَّهِ بَينَما نحنُ حولَ رسـولِ اللَّهِ ﷺ نكتُبُ إذ سُـئلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أيُّ المدينتَيـن تُفتَحُ أوَّلًا قُسـطنطينيةُ أو روميةُ ؟ فقالَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ : «**مدينةُ هِرقلَ تُفتَحُ أوَّلاً**» يعني : قُسطنطينيةَ[1] .

والواضِـحُ مِنَ المُتابعةِ لِلأحاديثِ أنَّ مدينةَ «هِرقلَ» هي «القُسـطنطينيةُ» عاصِمةُ تُركيا اليومَ ، والتي فتحَها السُّلطانُ مُحمَّدُ الفاتِحُ ، وسمَّاها العُثمانيون «إسلامبولُ» أي : مدينةُ الإسلامِ ، وسُمِّيَت بِالآستانةِ فيما بعدُ ، ثُمَّ إستانبولُ الآنَ ، وهي المعنيةُ بِالفتـحِ الأوَّلِ ، وأمَّـا الفتحُ الثاني : فهو فتحُ رُوميةَ ، المُسـمَّاةُ في بعضِ الأحاديثِ «مدينةُ الكُفرِ» ، وقد بوَّبَ لها الداني بهذا الاسمِ «مدينةُ الكُفرِ» كما هو في مصنَّفِ ابنِ أبي شَيبةَ (٨/ ٣٦٥) : حدَّثَنا ابنُ إدريسَ عن مُسعرٍ عن أبي حُصَينٍ عن الشعبيِّ عن مالِكِ بن صحارٍ قالَ : غزَونا بلنجرَ فلم يفتحوها ، فقالوا : نرجِعُ قابِلًا نفتحُها ، فقالَ حُذيفةُ : لا تُفتَحُ هذه ولا مدينةُ الكُفرِ ولا الدَّيلمُ إلَّا على الرجُلِ مِن أهلِ بيتِ مُحمَّدٍ ﷺ[2] .

وبِمُتابعـةِ هـذه الرِّوايـاتِ يتبيَّـنُ كما سـبقَ ذِكـرُه أنَّ فتـحَ رُوميةَ سـيأتي في آخِرِ الزمـانِ علـى يـدِ الإمامِ المهـديِّ ، وأمَّا فتـحُ القُسـطنطينيةِ فقد تمَّ على يـدِ مُحمَّدٍ الفاتِحِ العُثمانيِّ مِن قبلُ ، وإنَّما حصلَ خلطٌ بَينَ الاسـمينِ وذُكِرَا في مُسمًّى واحِدٍ «القُسطنطينيةُ» ، وبهذا حصلَ اللَّبسُ في فهمِ المعنى ، واللَّهُ أعلمُ[3] .

---

(١) «مسند أحمد» (٦٦٤٥) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٨٠٥) .

(٣) قال الأسـتاذ سـعيد حـوى في معـرض حديثه عن علامات السـاعة: وبعـض الناس تغلب عليهـم أغـلاط في فهم بعض هـذه العلامات أو فـي تقدير وقتها إذ إن منهـا ما يكون قرب السـاعة بقليـل جـداً قبل المسـيح بسـنوات أو معـه ومنها مـا يكون قبـل ذلك بكثيـر جداً فيغلطـون بالجمع بينهمـا ومنها ما لا تدل عليـه المقدمات الحاضرة فيغلطـون في تأويلها ومنهـا ما جعلهم عصرنا الحاضـر ومخترعاته يفهمونها فهما عاديـاً وهي خوارق ومنها ما هـو دليل على الخيرية يظنونه مذموماً فمثلا يظن الناس أن الدين إلى انحسـار حتى خروج المهـدي ، مـع أن المهـدي قبل عيسـى بقليل وقبل ذلك يعم الإسـلام العالـم وتفتح روما والقسـطنطينية اليوم مسـلمة وكانت كافرة ففتحت وقد أخبر النبي ﷺ بالفتح الأول ولكن

وهـذا ما تـدُلُّ علَيهِ الأحاديثُ الصريحةُ دونَ الحاجةِ لِلاستِدلالِ بوُجودِ خِلافةٍ قبـلَ الإمامِ وحـربٍ معَ اليهودِ مِن غَيرِ أتبـاعِ الإمامِ المهديِّ لا بإشـارةٍ ظاهِرةٍ ولا خفيَّةٍ ، فليُنظر .

لقدِ اعتقدَ بعضَ هؤلاءِ أنَّ مفهومَ الطائفةِ المنصورةِ والطائفةِ التي لا تزالُ ظاهِرةً على الحقِّ ؛ أنَّهم مَن تعنيهم هذه الأقلامُ ، وتشيرُ إلَيها تِلكَ الأفهامُ ، مِن مجموعةٍ احتكرَتْ مفهومَ «الفرقةِ الناجيةِ والطائفةِ المنصورةِ لِنفسِها» .

الأمر بيد الله.. ولا تسييس للطائفة المنصورة

والأمرُ بيدِ اللَّهِ ، ولا تسييسَ لِلمفاهيم فرُبَّما تكونُ الطائفةُ المنصورةُ والمُجاهِدون فـي أكنافِ بَيتِ المقدِسِ لَيسـوا مِنَ الصُّوفيةِ ولا مِـن معارضيهم بل رُبَّما كانوا ممن جمعَتهمُ القُدرةُ الإلهيَّةُ مِن أولئكَ ومِن غيرِهم ـ بواسِطةِ الإمامِ المهديِّ ـ بعدَ زوالِ فِتنةِ التحريشِ مِنَ المُصلِّين ، إذ لا حاجةَ لِلمُسلِمين بتصنيفِ جُيوشِ الفتحِ الجِهاديِّ في آخرِ الزمانِ مِن أيِّ مجموعةٍ كانوا ، فهذا استِعجالٌ مذمومٌ وتسييسٌ نفعيٌّ معلومٌ، ويؤكِّـدُ هـذا الملحـظَ ما أشـارَ إلَيه مُؤلِّـفُ الكِتـابِ (ص٢٣٦) قال : «ومِـنَ الأدلةِ الدامغةِ على أنَّ الخِلافةَ ترجِعُ قبلَ هذا الخليفةِ الصالِحِ أنَّ المُسـلِمين يسـترجِعون بَيتَ المقدِسِ مِنَ اليهودِ ، بَينَما المهديُّ يكونُ عِندَ ظُهورِه في بَيتِ المقدِسِ[1] ، أي

يبدو أن القسـطنطينية سـترجع كافـرة مرة ثانية وتفتح مـن جديد وفتحها الثانـي يكون قبل المسـيح بقليل والناس لا يفرقون بين فتحها الأول والثاني.. إلى أن قال: ولن تقوم الساعة حتى تستنفد علاماتها وأشراطها التي وردت في الكتاب والسنة . اهـ ص١٩٦ «فقه أشراط الساعة» .

(١) علق مؤلف كتاب «أشراط الساعة» عند هذا الموقع في الحاشية وقال : ولعل هذا مأخوذ من قوله ﷺ في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال «وكلهم ـ أي: المسلمين ـ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى.. الحديث» .

ولربمـا فهـم القـوم من هـذا أن الرجل غيـر الإمام المهـدي وعللوا هذه اللفظـة بأن بيت المقدس فيه خلافة سـابقة، وهذا فهم لا يتناسـب مع سـياق الحديث ولا مع ما ذكره شراح الحديـث فالرجل الصالـح هو الإمام المنتظر ـ على أصح الروايات ـ وينزل عيسـى ليصلي خلفه وما قبل ذلك كانت مرحلة تحت إدارة وإمرة الإمام المهدي ذاته ، وأما قبل ذلك فتهيئة واستعدادات غير مجتمعة ولا تحت قرار حكم خلافة بحال من الأحوال.. والله أعلم .

إنَّ بَيتَ المقدِسِ يكونُ في أيدي المُسلِمين ، وبَيتُ المقدِسِ الآنَ يرزحُ تحتَ نِيرانِ الاحتِلالِ الصَّهيونيِّ اليهوديِّ البغيضِ فلا بُدَّ مِن قِيامِ الخِلافةِ قبلَ المهديِّ ! لِأنَّها السبيلُ الوحيدُ لاسترجاعِ مجدِ الإسلامِ التليدِ» .

تعليلات غَير صحيحة لابد من الإجابة علَيها

وهذا مِنَ الافتراضِ الذي لا دَليلَ علَيهِ .

الجماعات الإسلامية

وقد نقلَ صاحِبُ الكِتابِ هذه العبارةَ مِن كِتابِ «الجماعاتِ الإسلاميةِ في ضوءِ الكِتابِ والسُّنةِ» كحُجَّةٍ على تأكيدِ الخِلافةِ قبلَ المهديِّ ، معَ أنَّ المُتأمِّلَ في العباراتِ والحديثِ المُشارِ إلَيه لا يُشيرُ إلى خِلافةٍ قبلَ الإمامِ ولا يُفهَمُ من فذلكةِ المعاني ما يؤكِّدُ ذلِكَ ، معَ أنَّنا لا نُنكرُها لو صحَّ دليلُها وخبرُها ؛ ولكنَّ إثباتَها لِمُجرَّدِ الظنيةِ أمرٌ لا يتناسبُ معَ الحقيقةِ ولا يخدُمُ معانيها الشرعيةَ .

مؤلف موسوعة الأشراط يوثق فهما خاطئا مفترضا لا دليل عليه كان منتشرا بين الجماعات الحركية ومقبولاً وهو الجزم بقيام خلافة في القدس قبل المهدي

وإلى مثلِ هذا أشارَ صاحِبُ كِتابِ «موسوعةِ أحاديثِ الفِتنِ وأشراطِ الساعة» د.همَّام عبدالرحيم سعيد في مقدمةِ الكتابِ فقال عند حديثِه عن لوازمِ القراءةِ الصحيحةِ لأحاديثِ علامات الساعة وأنّ منها جمعُ رِواياتِ الموضوعِ الواحد في سياقٍ واحدٍ ص١٠ : فقد كان يتبادرُ إلى فهمِنا مثلاً : أَنّ قتالَ المسلمين لليهودِ عندما يقولُ الشجَرُ والحجَرُ : يا مسلِمُ يا عبدَالله هذا يهوديٌّ ورائي تعالَ فاقتُلْهُ ؛ أنّ المرادَ به يمكنُ أن يكونَ في عصرِنا هذا في القتالِ مع اليهود ، ومع أن أحاديث الفتنِ تبشِّرُ بنصرِ المسلمين على اليهودِ في هذا العصر ؛ إلا أنّ ذلك القتالَ إنما يكونُ مع الدّجّال ، وذلك أنّنا لَمّا جَمَعْنا رواياتِ الحديثِ وَجَدْنا بعضَ الرواياتِ المطولةِ لهذا الحديث نَصَّتْ على أنّ هذه المعجزةَ إنّما تكونُ عندما يقاتِلُ عيسى بنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمسلمون الدجالَ ومعه اليهودُ .

القسمُ الثاني: العِلمُ بِالعلاماتِ الصُّغرى

وَتَمْتَدُّ دِرَاسَةُ هَذِهِ العَلَامَاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: **العَلَامَاتُ الأُصُولِيَّةُ الأَسَاسِيَّةُ**، خِلَالَ المَرْحَلَةِ المَكِّيَّةِ وَالمَرْحَلَةِ المَدَنِيَّةِ، وَهِيَ كُلُّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ القُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مِنْ مُجْمَلِ العَلَامَاتِ فِي الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ بِعُمُومِهَا، بِاعْتِبَارِهَا قَاعِدَةَ التَّعْيِينِ لِغَيْرِهَا مِنَ الأَوْجُهِ.

الوَجْهُ الثاني: العَلَامَاتُ الصغرى **الاستباقيةُ**، مِنْ وفاتِه ﷺ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: العَلَامَاتُ الصُّغْرَى **الِاسْتِقْرَائِيَّةُ**، مِنْ عَهْدِهِ ﷺ تَصَاعُدِيًّا إلى عَهْدِ تَكْوِينِ آدَمَ ثُمَّ خِلَافَتِهِ.

ونبدأ بعلامات مرحلة الرسالة في هذا السرد الذي ضمناه كافة العلامات الاستقرائية والاستباقية. وهذه العلاماتُ الأصوليةُ تبدأُ بمجرياتِ التحولاتِ منذ بعثةِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى مرحلة هجرته، ومن هجرتِه إلى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وتحتوي على جملة المفاصل الهامة في مسيرة التغيير المنصوص عليها في الكتاب والسنة والتي لم تندرج في العلامات الوسطى، ومنها:

١. حصار المسلمين في شِعْبِ أبي طالب
٢. موت السيدة خديجة عليها السلام
٣. موت أبي طالب عم النبي ﷺ
٤. بيعة العقبة الأولى والثانية
٥. الخروج إلى الطائف وأذى المشركين له
٦. نزول سورة القمر (انشقاق القمر)
٧. إسلام طائفةٍ من الجِنِّ
٨. اجتماع دار الندوة
٩. الإسراء والمعراج

١٠. إرهاصات الهجرة
١١. بناء مسجد المدينة
١٢. المؤاخاة
١٣. الأمر بالجهاد
١٤. الغزوات المفصلية: بدر ، أحد ، الأحزاب
١٥. فتح خيبر
١٦. غزوة تبوك
١٧. نزول آيات الإفك
١٨. نزول آية التخيير لنساء النبي ﷺ
١٩. آيات التطهير
٢٠. موت ابن سَلُول رأس النفاق
٢١. حنين الجِذْع وتسبيح الحصى
٢٢. زواجُ عَلِيٍّ من فَاطِمَةَ عليهما السلام
٢٣. ظهور الكذابين الأربعة
٢٤. صلح الحديبية
٢٥. فتح مكة
٢٦. غزوة حنين
٢٧. ظهور النفاق في قسمة الغنائم
٢٨. نزول سورة المنافقين
٢٩. نزول سورة براءة
٣٠. حجة الوداع
٣١. حديث الموالاة (غَدِيرُ خُمْ)
٣٢. «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» آخر خطبة رواها العِرْبَاضُ بن سارية عن النبي ﷺ
٣٣. مرض النبي ﷺ

٣٤. استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصلاة

٣٥. السقيفة وما جرى فيها

وأَمَّا العلاماتُ الاستباقيةُ التي ظَهَرَتْ بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكثيرة ومتنوعة ، ومنها:

٣٦. ارتباك الصحابة عند موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وثبات الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٣٧. مبايعة أبي بكر الصديق في السقيفة

٣٨. موت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ

٣٩. محاربة أهل الردة

٤٠. مقتل مسيلمة الكذاب ومقتلة القراء

٤١. جمع المصحف ثم موت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٢. خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٣. الفتوحات واستلام سراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سواري كسرى

٤٤. خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٥. فتنة الثوار ومقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٦. اختلاف الصحابة بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٧. خلافة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٨. خلافة الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٤٩. مرور القرون الثلاثة المفضلة

وضابطُ هذه العلاماتِ دَلَالَاتُها النَّصِّيَّةُ لِحُصُولِ تَحَوُّلٍ مُحَدَّدٍ تُشِيرُ إِلَيْهِ الأَحَادِيثُ في المَسِيرَةِ التَّارِيخِيَّةِ، وَهِيَ عَلَى صِفَتَيْنِ:

- إِمَّا أَنْ تَكُونَ العَلَامَةُ مُقَدِّمَةً لِلتَّحَوُّلِ ،
- وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَتِيجَةً لَهُ،

وَهَكَذَا..

وَهُنَا نُفَصِّلُ لِلْقَارِئِ جُمْلَةً من أَهَمِّ العَلَامَاتِ الصُّغْرَى الِاسْتِبَاقِيَّةِ ، والتي تَتَكَرَّرُ في أَزْمَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَتَشْتَدُّ في زَمَنٍ دُونَ آخَرَ ، ومنها :

٥٠. إمارةُ الصبيانِ

إمارة الصبيان
علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ، وهي تَقَلُّدُ صِغارِ السِّنِّ الأحداثِ المناصبَ الكبيرةَ التي لا يصلُحُ لها إلَّا حاذِقُ السِّنِّ وجليلُ المعرفةِ ، لِما يترتَّبُ على الحذقِ والمعرفةِ مِن مُراقبةٍ للَّهِ وحفظٍ لِلأمانةِ وصَونٍ للحُرُماتِ ورِفقٍ بالرعايا ، وفي رِوايةٍ أُخرى : «**إمارةُ السُّفهاءِ**» ، والسُّفهاءُ همُ الذين لا يرعوون ، ولا ينظُرون لِلأُمورِ بَروِيَّةٍ وضوابِطِ ديانةٍ .

وفي الأمرِ إشارةٌ إلى مرحلةِ المُلكِ العضوضِ مِن جِهةٍ ، كما قد ورد عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ : «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدَ اقْتَرَبَ : إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ إِنْ أَطَاعُوهُمْ أَدْخَلُوهُمَ النَّارَ ، وَإِنْ عَصَوْهُمْ ضَرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ**»[1] . وفي رِوايةِ ابنِ أبي شَيبةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ وَمِنْ إِمْرَةِ الصِّبْيَانِ**»[2] . وفي رِوايةٍ قامَ أبو هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على مِنبرِ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ دونَ مقامِ رسولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ بعتبةٍ ، فقالَ : «**ويلٌ لِلعربِ مِن شرٍّ قدِ اقتربَ ، ويلٌ لهم مِن إمارةِ الصِّبيانِ ، يحكُمون فيهم بِالهوى ، ويقتُلون بِالغضبِ**» [3] .

ومِن جِهةٍ أُخرى فإنَّ المعنى يعُمُّ كافَّةَ المراحِلِ التي برزَت فِيها إمارةُ السُّفهاءِ وتسلُّطُ الصِّبيانِ مِن أُمراءَ وحُكَّامٍ وحُدثاءِ الأسنانِ سُفهاءِ الأحلامِ ، تبرُزُ سفاهتُهم في واقعِ الحركةِ السياسيةِ بِكافَّةِ نماذجِها الحزبيةِ أوِ الفِئويةِ أوِ الحُكوميةِ التي عرَفَها العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ في مراحِلِ الاستِعمارِ والاستِهتارِ والاستِثمارِ ، وعمِلَت على إضعافِ شرفِ الإسلامِ في المُسلِمين بِاسمِ الرُّقيِّ والحضارةِ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٦) (٣٧٧٥١) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٥) .

(٣) «حليةِ الأولياء» لأبي نعيم (١: ٣٨٤) و«الزهد» لأحمد بن حنبل (١٠١٤) «إتحافُ الجماعةِ بِأشراطِ الساعةِ» للتويجريِّ (١: ٢٣٠) .

والتمدُّنِ والحُريةِ والمُساواةِ ، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ فيما رواه أنسُ بنُ مالِكٍ قالَ : قيل : يا رسولَ اللَّهِ . .متى يُترَكُ الأمرُ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكرِ ؟ قالَ : «**إذا ظهرَ فيكم ما ظهرَ في الأُمَمِ قَبلَكم**» قُلنا : يا رسولَ اللهِ.. وما ظهرَ في الأُمَمِ قبلَنا ؟ قالَ : «**المُلكُ في صِغارِكم ، والفاحِشةُ في كِبارِكم ، والعِلمُ في رذالتِكم ، إذا كانَ العِلمُ في رُذالَتِكم**»[1] .

وفي الحديثِ وفي غيره إشارةٌ إلى تلازُمِ الفسادِ في إمارةِ الصِّبيانِ والسُّفهاءِ، حيثُ يشملُ العديدَ مِن ظواهرِ الحياةِ الاجتِماعيةِ التي يُهَنْدِسُها أمراءُ وحُكَّامُ المراحلِ لِربطِ المُجتمع بمُسمَّيات الحضارةِ المادِّيةِ ، معَ تفسُّخٍ أخلاقيٍّ وضعفٍ عِلميٍّ شرعيٍّ وتقليدٍ واستِتباعٍ أعمى للكُفَّارِ ومشاريعِهِمُ الاقتِصاديةِ والإعلاميةِ والتعليميةِ والاجتِماعيةِ ... إلخ .

٥١. استفاضةُ المالِ والاستِغناءُ عنِ الصدقةِ

استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى اسْتِفَاضَةُ المَالِ وَكَثْرَتُهُ ، وهذه العلامةُ تحمِلُ معانيَ مِنها : أن يفيضَ المالُ فَيضًا ، ويكثرَ في أيدي الناسِ بعدَ فقرٍ مُدقع ، وقد تحقَّقَ مِثلُ هذا في عُهودِ الفُتوحاتِ ، وأكثرُها مطابقةً ما وقع في عهدِ عُمرَ بنِ عبدِالعزيزِ لِكثرةِ الأموالِ الحاصِلةِ مِنَ اقتسامِ أموالِ الفُتوحاتِ مِن بِلادِ الفُرسِ والرُّومِ ، ويُؤيِّدُ هذا حديثُ عديِّ بنِ حاتِمٍ قالَ : بَينَا أنا عِندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجُلٌ ، فشكا إلَيه الفاقةَ ، ثُمَّ أتاه آخرُ فشكا إلَيه قطعَ السبيلِ ، قالَ : «**يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرةَ ؟**» قُلتُ : لم أَرَهَا ، وقد أُنبِئتُ عنها ، فقالَ : «**فإن طالَت بكَ حياةٌ لتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحِلُ مِنَ الحِيرةِ حتَّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلَّا اللَّهَ ، ولئن طالَت بكَ حياةٌ لتُفتحَنَّ كُنوزُ كِسرى**» . قُلتُ : كسرى بنَ هُرمُزَ ؟! قالَ : «**كِسرى بنُ هُرمُزٍ ، ولئن طالَت بِكَ الحياةُ لترَيَنَّ الرجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّه مِن ذهبٍ أو فِضَّةٍ يطلبُ مَن يقبلُه منه فلا يجِدُ أحدًا يقبلُه منه**» . قالَ عديٌّ :

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٥) .

فرأيتُ الظعينةَ ترتحِلُ مِنَ الحِيرةِ حتَّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلَّا اللَّهَ ، وكنتُ فيمَن افتتحَ كُنوزَ كِسرى بنِ هُرمُزَ ، ولئن طالَت بِكم حياةٌ لتَرَون ما قالَ النبيُّ أبو القاسِم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[1] .

وأما الاستغناءُ عنِ الصدقةِ فيرجِعُ إلى معانٍ :

الاستغناء عن الصدقة له عدة معان

الأوَّلُ : ما قيلَ عن عهدِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقبلَه عهدُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، حيثُ استغنى الفُقراءُ عنِ الصدقةِ لِكثرةِ المالِ وعدالةِ توزيعِه .

والثاني : ما قد يحصُلُ في آخرِ الزمانِ كعهدِ الإمامِ المنتظِرِ ، وعهدِ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[2] .

الصدقات من الأموال المشبوهة

وهُناك معنًى ثالثٌ له عِلاقةٌ بالتحوُّلاتِ ، وهو ما يكثرُ في آخرِ الزمانِ مِنَ استِفاضةِ المالِ الحرامِ بكافَّةِ أنواعِه ، حتَّى يتأفَّفَ المؤمِنُ مِن أخذِ صدقتِه مِن أولئكَ المُتصدِّقين بِأموالِهِمُ المشبوهةِ .

سقوط قيمة العملة

وفسَّرَ بعضُهمُ الاستِغناءَ عنِ الصدقةِ في معنًى رابعٍ إلى تعفُّفِ الفُقراءِ عنِ الأموالِ ؛ لاضطرابِ حالةِ الأسواقِ وضعفِ الحركةِ التِّجاريةِ ، حتَّى تنعدِمَ الوارِداتُ المُشتراةُ إما بِسببِ الحُروبِ ، وإما بِسببِ خَوفِ الناسِ مِنَ القيامةِ فتتكدَّسُ الأموالُ وتفيضُ .

ويُفهَمُ مِن هذه التعاليلِ أنَّ هذه العلامةَ تظهرُ في أكثرِ مِن زمنٍ ومرحلةٍ .

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٩٥) .

(٢) ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، قال : فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي . ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي . ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً**» . «صحيح مسلم» (١٠١٣) كتاب الزكاة (١٥/ ٩٨/ مع شرح النووي).

استتباع سنن الأمم الماضية

٥٢. استِتباعُ سُنَنِ الأُمَمِ الماضيةِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى اسْتِتْبَاعُ الأُمَمِ المَاضِيَةِ، وهذه العلامةُ قد برزَت ظواهِرُها بادئَ ذي بدءٍ في مرحلةِ المُلكِ العضوضِ على عهدِ الدَّولتَينِ الأمويةِ والعباسيةِ، وتشبَّهَ بعضُ الحُكَّامِ والقادةِ بأحوالِ حُكَّامِ الفُرسِ والرُّومِ في مظاهِرِ الحُكمِ والسُّلطانِ وبعضِ العاداتِ والتقاليدِ ونقلِ الأفكارِ والفلسفاتِ المُخالِفةِ لِمنهجِ الإسلامِ[1]، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تأخذَ أُمَّتي بِأخذِ القُرون قبلها شِبرًا بِشِبرٍ وذراعًا بذراعٍ**». فقِيلَ: يا رسولَ اللَّهِ، كفارسَ والرُّومِ؟! فقالَ: «**ومَن الناسُ إلَّا أولئكَ**»[2].

نماذج الاستتباع

وكانَت فارسُ والرُّومُ في تِلكَ المرحلةِ هي حامِلةُ لِواءِ الحضارةِ السلبيةِ.. ويمتدُّ هذا المعنى عبرَ التسلسُلِ التاريخيِّ لِلأُمَّةِ في أكثرَ مِن مرحلةٍ، ويزدادُ اتِساعًا واستِتباعًا في مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ، وهي المرحلةُ التي سقطَ فِيها قرارُ الإسلامِ العالميُّ، وأخذَتِ الدُّولُ العربيةُ والإسلاميةُ بِسَننِ العالمِ المُستعمِرِ والمُستثمِرِ، وفي ذلِكَ يأتي حديثُ: «**لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قبلكم شِبرًا شبراً، وذِراعًا بِذِراعٍ حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ تبعتموهم**». وفي رواية أخرى: «**حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»[3] قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، اليهودُ والنصارى؟! قالَ: «**فمَن؟!**»[4].

التقليد الأعمى للعالم الآخر

ويبرُزُ هذا في التقليدِ الأعمى لِلعالمِ الأُوروبيِّ في كُلِّ ما هبَّ ودبَّ مِن شُؤونِ المأكلِ والملبسِ والمشربِ والإعلامِ والأقلامِ والشهواتِ والرغباتِ ونماذجِ التجارةِ والسياحةِ والثقافةِ والرياضةِ وهَلُمَّ جرًّا.. معَ شيءٍ مِنَ الغُرورِ والغفلةِ والتحايُلِ على نُصوصِ الإسلامِ وتحريفِ معانيه؛ لِيُناسِبَ الرغباتِ الغارِقةَ في

---

(١) الأخذ بالعلم والحضارة من الغير لا يدخل في هذا المعنى، وإنما يدخل ما لا تحتاجه الأمة من علل الأمم الأخرى وفلسفتها النظرية المتعارضة مع غيبيات الديانة.

(٢) «صحيح البخاري» (٧٣١٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٥٦).

(٤) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٧٣٢٠) و«صحيح مسلم» (٢٦٦٩).

الاستِتباعِ ؛ حتَّى يصيرَ الاستِتباعُ في أغبى نماذجِ العلاقاتِ والمُوضاتِ ، وهو ما يعنيه الحديثُ بـ «دُخولِ جُحرِ الضبِّ» ، والضبُّ حيوانٌ يدخُلُ جُحرَه طويلًا فيصعبُ عليه الخُروجُ ، والحديثُ فيه كِنايةٌ عمَّن يدخُلُ مَدخلًا لا يُفكِّرُ في طريقةِ الخُروجِ منه ؛ فيَقعُ في الحرجِ والخطرِ .

تقبيل كأس كرة القدم

ومِن هذه النماذجِ ما يفعلُه الرياضيون مِن تقبيلِ كأسِ الفوزِ والدورانِ به ، والهُتافِ عِند أخذِه بـ «لاإله إلَّا الله» ، وسُجودِ الشُّكرِ في الملاعِبِ ، وخلعِ ملبسِ اللاعِبِ عن جِسمِه عِندَ إدخالِه الكُرةَ في الهدفِ ، والتلويحِ بالملبسِ في الهواءِ ، وغيرُ هذا كثيرٌ مِن أعمالِ الاستِتباعِ الفجَّةِ ، كوضعِ العِقدِ على الجِيدِ كالنساءِ ، وتقليدِ قصِّ الشعرِ والباروكاتِ ، ولِبسِ ملابسِ العُريِ الفاضحةِ ، وغيرُ هذا كثيرٌ وكثيرٌ .

ضياع الأمانة

٥٣. ضياعُ الأمانةِ

وهي مِنَ العلاماتِ الصغرى المُتكرِّرةِ لِعدَّةِ مراحِلَ . وفي عِدَّةِ أزمنةٍ ، ورُبَّما كانَ أوَّلُ مظاهِرِها تحوُّلَ الأمرِ مِنَ الخِلافةِ الراشِدةِ إلى المُلكِ العضُوضِ . في عصرِ صدرِ تاريخِ الأُمَّةِ ، ويُؤيِّدُ هذا المعنى قولُه ﷺ : «**لتُنقضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً ، أوَّلُهنَّ نقضًا الحُكمُ**»[1] ، والحُكمُ مِنَ الأماناتِ ، وأوَّلُ صيغةٍ لِلمؤامرةِ على نقضِ الحُكمِ كانَ ببروزِ الحُكمِ العَضوضِ ، كما كانَ هُناكَ نقضٌ أيضًا لِأمانةِ العِلمِ ، واستمرَّ ذلِكَ مرحلةً بعدَ أُخرى ...

نقض أمانتي الحكم والعلم

وهكذا حتَّى جاءَت أخطرُ مراحِلِ النقضِ لِلحُكمِ ولِلعِلمِ بإسقاطِ قرارِ الخِلافةِ الإسلاميةِ ، ولِإقامةِ قرارِ العِلمانيةِ ، وهي المرحلةُ التي ترتَّبَ عليها النقضُ بكُلِّ معانيه وأشكالِه تحقيقًا لِحديثِ الأعرابيِّ السائلِ رسولَ اللَّهِ ﷺ عنِ الساعةِ . وردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظِرِ الساعةَ**» . قالَ : كيف إضاعتُها ؟ قالَ :

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) .

«**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتظر الساعة**»[1] . .

وقد تحقَّقَ هذا المعنى في أجلى صورِه في العالمَينِ العربيِّ والإسلاميِّ بعدَ سُقوطِ قرارِ الخِلافةِ الإسلاميةِ ، وامتِدادِ مرحلةِ الاستِعمارِ ، وتقسيمِ ما سُمِّي بتِركةِ الرجُلِ المريضِ ، وإعادةِ تشكيلِ القرارين «الحُكم والعِلمِ» في العالمَين العربيِّ والإسلاميِّ لِما يخدُمُ الاستِعمارَ وسياسةَ العِلمانيةِ ثُمَّ العلمنةِ ثُمَّ العَولمةِ وهكذا .

وهذا فيما يتعلَّقُ بِقرارَي الحُكمِ والعِلمِ ، وأما فيما يتعلَّقُ بِمجموعةِ الأماناتِ الأُخرى وإضاعتِها فإليها تُشيرُ الأحاديثُ الأُخرى ، ومِنها حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول فيه : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ ، حَدَّثَنَا : «**أنَّ الأمانةَ نزلَت في جَذرِ قُلوبِ الرجالِ ، ثُمَّ عَلِموا من القُرآنَ ، ثُمَّ عَلِموا مِنَ السُّنَّةِ**» ، وحدَّثَنا عن رفعِها فقالَ : «**ينامُ الرجُلُ النَّومةَ فتُقبَضُ الأمانةُ مِن قلبِه فيظلُّ أثرُها مِثلَ أثرِ الوكت**[2] **، ثُمَّ ينامُ النومةَ فتُقبضُ ، فيبقى أثرُها مِثلَ المَجْلِ**[3] **كجمرٍ دحرجْتَه على رِجلِكَ فنَفِطَ فتراه مُنتبِرًا وليس فيه شيءٌ ؛ فيُصبحُ الناسُ يتبايعون ، فلا يكادُ أحدٌ يؤدِّي الأمانةَ فيُقالُ : إن في بني فُلانٍ رجُلًا أمينًا، ويُقالُ لِلرجُلِ : ما أعقلَه ! وما أظرفَه ! وما أجلدَه ! وما في قلبِه مِثقالُ حبَّةِ خردلٍ مِن إيمانٍ**» ! ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيُّكم بايعتُ ، لئن كانَ مُسلِمًا ردَّه علي الإسلامُ، وإن كانَ نصرانيًّا ردَّه عليَّ ساعيه . فأما اليومَ فما كنتُ أُبايعُ إلَّا فلانًا وفلانًا[4] .

حديث «فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ...»

ومِثلُ هذا أيضًا أخبرَ عنه ﷺ : «**إنَّه ستكونُ هناك سِنونَ خَدَّاعةٌ : يُكذَّبُ فِيها الصادِقُ ، ويُصدَّقُ فِيها الكاذِبُ ، ويُخوَّنُ فِيها الأمينُ ويُؤمَّنُ فِيها الخَؤُون**»[5].

---

(١) تقدم ص ٢٥.

(٢) الوكت : جمعُ (وكتة) ، وهي الأثرُ في الشيءِ ، أو كالنُّقطةِ مِن غَير لونِه .

(٣) وهو ما يبقى من الأورامِ في الكفِّ مِن أثرِ العملِ بالأشياءِ الصُّلبةِ .

(٤) «صحيحُ البُخاريِّ» (٦٤٩٧) (٧٠٨٦) .

(٥) «مسند أحمد» (٨١٣١) و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣: ٣١٤) ، وانظر « أشراط الساعة» ليوسف عبدالله الوابل ص١٣١ .

٥٤. قبضُ العِلمِ وظُهورِ الجهلِ

قبض العلم وظهور الجهل

وهـي أحـدُ علاماتِ السـاعةِ الصغرى المُتكـرِّرةِ زَمنًا بعـدَ زمـنٍ ، ومرحلةً بعدَ أُخرى على غَيرِ تتابُعٍ ، وإنَّما قد ترتبِطُ بمرحلةٍ مُعيَّنةٍ ، ثُمَّ يتوقَّفُ القبضُ على حالٍ مُعيَّنٍ ، ثُمَّ يتجدَّدُ القبضُ مرَّةً أُخرى معَ مرحلةٍ أُخرى وهكذا .

وعِندَ النظرِ والتأمُّلِ إلى مجموعِ الأحاديثِ عبرَ تاريخِ التحوُّلاتِ يتحدَّدُ المعنى ويبرُزُ جليًّا مُنذُ بدءِ مرحلةِ القبضِ لِلعِلم .

ويتحـدَّدُ القبضُ في مرحلـةِ الفِتَنِ الأولى على عهدِ خِلافـةِ عُثمانَ والإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا وما جاءَ من بعدِها مِنَ القبضِ بِكُلِّ معانيه.. ولِلقَبضِ معانٍ :

معاني قبض العلم موت حملته

(١) أن مـا ذكرَ الإمـامُ النوويُّ مِن قَولِه على حديثِ قبضِ العِلمِ : «هذا الحديثُ يُبيِّنُ المُرادَ بِقبضِ العِلمِ في الأحاديثِ السـابِقةِ المُطلقةِ ليسَ هو محوَه مِن صُدورِ حُفَّاظِـه ، ولكِنَّ معناه أن يموتَ حَمَلَتُه ويتَّخِذَ النـاسُ جُهالًا يَحكُمون بِجهَالاتِهم فيُضِلُّـون»[(١)] ، والمُرادُ بالعِلمِ هُنا عِلمُ الكِتابِ والسُّـنَّةِ ، وهو العِلمُ المَوروثُ عنِ الأنبياءِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ ، فإنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، وبِذَهابِهم يذهبُ العِلمَ ، وتموتُ السُّنَنُ ، وتظهرُ البِدعُ ، ويعُمُّ الجهلُ»[(٢)] .

تحويله إلى مناهج مقبوضة

(٢) ومِـن معانـي قبضِ العِلـمِ تحويلُه إلـى مناهِجَ مقبوضـةٍ ومُسيَّسـةٍ ، وفقَ ما يختـارُه القائمون على التعليـمِ والتدريسِ ؛ حتى تتخرَّجَ أجيـالٌ لا تعرِفُ مِن عِلمِ الشريعةِ شيئًا ، اللَّهُمَّ إلَّا ما قرأَته مِنَ العِلمِ المقبوضِ المُمنهَجِ .

انقباض / قبض العلماء

(٣) ومِـن معاني القبـضِ : انقِباضُ العُلمـاءِ وحملةِ العِلمِ ، لِما يقـعُ في الأزمِنةِ مِـن ظُلمٍ وتجـاوُزٍ وانتهاكٍ للدِّينِ وكراهيةٍ لِلعِلمِ والعُلمـاءِ ، مِمَّا يُؤدِّي إلى اعتزالِ العُلماءِ عنِ الناسِ وانقطاعِهم عن مجالسةِ الناسِ ، فيُؤدِّي ذلكَ إلى ظُهورِ الجهلِ بالدِّينِ .

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦: ٢٢٤) .

(٢) «أشراطُ الساعةِ» لِلوابِلِ ص١٣٣ .

إخراس العلماء بالسجن والتقتيل والتشريد من القبض

(٤) ومِـن معانـي قبـضِ العِلـمِ إخـراسُ العُلمـاءِ بِالقبـضِ عليهِـم وسِـجنِهم وإيداعِهـم، فيما يُسـمَى بالإقامةِ الجبريةِ في منازِلِهم؛ حتَّـى لا ينتفِعَ بِهِمُ الناسُ، وقد وقعَت هذه النماذِجُ مِنَ (القبضِ) في بِلادِ المُسـلِمين في مراحِلَ شتَّى، ومِنها (المرحلةُ الغُثائيةُ) التي تعرَّضَ فِيها العِلمُ والعُلماءُ إلى الإبادةِ والسِّجنِ والخطفِ والتشريدِ.. مِمَّا كوَّن في الواقِعِ الاجتِماعيِّ جيلًا مُتخبِّطًا بِالجهالاتِ والضلالاتِ والعِلمِ المُسيَّسِ المقبوضِ.

وفي هذا المعنى وردَت أحاديثُ كثيرةٌ، مِنها: «**إِنَّ بَينَ يدَي السـاعةِ لأَيَّامًا ينزِلُ فِيها الجهلُ، ويُرفَعُ فِيها العِلمُ**»[١].

وفـي رِوايةٍ لِمُسـلِمٍ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ: «**يتقاربُ الزمانُ، ويُقبَضُ العِلمُ وتظهرُ الفِتَن، ويُلقى الشُّحُّ، ويكثُرُ الهرجُ**»[٢].

وحديـثُ عبدِاللَّـهِ بـنِ عمـرِو بـنِ العـاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـالَ: سـمعتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يقـولُ: «**إنَّ اللَّـهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتِزاعًا ينتزِعُه مِـنَ العِبادِ، ولكِن يقبِضُ العِلمَ بِقبـضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يُبقِ عالِمًا اتَّخذَ الناسُ رؤُوسًـا جُهَّالًا، فسُـئِلوا فأفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ؛ فضلُّوا وأضلُّوا**»[٣].

وتستـمِرُّ هـذه الظاهِـرةُ جِيلًا بعدَ جيلٍ، حتَّـى يبلُغَ الأَمرُ إلى أشُـدِّه في أُخرياتِ الزمانِ، كما قالَ عبدُ اللَّهِ بنِ مسـعودٍ: «**ولَيُنزَعَنَّ القُرآنُ مِن بَينِ أظهُرِكم، يُسـرى علَيهِ لَيلاً؛ فيذهَبُ مِن أجوافِ الرِّجَالِ؛ فَلا يَبقَى في الأرضِ مِنه شَيءٌ**»[٤].

وعِندَ النظرِ الواعي في مسـيرةِ القبضِ والنقضِ المُشـارِ إلَيه في علاماتِ الساعةِ نلاحِـظُ أنَّ هذه المسـيرةَ قد مـرَّت بِمراحِـلَ مُتدرِّجةٍ ـ بِصـرفِ النظرِ عـن المُنفِّذِ والمُستثمِرِ ـ اشتملَت على ما يلي:

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٦٢).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٧٢).

(٣) «صحيح البخاري» (١٠٠).

(٤) «مصنف عبد الرزاق الصنعاني» (٥٩٨١) و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٧٠٠).

أشكال من نقض العرى في مسيرة التاريخ

١- نقضُ الحُكمِ .
٢- نقضُ العِلمِ .
٣- الفصلُ بَينَ الدِّينِ والدَّولةِ .
٤- الفصلُ بَينَ التاريخِ والدِّيانةِ .
٥- الفصلُ بَينَ الثوابِتِ والمُتغيِّرِ .
٦- الفصلُ بَينَ العلم والدين .
٧- الفصلُ بَينَ التربيةِ والتعليمِ والدعوةِ .
٨- الفصلُ بَينَ عِلمِ الإحسانِ وأركانِ الدِّينِ .
٩- الفصلُ بَينَ عِلمِ الإحسانِ والتصوُّفِ .
١٠- الفصلُ بَينَ المُثلَّثِ المدموجِ والمُعادِلِ الرابعِ .
١١- الفصلُ بَينَ التصوف والسنة .
١٢- الفصلُ بَينَ التصوُّفِ والإسلامِ[١] .

٥٥. ظُهورُمُدَّعي النُّبوَّةِ

ظهور مدعي النبوة

ومِن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي تعدَّدَت ظواهِرُها، وتجدَّدَت نماذِجُها خُروجُ الكذَّابين الذين يدَّعون النُّبوَّةَ ، وهم قريبٌ مِن ثلاثين كذَّابًا ، وفيهم ثلاثُ نِسوةٍ أو أربع .

وقد خرجَ بعضُهم في عصرِ الرِّسالةِ ، ومِنهم في عصورِ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وما بعدها ، ولا يزالون يظهرون في بعضِ الأجيالِ .

وفيهم قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُبعَثَ دجَّالون كذَّابون ، قريبٌ مِن ثلاثين ،**

---

(١) ومن أغرب مظاهر هذا الفصل مطالبة بعض المتطرفين من دعاة الخوارج الجدد علماء المذهبية والصوفية للتوبة وتجديد الإسلام ، ونشر بعضهم في الإنترنت احتفال أولئك بكافر دخل الإسلام وحسن إسلامه ، وكان ذلك الكافر ـ من وجهة نظرهم ـ مسلماً صوفياً دخل إلى الحظيرة السلفية ، وحسن إسلامه بعد رجوعه عن مذهب الصوفية ، وتوبته على أيديهم .

كُلُّهم يزعَمُ أنّه رسولُ اللّهِ»[1] .

مسيلمة الكذاب والأسود العنسي

وأوَّلُ من ظهر مِنَ الكذَّابين في عهدِ صاحِبِ الرِّسالةِ مُسَيلِمةُ الكذَّابُ ، مِن أرضِ نجدٍ ، وقد كثُرَ أتباعُه ، وعظُمَ شرُّه على المُسلِمين ، حتَّى قتلَه الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في معركةِ «اليمامة» على عهدِ الخليفةِ الأوَّلِ أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وكذلِكَ ظُهورُ «الأسودِ العَنْسِيِّ في اليمنِ» ، وادَّعى النُّبوَّةَ ؛ وقتلَه الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أيضًا في حياةِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وفي كِلَيهما «مُسَيلِمةَ والعنسيِّ» وردَ حديثُ ابنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «**إنَّ بَينَ يدَي الساعةِ ثلاثين كذَّابًا ، مِنهُمُ : الأسودُ العنسيُّ صاحِبُ صنعاءَ ، وصاحِبُ اليمامةِ**»[2]. يعني : مُسَيلِمة .

سبعة وعشرون دجالا منهم أربعة نسوة

وفيما أخرجَه أحمدُ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسندٍ جيِّدٍ : «**سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون دجَّالون ، سبعةٌ وعشرون مِنهم أربعُ نِسوةٍ ، وإني خاتِمُ النبيِّين ؛ لا نبيَّ بعدي**»[3].

والمقصودُ بالدَّجَّالين الكذَّابين أحدُ أمرَين :

الأول : مَنِ ادَّعى النُّبوةَ وأنَّه يُوحى إلَيه ، كمُسَيلِمةَ والأسودِ وسجَّاحٍ وطُليحةَ الأسديِّ[4].

والثاني : مَن قامَت شوكتُه ، وكثُر أتباعُه ، واشتهر بَينَ الناسِ بما لم يُنزِّلِ اللّهُ به مِن سُلطانٍ . كالمُختارِ بنِ عُبَيدٍ الثَّقَفِيُّ ، الذي أظهرَ محبةَ آلِ البَيتِ والمطالبةَ بدمِ الحُسَينِ ، وكثُرَ أتباعُه ثُمَّ ادَّعى النُّبوَّةَ ونزولَ جبريلَ علَيهِ . وقد قتلَه ابنُ الزُّبَيرِ في

المختار الثقفي

---

(١) «صحيحُ البُخاريِّ» (٣٦٠٩) و«صحيح مسلم» (٢٩٢٣) . وحديثُ : «**بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما ، فأوحي إلى في المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي**» ، فكان أحدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة» «صحيح البخاري» (٣٦٢١) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣/ ١٢٨) وأخرجه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٨٧) .

(٣) «مسند أحمد» (٢٣٣٥٨) قال الألباني : صحيح «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٢٥٨) .

(٤) «الإشاعة» (ص٩٦) .

الحارث الكذاب

خِلافتِه[1] . ومنهُمُ الحارِثُ الكذَّابُ ، خرجَ في خِلافةِ عبدِ الملِكِ بنِ مروانَ ، فقُتِل . وخرجَ في خِلافةِ بني العبَّاسِ جماعةٌ[2] .

أحمد القادياني

ومنهم القادياني ، قال صاحِبُ كِتاب «أشراطِ الساعةِ» (الوابِل)[3] : (وظهرَ في العصرِ الحديثِ ميرزا أحمدُ القادياني بالهندِ ، وادَّعى النُّبوَّةَ ، وأنَّه المسيحُ المُنتظَرِ ، وأنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليسَ بحيٍّ في السماءِ ، وصارَ له أتباعٌ وأنصارٌ ، وردَّ علَيهِ جملةٌ مِنَ العُلماءِ ، واعتبروه أحدَ الدَّجَّالين المُشارِ إلَيهم في الحديث .

مدعو المهدية المعاصرون

وفي عصرِنا ادَّعى المهديَّةَ عددٌ مِنَ الكذَّابين ، الذين يُروِّجون الأكاذيبَ والأضاليلَ بِهذا الادِّعاءِ ، ولهم مواقِعُ في الشبكةِ العنكبوتيةِ يخدعونَ بما يقولونه جهلةَ المرحلةِ وضحاياها[4] .

ولا يزالُ خُروجُ مِثلِ هؤلاءِ مُتوقَّعًا ، كما أخبرَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حتَّى يخرج آخِرُهم خروجًا معَ الدَّجَّالِ الأعورِ ، كما وردَ في الحديثِ عن سَمُرةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ في خُطبةِ الوداعِ يومَ كسفَتِ الشمسُ على عهدِه : «**وإنَّه واللَّهِ لا تقومُ الساعةُ حتَّى يخرجَ ثلاثون كذَّابًا آخِرُهُمُ الأعورُ الدجَّالُ**»[5] .

الربط بَينَ وظائف الدجاجلة والأعور الدجال

وقد ربطَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَينَ وظائفِ الدجاجِلةِ والكذَّابين ، واعتبرَها تمهيدًا للدجَّالِ الأعورِ وعملًا مُشتركًا ضِدَّ الديانةِ الصحيحةِ في كُلِّ عصرٍ وزمنٍ ، ، فقد رَوى الإمامُ أحمدُ عن أبي بَكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في شأنِ هذا الرجُلِ – يعني : مُسَيلِمةَ – : «**أما بعدُ فقد أكثرتُم في شأنِه ؛ فإنَّه كذَّابٌ مِن ثلاثين كذَّابًا،**

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣: ٥٤٣) ، «أشراط الساعة» ص١١٥ ليوسف الوابل .

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٦١٧) .

(٣) ص١١٥ .

(٤) وممن اشتهر بغلوه في الرفض لا بادعاء النبوة ابنُ الكواءِ الذي قالَ له الإمامُ عليٌّ : «وإنَّكَ مِنهم» . وكانَ يغلو في الرفضِ ، ويُؤيِّدُه حديثُ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قُلتُ : ما آياتُهم؟ قالَ : «**يأتونكم بِسُنَّةٍ لم تكونوا علَيها**» . «الإشاعة» ص٩٧ .

(٥) «مسند أحمد» (٢٠٧١١) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥١٣) و«صحيح ابن خزيمة» (١٣٩٧) .

يخرجـون قبـلَ الدجَّـالِ ، وإنَّه ليسَ بلـدٌ إلَّا يدخلُه رُعـبُ المسـيحِ إلَّا المدينةَ ... إلخ»[١] .

قتال التُّرك والعجم

٥٦. قِتالُ التُّركِ والعجمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى قِتَالُ التُّرْكِ والعَجَم ، والتُّركُ هُنا غَيرُ العجمِ ، قالَ ابـنُ حجـرٍ : (يُمكنُ أن يُجابَ بِأنَّ هذا الحديـثَ - أي : حديث قِتالِ العَجمِ - غَيرُ حديـثِ قِتالِ التُّـركِ ، ويجتمِعُ مِنهما الإنـذارُ بِخروجِ الطائفتَيـنِ)[٢] ، فقِتالُ التُّركِ يرتبِطُ بِمرحلتَين :

المرحلةُ الأولى : قـد وقعَـت ، وقـد قاتلَ المُسـلِمون التُّركَ مِن عصـرِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وذلِكَ في أوَّلِ خِلافةِ بني أُميَّةَ وفي عهدِ مُعاويةَ .

قتال التتار في أواخر العصر العباسي

وخـرجَ التُّـركُ أيضًا بِمُسـمَّى التتارِ والمغولِ فـي أواخِرِ العهدِ العبَّاسـيِّ ودمَّروا الخِلافةَ ، وقتلوا العُلماءَ ، وأحرقوا المساجِدَ ، وعاثوا في الأرضِ فسـادًا[٣] حتَّى تصـدَّى لهمُ الملِكُ المُظفَّـرُ «قُطُزُ» ، وهزمَهم في معركةِ «عَيـنِ جالوتَ» ، ودخلَ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٠٤٦٤) .

(٢) «فتح الباري» (٦: ٦٠٧) .

(٣) ذكـر الدكتـور محمـد أحمـد إسـماعيل المقـدم فـي كتابـه «فقه أشـراط السـاعة» ص ٢٠ تعليقاًعلى الحديث : «**اتركوا الترك ما تركوكم**» : فمتى تم إمسـاك المسـلمين عن استفزاز الترك واستشـارتهم ؛ فسـلموا من غائلتهم إلى أن خالفوا التوجيه النبوي ، قال الحافظ ابن كثيـر رحمـه اللـه تعالى : «وقد قتـل جنكيز خان مـن الخلائق ما لا يعلـم عددهم إلا الذي خلقهم ، ولكن كانت البداءة من «خوارزم شاه» فإنه لما أرسل جنكيز خان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده ، فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شـاه ، وأخذ جميع ما كان معهم فأرسـل جنكيز خان إلى خوارزم شـاه ؛ يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضا منه أو أنه لا يعلم به ، فلما سـمع خوارزم شـاه ذلك من رسـول جنكيز خان لم يكن له جـواب سـوى أن أمر بضرب عنقه ؛ فأسـاء التدبير ، وقد ورد في الحديـث : «**اتركوا الترك ماتركوكـم**» . فلمـا بلغ ذلك جنكيز خان تجهز لقتاله ، وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لـم يسمع بأغرب منها ولا أبشع .اهـ .

كثيرٌ مِنهم إلى الإسلامِ ، وفي أُخرياتِ المرحلةِ المضطرِبةِ مِن تاريخِ الدُويلاتِ الإسلاميةِ أعادَ الأتراكُ مِن بني عُثمانَ الخِلافةَ الإسلاميةَ إلى مكانِها الصحيحِ»[١].

وكانَ لهمُ الدَّورُ الكبيرُ في تَوحيدِ قرارِ المُسلِمين في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ. وكانَ آخِرُهم السُّلطانُ عبدُالحميدِ الثاني ، الذي بإسقاطِه دخلَ العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ في مرحلةِ الغُثاءِ والوَهنِ والاستِعمارِ .

قتال التُّرك على حرب الماء وكنز الذهب

وأمَّا **المرحلةُ الثانيةُ** : مِن قِتالِ التُّركِ لِلمُسلِمين فسيأتي في آخرِ الزمانِ معَ نِهايةِ الصِّراعِ على كنزِ الفُراتِ ، كما وردَ في الأحاديثِ ، سيكونُ القِتالُ على الدُّنيا بَينَ العربِ والمُسلِمين مِنهم . وهو ما يُسمَّى «بِحربِ الماءِ وكنزِ الذهبِ» ، ولِتُركيا المعاصرةِ هيمنةٌ على منابعِ الفُراتِ ومُحاولاتٌ لِصرفِ مياهِه عن مسارِها المألوفِ إلى جِهاتٍ أُخرى رُبَّما كانَت من أسبابِ الصِّراعِ في المستقبلِ المُشارِ إلَيه . واللَّهُ أعلمُ[٢].

و أمَّا الأحاديثُ في هذا البابِ فكثيرةٌ ، ومِنها :

- **«لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسلِمون التُّركَ قَوماً وُجُوهُهم كالمجانِّ**

(١) مصداقاً لما قاله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ذكر لقتال الترك ، قال : «**وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر ، حتى يقع فيه ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام**» . اهـ «صحيح البخاري» ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام (٦: ٦٠٤) «الفتح» .

(٢) وعن مفهوم حرب الماء ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «المعجم الكبير» للطبراني (٨٨٥٧) : عن القاسم قال : مد الفرات على عهد عبد الله فكره ذلك الناس فقال عبد الله : لا تكرهوا فإنه يوشك أن يأتي على الناس زمان يلتمس فيه طست من ماء ولا يوجد ذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره ويكون بقية الماء والمؤمنون بالشام .

وفي نفس المصدر : شكي إلى ابن مسعود الفرات فقالوا : إنا نخاف أن ينبثق علينا فلو أرسلت إليه من يسكره فقال عبد الله : لا نسكره فو الله ليأتين على الناس زمان لو التمسوا فيه على طست من ماء ما وجدتموه ليرجعن كل ماء إلى عنصره ويكون فيه الماء والمسلمون بالشام .

المُطرَقَةِ يلبَسون الشَّعرَ ويمشون في الشَّعرِ»[1] .

- وحديثُ : **«لتظهرَنَّ التُّركُ على العربِ حتَّى تلحقَها بِمنابتِ الشيحِ والقيصومِ فأنا أكره قِتالَهم لِذلِكَ»** [2].
- وحديثُ : **«إن أُمَّتي يسوقُها قَومٌ عِراضُ الأَوجُهِ صِغارُ الأعيُنِ كأنَّ وُجوهَهم الحَجَفُ (ثلاثَ مرَّاتٍ) حتَّى يلحقوهم بجزيرةِ العربِ ، أمَّا السائِقةُ الأولى، فينجـو مَن هربَ مِنهم ، وأمَّـا الثانيةُ فيَهلَكُ بعضٌ وينجو بعضٌ ، وأمَّا الثالثةُ فيصطلِمـون كُلُّهـم مَـن بقِيَ مِنهم»** . قالُـوا : يا نبيَّ اللَّهِ مَن هـم ؟ قالَ : **«هم التُّركُ»** . قالَ : **«أمَا والذي نفسي بيدِه ، ليربِطُنَّ خُيولَهم إلى سواري مساجِدِ المُسلِمين »**[3].
- وحديثُ : **«اتركوا التُّركَ ما تركوكم»** [4] .

وأمَّا قِتالُ العجمِ ففيه حديثُ سَـمُرةَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : « **يُوشِكُ أن يمـلأَ اللَّـهُ عـزَّ وجلَّ أيديَكم مِـنَ العجمِ ، ثُمَّ يكونون أُسْـدًا لا يفِـرُّون ؛ فيقتلون مقاتِلتكم ويأكلون فيئكم»**[5].

وعـن أبـي هُرَيرةَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ قـالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : **«يُوشِـكُ أن يمـلأَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أيديَكم مِنَ العجمِ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ أُسْدًا لا يفِرُّون ؛ فيقاتلون مقاتِليكُم ويأكلون فيئكـم»**[6] ، ويبـدو ـ واللَّـهُ أعلـمُ ـ أنَّ العجمَ هُنـا هم دُولُ الغربِ ومَـن حالفَهم . وقد اسـتعمروا العالَمَ العربيَّ والإسلاميَّ خِلالَ الحُروبِ الكَونيةِ الأولى والثانيةِ، واقتسـموها فيمـا بَينَهـم ، ورسـموا خرائطَهـا ، واسـتثمروا ثرواتِها إلـى اليومِ في

---

(١) «صحيحُ مُسلِمٍ» (٢٩١٢) .

(٢) «مسند أبي يعلى» (٧٣٧٦) ، ولاحِظْ قولَه : «**على العربِ**» وكأنَّها إشارةٌ إلى مرحلةٍ تنفصِلُ مِنها الدُّولُ العربيةُ عنِ الدُّولِ الإسلاميةِ كما هو مُلاحَظٌ الآنَ .

(٣) «مسند أحمد» (٢٢٩٥١) ، «أشراطَ الساعةِ» يوسُف الوابل ص١٢٠-١٢١ .

(٤) «سنن أبي داود» (٤٣٠٢) .

(٥) «مسند أحمد» (٢٠١٢٣) .

(٦) أي : يحصدونه ، «المعجم الكبير» (٦٩٢١) عن سمرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

المراحلِ الثلاثِ العِلمانيةِ والعلمنةِ والعَولمةِ ، أو ما أشرنا إلَيها بِمرحلةِ الاستِعمارِ ثُمَّ الاستِهتارِ ثُمَّ الاستِثمارِ . ورُبَّما أن يكونَ لِهذا الغزوِ بقيةٌ في مُستقبلِ الزمانِ لِصورٍ أُخرى ونماذجَ مُسيَّسةٍ ، واللَّهُ أعلمُ .

٥٧. كثرةُ القتلِ

كثرة القتل

ومِنْ عَلامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى كَثْرَةُ القَتْلِ، ومِنَ العلاماتِ التي تكرَّرَت أزمِنةٌ بعدَ أُخرى على صفةِ الكثرةِ والتزايُدِ (كثرةُ القتلِ) ، وهو أيضًا ما سمَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ **(بِالهرجِ)** ، كما وردَ في حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يكثُرَ الهرجُ**» قالُوا : وما الهرجُ يا رسولَ اللَّهِ ، قالَ : «**القتلُ**»[1] .

وعن أبي مُوسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «**إنَّ بَينَ يدَي الساعةِ الهرجَ**» قالُوا : وما الهرجُ ؟ قالَ : «**القتلُ**» . قالوا : أكثرُ مِمَّا نقتُلُ؟ إنّا لَنَقتُلُ في العامِ الواحدِ أكثر مِن سبعين ألفًا ، قالَ : «**إنَّه لَيسَ بِقتلِكمُ المُشرِكين ، ولكِنْ قتلُ بعضِكم بعضًا**» . قالوا : ومعنا عقولُنا يومئذٍ ؟! قالَ : «**إنَّه لتُنزعُ عُقولُ أهلِ ذلِكَ الزمانِ ، ويخلَّفُ له هَباءٌ مِنَ النّاسِ ، يحسبُ أكثرُهم أنَّه على شيءٍ ، وليسوا على شيءٍ**»[2]

كثرة الهرج حتَّى لا يدري القاتل فيم قَتَلَ ولا المقتول فيم قُتِلَ؟

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**والذي نفسي بِيدِه لا تذهب الدُّنيا حتَّى يأتيَ على الناسِ يومٌ لا يدري القاتِلُ فِيمَ قتلَ ، ولا المقتولُ فيمَ قُتِلَ**» . فقيلَ : كيفَ يكونُ ذلِكَ ؟ قالَ : «**الهرجُ**»[3] .

والهَرْجُ ـ أي : القتلُ ـ على هذه الصفةِ فيما بَينَ المُسلِمين أنفسِهم برزَ جليًّا مِن بعدِ مقتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لِأنَّ القتلَ الذي وقعَ قبل ذلِكَ كحُروبِ الرِّدَّةِ أو غيرِها إنَّما وقع بإجماعِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم ضِدَّ مَن أبى الزكاةَ أو مَنِ ارتدَّ حقيقةً عنِ الإسلامِ.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٨٨) .

(٢) «مسند أحمد» (١٩٧١٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٣٨٤) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٠٨) وتتمته : «**القاتل والمقتول في النار**» .

وقد حصدَ الهرجُ آلافًا مِنَ المُسلِمين خِلالَ الفِتنِ المُتنوِّعةِ ، التي جرَت في عهدِ المُلكِ العضوضِ في العهدَينِ الأُمويِّ والعبَّاسيِّ ، ثُمَّ عصرِ الدُوَيلاتِ وما استُبيح فِيها مِنَ الدماءِ خِلالَ الحُروبِ المُتنوِّعةِ . كحربِ الخوارِجِ والقرامِطةِ والزِّنجِ وغيرِهم ، وقد ذكرَت كُتُبَ السِّيَرِ والتواريخِ أنَّ القرامِطَةَ عامَ ٣١٧هـ استباحوا الحرمَ الشريفَ بِمكَّةَ في يومِ طوافِ الإفاضةِ ، وأُحصِيَ مِن قتلاهم في صحنِ الحرمِ وما حَولَه ثلاثين ألفًا في معركةٍ واحِدةٍ ، وحُصِدَ في حُروبِ العبَّاسيِّين والأُمويِّين مِئاتُ العربِ في معارِكِ الامتِدادِ أوِ الدفاعِ عنِ المُلكِ ، حتَّى صارَ الحجاجُ بنُ يُوسُفَ في ملاحِمِ القتلِ الجماعيِّ خِلالَ العهدِ الأُمويِّ مِثالًا لِلقائدِ الدمويِّ السفَّاكِ .

استباحة القرامطة لحجاج الحرم عام ٣١٧ هـ

كما أنَّ الحُروبَ الكَونيةَ الأولى والثانيةَ وما قبلَها وما بعدَها ذهبَ فيها الآلافُ مِنَ الشُّعوبِ المُسلِمةِ وغَيرِ المُسلِمةِ ، وخِلالَ المرحلةِ القبليةِ وتهيئةِ العالمِ الغربيِّ بِلادَ العربِ والمُسلِمين لِقَبولِ الاستِعمارِ والتجزئةِ والتقسيمِ ، وحُصولِ الحُروبِ الداخِليةِ بَينَ القُوى المُتنازِعةِ ، ذهبَ كذلِكَ المئاتُ تِلوَ المئاتِ .

حصاد الحروب العالمية للآلاف من البشر

ومِنها حُروبُ الثَّورةِ العربيةِ المزعومةِ ضِدَّ الأتراكِ ، وحُروبُ الحُدودِ بَينَ دُولِ الجِوارِ لِلتوسُّعِ في المنطِقةِ ، وكانَ الداعِمُ الأساسيُّ لِهذه الحُروبِ هم أعداءُ المُسلِمين مِنَ المُستعمِرين والمُستثمِرين .

حروب الثورة العربية المزعومة ضد الأتراك والحروب القبلية والحزبية

وحصدَت حُروبُ التحريرِ فيما بَينَ الثُّوَّارِ أنفُسِهم المئاتِ مِنَ المُتنازِعين على أملاكِ القرارِ في جنوبِ اليمنِ آنذاكَ ، ومِثلُها ما حُصِدَ مِنَ الشُّعوبِ في معارِكِ اليمنِ وثَورتِه ضِدَّ النِّظامِ الملكيِّ ، وماجرى بعدَ ذلِكَ مِن فِتَنِ الصِّراعِ الباتِرِ بَينَ القُوى في بِلادِ اليمنِ فَوجًا بعدَ آخرَ حتَّى عهدِ الوحدةِ وخِلالَها ، بِصرفِ النظرِ عن عدالةِ المبادِئِ أو عدمِها ، فالجميعُ مُسلِمون وأهلُ دينٍ ولُغةٍ ومصيرٍ واحِدٍ .

ومِثلُ هذا نراه في أرضِ الرافِدَين وفِلسطينَ والباكستانِ والأفغانِ والصُّومالِ ـ إلى اليومِ ـ مِن حُروبٍ داخِليةٍ بَينَ العربِ والمُسلِمين على الحُكمِ والقرارِ والسُّلطانِ ، ونسألُ اللَّهَ السلامةَ فيما بقِيَ .

الحروب الطائفية

٥٨. زخرفةُ المساجِدِ والتباهي بها

زخرفة المساجد والتباهي بها

ومِـن علاماتِ الساعةِ الصغرى زخرفةُ المساجِدِ والتفنُّنُ في زينتِها ونقشِها والتفاخُرِ والتباهي بها بَينَ الأشباهِ والأقرانِ، وهذه الظاهِرةُ لَيسَت خاصَّةً بِمرحلةٍ مُعينةٍ .. وإنَّما هي ظاهِرةٌ شملَتْ عِدَّةَ مراحِلَ وأزمِنةٍ .

ولم يسلَم فِيها إلَّا عصرُ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم، وقد أُثِرَ أنَّ سيِّدَنا عُمرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ لمَّا أمرَ بتجديدِ المسجِدِ النبويِّ قالَ : «**أَكِنَّ الناسَ مِنَ المطرِ، وإياكَ أن تُحمِّرَ أو تُصفِّرَ فتفتِنَ الناسَ**»[١]؛ إلاَّ أنَّ الذين جاؤوا بعدَ ذلِكَ مِنَ الحُكَّامِ والأُمراءِ والسلاطينِ أسرفوا في شأنِ الزخرفةِ لِلمساجِدِ، ولا زالَ فِيها ما هو قائمٌ إلى الآنَ بِالشامِ ومِصرَ وبِلادِ المغربِ والأندلُسِ وغيرِها .. قالَ البُخارِيُّ : قالَ أنسٌ : يتباهون بها ثُمَّ لا يُعمِّرونها إلَّا قليلًا . وقالَ ابنُ عبَّاسٍ : (لَتُزَخْرِفُنَّهَا كمَا زَخرَفَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى)[٢] .

ظاهرة تسامح بعض العلماء في زخرفة المساجد

ويبدُو أنَّ بعضَ العُلماءِ تسامحَ في زخرفةِ المساجِدِ عِندَما صارَتِ الزخرفةُ ظاهِرةَ الزمانِ، وخاصَّةً في مراحِلِ الترفِ والبذخِ، ولم تسلَمْ مِن ذلِكَ حتَّى مساجِدُ مكَّةَ والمدينةِ سواءً في العُصورِ الأولى أو فيما تلاها مِنَ المراحِلِ الأُخرى إلى العهدِ العُثمانيِّ، الذي كانَ مِن مميزاتِه الاهتِمامُ بِالزخرفةِ والزينةِ وبناءِ القِبابِ والمنائرِ وغيرِها .

وعذرُ العُلماءِ الذين تسامحوا في ذلِكَ أنَّ تعظيمَ شعائرِ اللَّهِ أَولى مِن تعظيمِ المنازِلِ والمباني معَ وُجودِ النيَّةِ الصالِحةِ في الفِعلِ المقصودِ، ومعَ هذا وذاكَ فإنَّ التباهيَ والتفاخُرَ مذمومٌ بِلا خِلافٍ، كما أنَّ تقليدَ اليهودِ والنصارى أكثرُ مذمَّةً . بل جاءَ الوعيدُ الشديدُ بِالدمارِ إذا زُخرِفَت المساجِدُ وحُلِّيَتِ المصاحِفُ، كما جاءَ في حديثِ أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ : «**إذا زوَّقتُم مساجِدَكم وحلَّيتُم مصاحِفَكم فالدَّبارُ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٦) باب بنيان المسجد .

(٢) المصدر السابق .

علَيكم» [1] .

بناء المساجد للزينة في المنتزهات

وأفحشُ مِن ذلِكَ بناءُ المساجِدِ المزخرفةِ كجُزءٍ مِنَ المشاريعِ الجماليةِ على البِحارِ والطُرُقاتِ ومفارقِ الشوارِعِ في المُخطَّطاتِ الاستِثماريةِ، بحَيثِ تظلُّ بعضُ هذه المساجِدِ مهجورةً لبُعدِها عن حركةِ الناسِ، وهُناكَ مِنَ المساجِدِ التي يتباهى ويتفاخرَ بها أصحابُها بالأسماءِ والمُسمَّياتِ على صِفةِ الضديَّةِ لمُخالِفيهم وجعلِها سببًا في الشتمِ واللعنِ والتحقيرِ والسُّخريةِ لِغَيرِهم .

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٤٨) وفي حديث آخر من حديث أبي ذر ذكر الحديث وآخره «**فالدمار عليكم**» (٣٠٢٣٧) .

نماذِجُ مِنَ العلاماتِ الصُّغرى في مرحلتَيِ الدُّهَيماءِ والفِتنةِ الرابعةِ

قِراءةٌ نبويةٌ لِلأحداثِ والوقائعِ ومواقِفِ الأُمَّةِ

بيع الحكم
علامة صغرى

٥٩. بَيعُ الحُكمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى الصراعُ على الحكمِ ونُزُولُهُ إلى سُوقِ العَرْضِ والطَّلَبِ، وهو دفعُ الأموالِ في سبيلِ الترشيحِ والانتِخابِ، أو تنازُلُ البعضِ عن صوتِه مُقابِلَ مدفوعاتٍ ماليةٍ، وإثارةُ الفوضى والتحريشُ الاجتِماعيُّ بَينَ الناسِ حولَ الجدارةِ بِالحُكمِ والسُّلطانِ، وانشِغالُ الجُمهورِ الأوسعِ مِنَ المُجتمعِ بما لا يخُصُّه في الأمرِ، مِمَّا يُؤدِّي بِالضرورةِ إلى: امتِنانِ هذه الجماهيرِ على المُنتخَبين والمُرشَحِين، والضغطِ علَيهم وتحدِّيهم، ونزعِ الثقةِ عنهم أمامَ أيِّ حادِثةٍ أو قضيةٍ، كما هو مُلاحَظٌ في العالمِ الإنسانيِّ المُعاصرِ، فهي إحدى ظواهِرِ المرحلةِ المُعاصرةِ في المُسلِمين.

٦٠. كثرةُ الشُّرَطِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى كَثْرَةُ العَسَاكِرِ والشُّرَطِ، والشُّرطُ همُ العساكِرُ الخاصَّةُ بِالأنظِمةِ لِحمايةِ الداخِلِ والخارِجِ مِن حُدودِها المُجاوِرةِ ضِدَّ الأشباهِ والأمثالِ مِن شُرطَةِ الأمنِ والمُرورِ وغيرِها من مجموعاتِ الضبطِ الداخليِّ، وهي ظاهِرةٌ معلومةٌ وصفَها النبيُّ ﷺ «بِالكثرةِ»، ومعَ هذه الكثرةِ في الداخِلِ لا يُمكِنُ بِأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ أن تتصدَّى هذه الشُّرطُ لِلعدوِّ المُشتركِ «كاليهودِ في فِلسطِينَ» وغيرِها مِنَ القضايا العربيةِ والإسلاميةِ المُشتركةِ؛ لِعدمِ قُدرتِها العسكريةِ مِن جِهةٍ، ولِعدمِ اهتِمامِ الأنظِمةِ بِالدفاعِ المُشتركِ وحصرِ اهتمامِهم في تهيئةِ المُجتمعاتِ مِنَ الداخِلِ لِنسبةٍ مِنَ الأمنِ المُساعِدِ على حركةِ التِّجارةِ

والسياحةِ وخدماتِ النِّظامِ ذاتِه وتحقيقِ الاستقرارِ لِلصادِراتِ والوارِداتِ فيما بَينَ الأنظِمةِ والدُّولِ المستثمِرةِ والمُصدِّرةِ .

قطيعة الرحم
علامة صغرى

٦١. قطيعةُ الرحِمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى قطيعةُ الرَّحِمِ ، فلا تخلو بُقعةٌ اليومَ مِن مجتمعاتِنا العربيةِ والإسلاميةِ إلَّا وهي تُعاني من هذا التفكُّكِ الأُسريِّ وقطيعةِ الرحِمِ وعُقوقِ الوالدَين ، وسببُها انعِدامُ التربيةِ الإسلاميةِ في مواقِعِ التعليمِ الأساسيِّ والثانويِّ والجامِعيِّ ، والاكتِفاءُ بالتركيزِ على الجانِبِ التعليميِّ والثقافيِّ وإثارةِ الطِّباعِ الغريزيةِ بِالاختِلاطِ في المدارِسِ وبِالأجهزةِ ومُخرجاتِها في البُيوتِ والأنديةِ والمنتزهاتِ وما شاكلَها في المُجتمعِ ، وهكذا تكونُ القطيعةُ في أخطرِ صُورِها .

نشء القرآن
بأصوات المزامير
علامة صغرى

٦٢. نشءٌ يكونُ في آخرِ الزمانِ يتخذُ القُرآنَ مزاميرَ[١]

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى «**نَشْءٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ**»[٢]، أي : يُحَسِّنُونَ بـه الأصواتِ ، وإلى ذلك أشارتْ الأحاديثُ الشريفةُ منها هذا الحديثُ ، وهذا النشءُ مِن حُفَّاظِ القُرآنِ ومُجوِّدِيه بِنغمةِ الأصواتِ قد برزَ اليومَ كظاهِرةٍ دينيةٍ في غالِبِ المُجتمعاتِ العربيةِ والإسلاميةِ ، والمقصودُ مِنَ اتِّخاذِ القُرآنِ مزاميرَ صرفُه عن وظيفتِه الشرعيةِ إلى الاستفادةِ مِن تعلُّمِه وقراءتِه لأغراضٍ دينيةٍ أو سياسيةٍ أو مادِّيةٍ أو إعلاميةٍ يُحسِنُها البرُّ والفاجِرُ .

وفي هذا الصددِ يقولُ ﷺ فيما رواه أحمدُ ، ولفظُه : أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**فيكم كِتابُ اللَّهِ يتعلَّمه الأسودُ والأحمرُ والأبيضُ ، تعلَّموه قبلَ أن يأتيَ زمانٌ**

---

(١) ودليل هذه الأربعة النماذج حديث عابس الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**بادروا بالأعمال ستاً : إمارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها**» . «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ : ٥٤٣) للألباني .

(٢) «مسند أحمد» (١٦٠٤٠) .

يتعلَّمُه ناسٌ ، ولا يُجاوِزُ تراقيَهم ، ويُقوِّمونه كما يُقوَّمُ السهمُ ؛ فيتعجَّلون أجرَه ولا يتأجَّلونه» [1].

وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « **أقرأُ الناسِ لِهذا القُرآنِ المُنافِقُ لا يذرُ منه ألِفًا ولا واوًا ، يلُفُّه بلسانِه كما تلُفُّ البقرةُ الكلأَ بِلِسانِها**» [2].

وفي روايةِ ابنِ أبي شَيبةَ بِنحوِه عن حُذَيفةَ ، وزادَ في آخِرِه : «**لا يُجاوِزُ تراقيَه**» . وإسنادُه كُلُّهم ثِقاتٌ ، ويُفهَمُ مِنَ الأحاديثِ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كرِهَ التكلُّفَ في القِراءةِ ، وكانَ يحِبُّ القِراءةَ السهلةَ ، كما أمرَ أصحابَه أن يقرأَ كُلٌّ مِنهم بما تيسَّرَ له ، وسهُلَ على لِسانِه معَ حُضورِ القلبِ وحُصولِ الخُشوعِ وتفهُّمِ المعاني [3] .

الجرأة في الفتوى
علامة صغرى

٦٣ . الجُرأةُ في الفتوى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى الجرأةُ في الفَتْوى ، وهي ظاهِرةُ الاجتِهادِ الشرعيِّ المُخالِفِ لِلحقيقةِ وحملِ الآياتِ والأحاديثِ على غَيرِ معانيها الصحيحةِ .

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يخرجُ في آخِرِ الزمانِ رِجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بالدين ، يلبَسون لِلناسِ جُلودَ الضأنِ مِنَ اللِّينِ ، ألسنتُهم أحلى مِنَ السُّكَّرِ ، وقُلوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئابِ ، يقولُ اللهُ : أبي يغترون أم عليَّ يجترِئون ؟ فبي حلفتُ لأبعثَنَّ على أولئك مِنهم فِتنةً تدعُ الحليمَ مِنهم حيرانًا**» [4] .

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٨٦٥) .

(٢) «مصنف عبدالرزاق» (٥٩٨٧) .

(٣) قال التويجري في «إتحاف الجماعة» الثاني ص١٢٣ : «إنه ـ أي: النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ لم يكن يعلمهم التجويد ومخارج الحروف ، وكذلك الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم ينقل عن أحد أنه كان يعلم التجويد ومخارج الحروف ، ولوكان خيرا لسبقونا إليه» اهـ . ولعل ما أشار إليه الشيخ هنا مرتبط بتلك المرحلة التي كانت فيها لغة العرب سليمة ومعتنى بها اعتناءً تاماً ، أما اليوم فالأمر يقتضي التوسط بين الحالين حتى لا يذهب القرآن بين إفراط المفرط وإضاعة المفرط ، والله أعلم .

(٤) «سنن الترمذي» (٢٤٠٤) .

ظاهرة الفتوى لإرضاء الساسة

والختـلُ : هـو الخِـداعُ ، يُقـالُ : «ختَلَـه يختِلُـه ويختُلُـه : إذا خدعَـه وراوغَه» .
وهـو ـ أي : الختـلُ ـ مُطابِـقٌ لِواقِعِ الكثيرِ مِن حملـةِ القُرآنِ والدعـوةِ المُعاصِرةِ ، وخاصَّـةً أولئـكَ الذيـن جعلـوا العِلـمَ والفتوى إرضـاءً لِمواقِـفِ الساسـةِ ودُعاةِ النقـضِ والقبـضِ، وكانَ لهـم دَورٌ في تحريـفِ المعانـي المُنزَّلةِ في القُـرآنِ على الكُفَّارِ والمُشـركينَ فحوَّرُوهـا ؛ لِتُصبحَ حُجَّةً لهم على المُصلِّين مِنَ المُسـلِمين، وقـد عمَّـت هذه الظاهِـرةُ ومثلُها بِلادَ العالمِ الإسـلاميِّ والعربيِّ ، وصـارَتْ فِقهًا وعِلمًا بديلًا عن إدانةِ شركِ اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ ، بل صارَ شركُ اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ لدى البعضِ من هؤلاء المَوصوفين في الحديث بالختلِ والاجتـراءِ ؛ ظاهـرةً مأمونةً وثقافـةً حضاريةً مُتبادلـةً تبرُزُ في الإعـلامِ والاقتِصادِ والدِّراسـاتِ الفكريةِ المُتنوِّعةِ بِصورٍ ذكيةٍ وغيرِ مسـبوقةٍ مـعَ صداقاتٍ وعِلاقاتٍ حميمـةٍ ، تبرُزُ جليَّةً فـي نماذِجِ العملِ الاقتِصـاديِّ والرياضيِّ المُشـتركِ والثقافيِّ والسياحيِّ ، وهَلُمَّ جرًا...

ظاهرة الفتوى في تحريف معاني القرآن

وكانَ بهـا وبِأمثالِهـا الانحِدارُ الخُلُقـيُّ والوهنُ الثقافيُّ والاسـتِتباعُ الآليُّ لِلأُممِ الأُخرى ؛ وكفى بِالواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ شاهِدًا على هذه الحالةِ .

قَولُـه : «**يلَبسـون لِلنـاسِ جلـودَ الضأنِ مِـنَ اللينِ**» كُنيةٌ عـن تملُّقِهـم لِلناسِ في المناسباتِ والإعلامِ وتحسينِ الخلقِ في وُجُوهِهم ، وإظهارِ البشاشةِ لهم ، واللينُ معَهم لَيس على وجهِ الحقيقةِ ، وإنَّما مُنافقةٌ بِاللِّسانِ وتكلفٌ وتصنُّعٌ في الظاهِرِ ، وأما في الباطِنِ فهُم بِخِلافِ ذلِكَ .

ظاهرة التجمل بالألسنة في الحديث وإخفاء الخديعة في القلوب

قَولُه : «**ألسنتُهم أحلى مِنَ السُّكرِ**» وفي رِوايةٍ : «**أحلى مِنَ العسلِ**»[1] . إشارةٌ إلى ما يصدُرُ مِن مُجملِ الحديثِ المعروضِ على الشُّعوبِ ومُناقشاتِ العِلمِ والفتوى والتحليـلاتِ والتعليـلاتِ البحثيـةِ المُفيـدةِ في ظاهرِ شُـؤونِ الحيـاةِ ، ولكنَّ وما يخفونـه في بواطِنِهم ـ إنَّما «**قُلوبُهُمْ قُلـوبُ الذِّئابِ**» ـ لِما انطوَت علَيهِ مِنَ الخُبثِ واللؤمِ والضغينةِ معَ كونِها «**أمرّ مِنَ الصَّبرِ**» لِشدَّةِ مرارةِ ما يخفونه فِيها ـ وفي رِوايةِ

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٢٤) .

حُذَيفةَ ـ : «**قلوبُهم أنتنُ مِنَ الجيفةِ ، وأمرُّ مِنَ الصَّبِرِ**»[1] .

ونتيجةُ هذا كُلِّه وما هم علَيهِ وصائرون إلَيه ، يحلِفُ الحقَّ سُبحانَه : «**لأبعثَنَّ على أولئك مِنهم فِتنةً تدعُ الحليمَ مِنهم حيرانًا**» ، والفِتنةُ المُشارُ إلَيها مما لا يحتاجُ وصفُه في أمةِ القُرآنِ والسُّنَّةِ أمام قضاياها المصيريةِ وقضاياها المحليةِ والإقليميةِ وعجزِها مُجتمِعةً أو مُتفرِّقةً باعتِبارِ مَن يدَّعي سلامةَ منهجِه وديانتِه عن تحقيقِ أهدافِ الأُمَّة وعِزَّتِها عسكريًّا واقتِصاديًّا وتربويًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا واجتِماعيًّا .

وتكادُ الفِتنةُ «التي تدعُ الحليمَ حيرانًا» تبرُزُ بوضوحٍ في كافَّةِ الحالاتِ المُشارِ إلَيها ، بل وتُؤكِّدُ أثرَ تدخُّلاتِ المُشركين الأساسيِّين مِن دُولٍ ومجموعاتِ التهوكاتِ العالميةِ في كافَّةِ شُؤونِ الأُمَّةِ ـ بِرِضاها أو بِغَيرِ رِضَاها ـ ومِنها فِتنةُ المُعاملاتِ الرِّبويةِ .

٦٤ . العَودُ إلى الشركِ وعِبادةِ الأوثانِ

العودة إلى الشرك علامة صغرى

ومِن علاماتِ الساعةِ الصغرى عِندَ قُربِ الأمرِ عَودةُ العربِ إلى عِبادةِ الأوثانِ وإقامةِ مظاهِرِ الشركِ التي كانوا يقيمونها في الجاهِليةِ ، كعِبادةِ اللَّاتِ والعُزَّى وذي الْخَلَصَةِ وغيرِها .

ظاهرة تهمة الشرك على زوار القبور

وهذا الشِّركُ المنصوصُ على عَودتِه سيكونُ في الأُمَّةِ بعدَ مَوتِ عِيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما قبلَ ذلِكَ فلا شِركَ في الأُمَّةِ ، وإنَّما يكونُ فِيها الغُلوُّ والإفراطُ والتفريطُ وغيرُها مِن مظاهِرِ الاعتِقادِ المُخِلَّةِ بالاعتِدالِ الشرعيِّ ، وكثرةُ المعاصي المُوجِبةِ لِلخسفِ والقذفِ[2] .

---

(١) «حلية الأولياء» (٣: ٣٥٨) .

(٢) ويؤيد هذا القول ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة وخنازير**» ، قالوا : يا رسول الله ، مسلمون هم ؟ قال : «**نعم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ويصومون ، ويصلون**» . قالوا : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : «**اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ، وشربوا هذه الأشربة ؛ فباتوا على شرابهم ولهوهم ؛ فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير**» . «كنز العمال» (٣٨٧٣٥) ، هكذا ذكره صاحب

فقه التحولات لا يشير في العلامات إلى تجديد التوحيد في مرحلة الغثاء

وقـد بـرزَ وظَهرَ فـي مرحلـةِ الغُثاءِ والوهـنِ تركيزُ البعـضِ مِن مـدارِسِ القبضِ والنقضِ على هذه المسـألةِ واتِّهامِهم لِلمُسـلِمين بالشـركِ ، باعتِبـارِ ما حصلَ مِن تعظيمٍ وتقديسٍ للقُبورِ والأولياءِ الأمواتِ والأحياءِ ، وما ترتَّبَ على هذا التقديسِ مِنَ التوسُّـلِ والاسـتِغاثةِ والاستِشـفاعِ وحُسـنِ الظنِّ فـي البُلهِ والمجاذيبِ وشـدِّ الرِّحالِ إلى الزياراتِ والحولياتِ وغيرِ ذلِكَ .

وقدِ اجتمعَ لدى حملةِ هذا المنهجِ جُملةٌ مِن تُهمِ التشريكِ فكفَّروا بها المُسلِمين جميعًـا إلَّا مَن تابَ وأنابَ على نهجِ المدرسـةِ الناقِضةِ للعُرى بَينَ المُسـلِمين مِنَ القـرنِ الثامِـنِ وما تلاه ، وهذه المدرسـةُ قامَت وتأسَّسَـت على مُحاربـةِ المحاوِرِ الثلاثةِ :

المِحورُ الأوَّلُ : تعليلُ مشـاهِدِ الأنبياءِ والأوليـاءِ مِن آلِ البَيتِ على أنها أصنامٌ ، ومَـن فِيها مِنَ الأمواتِ طواغيـتُ تُعبَدُ ، ويجِبُ هدمُها وإزالتُهـا بما فِيها قبرُ النبيِّ ﷺ وصاحِبَيه في المدينةِ .

«سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ١٩٣) .

وفـي روايـة عـن ابن عبـاس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا قـال : قال رسـول اللـه ﷺ : «**والذي نفسـي بيده ليبيتن ناس من أمتي على أشـر وبطر ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باسـتحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير**» «مسند أحمد» (٢٢٧٩٠) وأوله : «**والذي نفس محمد بيده..**» إلخ .

قلت : وهذا الخسـف والقذف والمسـخ يكون من المصلين المرتكبين للمعاصي ، كما هو ملاحظ اليوم في الأمة نسـأل الله السـلامة ، ولم تشـر الأحاديث إلى شـيء من الشرك الـذي هـو أعظم الذنوب ولا لشـيء من العقوبات التـي تحل بالقبوريين كما يسـميها أهل هـذا الفهم الغريب ، وإنما يكون الهلاك والخسـف والرجف بمـا تزينه الأنظمة من الفنون والثقافات والمعاملات الربوية التي عمت بلاد المسلمين وطمت ، وفيها يقول ﷺ : «**لابد من مسخ وخسف ورجف**» ، قالوا : يا رسول الله ، في هذه الأمة ؟ قال : «**نعم ، إذا اتخذوا القيان واسـتحلوا الزنا ، وأكلوا الربا ، واسـتحلوا الصيد في الحرم ، ولبس الحرير ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء**» «سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ١٩٥) .

المِحورُ الثاني : كافَّـةُ عُلمـاءِ المُسـلِمين المرتبِطيـن بِالتاريخِ الإسـلاميِّ القائمِ على احتِرامِ الأمواتِ والأحياءِ ، والمُفتين بِجوازِ التوسُّلِ والاستِغاثةِ والاستِشفاعِ بِالشروطِ الشرعيةِ (سدنةُ قُبورٍ) و(كهنةُ معابِدَ) ويجِبُ محاربتهم وقتلهم .

المِحـورُ الثالِـثُ : رعايـا المُسـلِمين في سـائرِ أقطـارِ الأرضِ ممن ينهَـجُ منهجَ المـدارِسِ الشـرعيةِ المُبيحةِ للزيـاراتِ والحوليـاتِ واحترامِ الأحيـاءِ والأمواتِ بضوابطِهـا الشـرعيةِ أو بالوقـوعِ في طرفَيِ الإفراطِ والغُلوِّ شُـعوبٌ قبوريـةٌ وعُبَّادُ أضرحـةٍ ومُشـركون.. ويشـملُهم مبدأُ التكفيـرِ الأساسـيِّ، الذي انطلـقَ به حملةُ التوحيـدِ السياسـيِّ « كُلُّ مَن تحتَ السـبعِ الطِّبـاقِ كافِرٌ على الإطـلاقِ » ، بِصرفِ النظرِ عمن ينفي هذه المقولةَ ، وينفي نظرَ المدرسـةِ إلى المُسلِمين عُلماءَ وشُعوبًا وإلى المشاهِدِ والقُبورِ بهذه الصورةِ ، فالأساسُ الذي انطلقَت منه الرؤيةُ كانَ ولا زالَ يحمِـلُ هذا الحُكـمَ ، أو على الأقلِ ينطلِقُ لِتحقيقِه ولَـو بالتدريجِ ، مِن خِلالِ انتِشـارِ أتباعِ المدرسـةِ وحملةِ الفِكرِ التكفيـريِّ المُتنامي ، سـواءً أعلنوا انتماءَهم لِمَوطِـنِ الفِكرةِ ، أوِ اسـتقلُّوا عنها ، فالعبرةُ بِالفِكـرةِ ورواجِها لا الجِهاتِ المُموِّلةِ لها ، ولا المحضَنِ المُهيِّئِ لها أسـبابَ الظُّهورِ ، فتِلكَ ينطوي كشـفُها على مخاطِرَ جمَّةٍ وتعقيداتٍ خطيرةٍ .

مـعَ أن فِقـهَ التحوُّلاتِ وقِراءةِ علاماتِ السـاعةِ لا يُشـيرُ في مجموعِه إلى شـيءٍ مِـن تُهمةِ ذلِكَ الكُفرِ أو الشـركِ المُبيـحِ لِهؤلاءِ أو لِغَيرِهم أعـراضَ ودِماءَ وأموالَ وعقائـدَ المُصلِّين ، ولا تُشـيرُ إلى مرحلةِ تجديدٍ للتَّوحيدِ علـى يدِ أحدٍ في مرحلةِ الغُثاءِ ، بل إنَّ علاماتِ الساعةِ تَصِمُ مثلَ هذه الأفاعيلِ بِالهَرْجِ والفِتنةِ ، وبِمشاركةِ المُستعمِرين والمستثمِرين في اقتسامِ مصالِحِ الثرواتِ على حِسابِ الأُمَّةِ المغلوبةِ في مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ وهذا ما نصَّت علَيهِ سُنَّةُ النبيِّ ﷺ وما ترتَّبَ على قِراءتِها في فِقهِ التحوُّلاتِ[1] كما سيأتي .

---

(١) بل إن السنة الشريفة أكدت سلامة المصلين في جزيرة العرب من الشرك وعبادة الأصنام ، وأن الذي يدور في المرحلة إنما هو التحريش بين المصلين بإدراك من فاعليه أو بغير إدراك لعـدم اطلاعهـم على الركن الرابع من أركان الديـن ، ويؤيد هذا الأمـر حديث ابن عباس

وبِما أنَّ المسألَةَ قد خرجَت عن دائرةِ السيطرةِ ، واستفحلَ الأمرُ ، وخنعَ لها مَن

ظاهرتا الإفراط والتفريط هما المسؤولتان عن الصراع العقدي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها ، وقال : «**إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك**» . رواه أبو يعلى (٦٧٠٩) والبزار (١٣٠٥) والطبراني (١٠ : ٢٢٨) «سبل الهدى والرشاد» .

وقد بوب الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ في كتابه «سبل الهدى والرشاد ، الباب الحادي والعشرون» في إخباره ﷺ بأن جزيرة العرب لا تعبد فيها الأصنام أبدا ، وذكر الحديث : «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم**» . وعلق على ذلك بقوله : قال ابن مالك : (المصلون) المؤمنون عبر عنهم بالمصلين ؛ لأن صلاتهم هي الفارقة بين الإيمان والكفر ، وأضاف «العبادة» في قوله : «**أن يعبده**» إنما نسبها إلى الشيطان لكونه داعيا إليها . اهـ «ص٤٠٤ الجزء العاشر» .

وفي ذلك روى البزار في «مسنده» (٥٠٥) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي**» ، هذا يعني المدينة والجزيرة العربية ، ولكن في التحريش بينهم . ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣ : ٣٠٢) .

إن الشرك الأكبر هو الرياء في فهم السلف الصالح

ويؤكد هذا المنحى حديث عبادة بن نسي قال : دخلت على شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مصلاه ، وهو يبكي فقلت : «يا أبا عبدالرحمن ما الذي أبكاك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، فقلت : ما هو ؟ قال : بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمرا ساءني ؛ فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله . ما الذي أرى بوجهك ؟! قال : «**أمر أتخوفه على أمتي من بعدي**» . قلت : وما هو ؟ قال : «**الشرك وشهوة خفية**» . قال : قلت : يا رسول الله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟! قال : «**يا شداد ، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولا حجرا ، ولكن يراءون الناس بأعمالهم**» . قلت : يا رسول الله ، الرياء شرك هو ؟ قال : «**نعم**» . قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : «**يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر**» . رواه أحمد والحاكم في «المستدرك» (٧٩٤٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وأما ما يدندن عليه عساكر النقض والقبض ، وينفعلون من أجله فهو على أحد أمرين :

- غيرةٍ على التوحيد يجب الاستفادة منها بالنظر في تصحيح كافة الإفراطات اللفظية والعملية ، وتوجيه عامة المسلمين إلى السلامة في العقائد بالحكمة والموعظة الحسنة دون لجاج أو إحراج .

خنعَ ، واقتنعَ بها مَن اقتنعَ ، ومرَّتِ السنواتُ تِلوَ الأُخرى حتَّى صارَ المُسلِمون يُهلِكُ بعضُهم بعضًا ، ويُكفِّرُ بعضُهم بعضًا ؛ فإنَّ الحقيقةَ التي لا زالَت في مَظَانِّها هي الحقيقةُ مهما تكاثرَت ضبابيةُ الباطِلِ ، ومنافيخُ سُمومِ الجماعاتِ المخدوعةِ والفصائلِ ، ولكنَّها تحتاجُ في مُواجهتِها وترشيدِها إلى الشجاعةِ والمِصداقيةِ وأمَّا مسألةُ الانحِرافِ عنِ الجادَّةِ وحُصولِ الإفراطِ في الاعتِقاداتِ والعباداتِ وسيِّئِ العاداتِ ؛ فمسألةٌ يسهُلُ عِلاجُها ، بل هي العِلَّةُ التي لا بُدَّ مِن تصحيحِها والوُقوفِ أمامَ أوراقِها وعِلَلِها لدى الجميع . ومثلُها مثلُ الوُقوفِ أمامَ فِتنةِ التشريكِ والتكفيرِ، فكِلا الحالتَينِ إفراطٌ مَشينٌ وتفريطٌ مهينٌ ، ولا شكَّ أنَّ التصحيحَ والإعادةَ يتمُّ بأُمورٍ :

تصحيح فتنة التشريك للمسلمين

وجوب رد تهمة الشرك عن الأمة

أولُها : ردُّ شُبهةِ الشركِ الأكبرِ عن أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وخاصَّةً شُبهةُ الشركِ المؤدِّيةِ إلى استِحلالِ الدِّماءِ والأعراضِ ، وإلصاقِ تُهمةِ الشركِ الأكبرِ ، وإثارةِ الفَوضى الدينيةِ بها في عُمومِ بلادِ المُسلِمين كما قد حصلَ .

ثانيها : أنَّ كافَّةَ الآياتِ والنُّصوصِ التي استدلَّتْ بها هذه المدرسةُ لا تنطبِقُ على المُسلِمين المُصلِّينَ وإنَّما موقِعُها الصحيحُ مرحلتَينِ :

مرحلة الشرك الجاهلي الأوَّل

الأُولى : مرحلةُ الشِّركِ الجاهِليِّ التي حاربَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وانتهَت بِفتحِ مكَّةَ وإخراجِ الأصنامِ مِنَ الكعبةِ ومِن كافَّةِ المواقِعِ الأُخرى في جزيرةِ العربِ فيما بعدَ ذلِكَ ، وانحصرَت بعدَ ذلِكَ فيمَن بقِيَ مِن مُشركي العربِ ومن يرفُضُ الإسلامَ مِنَ اليهودِ والنصارى والأُممِ الكافِرةِ .

• استتباعٍ لسياسة الخوارج في حمل الشبه على المصلين وتكفيرهم بها ، واستثمار هذا الصراع لإقصاء آل البيت والصوفية والمذهبية عن موقع التأثير الروحي والاجتماعي ؛ ليصفو الجو والزمان لمروجي التكفير والتبديع وأكل المال الحرام والمعاملات البنكية الربوية وشبه الربوية ، وغمط حقوق الشعوب من العمال والمصلين والسخرية بهم ، مقابل خدمة التوحيد السياسي المندرج ضمن علامات الساعة .

مرحلة العودة إلى الجاهلية

الثانيةُ : مرحلةُ العَودةِ إلى الجاهِليةِ الصريحةِ فيما بعدَ مَوتِ عيسى ﷺ .

فأمَّا **المرحلةُ الأولى** : فقد حاربَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واجتُثَت آثارُها الصنميةُ والعقديةُ بِهدمِ دُورِ العِبادةِ وإزالةِ الأصنامِ مِنَ الكعبةِ وما حولَها . وبقِيَت كما أشرْنا لدى الأعرابِ وأشباهِهم بعضُ الظواهِرِ والمفاهيمِ التي قامَ الصحابةُ والتابِعونَ بإزالتِها وتتبُّعِ آثارِها ، ولم يبقَ مِنها في الأُمَّةِ شيءٌ يُذكَر ما عدا ما شابَ العِباداتِ والمُعتقداتِ مِنَ الإفراطِ والتفريطِ في بعضِ الأحوالِ نتيجةَ تراكُماتِ المراحِلِ وشُمولِ الجهلِ ، ودُخولِ بعضِ المفاهيمِ الخاطِئةِ مِنَ الاحتكاكِ بالشُّعوبِ الغازيةِ[1] .

المرحلة الثانية بعد موت عيسى عليه السلام

وأمَّا **مرحلةُ العَودةِ** : إلى الشِّركِ الأكبرِ المنصوصِ علَيهِ في آخرِ الزمانِ فمحدَّدٌ بما بعدَ مَوتِ عيسى عليه السلام ، وبصفتِه المنصوصِ علَيها في الحديثِ : «**لا يذهبُ اللَّيلُ والنهارُ حتَّى تُعبَدَ اللَّاتُ والعُزى**» . فقلت : يا رسولَ اللَّهِ إن كُنتُ لأظنُّ حينَ أنزلَ اللَّهُ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٩] أنَّ ذلِكَ تامًّا ، قالَ : «**إنَّه سيكونُ من ذلك ما شاء اللَّهُ ، ثُمَّ يبعثُ اللَّهُ رِيحًا طيِّبةً فتُوفِّي كُلَّ مَن في قلبِه مِثقالَ حبَّةِ خردلٍ من إيمانٍ فيبقى مَن لا خيرَ فيه فيرجِعون إلى دينِ آبائهم**»[2] .

وهذا الحديثُ يربطُ بَينَ الشركِ وقبضِ أرواحِ المؤمنين ، وهذا من علاماتِ الساعةِ بعدَ عيسى عليه السلام .

وقبلَه حديثُ ثوبانَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يلحقَ قبائلُ مِن أُمَّتي بالمشركين ، وحتى يعبُدوا الأوثانَ**»[3] .

---

(١) كما هو في إفراطات بعض الشعوب التركمانية والمغولية خلال فتوحات الدولة العثمانية ، أو في تفريطات ومعتقدات الشعوب الغازية كالدول الاستعمارية ودورها في إضعاف العلم ودور العلماء وتشجيع الخرافات والعادات الشعبية ، ونفث سموم التسييس الاستعماري في المجتمعات المسلمة ، ولا زال هذا الأمر سائدا إلى اليوم .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٠٧) .

(٣) «سنن الترمذي» (٢٢١٩) .

أما ما بَينَ بعثةِ النبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ إلى نُزولِ عيسى عليه السلام بل إلى موتِه فالشركُ الأكبرُ محصورٌ في اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ مِنَ الأُممِ الأُخرى . هذه الأُممُ التي وجبَ علينا إدخالُها إلى الإسلامِ ونشرِ الدعوةِ إلى اللَّهِ فِيها لإنقاذِها مِنَ الكُفرِ والنارِ ، وهذا ما عمِلَه الأسلافُ وحقَّقوه في العالمِ الإنسانيِّ ، أمَّا اليومَ فإنَّ هذه الأُممَ الكافِرةَ تعملُ مِن خِلالِ الوسائلِ المُتنوِّعةِ على إفسادِ المُسلِمين وتفكيكِ عِلاقتِهم بِثوابتِ الديانةِ مِن خِلالِ سياسةِ العِلمانيةِ والعلمنةِ والعولمةِ تعليمًا وتربيةً وسياسةً واقتِصادًا واعتِقادًا كجُزءٍ مِن سياسةِ المرحلةِ الغُثائيةِ المنصوصِ علَيها ، حتَّى يرمي المسلمُ المسلمَ بالشركِ أوِالكُفرِ استِتباعًا لِسَنَنِ اليهودِ والنصارى ، الذين فعلوا ذلِكَ مِن قبلُ ، وإليه يُشيرُ حديثُ : «**لَتتبِعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قبلَكم** ... » . الحديث . وهذه علامةٌ مِن علاماتِ الساعةِ في الأُمَّةِ ، ومفادُ الحديثِ حُصولُ هذه الظاهِرةِ في المُسلِمين على صِفتَين :

ما بَينَ بعثة النبي مُحمَّد ﷺ وإلى نزول عيسى عليه السلام ينحصر الشرك الأكبر في اليهود والنصارى وأهل الأوثان

(١) تبنِّي بعضِ المُسلِمين سياسةَ التحريشِ بإشاعةِ تُهمةِ التشريكِ والتكفيرِ بِشُبَهِ الاعتِقادِ كإحدى وسائلِ النقضِ والقبضِ الموعودِ بِه في آخِرِ الزمانِ ، وذلِكَ بِاستِتباعِ فِكرةِ الصِّراعِ العقديِّ لدى فِرقِ اليهودُ والنصارى ، كالصِّراعِ بَينَ البُروتستانتَ والكاثُوليكَ وغيرِهم ، وإنجاحِ هذا الصِّراعِ بدعمِ القُوى الاستِعماريةِ معَ بدايةِ مرحلةِ الغُثاءِ إلى اليومِ داخِلَ حظيرةِ الأُمَّةِ الإسلاميةِ .

وقد نجحَت هذه السياسةُ وفرَّقَت أُمَّةَ التَّوحيدِ بالشُّبُهاتِ مُقابِلَ حُصولِها على الهَيمنةِ الاقتِصاديةِ والسياسيةِ ، وما تلاها مِن تهيئةِ أسبابِ الغِذاءِ والدواءِ والأمنِ مُقابِلَ التضحيةِ بِالمنهجِ الأبويِّ التقليديِّ وركائزِه .

ولا زالَتْ عناصِرُها المُسَيَّسةُ وغيرُ المُسَيَّسةِ تعملُ على الإثارةِ والتحريشِ مِن خِلالِ الوسائلِ الإعلاميةِ والشعبيةِ والمُناسباتِ .

ظاهرة الاستتباع للمشركين في آخر الزمان في خلافاتهم المذهبية كصراع البروتستانت والكاثوليك

نجاح سياسة التحريش في تفريق الأمة مقابل الحصول على الهيمنة الاقتصادية والسياسية

(٢) حجزُ الشُّعوبِ المُسلِمةِ بعدَ استِعمارِها ، وفصلُ بعضِها عن بعضٍ ، ونقضِ قرارِها الإسلاميِّ ؛ لِتتحوَّلَ عبرَ التاريخِ الاستِعماريِّ والاستِهتاريِّ إلى شُعوبٍ عِلمانيةٍ وشِبهِ عِلمانيةٍ بِتغييرِ مناهِجِ التربيةِ والتعليمِ والثقافةِ والإعلامِ وغيرِها .

ومِثلَما جرى بعدَ الحربَين العالميتَين مِن إلحاقِ شُعوبِ شرق أوروبا كالروسِ والمجرِ وبُلغاريا والصِّربِ والبوسنةِ والهرسكِ وغيرِها مِنَ المُقاطعاتِ الإسلاميةِ سابقًا بِالفِكرِ الاشتراكيِّ الشُّيوعيِّ وإلحاقِ البلادِ التُّركيةِ بِالفِكرِ العِلمانيِّ ثم الرأسماليِّ ، مِمَّا أظهرَ أجيالًا مِنَ المُسلِمين تحتضِنُ الرؤى الكافِرةَ وشبهَ الكافِرةِ .

ومثلُ هذا ما يجري إلى الآنِ مِن سياسةِ التنصيرِ الإجباريِّ عبرَ التجويعِ والتطبيعِ في إفريقيا والصُّومالِ وغيرِها لِضحايا الحُروبِ وضحايا المجاعاتِ ، وما تبثُّه جمعيَّاتُ التبشيرِ داخِلَ الأوطانِ المُستذَلَّةِ مِنَ الإلحاقِ المُسَيَّسِ بِالنصرانيةِ وغَيرِها ؛ لينخرِطَ في سلكِها المُنحرِفِ بعضُ الأفرادِ والجماعاتِ المضطرين إلى الطعامِ والشرابِ والإيواءِ .

علة الأُمَّة : الإفراط والتفريط

وأما حقيقةُ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ فعِلَّتُها الحقيقيةُ في الإفراطِ والتفريطِ ، ومِنَ الإفراطِ ما يُؤدِّي إلى شُبهةِ الشِّركِ ولا يثبُتُ به ، ومِنَ التفريطِ ما يُؤدِّي إلى مِثلِ ذلِكَ ، ومِنَ الإفراطِ في الاعتِقاداتِ ما يقعُ فيه البعضُ من تقديسِ الأمواتِ والآثارِ الصنميةِ القديمةِ ، واعتِقادِ الضُّرِّ والنفعِ في أربابِها مِن دونِ اللَّهِ بِما يُخرجُ المُعتقِدَ عن حدِّ الاعتِدالِ المشروعِ ، ومثلُه الإفراطُ أيضًا في إصدارِ الحُكمِ على مَن يُمارِسُ مثل هذه الاعتِقاداتِ[1] .

---

(١) كمن فسر حديث (ذي الخَلَصَة) المذكور في علامات الساعة بقوله : (فإن قبيلة دوس وما حولها من العرب قد افتتنوا بذي الخلصة عندما عاد الجهل إلى تلك البلاد فأعادوا سيرتهما الأولى ، وعبدوها من دون الله ... إلخ ما ذكره من تخريبها على يد دعاة التوحيد «أشراط الساعة » ص١٦٢/ يوسف عبدالله الوابل .

أو كذلك ما فسره صاحب «إتحاف الجماعة» ص٢٢٥ جزء٣ ، فقال : «وقد وقع الأمر طبق ما أخبر به رسول الله ﷺ في هذا الحديث ـ أي: حديث «ذي الخلصة» ـ وعظم افتتان أهل تبال ومن حولهم من القبائل بذي الخلصة وأعادوا سيرتها الأولى في زمن الجاهلية ... إلخ » . إلى أن قال : «وزال الافتتان بها في زمن ولاية النجديين على الحجاز ولما زالت ولايتهم عن الحجاز عاد الجهال إلى ما كانوا عليه من الافتتان بها ، حتى ولي الملك عبدالعزيز على الحجاز وما حوله ، فبعث عامله على تلك النواحي فهدموا ما بقي

ومآلُ مِثلِ هذا الإفراطِ في الحُكمِ إلى وُجوبِ تعليمِ المُسلِمين بِنشرِ الدعوةِ إلى اللَّهِ بِالحكمةِ والموعِظةِ والحسنةِ .. ولَيسَ بِالتكفيرِ والتشريكِ وإصدارِ الأحكامِ المُسبقةِ على عُمومِ الأُمَّةِ .

تحولت محبة الأولياء إلى حرب عقدية حتى وقع المفرِّط في الإعجاب باليهود والنصارى والمفرِط بالطعن فيهم والاستصغار

والتفريطُ هو التجافي عنِ الحقِّ ، والنظرُ إلى الأُمَّةِ بِعَينِ الشكِّ وسُوءِ الظنِّ ، وإفسادُ عِلاقةِ الشُّعوبِ المُسلِمَةِ فيما بَينَها ، وتحويلُ محبَّةِ الأولياءِ فِيها وآلِ البَيتِ النبويِّ إلى عداوةٍ وحربٍ عقديةٍ مُسَيَّسةٍ ، حتَّى يقعَ المُفرِّطُ بِسببِ ردَّةِ الفِعلِ - كما هو قائمٌ الآنَ - في تقديسِ وتعظيمِ اليهودِ والنصارى والنظرِ إلى أفكارِهم وعُلومِهم بِعَينِ التعظيمِ ، ويقابِلُه النقدُ والطعنُ والاستِصغارُ لِلأولياءِ ونفضُ اليدِ تمامًا عنِ الاعتقادِ في كُلِّ مُؤمنٍ صالحٍ ، ووصفُ الصلاحِ ومظاهِرِه بِالمصالِحِ والحِيَلِ والشعوذةِ وغيرِ ذلِكَ .

من بنائها، ورموا بأنقاضها في الوادي ؛ فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع أثرها» .

قلت : وهم قد فعلوا خيرا بما هدموه من مظهر الجاهلية إلا أن هذا لا يرتبط بمفهوم الشرك ، وإنما هو الإفراط في الاعتقاد ، والذي يصيب بعضَ المسلمين ، وقد عُممت تهمة الشرك في الجزيرة على كثير من مواقع قبور الصحابة وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأولياء واعتبروها عبادة لمظاهر الشرك الأكبر ، ولكن عند النظر الصحيح في النصوص وقراءة فقه التحولات وعلامات الساعة كما تحدث عنها من لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فسنجد أن ما سموه شركا أكبر - وطهروا منه الجزيرة - إنما هو الإفراط مقابل ما وقعوا هم فيه من التفريط ، أما الشرك الأكبر وظهور عبادة الأوثان - ومنها ذو الخلصة واللات والعزى ومناة وغيرها - فستعود مرة أخرى إلى الجاهلية بعد مرحلة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كما نص عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

ولو رجعنا للنصوص فإن الشرك الأكبر في مرحلة البعثة كان اسما للرياء لا غير ، كما فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وفي «المعجم الأوسط» للطبراني (١٩٦) عن يعلى بن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الشرك الأكبر» ، وفي «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٧٩٣٧) عن يعلى أيضاً قال : «كنّا نَعُدُ على عَهدِ رَسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنَّ الرِّياءَ الشركُ الأصغرُ» قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

والخيـرُ كُلُّ الخيـرِ لنـا جميعًا أن نتوبَ إلـى اللَّهِ ونعرفَ حـقَّ بعضِنا على بعضٍ أحيـاءً وأمواتًا ... ومِـن ثَمَّ يُصحِّحُ في الجميعِ الإفراطُ والتفريطُ ، وكفى بِاللَّهِ وليًّا وكفى بِاللَّهِ شهيدًا.. فهل مِن مُستجيبٍ ؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

وسائل الفحش علامة صغرى

٦٥. الأجهزةُ الإعلاميةُ ووسائلُ الفُحْشِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى المشارِ إليها في الأحاديثِ الشريفةِ ظهورُ الفحشِ والتفحُّشِ وسـوءِ الخُلُق، وإلى ذلك يُشِـيرُ الحديثُ عنِ ابنِ مسـعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ : «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن يظهرَ الفُحشُ والتفحُّشُ وسُوءُ الخُلُقِ وسُوءُ الجِوارِ**»[١] .

دور الأجهزة الإعلامية في إظهار الفحش والتفحش

وفـي هذا الحديثِ إشـارةٌ إلى مـا تبثُّه العديدُ مِنَ الأجهـزةِ الإعلاميةِ مِنَ الأفلامِ والصُّـورِ الخليعـةِ مِـن جانبٍ، وما يحصُـلُ مِن فُحـشِ القَولِ في وصـفِ الصِّراعِ المُفتعـلِ بَينَ الجماعاتِ والحُكوماتِ وتناوُلِ بعضِهمُ البعضَ مِن جهةٍ أُخرى[٢] ، إمَّا في الإعلامِ أو في البرامجِ الانتِخابيةِ واستِغلالِ الأخطاءِ والجُنوحاتِ للتشويهِ ، ومِـن ذلك ما يُسـتخدَمُ في أجهزةِ الشـبكةِ العنكبوتيةِ مِن عـرضِ الصُّورِ والأفلامِ الماجِنةِ وفتحِ المواقعِ الخاصَّةِ لِذلِكَ ، وحُريةِ التواصُلِ معَ أولئكَ القائمين علَيها، لإفسادِ الأجيالِ وإثارةِ الجدلِ وإضاعةِ الشرفِ والمالِ .

من ظواهر الفحش ما يباع ويشاع في الأفلام والملابس

ومِن ظواهِرِ الفُحشِ والتفحُّشِ : ما يُباعُ ويُشاعُ في الأسواقِ مِنَ الأفلامِ وأقراصِ الأجهـزةِ الحديثـةِ الحامِلـةِ لِصُـورِ الرُّعـبِ والدِّماءِ والعُنـفِ والسـحرِ والرقصِ الماجِنِ، وحصولُ الشـبابِ والناشئةِ علَيها بيُسرٍ وسُهولةٍ دونَ خَوفٍ أو مُراقبةٍ مِن

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٤٨) .

(٢) أو مـا يفعلـه بعـض المنسـوبين لمـدارس القبـض والنقض من صـور إعلاميـة وتعليقات انتقائية ، هدفها تشـويه عقائد المسـلمين ورميهم بالشـرك والكفر ، وإثبـات ذلك فيهم مع إسـقاط وتنزيل الآيـات والأحاديث على ما ينتقـى من الصور والمظاهـر المفرطة ، والتي ترسخت غالبا في مراحل التحولات السياسية والاجتماعية القبلية ذات الارتباط بالتسييس الاستعماري وما تلاه .

أيِّ جِهةٍ رسميةٍ أو شبهِ رسميةٍ في الواقِعِ المرذولِ .

من ظواهر الفحش مشاركة الجيل في الأندية المختلطة

كما أنَّ مِن صُورِ الفُحشِ والتفحُّشِ تشجيعَ الأولادِ والبناتِ على دُخولِ أنديةِ الرقصِ الخليعِ ومواقِعِ الاختِلاطِ الماجِنِ ، والتعلُّلَ بأنَّ هذا جُزءٌ مِن حياةِ الشُّعوبِ وثقافتِها ، مِمَّا دفعَ بالعشراتِ والمِئاتِ مِن جيلِ المُسلِمين إلى هذه المعاهِدِ والأنديةِ . وغدَتِ اليَومَ في بعضِ بِلادِ المُسلِمين جزءًا لا يتجزَّأُ مِن الثقافةِ المُعاصِرةِ ، بل إنَّ ثقافةَ الفُحشِ والتفحُّشِ امْتَدَّتْ في بعضِ البلادِ إلى أَقْصَى درجاتِها الإعلاميةِ والاجتِماعيةِ كظاهِرةٍ مِن ظواهِرِ المرحلةِ .

ولعلَّ الشاهِدَ العدلَ ـ إذا صحَّتِ العِبارةُ ـ والرائدَ الذي لا يكذبُ عِندَ هؤلاءِ الرافضين حقائقَ ما يُذكَرُ عن حالِهم وأحوالِهم وأفلامِهم ومسارِحِهم المعروضةِ في أجهزةِ إعلامِهم . هذا في الحدِّ الأدنى المسموحِ بِهِ أمامَ سمعِ وبصرِ الآمرين بالمعروفِ والناهينِ عنِ المُنكرِ . أمَّا بقيةُ المُسلِمين في الأنظمةِ المفتوحةِ والمؤسساتِ الطموحةِ فالمسألةُ أكبرُ مِن حجمِ الوصفِ والتعليلِ .

بل إنَّ الفُحشَ والمعاصيَ واستِحلالَ الكبائرِ داخِلَ أقبيةِ بعضِ المُسلِمين وبيوتِهم واستراحاتِهِمُ الشخصيةِ يعكِسُ حالةً مِنَ التردِّي للديانةِ والإسلامِ مِمَّا يُؤدِّي إلى حُصولِ الخسفِ والقذفِ والرجفِ والزلازلِ المؤثِّرةِ على المُجتمعِ كُلِّه بِصرفِ النظرِ عن سلامةِ المعتقدِ ووُجودِ الصالحين .

وها نحن اليَومَ نشهدُ مظاهِرَ الرجفِ والزلازِلِ في بعضِ البِقاعِ القريبةِ مِنَ الأراضي المُقدَّسةِ وفي غيرِها مِنَ البِلادِ ؛ نتيجةَ المعاصي والظُّلمِ وأكلِ الرِّبا واستحلالِ الحُرُماتِ ، سواءٌ بالتجاهُرِ بها علنًا أو بوجودِها ضِمنَ الحياةِ الخاصةِ ، أو تشجيعِ مظاهِرِها الثقافيةِ والإعلاميةِ المُروِّجةِ في المعروضاتِ مِنَ الأفلامِ وثمراتِ الأقلامِ ، وسُكوتِ أهلِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المُنكرِ عن ذلِكَ ، سواءٌ برِضًى مِنهم أو بعدمِ الرِّضى مِنهم عن ذلِكَ .

وإلى مِثلِ ذلِكَ يُشيرُ حديثُ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : « **إذا اتُّخِذَ الفَيءُ دُولًا ، والأمانةُ مغنمًا ، والزكاة مغرماً ، وتُعُلِّمَ لِغَيرِ الدينِ ، وأطاعَ الرجُلُ**

امرأتَـه وعـقَّ أمَّه، وأدنـى صديقَه وأقصى أبـاه، وظهرَتِ الأصواتُ في المسـاجِدِ وسـادَ القبيلـةَ فاسِـقُهم، وكانَ زعيمُ القـومِ أرذلَهم، وأُكْـرِمَ الرجُلُ مخافةَ شـرِّه، وظهـرَتِ القَينـاتُ والمعـازِفُ، وشُـرِبَتِ الخُمورُ، ولعـنَ آخِرُ هذه الأُمَّـةِ أوَّلَها؛ فليرتقِبوا عِندَ ذلِكَ ريحًا حمراءَ وزلزلةً وخسـفاً ومسـخًا وقذفًا وآياتٍ تَتَابعُ كنِظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُه فتتابعَ»[1].

وهـا نحن نشـهدُ الكثيرَ مِن هـذه الظواهِرِ في بِـلادِ العالَمِ العربيِّ والإسـلاميِّ، ومِنها ما اجتمعَتْ فيه كُلُّها، ومِنها بعضُها، والعياذُ باللَّهِ.

إنَّ فِقـهَ التحوُّلاتِ يكشِـفُ بُوضوحٍ الحالـةَ المرضيةَ في الأُمَّةِ بعدَ تشـخيصِها، وقـد عـاشَ المُنفِّذون فـي الأُمَّةِ يلعبـون الأدوارَ المُتنوِّعـةَ لإنجاحِ تغلغُـلِ الثقافةِ الغازيـةِ مرحلةً بعدَ أُخرى ـ ولا زالوا ـ ولِلأسـفِ، كظاهِرةٍ تُؤكِّدُ قولَ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ.

شرب الخمر واستحلالها علامة صغرى

٦٦. شربُ الخمرِ واستِحلالُها

ومنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى فُشُـوُّ الخمرِ وشُـرْبِها لِمَا روى الإمامُ مُسلِمٌ في صحيحِـه عـن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: «سـمِعتُ رسـولَ اللَّـهِ ﷺ يقولُ: «**مِن أشراطِ الساعةِ ...**» وذكرَ مِنها «**ويُشرَبَ الخمرُ ...**»»[2].

وفي حديثٍ آخرَ: «**لتستحِلَنَّ طائفةٌ مِن أُمَّتي الخمرَ باسمٍ يسمُونها إياه**»[3].

ظاهرة تغيير اسم الخمر وشربها بَينَ المُسلِمين

والخمـرُ فـي اللُّغـةِ: اسـمٌ لِما خامـرَ العقـلَ وخالطَـه، ويُطلَـقُ علَيها فـي زمانِنـا هذا عدةُ أسـماءٍ منها المشـروباتُ الرُّوحيةِ، وقد كانَت في عُصورٍ سـلفَت شـيئًا غريبًـا وفعـلًا مُريبًا فـي العالَـمِ الإسـلاميِّ، ولكنَّها خِـلالَ مراحِلِ التطبيعِ

---

(١) رواه الترمـذي (٢٢١١) وذكـره فـي «المسـتصفى» ص ٨٦١ وذكره الغمـاري في «مطابقة الاختراعات» ص ١٣٠.
(٢) «صحيح البخاري» (٨٠) و«صحيح مسلم» (٢٦٧١).
(٣) «مسند أحمد» (٢٢٧٠٩).

الاستِعماريِّ والاستِهتاريِّ والاستثماريِّ صارَتْ سُلوكًا مُعتادًا لدى بعضِ القادةِ والمثقفينَ الحائِرينِ ، والفسقةِ والعُصاةِ ، والفنَّانين ونُجومِ الغِناءِ والتمثيلِ ، إلَّا مَن رحِمَ اللَّهُ .

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ مِن علاماتِ الساعةِ استِحلالَها ـ أي : اعتبارِها مشروبًا حلالًا لا إِثمَ علَيهِ ، ولا حُرمةَ في تعاطيه ـ مِمَّا يترتَّبُ علَيهِ المُجاهرةُ بِشربِها واتِّخاذِ المصانعِ والحوانيتِ لِبَيعِها وترويجِها[1] .

ترويج المخدرات

ويليها في الانتِشارِ والترويجِ (المُخدِّراتُ) ، وهي تدخُلُ تحتَ معنى مُخامرةِ العقلِ والإسكارِ ، وحُكمُها حُكمُ الخمرِ مِن حيثُ التحريمُ والعُقوبةُ وإقامةُ الحدِّ الشرعيِّ على شارِبِها ، وقدِ ابتُلِيَت بِلادُ المُسلِمين بهذه العِلَّةِ ، حتَّى صارَت إحدى مشاكِلِها الاجتِماعيةِ الخطِرةِ ، بل صارَ بعضُ القائمين على مُحاربتِها هم رُوَّادُ تسويقِها وحُماةُ استيرادِها وتصديرِها في الأَوطانِ المغلوبةِ .

إسقاط الحدود الشرعية تبعا لرغبة جمعيات حقوق الإنسان

وكفى انحِدارًا في بِلادِ الإسلام كُلِّها إسقاطُ حُدودِ المعاصي كالسرقةِ وشُربِ الخمرِ وحدِّ الزِّنا ... إلخ ، والتخوُّفُ مِن هيمنةِ الكافِرِ المُطالِبِ بِحقوقِ الإنسانِ ـ أي : بِحمايةِ السارِقِ والزاني ـ واعتبارُ الحُدودِ الشرعيةِ حُريةً شخصيةً يجِبُ تنظيمُها وحُسنُ المُعاملةِ مع مُرتكِبِيها ، دونَ إقامةِ الحدِّ الشرعيِّ الواجِبِ عِندَ ثُبوتِ الجريمةِ .

ويبدو أنَّ الخللَ التربويَّ والثقافيَّ والاقتِصاديَّ وغَيرَه قد هيَّأَ أسبابَ الاستِغراقِ في هذه الانحِرافاتِ الخطيرةِ ، ووسَّعَ دائرةَ المقارفةِ لها بَينَ المُسلِمين تحتَ تبريراتٍ شَيطانيةٍ وحِيَلٍ إبليسيةٍ نفسانيةٍ ... كالقلقِ والاكتئابِ وشُمولِ الهمِّ والضيقِ والهُروبِ مِنَ المشاكِلِ وتناقُضاتِ الواقِعِ وغيرِها مِنَ المعاذيرِ التي صارَت ذرائعَ لدى ضِعافِ النُّفوسِ لِشُربِها .

---

(١) وقد ظهرت هذه الحالة بشكلها المتميز والمنتشر منذ بدايات عهد الاستعمار وتأثر المسلمين بالحضارة الأوروبية واختلاط المسلمين بهم من خلال البعثات والدراسات والثقافات والارتباطات السياسية والاقتصادية .

تعظيم أرباب الأعمال ورجال المال علامة صغرى

٦٧ . ظاهِرةُ تعظيمِ ربِّ المالِ

ومِنَ العلاماتِ الصغرى المُشارِ إلَيها في آخِرِ الزمانِ بَينَ المُسلِمين تعظيمُ ربِّ المـالِ ، ووردَت هذه الظاهِرةُ ضِمنَ مجموعةٍ مِـنَ الظواهِرِ التي تُصابُ بها الأُمَّةُ، ومِنها حديثُ : «**إذا اقتربَ الزمانُ كثُرَ لُبسُ الطيالسةِ ، وكثُرَتِ التِّجارةُ وكثُرَ المالُ، وعُظِّمَ ربُّ المالِ بمالِه ... إلخ**»[1] .

وحديثُ : «لِما حجَّ النبيُّ ﷺ حِجةَ الوداعِ أخذَ بِحلقتَي بابِ الكعبةِ ثُمَّ أقبلَ على النـاسِ ، فقالَ : «**يا أيُّها الناسُ ألا أُخبِرُكم بِأشـراطِ القيامةِ ؟ إنَّ مِن أشـراطِ القيامةِ إماتَـةُ الصلـواتِ ، واتِّبـاعُ الشـهواتِ ، والمَيلُ معَ الهـوى ، وتعظيـمُ ربِّ المالِ... إلخ**»[2] . وحديثُ ـ مِن طريقٍ آخَرَ ـ رواه ابنُ مردويه وفيه : «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ إضاعةُ الصلاةِ ، والمَيلُ إلى الهوى ، وتعظيمُ ربِّ المالِ**» .

تداخل العلامات المؤدية إلى تعظيم رب المال

وهـذه الظاهِـرةُ قد بلغَتِ اليَـومَ أوجَها وشِـدَّتَها ، ومعَ وُجودِها بَيـنَ الناسِ فقد حلَّت على ما يبدو مُقابِلَ ضياعِ أمرٍ آخَرَ ، وهو ما كانَ مِن قبلُ مِن تعظيمِ الصالِحين مِـنَ الأوليـاءِ ورِجـالِ الأحـوالِ ، ولعلَّها عُقوبـةٌ علـى المُتأخِّرين الذين اشـتغلوا باسـتِنقاصِ أوليـاءِ اللّـهِ والطعنِ في عقائدِهـم وأحوالِهم ؛ فكانَ البديـلُ لها أنكى وأطـمَّ ، وهـو تعظيمُ ربِّ المالِ لِمالِه . بل صارَت مدرسـةُ تعظيمِ ربِّ المالِ هي ـ ذاتُهـا ـ المُتولِّيةُ تحقيرَ الصالِحين ورِجالِ الأحوالِ بِما تتناوله عنهم مِنَ الشُّـبُهاتِ المُتنوِّعةِ ، وسـيجِدُ المُرتابُ فيما نقولُ مُخرجاتِ كتاباتِ هذه المدرسةِ وفروعِها عنِ الأولياءِ والصالِحين مُنتشِـرةً في المكاتِبِ والأسـواقِ .. وهمُها الكبيرُ تشـويهُ الأولياءِ ومَن أحبَّهم وتعلَّقَ بهم وزارَهم .

بـل زادَ تفنُّنُهم فـي ثلبِ هذه الظاهِرةِ حتَّى جعلوها شِـركًا أكبرَ بِمـا يفعلُه بعضُ المُسـلِمين مِنَ التوسُّلاتِ والاستِغاثاتِ والاستِشفاعِ حيثُ اعتبرَتها هذه المدرسةُ

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٤٦٥) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٤٨٦٠) .

(٢) عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رواه القاضـي أبو الفـرج المعافي بـن زكريا في كتابـه «الجليس والأنيس» ، وهو ضعيف ، ولبعضه شواهد .

عملًا شركيًّا خالِصًا، وبهذا صارَ الأولياءُ الصالحون في قاموسِ مدرسةِ النقضِ والقبضِ طواغيتَ وأصنامًا، والزائرون مُشرِكين وكفرةً[1]، والعُلماءُ سدنةٌ وكهنةٌ.

رفض تعظيم الأولياء وأهل الأحوال أدى إلى البديل المناسب: ظاهرة تعظيم رجال المال والأعمال

وكانَ بهذا حُصولُ البديلِ الآخَرِ، وهو تعظيمُ ربِّ المالِ، ممَّن يُسمَّون في زمانِنا بِرجالِ «المالِ والأعمالِ» وتعظيمُ مقاماتِ وبُنوكِ ومواقِعِ حركةِ الأموالِ والبُورصاتِ معَ أنَّ المالَ مشوبٌ بِالرِّبا والشُّبهةِ، ومُخرجٌ مِن مُخرجاتِ الخِدمةِ للدَّورةِ الرِّبويةِ العالميةِ، وخاصَّةً في مجالاتِ الاستِثماراتِ الكُبرى، بل صارَ المُسلِمون في المراحِلِ المُعاصِرةِ يعتمِدون اعتِمادًا كُليًّا على رِجالِ المالِ والأعمالِ في مجالِ الاستِثماراتِ المُتنوِّعةِ ولو مِن غَيرِ المُسلِمين، يُسهِّلون لهم كافَّةَ الأسبابِ لِترغيبِهم في الاستِثمارِ، وكفى بِمُلاحظةِ الواقعِ العربيِّ والإسلاميِّ حُجَّةً.

لقد صارَتِ البدائلُ الأُخرى كالمالِ الحرامِ ومصارِفِه وخِدْماتِه واستِثماراتِه صُورةً حضاريةً يتناولُها ويتعاملُ بها كافَّةُ أتباعِ المدرسةِ الرِّبويةِ وعُلمائها وقادتِها ولا حرجَ في ذلِكَ ولا ريبَ، بل لا يستطيعُ أكثرُهم حِرصًا على كِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ نبيِّه أن يُحرِّكَ ساكِنًا أمامَ طُغيانِ المدرسةِ الرِّبويةِ وترويجِ مُعاملاتِ الأسهُمِ والشراكةِ الاقتِصاديةِ والتأميناتِ المشبوهةِ (يُسمُّونها بِغَيرِ اسمِها) وكأنما هي قد كانَت على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه!

٦٨. ظُهورُ المعازِفِ واستِحلالُها

ظهور المعازف واستحلالها علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى ظُهُورُ المَعَازِفِ، والمعازِفُ هي آلاتُ الملاهي كالعُودِ والطنبورِ والمِزمارِ وغيرِها.

---

(١) مع أن مسألة التوسل والاستشفاع والاستغاثة في منهج الإسلام على ثلاثة أقسام:
١. واجبة بالله وأسمائه وصفاته.
٢. جائزة بالأعمال الصالحة والذوات الحية.
٣. مختلف عليها بالذوات الميتة.

وهـذه العلامةُ قـد ظهرَت فـي أزمانٍ مُتعـدِّدةٍ ولكنَّها فـي أُخرياتِ الزمـانِ أكثرَ انتِشارًا وأثرًا وتأثيرًا مِن حيثيَّاتٍ كثيرةٍ مِنها :

بناء المؤسسات الثقافية المخصصة للفنون

- اعتِناءُ الأنظمةِ والمؤسَّساتِ الثقافيةِ بالقَيناتِ والفنَّانين والفنَّاناتِ تبعًا للتأثُّرِ بالعالمِ الاستِعماريِّ والاستثماريِّ ، وهُو مِن جِنسِ الاستِتباعِ لِلأُممِ الذي يظهرُ في أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ .
- ازدِيادُ شعبيةِ وجماهيريةِ نُجومِ الفنِّ كما يُسمَّون لدى العـوامِّ والمُثقَّفين ، والنظرُ إلَيهم بِعَينِ التعظيمِ والتقديرِ بعدَ لين عرائكِ الشعوبِ ، واستِتباعِها بلينِ عرائكِ المُربِّين ومُؤسَّساتِ التعليمِ والثقافةِ المُعاصِرةِ ومَن يُسَيِّسُ لها .

تشجيع الفن وتكريم الفنانين

- وُلـوغُ طائفةِ النُّجومِ والفنَّانين والفنَّاناتِ في الكبائرِ بِكُلِّ أنواعِها بعدَ احتكاكِهِمُ الدائمِ بِمُجتمعاتِ الفنِّ غَيرِ المُسلِمةِ ، وتأثُّرُ المجتمعِ الفنِّيِّ العربيِّ بِالمفاسِدِ والمعاصي ، كما هي معروفةٌ بهذا الاسمِ في الدين الإسلاميِّ ، أمَّا في عُقولِ وقُلوبِ (أصحابِ مِهنةِ الفنِّ) فحُريةٌ وعِلاقاتٌ وُدِّيةٌ وصداقاتُ زمالةٍ وعملٍ .

مظاهر الفن ومخرجات الأفلام والمسارح

وقد بلغَت هذه المسألةُ في عصرِنا أعلى درجاتِ الإسفافِ والخلاعةِ ، وشاهدُ ذلِكَ العديدُ مِنَ الأفلامِ والصُّورِ المُتداولةِ عنهم وعن سهراتِهم وحفلاتِهم المُنعقِدةِ في العديدِ مِنَ العواصِمِ العربيةِ ، وكُلُّ هذه الانحِرافاتِ لم تعُدْ في عصرِنا انحرافاتٍ عِندَهم ، بلِ الانحرافُ - مِن وجهةِ نظرِهم - تعليلُنا وحديثُنا عنهم بهذه الصُّورةِ .

هذا الانحدار الثقافي من علامات الساعة

ولِأنَّ مِثلَ هذا الانحدارِ الثقافيِّ مِن وِجهةِ نظرِ الإسلامِ علامةٌ مِن علاماتِ الساعةِ ؛ فإنَّ غالبَ أجيالِنا المُتأسلِمةِ والمستسلِمةِ قد تحكمَت فيهم عاداتُ وثقافاتُ الأعداءِ خلالَ مراحِلِ العلمانيةِ والعلمنةِ والعولمةِ، وسيستمرُّون على ذلِكَ حتَّى تظهرَ فيهم بقيةُ العلاماتِ، ومِنها قولُه ﷺ : «**ليكونَنَّ مِن أُمَّتي أقوامٌ يستحِلُّونَ الحِرَّ والحريرَ والخمرَ والمعازِفَ ، ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جنبِ علم يروحُ**

علَيهم بِسـارحةٍ لهم ، يأتيهِمُ الفقيرُ لِحاجـةٍ فيقولون : ارجِعْ إلَينا غدًا . فيبهتُمُ اللَّهُ، ويضـعُ العِلمَ ، ويمسـخُ آخرين قِردةً وخنازيـرَ إلى يَومِ القيامـةِ » صحيحُ البُخاريِّ ١ / ١٥ معَ الفتحِ.

حديث المسخ في الأُمَّة لاستحلال الحر والحرير والخمر والمعازف

ويَعتقِـدُ البعـضُ مِن كافَّـةِ المُسـلِمين أنَّ العُلماءَ يُشـدِّدون في مسـألةِ المعازِفِ والطربِ ويحجّرون بِفتاويهم على الناسِ ؛ ولِهذا تجِدُ الراغِبين في الفِتَنِ يستدِلُّون بِأقوالِ بعضِ العُلماءِ عن جوازِ المعازِفِ والغناءِ ، ومِنها أقوالٌ تُنسَـبُ لِلعلامةِ ابنِ حزمٍ وغيرِه .

الفنون الشعبية المنظمة لا تدخل في المحظور

والأمرُ الذي نحنُ بِصددِه أنَّ الأحاديثَ الشريفةَ تتناولُ الوعيدَ الشديدَ لِلمعازِفِ والطـربِ المُفضي إلى الإثمِ وفِعلِ الحرام ، وليـس ما يفعلُه الأفرادُ وبعضُ الهُواةِ أو ما يُسـمَّى بِالفرقِ الشـعبيةِ ، التي تقومُ بِأسـاليبِ الغِناءِ والشـرحِ الشعبيِّ المُقيَّدِ بِـالأدبِ والاحتِشـامِ والآلاتِ غَيرِ المُحرَّمـةِ في إحياءِ بعضِ المُناسـباتِ الخاصَّةِ أوِ العامَّةِ ترويحًا وتسـليةً ومُشـاركةً فـي أفراحِ الزواجِ وغيرِها ؛ فهذه أُمورٌ يسـهُلُ تقييدُهـا ومُحاصرتُهـا إذا ما خرجَت عن دائرةِ الاعتِدالِ في حياةِ الشُّـعوبِ ، وإنَّما المُصيبـةُ الكُبـرى ما قد خرجَ عن دائـرةِ السَّـيطرةِ ؛ لِيصبحَ اتِّجاهًـا ثقافيًّا وصُورةً عاكِسـةً لدى العالمِ الآخَرِ عن مدى الانفِلاتِ والتحلُّلِ الأخلاقيِّ في المُسـلِمين ، لِتتحقَّقَ بِه موعوداتُ النبيِّ ﷺ في الأُمَّةِ مِنَ الخسفِ والقذفِ والرجفِ والمسخِ .

٦٩. التطاوُلُ في البُنيانِ

التطاول في البنيان علامة صغرى

وهو علامةٌ مِن علاماتِ السـاعةِ الصغرى كشفَ عن شُـيوعِها في أواخِرِ الزمانِ سـيِّدُ الأُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وهي تُشـيرُ إلى حُصولِ الأموالِ وسـعةِ الأرزاقِ في حياةِ العديدِ مِنَ الناسِ ، وتوسُّعِ العُمرانِ وزيادةِ التخطيطِ الحضريِّ ، ويبدو أنَّ الظاهِرةَ تكـرَّرَت فـي أكثرَ مِـن عصرٍ وزمانٍ . إلَّا أنَّهـا في مراحِلِنا الأخيـرةِ قد وصلَت إلى ذِروتِهـا في مفهومِ التطاوُلِ وخاصَّةً على أيدي العـربِ ، الذين وصفَهُمُ النبيُّ ﷺ بِالحُفـاةِ العُراةِ رِعاءَ الشـاءِ كما جاء في حديث جبريل ، الذيـن فتحَ اللَّهُ علَيهم في الاسـتِثمارِ المـاديِّ فارتفعَت أرصِدتُهـم ارتفاعًا خياليًّـا ، وانتقلوا فجـأةً مِن حياةِ

الاستثمارات العربية الخيالية وصرفها في أبنية الأبراج

الصحـراءِ والأنعامِ إلى حيـاةِ الترفِ والحضارةِ وارتفاع مدخـولاتِ الأرقامِ ، ممَّا حـدا بِالكثيـرِ مِنهـم أن يرمُـوا بِأموالِهم في بحـرٍ مِنَ الاسـتِثماراتِ الخياليـةِ وبناءِ الأبراجِ العُظمى وناطِحاتِ السحابِ تفاخُرًا وخُيلاءَ .

بـل بلـغَ الأمرُ أقصاه في حياةِ التطـاوُلِ أن يبنيَ بعضُهم بُرجًا مِن سـبعين طابِقًا ، فيغـارُ مُسـتثمِرٌ آخـرُ ؛ فيبني بُرجًـا مِن مائةِ طابِـقٍ وهكذا في زيادةٍ وتطـاوُلٍ ، دونَ إدراكٍ لهـدرِ المالِ وطاقاتِ العُمَّالِ فيما لا يعودُ بِمنفعةٍ قريبةٍ أو بعيدةٍ على الوطنِ ولا على الأُمَّةِ ولا على الفردِ ذاتِه فيما أنفقَه . بل رُبَّما كانَ العائدُ والفائدةُ للشرِكاتِ المُتعاقِدةُ على الاستشارةِ والتنفيذِ .

الحديث يخص العرب في ذم التطاول

والتطـاوُلُ فـي البنيانِ بِالنسـبةِ لغَيرِ العربِ مسـألةٌ معلومةٌ مِن قديـمِ الزمانِ ، أمَّا العـربُ فغايةُ ما هم علَيهِ في عواصِمِهم مُنـذُ القديمِ لا يتعدَّى البناءَ للحاجةِ ، وإذا ما زادَ أحدٌ شَيئًا مِن ذلِكَ إنَّما يكونُ في الغالِبِ تبعًا لتقليدِ الفُرسِ أوِ الرُّومِ كما هو في حاضرةِ الحِيرةِ آنذاك وقصورِ العراقِ والشامِ ، ولم يعرِفْ العربُ الأبنيَةَ العاليةَ إلَّا بعدَ الفُتوحاتِ الإسلاميةِ والاختِلاطِ بحضاراتِ الرُّومِ والفُرسِ وغَيرِهم .

وقـد لا يكـونُ الذمُّ في الحديثِ خاصًّا بِمسـألةِ البناءِ لِلحاجـةِ .. وإنَّما الذمُّ كما يظهرُ لِلتطاوُلِ ، وفيه إشارةٌ إلى تغيُّرٍ في الطباعِ التي هذَّبَها الإسلامُ بِالزهدِ والإيثارِ والإنفـاقِ فـي سـبيلِ اللَّهِ ؛ لِتُصبِـحَ على غايةٍ مِـنَ الحِرصِ وبذلِ الأمـوالِ في غَيرِ وجهِهـا الصحيـحِ . وقد ذمَّ اللَّـهُ أُمَّةً مِنَ الأُممِ لِشُـيوعِ هذهِ الظاهِـرةِ فِيهم ، فقالَ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الشُّعراء: ١٢٨ - ١٣١] .

وفـي رِوايـةِ الإمامِ أحمدَ عـنِ ابنِ عبَّاسٍ إشـارةٌ بيِّنـةٌ أنَّ المعنيِّين بِالتطـاوُلِ هـمُ «**العربُ**» عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَن أصحابُ الشاءِ والحُفاةُ الجِياعُ العالةُ ؟ قالَ : «**العربُ**»[1] ولا يخفى على مُتأمِّلٍ في عصرِنا ما آلَتْ إلَيه هذه الحالـةُ الغريبةُ مِنَ التفاؤلِ بِبناءِ الأسـواقِ والمُجمَّعاتِ التِّجاريةِ الكُبرى في بعضِ

---

(١) «مسندُ أحمدَ» (٢٤٢٩) ، وانظر «أشراط الساعة» الوابل ص ١٤٩ .

العواصِـم على صفةِ المُنافسـةِ ، مِمَّـا أدَّى إلى هجرِ بعضِها وتركِهـا بُنيانًا حضاريًّا يعكِسُ الفنَّ المِعماريَّ الحديثَ ، ولا يُستفادُ منه لِكثرةِ المُنافسةِ بِأمثالِه وأشباهِه .

كثرة التجارة

٧٠. كَثرةُ التِّجارة

ومِـنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى ظُهُـورُ الاِهْتِمَامِ بِالتِّجَـارَةِ ، والمقصودُ بالكثرةِ كونُها تعُمُّ الناسَ جميعًا كأفرادٍ وجماعاتٍ ، كما تعُمُّ السياسةَ التِّجارية واستِجلابَ كُلِّ شـيءٍ مِنَ البضائعِ والمُسـتلزماتِ بما لم يسـبقْ له مثيلٌ ؛ حتَّـى تُصبِحَ التِّجارةُ بَيـنَ الناسِ أقربَ إلـى العبثِ والاستِخفافِ بِالعُقولِ والأمـوالِ ، إضافةً إلى كثرةِ الأسواقِ والإسرافِ في زخرفتِها وتصميماتِها.

ونحـن اليَـومَ نـرى هـذه الظاهِرةَ بـرزَت جليَّةً فـي أوسـعِ صُورِها ؛ حتَّـى صارَ الأطفالُ والعجزةُ والفُقراءُ وعُمومُ الموظَّفين ، بل ـ وحتَّى المُتسوِّلون ـ يشترِكون في مُضارباتِ التِّجارةِ بالأسـهُمِ وغيرِها ، وبِاسـتخدامِ الترويجِ لِلبيعِ والشِّـراءِ عبرَ الأجهـزةِ المُتنوِّعةِ ؛ فيجِدُ الفردُ مالًا رابحًا مِن تِجارةِ تسـوُّقِ البَضائِعِ والسمسـرة وما شابهَها .

مشاركة المرأة لزوجها في التجارة

وقد كانَ ﷺ أسـبقَ الناسِ فـي تصويرِ هذه المظاهِرِ وإجـلاءِ الغُبارِ عن وُقوعِها فـي النـاسِ ، ومِنها قولـه ﷺ فيمـا رواه الحاكِمُ وأحمـدُ عن عبدِ الله بنِ مسـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عـنِ النبـيِّ ﷺ أنَّه قالَ : «**بينَ يدَي السـاعةِ تسـليمُ الخاصَّةِ وفُشُـوُّ التِّجارةِ حتَّى تُعِينُ المرأةُ زَوجَها**»[1] .

وروى النسـائيُّ عن عمرِو بنِ تغلِبٍ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «**إنَّ مِن أشـراطِ الساعةِ أن يفشُوَ المالُ ويكثُرَ ، وتفشُوَ التِّجارةُ**»[2] .

التنافس على الدنيا

وكما أخبرَ النبيُّ ﷺ عن فُشُـوِّ التِّجارةِ وانتِشارِها بَينَ الناسِ فقد أخبرَ عنِ العللِ المُترتِّبةِ على هذا الفُشُوِّ والكثرةِ ، وما تُصابُ به الأُمَّةُ مِنَ الأدواءِ والأمراضِ ، ففي

---

(١) «مسند أحمد» (٣٨٧٠) .

(٢) «سنن النسائي المجتبى» (٤٤٥٦) .

الحديثِ عنه ﷺ أنّه قالَ: «**فواللَّهِ، ما الفقرَ أخشى علَيكم، ولكِنِّي أخشى علَيكم أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على مَن كانَ قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**» وفي رواية أخرى للبخاري: «**وتلهيكم كما ألهتم**»[1]. وما يرويه مُسلِمٌ: «**وتلهيكم كما ألهَتهم**»[2] وفي رواية أخرى: «**وتهلككم كما أهلكتهم**»[3].

بل حذَّرَ النبيُّ ﷺ مِن داءِ التنافُسِ أوائلَ الصحابةِ والتابعين فقالَ: «**إذا فُتِحَت علَيكم فارسُ والرُّومُ، أيُّ قَومٍ أنتم؟**». قالَ عبدُالرحمنِ بنِ عوفٍ: نقولُ كما أمرنا الله. قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أو غَيرُ ذلِكَ؟ تتنافسون ثُمَّ تتحاسدون ثُمَّ تتدابرون ثُمَّ تتباغضون أو نحو ذلِكَ**»[4].

وفي كُلِّ هذا إشارةٌ إلى استِتباعِ المُسلِمين عالمَ الكُفرِ في أساليبِ التِّجارةِ ومظاهِرِها ونماذِجِها على غَيرِ زُهدٍ ولا ورعٍ ولا مُراعاةِ دينٍ أو قِيمٍ.

ظهور الربا علامة صغرى

٧١. ظُهورُ فِتنةِ الرِّبا والشراكاتِ الاقتِصاديةِ المشبوهةِ

ومِنَ العلاماتِ الصُّغرى ظُهورُ المعاملاتِ الرِّبويةِ وانتِشارِها بَينَ المُسلِمين، حتَّى تُصبِحَ المُعاملاتُ الاقتِصاديةُ الرِّبويةُ جُزءًا مِن حياة الأُمَّةِ وسببًا مِن أسبابِ التداوُلِ التِّجاريِّ في كافَّةِ بِلادِ المُسلِمين، لا تخلو مِنها عاصِمةٌ ولا قريةٌ.

هيمنة المدرسة الربوية على الاقتصاد العربي والإسلامي دراسة وتجارة

وفي الأحاديثِ إشارةٌ إلى هَيمنةِ العالمِ الرِّبويِّ الكافِرِ على مُقدَّراتِ الأُمَّةِ العربيةِ والإسلاميةِ؛ حتَّى تُفرَضَ المُعاملاتُ الرِّبويةُ ضِمنَ سَيرِ المؤسساتِ الاقتِصاديةِ وتنشِئةِ الأجيالِ علَيها في الدراساتِ الأكاديميةِ والعاليةِ، معَ أنَّ الرِّبا قد سقطَ

---

(١) «صحيحُ البُخاريِّ» (٦٤٢٥).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٦١).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٦١).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٦٢) وتتمة الحديث: «**ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض**».

وانْهار مُنذُ أن وضعَه النبيُّ ﷺ تحتَ قدمِه بِقولِه: «**والرِّبا تحتَ قدمي**»[1] في حِجَّة الوداعِ، وانقطعَ بعدَ ذلِكَ في العالمين الإسلاميِّ، وصارَ التعامُلُ به خِفيةً لدى بعضِ الفسقةِ والعُصاةِ وعُملاءِ اليهودِ، الذين كانوا يُروِّجون الرِّبا ويتعاملون به.

بدأ عهد الاستعمار بترويض الشعوب المسلمة على قبول المعاملات الربوية

ولمَّا سقطَ القرارُ الإسلاميُّ في البلادِ العربيةِ والإسلاميةِ، وبدأ عهدُ الاستعمار، بدأ العملُ المُسَيَّسُ على إدخالِ الرِّبا في المُعاملاتِ الاقتِصاديةِ، ولم تسلمْ مِن هذا الإدخالِ الأنظمةُ القائمةُ في مرحلةِ الغُثاءِ على الانشِغالِ بإدانةِ انحِرافاتِ اعتِقاداتِ الصُّوفيةِ والمذهبيةِ وآلِ البيتِ، مِمَّا يُشيرُ إلى امتِلاكِ المدرسةِ الرِّبويةِ العالميةِ زِمامَ الأمرِ في العالمِ الإنسانيِّ كُلِّه وفرضِ الاقتِصادِ الرِّبويِّ على الجميعِ.

دور الغثائيين من المُسلِمين في وضع قواعد الربا البنكي

بل بدأ الغُثائيون مِن رِجالِ المالِ والأعمالِ يضعون قواعِدَه الرِّبويةَ في كافَّةِ مواقِعِ الحركةِ الثقافيةِ الاقتِصاديةِ الجديدةِ، وأخذَ يتطوَّرُ في الدُّولِ العربيةِ والإسلاميةِ معَ إقصاءِ الوعيِ الشرعيِّ في المُعاملاتِ تمهيدًا لِقَبولِ سياسةِ البديلِ الرِّبويِّ الكافِرِ، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ عن أُمّتِه المخدوعةِ: «**ليأتيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يُبالي المرءُ بما أخذَ المالَ: أمِن حلالٍ أم مِن حرامٍ؟**»[2]. وحديثُ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُعِزَّ اللَّهُ فيه ثلاثةً: دِرهمًا مِن حلالٍ، وعِلمًا مُستفادًا، وأخًا في اللَّهِ**»[3]. وحديثُ: «**سيأتي على الناسِ زمانٌ يدخُلُ الرِّبا كُلَّ بَيتٍ، ومن لم يدخلْه الرِّبا دخلَ إلَيه غُبارُه**»[4].

انتشار المصارف المتعاملة بالربا

كتبَ الوابِلُ مُؤلِّفُ «فقه أشراطِ الساعةِ»[5]: وهذه الأحاديثُ تنطبِقُ على كثيرٍ مِنَ المُسلِمين في هذا الزمنِ؛ فتجِدُهم لا يتحرُّون الحلالَ في المكاسِبِ، بل

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨١٢)، بلفظ: «**كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، وربا الجاهلية موضوع**».

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٨٣).

(٣) «الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٧٥٣٣).

(٤) «سنن ابن ماجه» (٢٢٧٨) ونصه في «سنن ابن ماجه»: «**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فمن لم يأكل أصابه من غباره**».

(٥) ص ١٤٠.

يجمعـونَ المـالَ مِنَ الحـلالِ والحرامِ ، وأغلـبُ ذلِكَ بِدخولِ الرِّبـا في مُعاملاتِ النـاسِ ، فقدِ انتشـرَتِ المصارِفُ المُتعامِلـةُ بِالرِّبا ، ووقعَ كثيرٌ مِـنَ الناسِ في هذا البلاءِ العظيمِ . اهـ ص ١٤٠ (أشراطُ الساعةِ) .

قُلتُ : ومعَ أنَّنا نصِفُ الرِّبا بِالبلاءِ العظيمِ في الأُمَّةِ لكنَّا لا نُحدِّدُ هُويةَ المسئولين عـنِ انتِشـارِه ، وإنَّمـا نُخوِّفُ المُسـلِمين بِوقوعِهم فيـه وتعامُلِهم بِـه ، وكأنَّهم هم المسؤولون عنه مباشرةً ، والأصلُ في التعامُلِ بِالرِّبا موقعُ القرارِ في الحُكمِ والعِلمِ الذي يَسمَحُ به ، والإباحةُ والتساهُلُ بِواسطةِ حملةِ القرارِ في عهدِ الغُثاءِ والوهنِ .

خطر الربا على الحياة الإسلامية ووصف القرآن لآكل الربا

وفيهـم جميعًا يقولُ اللـهُ تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] .. الآيـة . والقُـرآنُ في هـذه الآيةِ وصـفَ الآكلينَ لِلرِّبـا ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ حيثُما قاموا وحيثُما جلسُوا وحيثُما عَلَّمُوا أو تَعَلَّمُوا لا يقومون في سياسةٍ ولا تِجـارةٍ ولا عِلـمٍ ولا تعليمٍ ولا عقيدةٍ ولا ثقافةٍ ولا عِلاقةٍ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ .

علاقة التطرف والإرهاب بالربا والمعاملات المشبوهة

وهـذا هو تعليـلُ القُرآنِ لِظاهِـرةِ الانفِعـالِ والدعـواتِ الانفِعاليةِ مِـنَ العِلمانيةِ والانتِقائيةِ والتوليفيةِ ، وما سُمِّيَ بِالإرهابِ والتطرُّفِ السياسيِّ والدينيِّ في عالمِنا المُعاصِرِ مُنذُ ظُهورِ مدارِسِ القبضِ والنقضِ ؛ عَلَّلَها بأنها ظاهِرةٌ شَـيطانيةٌ مقرونةٌ بِـأكلِ الحـرامِ وترويجِـه ، ولا يمكِـنُ لهمُ القيـامُ بِغَيـرِه ؛ لِأنَّ الحِكمـةَ والموعظةَ الحسـنةَ إنَّمـا هـي عطـاءٌ مِـنَ اللَّـهِ لأوليائـه ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] ، وأمَّا الذين أُوتوا الجدلَ والرفضَ والتشفِّيَ والإفكَ وإلصاقَ التُّهمِ بالظنِّ والتصوُّرِ ، فما هم فيه ما هو إلَّا ثمرةٌ مِن ثمراتِ نباتِ الحرامِ المُنتشِرِ كما قالَ ﷺ : «إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1] .

الربا جزء من الكفر

والرِّبـا جُـزءٌ مِنَ الكُفـرِ ، وهو سياسـةُ اقتصادِه ، ولا هـوادةَ في ذلِـكَ ، والقُرآنُ يُخاطِـبُ المُؤمنيـنَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم

(١) «سنن الترمذي» (٦١٤) .

مُّؤۡمِنِينَ ﴾[البقرة:٢٧٨] .

فالإيمانُ مُتحقِّقٌ بِتركِ ما بقيَ مِنَ الرِّبا ، والعكسُ بالعكسِ . والحقُّ أن نتعرَّفَ حجمَ ما بلغْنا إلَيه مِنَ الغُثاءِ المُشتركِ حتَّى نُعالِجَ أمراضَنا جميعًا ، ولله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

فقه التحولات ووضعه الدواء موضع الداء

إن علاماتِ الساعةِ وقِراءتَها على وجهِها الصحيحِ عاملٌ مُساعِدٌ لِوضعِ كُلِّ مُسلِمٍ وكُلِّ نِظامٍ مُعاصِرٍ في مَوقعِه مِنَ الحالةِ الحقيقيةِ ؛ حتَّى ينقطِعَ التطاوُلُ والتباهي ، ونرجِعَ جميعًا إلى الحقيقةِ المُرَّةِ التي رفضناها ، وهي سُنَّةُ النبيِّ ﷺ في تقريرِه موقعَ العلَّةِ والفسادِ فينا وفي غَيرِنا.. فهل مِن مُدكرٍ ؟!

وقدِ انتقلَت هذه التُّهمةُ الخطيرةُ بَينَ المُسلِمين مِنَ الواقِعِ الرسميِّ إلى الواقعِ الشعبيِّ ، وصارَت جُزءًا لا يتجزَّأُ مِن عقيدةٍ وسُلوكٍ وعِلاقةِ المُجتمعاتِ ضِدَّ بعضِها البعضِ ، بل والأنكى والأدهى أنَّ محاضِنَ هذه التُّهمِ قد تنكرَت لأتباعِها ومُروِّجي فتنتِها بعدَ ضمانِ انتِشارِها في دماءِ الشُّعوبِ ؛ لِتتنصَّلَ عن تبعةِ الجريرةِ التي صنعَتها في المجتمعِ المُتناقِضِ ؛ رغبةً في البقاءِ والاستِمرارِ والعبثِ بالشُّعوبِ مِن جهةٍ ، معَ ضمانِ مصلحةِ المستثمِرِ الأصليِّ ورضائه مِن جهةٍ أُخرى ، فهل مِن مُدرِكٍ سرَّ اللُّعبةِ ؛ لِيتوبَ ويُنيبَ ويخشى اللَّهَ ويتقيه ؟! أم إنَّها الفِتنةُ التي تدعُ الحليمَ حَيرانًا؟!

فتن المشرق علامة صغرى

٧٢. ظُهورُ الفِتنِ مِنَ المشرِقِ

ومِنَ العلاماتِ الصغرى التي اختلفَ العُلماءُ في شأنِها فِتنُ المشرِقِ : فمنهم من جعلَ المشرِقَ مكانًا مُحدَّدًا كالعِراقِ ، ومنهم من جعلَ المشرقَ جِهةَ المَشرِقِ ، ويدخُلُ فيه كُلُّ الفِتنِ التي جاءَت مِن تِلكَ الجِهةِ ، ويدخُلُ في المعنى الثاني أيضًا بُلدانٌ عديدةٌ ظهرَت مِنها على مرِّ التاريخِ الإسلاميِّ فِتنٌ عظيمةٌ ، مِنها :

الجهات التي ظهرت مِنها الفتن عبر التاريخ

(١) بِلادُ الفُرسِ والهِندوسِ ، ومنه ظهرَتِ البهائيةُ والقاديانيةُ وغيرُها .

(٢) العِراقُ ، ومِنها ظهرَتِ الخوارِجُ والروافِضُ والباطنيةُ والقدريةُ والجهنيةُ

والقرامِطةُ والمُعتزِلةُ وغيرُها .

(٣) بلدانُ الشرقِ التي ظهرَ مِنها المغولُ والتتارُ في القرنِ السابعِ

(٤) روسيا والصينُ ، وقد ظهرَت مِنها فِتنةُ الشُّيوعيةِ .

(٥) نجْدُ مُسَيلِمةَ ، وقد ظهرَت مِنها فِتنةُ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ ، ثُمَّ القبضُ والنقضُ الموعودُ به في الأحاديثِ عن آخِرِ الزمانِ .

ولا يزالُ المشرقُ كجهةٍ مصدرَ الفِتَنِ والشُّرورِ ، وسيكونُ ظُهورُ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومأجوجَ مِن جهةِ المشرِقِ ، نسألُ اللَّهُ السلامةَ مِنَ الفِتنِ .

أحاديث فتن المشرق

وأمَّا الأحاديثُ عنِ المشرقِ فكثيرةٌ ، ومِنها حديثُ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : وهو على المنبر : «**ألا إنَّ الفِتنةَ هاهُنا ، ألا إنَّ الفِتنةَ هاهُنا من حيثُ يطلعُ قرنُ الشيطانِ**»[1] .

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٥١١) ، وكلمة (قرن) تأتي بمعنى (جيل من الناس) ، ففي «تفسير ابن كثير» (٣ : ٢٤١) : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[المؤمنون:٣١] . أي : جيلا آخر لنختبرهم . وفي «تفسير البحر المحيط» (٥ : ٧٠) : وقيل : القرن القوم المجتمعون . قلت : السنون لو كثرت ؛ لقوله : خير القرون قرني . يعني : أصحابه . وقال قس :

في الذاهبين الأوَّلين من القرون لنا بصائرْ

أي : قد تطلق على الأشخاص ، وليس على المدة الزمنية ، ولو كانت أعمارهم فوق ١٠٠ مثل جيل النبي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كان الجيل منهم بنحو ألف عام . وربما أقل من ذلك (٦٠-٧٠ عاماً) مثلاً ، وهو الجيل الذي جاء ببداية عهد الغثاء مع سقوط الخلافة «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين**» ، ولذلك جاءت الرواية : «**قرنا الشيطان**» ، مما يقودنا إلى أنهم جيلان على هذه الرواية .

وعلى ذلك ينبني أن تفسير بعضهم لحديث : «**خير القرون قرني**» لا يعني به ٣٠٠ عام بالضبط ، بل يعني به ثلاثة أجيال : الصحابة ، التابعون ، تابعو التابعين .

وتأتي بمعنى قوم أو شعب ، ففي «الوجيز للواحدي (١/ ٥٦٧) : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أحدثنا ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني : عادا . اهـ . أي : قد يكون المقصود من كلمة (قرن) القبيلة والشعب ، وليس المدة الزمنية أو الجيل .

وفي رِوايةِ مُسلِمٍ أنَّه قَالَ : «**رأسُ الكُفرِ مِن هاهُنا مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ**»، يعني المشرِقَ [1].

روايةُ فتن المشرق بالمفرد والمثنى :« قرن قرنا الشيطان »

وفي رِواياتٍ وردَ في نصِّ الحديثِ بِلفظةِ «**قرنِ الشَّيطانِ**» ، وفي رِواياتٍ : «**قرنا الشَّيطانِ**» .

ورِوايةُ : «قرنا» بألِفِ التثنيةِ وردَت في مُسلِمٍ بِرواياتٍ مِنها رِوايةُ ابنِ عُمرَ ، وفي آخِرِه : «**إنَّ الفِتنةَ هاهُنا ! إنَّ الفِتنةَ هاهُنا ! ثلاثًا حيثُ يطلعَ قرنا الشَّيطانِ**»[2] .

وفي أُخرى عنِ ابنِ عُمرَ : «**إنَّ الفِتنةَ تجيءُ مِن هاهُنا وأَومأَ بيدِه نحوَ المشرِقِ من حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ، وأنتم يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ ... إلخ** » [3] .

وفي حديثِ أبي مسعودٍ قالَ : أشارَ النبيُّ ﷺ بيدِه نحوَ اليمنِ فقالَ : «**ألا إنَّ الإيمانَ هاهُنا ، وإنَّ القسوةَ وغِلَظَ القُلوبِ في الفَدَّادِين عِندَ أُصولِ أذنابِ الإبلِ حيثُ يطلُعُ قرنَا الشَّيطانِ في ربيعةَ ومُضرَ**» [4].

تحديد الأحاديث جهة المشرق بربيعة ومضر

وفي رِوايةِ أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ ، والفخرُ والخُيلاءُ في أهلِ الخيلِ والإبلِ الفَدَّادِين أهلِ الوبرِ ، والسكينةُ في أهلِ الغنمِ**» [5] .

وفي روايةٍ أُخرى قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**الإيمانُ يمانٍ والكُفرُ قِبلَ المشرقِ،**

وتأتي بمعنى المدة الزمنية (١٠٠ عام) ، ففي «تفسير البحر المحيط لإمام اللغة أبي حيان (٥/ ٧٠) قال عند استعراضه لعدة أقوال : ... أو مائة سنة ، قاله الجمهور ، وقد احتجوا لذلك بقول النبي ﷺ لعبد الله بن بشر : «**تعيش قرنا**» . فعاش مائة ، وقال : «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**» . قال ابن عمر : يؤيد أنها انخرام ذلك القرن .

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥) .

(٤) «صحيح البخاري» (٣٣٠٢) «صحيح مسلم» (٥١) .

(٥) «صحيح البخاري» (٣٣٠١) «صحيح مسلم» (٥٢) .

والسكينةُ في أهلِ الغنمِ ، والفخرُ والخُيلاءُ في الفدَّادين أهلِ الخَيلِ والوبرِ» [١] .

وعنه أيضًا في رِوايةٍ : «**أتاكم أهلُ اليمنِ ، هم ألينُ قُلوبًا ، وأرقُّ أفئدةً ، الإيمانُ يمانٌ ، والحكمةُ يمانيةٌ.. رأسُ الكُفرِ مِن قِبلِ المشرِقِ**» [٢] .

وفي روايةٍ عن جابرِ بن عبدِاللَّهِ يقولُ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**غِلظُ القُلوبِ والجفاءِ في أهلِ المشرِقِ ، والإيمانُ في أهلِ الحِجازِ**» [٣] .

تحليل « قرنا الشيطان » بألف التثنية

قالَ النوويُّ في شرحِه : وأمَّا قرنا الشيطانِ فجانبا رأسِه ، وقيلَ : هما جمعاه، اللذان يُغريهما بإضلالِ الناسِ : وقيل : شيعتاه مِنَ الكُفَّارِ . والمرادُ بذلِكَ اختِصاصُ المشرِقِ بمزيدٍ مِن تسلُّطِ الشَّيطانِ ومِنَ الكُفرِ ، كما قالَ في الحديثِ الآخرِ : «**رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ** » . وكانَ ذلِكَ في عهدِه ﷺ حيثُ قالَ ذلِكَ ، ويكونُ حينَ يخرُجُ الدَّجَّالُ مِنَ المشرِقِ ، وهو فيما بَينَ ذلِكَ منشأُ الفِتنِ العظيمةِ [٤] .

قُلتُ ـ واللَّهُ أعلمُ : قَولُه : «**قرنا الشَّيطانِ**» بِالتثنيةِ هو إشارةٌ إلى وُجودِ أكثرَ مِن مكانٍ يحملُ صِفةَ القرنيةِ الشَّيطانيةِ ، فإذا كانَت أحاديثُ المشرِقِ ـ بالإفرادِ ـ قد خصَّصَها جُملةٌ مِنَ العُلماءِ بالعِراقِ وجهةِ المشرِقِ عُمومًا ؛ فإنَّ «**قرنا الشَّيطانِ**» بِالتثنيةِ يُدخِلُ نجدَ مُسَيلِمةَ وما حولَها في الجهةِ المُشارِ إلَيها مِن ناحيةٍ أُخرى، وخُصوصًا عِندَ ذِكرِ المُفاضلةِ بَينَ المناطِقِ والبلادِ وفي قولِه : «**يطلُعُ قرنا الشَّيطانِ في ربيعةَ ومُضرَ**» ووصفِهم بالخُيلاءِ والكبرِ والفخرِ .

وفي هذا التحديدِ خِدمةٌ واعيةٌ لِمُرادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في البيانِ الشرعيِّ في علاماتِ الساعةِ (بِصرفِ النظرِ عن مقامِ الجِهةِ ورغبةِ أهلِها في صرفِ الحديثِ عن جهتِهم) فالأمانةُ تقتضي إبرازَ المعاني مُجتمِعةً بعيدةً عنِ الانتِقاءِ الاختِياريِّ، خِلافًا لِما أجمعَ علَيهِ غالبيةُ عُلماءِ المرحلةِ الغُثائيةِ في صرفِ المعنى ـ تعسُّفًا

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٢) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٣) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٤) «شرح النووي على مسلم» (٢: ٣٤) .

ـ عن «نجدِ مُسَيلِمةَ إلى جِهةِ العِراقِ بالخُصوصِ ، والعِراقُ ـ بالخُصوصِ ـ لا تسلَمُ مِنَ المعنى ؛ لِأنَّ النُّصوصَ تذكُرُها بِاسمِها كما تذكُرُ جِهةَ المشرِقِ بِعُمومِها، وأما نجدُ مُسَيلِمةَ فيُعرَفُ موقعُه مِنَ المسألةِ بِالدَّلالاتِ التي تُشيرُ إلَيها الرِّواياتِ كالإشارةِ إلى الناحيةِ ، وذكرِ ربيعةَ ومُضرَ ، والإشارةِ إلى أذنابِ الإبلِ والوبرِ والخُيلاءِ والفخرِ ... إلخ الحديثِ برِوايةِ «**رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ ، والفخرُ والخُيلاءُ في أهلِ الخيلِ والإبلِ الفدَّادين أهلِ الوبرِ**»[1].

المعنى لا ينطبق على الرعايا وعموم المُسلِمين

معَ أنَّ المعنى لا ينطبِقُ على الرعايا وعُمومِ المُسلِمين في تِلكَ النواحي ، سواءٌ بِمفهومِ المشرِقِ الخاصِّ ـ كالعِراقِ ـ أو بِالمفهومِ العامِّ «الناحيةِ والجِهةِ» ، وإنَّما هي علاماتٌ ودلالاتٌ لِرُؤوسٍ مُعينةٍ تحمِلُ الفِتنةَ وتقودُها ، ولعلَّ الكثيرَ مِنهم لا يعلمون الأمرَ ، ولم يبلُغْهمُ العِلمُ ؛ فوقعوا فِيها حتفَ أُنوفِهم .

أحاديث متنوعة عن قرن المشرق

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : دعا النبيُّ ﷺ : «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في صاعِنا ومُدِّنا وبارِكْ لنا في شامِنا ويمنِنا**» . فقالَ رجُلٌ مِنَ القومِ : يا نبيَّ اللَّهِ ، وفي عِراقِنا ، قالَ : «**إنَّ بها قرنَ الشَّيطانِ وتَهَيُّجَ الفِتَنِ ، وإنَّ الجفاءَ بالمشرِقِ**»[2] ، وفي «صحيحِ البُخاريِّ» : «**وفي نجدِنا**» بدلَ عِراقِنا ، وهي الروايةُ الأصحُّ[3] . وقد ذهبَ بعضُ العُلماءِ إلى أن قَولَه : «**نجدِنا**» يُشيرُ إلى «نجدِ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ».

اعتناء العلماء بفتن المشرق العامة والخاصة

وقدِ اعتنى العُلماءُ بسردِ العديدِ مِن هذه الفِتَنِ المُتلاحِقةِ في العُصورِ المُتتابِعةِ ، ومِنها ما قد تناولناه في العلاماتِ الوُسطى والصُّغرى ، ومِنها فِتَنٌ أُخرى لم تُذكَرْ كفِتنةِ القرامِطةِ والزنجِ والفاطميةِ ، والزرادشتيةِ ، والمانويةِ ، والمزدكيةِ ، وفِتنةِ التتارِ واجتياحِهم بِلادَ المُسلِمين ، والسبئيةِ ، وفِتنةِ الرافضةِ والنواصبِ ، والحُروبِ الصليبيةِ ، والهِندوسيةِ ، والبُوذيةِ ، والقاديانيةِ ، والبهائيةِ ، وغيرِها .

وكانَ بُروزُ بعضِ هذه الفِتَنِ خِلالَ مرحلةِ التمزُّقِ وظُهورِ الدُّويلاتِ بِتمزُّقِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٥٥٣) .

(٣) «صحيح البخاري» (١٠٣٧) (٧٠٩٤) .

فتنة الخوارج

خِلافةِ بني العبَّاسِ، ومِنها ما كانَ مِن قبلُ، واستمرَّ في الظهورِ والبُروزِ كفِتنةِ الخوارجِ، وهي الفِتنةُ المُتناميةُ التي قالَ فِيها رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يخرُجُ في آخِرِ الزمانِ قَومٌ كأن هذا منهم يَقرؤونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهم، يمرُقون مِنَ الإسلامِ مُروقَ السهمِ مِنَ الرميةِ، لا يرجعون إلَيه، سيماهم التحليقُ، لا يزالون يخرجون حتَّى يخرُجَ آخِرُهم معَ المسيخِ الدَّجَّالِ ...**». الحديث[1].

وروى أحمدُ والبُخاريُّ والطبرانيُّ في الكبيرِ والبَيهقيُّ: «**يخرجُ قومٌ أحِدَّاءُ أشِدَّاءُ ذلِقةٌ ألسنتُهم بالقُرآنِ**»[2] «**يقرؤونه ينثُرونه نثرَ الدقلِ، لا يُجاوِزُ تراقيَهم**»[3].

وفي لفظٍ آخرَ: «**يأتي آخِرُ الزمانِ**» ... إلخ. «**أحداثُ الأسنانِ، سُفهاءُ الأحلامِ، يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقيَهم، يقولون مِن خيرِ قولِ الناسِ** ...»[4] إلخ. اهـ. رواه الشيخان وأحمدُ.

وروى مُسلِمٌ وأبو داودَ وغيرُهم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يقرؤون القُرآنَ لَيسَ قِراءتُكم إلى قِراءتِهم بِشيءٍ، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بِشيءٍ، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بشيءٍ، يحسبون أنَّه لهم، وهو علَيهم! لا تُجاوِزُ صلاتُهم تراقيَهم، يمرُقون مِنَ الدينِ كما يمرُقُ السهمُ مِنَ الرميةِ** ...»[5] إلخ.

انتشار الفتنة في البلاد العربية والإسلامية وتغلغلها في دماء الشعوب

وعِندَ النظرِ المُتأنِّي في هذه الظواهِرِ ودراسةِ أحوالِ أصحابِها نجدُها كما أخبرَ عنها النبيُّ ﷺ قد عمَّتِ البلادَ العربيةَ والإسلاميةَ كُلَّها، وأساسُ ظُهورِها وتوسيعِ حلقتِها في المرحلةِ الغُثائيةِ ما قد سبقَتِ الإشارةُ إلَيه في هذا الكتابِ عن فِتنةِ المشرِقِ وفِتنةِ قرنِ الشيطانِ ـ كما سمَّاها رسولُ اللَّهِ ﷺ ـ إلَّا أنها اليَومَ قد خرجَت عن مكمنِها الأصليِّ فيما سُمِّيَ بِقرنِ الشيطانِ؛ لِتُصبحَ جُزءًا مِن لحمِ الشُعوبِ المخدوعةِ ودمِها، ومصدرًا مِن مصادرِ القلقِ والإرجافِ والتحدِّي

---

(١) «سنن النسائي» (٤١٢٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٣٨٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (١٦٧٨٠).

(٣) «سنن الترمذي» (٦٠٢).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٩٣٠) و«صحيح مسلم» (١٠٦٦).

(٥) «صحيح مسلم» (١٠٦٦) و«سنن أبي داود» (٤٧٦٨).

والتطرُّفِ والاندِفاعِ في كُلِ مدينةٍ وقريةٍ وشِعبٍ مِنَ الشِّعابِ، وتحولَت إلى خلايا وجماعاتٍ ينفصلُ بعضُها عن بعضٍ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ.

ظاهرة انتشار الفتنة المعادلة للخوارج تحت مسمى حب آل البيت

وتليها الفِتنةُ المُعادِلةُ لها في المرحلةِ، ومصدرُ انطِلاقِها مِن جهةِ المشرقِ أيضًا، وتبرُزُ فِيما تعيشُه الأُمَّةُ الإسلاميةُ والعربيةُ مِن خطرِ الفكرِ المُتَّخِذِ شِعارَ النُّصرةِ لآلِ البيتِ الأطهارِ وما ترتَّبَ على الدفعِ بِه في المرحلةِ مِن زوابعِ الإعلامِ، وكثرةِ التناوُلِ لِحُقوقِ آل البيتِ بِنُصرةِ الإسلامِ، وخُروجِ المسألةِ عنِ النظرِ الواعي في مقولاتِ نبيِّ الأُمَّةِ ﷺ ونقولِ آلِ البيتِ وأئمتِهم إلى عَشوائيةِ الأحكامِ وتهوُّكاتِ الثأرِ والحِقدِ والانتِقامِ، بما لا يدعُ مجالًا لِلجزمِ بأنَّ العالمَ العربيَّ والإسلاميَّ سيقعُ في أتونِ فِتنةِ التحريشِ الإبليسيِّ المُتَّخِذِ صِفةَ الانتِصارِ لِأهلِ الحقِّ؛ لِيَذْهَبَ الحقُّ وأهلُه في هذه الفِتَنِ الساحِقةِ الماحِقةِ التي قالَ عنها ﷺ لِأُمَّتِه الراغبةِ في السلامةِ: «**إنَّه لم يكُنْ نبيٌّ قبلي إلَّا كانَ حقًّا عليهِ أن يدُلَّ أُمَّتَه على خيرِ ما يعلَمُه لهم، ويُنذِرَهم شرَّ ما يعلَمُه لهم، وإنَّ أُمَّتَكم هذه جعلَ عافيتَها في أوَّلِها، وسيصيبُ آخِرُها بلاءٌ وأُمورٌ تُنكِرونها، وتجيءُ فِتنةٌ فيرقِّقُ بعضُها بعضًا، وتجيءُ الفِتنةُ فيقولُ المؤمِنُ: هذه مُهلِكَتي، ثُمَّ تنكشِفُ وتجيءُ الفِتنةُ؛ فيقولُ المؤمِنُ: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يُزحزَحَ عنِ النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ فلتأتِه منيتُه وهو يؤمِنٌ بِاللهِ واليومِ الآخِرِ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه...**» الحديثَ[1].

وجوب المبادرة بالأعمال عِند ظهور الفتن

وفي هذه الفِتَنِ يقولُ ﷺ: «**بادِروا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ اللَّيلِ الُمظلِمِ، يُصبِحُ الرجُلَ فِيها مؤمنًا ويُمسي كافِرًا، ويُمسي كافِرًا ويُصبِحُ مؤمنًا، يبيعُ دينَه بِعرضٍ مِنَ الدُّنيا**»[2].

وعنِ النُّعمان بن بَشيرٍ قال صَحِبْنا النَّبيَّ ﷺ وَسمِعْنَاهُ يقولُ: «**إنَّ بينَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنًا كأَنَّها قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُمْسِي كَافِرًا**

(١) «صحيح مسلم» (١٨٤٤).

(٢) «صحيح مسلم» (١١٨).

وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا يَسِيرٍ أَوْ بِعَرَضِ الدُّنْيَا**»، قال الحَسَنُ: واللهِ لقَدْ رأيناهُمْ صورًا ولا عقولَ، أَجْسَامًا وَلَا أحلامَ، فَرَاشَ نَارٍ وَذبانَ طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِيْنَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ[1].

أفضل الناس في الفتن من يعتزل الناس

وروى الطيالِسيُّ والبَيهقيُّ وأحمدُ والطبرانيُّ في الكبيرِ والحاكِمُ: أنَّ رجلًا سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ: «هل لِلإسلامِ مُنتهى؟»، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**نعم، أيما أهل بَيتٍ مِنَ العربِ أو العجمِ أرادَ اللَّهُ بِهم خيرًا أدخلَ علَيهِمُ الإسلامَ**». قالَ: ثُمَّ ماذا يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: «**ثُمَّ تقعُ الفِتَنُ كالظُّلَلِ**». فقالَ الرجُلُ: كلَّا يا رسولَ اللَّهِ. فقالَ النبي ﷺ: «**كلَّا والذي نفسي بيدِه، لتعودُنَّ فِيها أساوِدَ صُبًّا يضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ، أفضلُ الناسِ يومئذٍ مؤمِنٌ معتزِلٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعابِ، يتَّقي ربَّه، ويدع الناس مِن شرِّه**»[2].

وفي روايةٍ: قالوا كيفَ نصنعُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ «**تكسِرُ يدَكَ**». قالَ: فإنِ انجبرَت؟ قالَ: «**تكسِرِ الأُخرى**». قالَ: حتَّى متى؟ قالَ: «**حتَّى تأتيَك يدٌ خاطئةٌ أو منيةٌ قاضيةٌ**»[3].

العزلة عن الناس أو الجهاد لا يشمل نماذج فلسطين وما شابهها

ولا يدخُلُ تحتَ هذا المعنى والتفصيلِ ما يدورُ مِن مقاومةٍ صحيحةٍ ضِدَّ العدوِّ المُحتلِّ في فِلسطينَ أو في غيرِه، وإنَّما ينحصِرُ هذا المدلولُ في ما تعيشُه الأُمَّةُ كُلُّها مِنَ التخاذُلِ والوهنِ والمؤامرةِ الداخليةِ، حيثُ إنَّ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ على الوجهِ الشرعيِّ سيظلُّ قائمًا ـ بأمرِ اللَّهِ تعالى ـ إلى أن يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا، ولكِنَّه في صورتِه المُحدودةِ والمُتناقِضةِ أيضًا بما يُلاحَظُ مِن صراعٍ بَينَ الفصائلِ

---

(١) «مسند أحمد» (١٨٤٠٤) و«الفتن» لنعيم بن حماد (٦٦) و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٢٦٣).

(٢) «مسند أبي داود» الطيالسي (١٣٨٦) و«مسند أحمد» (١٥٩١٩) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٠٣) و«صحيح ابن حبان» (٥٩٥٦) و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٤٤) (١٩: ١٩٨).

(٣) «المعجم الأوسط» للطبراني (٤٥٨٣).

ذاتِهـا ، ولكنَّه ـ أي : الجهاد ـ باقٍ بقاءَ السـموات والأرضِ بِأمرِ اللَّهِ على يدِ عبادِه الصالحين المُقاتِلين لِأجلِ اللَّهِ وفي سبيلِ اللَّهِ .

وقالَ الشيخُ التويجريُّ ـ رحِمَه اللَّهُ ـ تعليقًا على حديثِ عبدِاللَّهِ بن عُمرَ[1] : قالَ رأيتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يُشيرُ بيدِه وهو مستقبل الشرق وأما لفظة (يؤم العراق) فهي في مسند أحمد : «**ها إنَّ الفِتنةَ ها هُنا ، ها إنَّ الفِتنة هاهُنا ، ها إنَّ الفِتنة هاهُنا ـ ثلاثَ مرَّاتٍ ـ مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ**» .

قالَ : وفي هذه الرِّوايةِ فائدةٌ جليلةٌ ، وهي البيانُ بِأنَّ منشأُ الفِتَنِ مِن جِهةِ العراقِ لا مِـن جِهةِ نجـدٍ ، التي هي أرضُ العربِ ، فِفيها ردٌّ على مَـن زعمَ مِنَ الزنادِقةِ أنَّ المُرادَ بِذلِكَ أرضُ العربِ !

قُلتُ : وفيما قد سـبقَ بيانُه في الأحاديثِ وشرحِها غنيةٌ وكِفايةٌ لمن ألقى السمعَ وهـو شـهيدٌ ، والعجبُ كُلُّ العجبِ في إطلاقِه سـامحَه اللَّهُ لفظـةَ «الزنادقة» على بعـضِ مفسِّـري أحاديـثِ رسـولِ اللَّـهِ ﷺ في تحديـدِ المكانِ المُشـارِ إلَيـه بِقرنِ الشَّـيطانِ ، كمـا هو مُثبتٌ في قولِ مـن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ . بـل واعتبر بعضُ هـؤلاء أنَّ سـببَ تحديـدِ المشـرِقِ بناحيةِ نجـدٍ إنَّما هو العـداءُ مِن بعـضِ العُلماءِ لِحُكَّامِ تِلكَ الناحيةِ ، وهذا من محضِ الافتِراءِ أو سُـوءِ التفسـيرِ لِلأُمورِ الشـرعيةِ وربطِها بِالمصالِحِ والعِلاقاتِ ولِلأسفِ .

ونحيـلُ الراغِـبَ فـي فهمِ المسـألةِ على أُسُسِـها الشـرعيةِ إلى النظرِ فـي الفقرةِ السابِعةِ مِن مُلحقِ حسنِ المالكيِّ على كِتابِ «داعيةٌ ولَيسَ نبيًّا» ص١٦٩ .

٧٣. ظُهورُ الزِّنا

ظاهرة الزنا علامة صغرى

وهو مِن أخطرِ علاماتِ الساعةِ الصغرى وأشراطِها ، وهناك جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ تُشـيرُ إلى الانحِدارِ الأخلاقيِّ في الأُمَّةِ الإسـلاميةِ آخِرَ الزمانِ ؛ حتَّى يؤدي ذلِكَ إلى الفُجورِ والدعارةِ بِصوَرٍ شتَّى والعياذُ بِاللَّهِ .

---

(١) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم» و«أشراط الساعة» للتويجري (١ : ١٤٢) .

انحدار الأخلاق في مرحلة الاستعمار

ولـم تعـرفِ الأُمَّـةُ انحِـدارًا فـي الأخـلاقِ كمـا عرفَتـه في مراحِـلِ الاسـتِعمارِ والاستِهتارِ والاستِثمارِ .

فالعدوُّ المُستعمِرُ مُنذُ سيطرتِه على مُقدَّراتِ الأُمَّةِ وقرارِها بدأَ يوسِّعُ دائرةَ الغزوِ الثقافيِّ الكافِرِ ، بِشتَّى صُورِه وألوانِه ، وفي عدةِ نماذجَ وكيفياتٍ ؛ حتَّى تمكن مِن تحقيقِ أهدافِه السُّـفلى في داخِلِ مُجتمعاتِ القُرآنِ والسُّنَّةِ جِيلًا بعدَ جِيلٍ ، وحتَّى برزَ جيلُ الكاسـياتِ العارياتِ المائلاتِ المُميلاتِ مِنَ النساءِ ، وبرزَ جيلُ التهارُجِ الذي قالَ فيه ﷺ : «**ويبقى شِرارُ الناسِ يتهارجون فِيها تهارُجَ الحُمُرِ**»[1] .

بروز جيل الكاسيات العاريات

والمُطَّلِـعُ علـى أحوالِ المُجتمعـاتِ العربيةِ والإسـلاميةِ اليَـومَ ، والمُتمعِّنُ في مُخرجـاتِ ثقافتِها وإعلامِها وتربيتِها ـ وقد صارَت هـذه الثقافةُ جُزءًا لا يتجزَّأُ مِن ثقافـةِ العالـمِ الآخرِ والانطِـواءِ فيه ، وخاصةً فـي العِلاقاتِ الاجتماعيـةِ والفكريةِ والاقتِصاديـةِ والعاطِفيـةِ ـ يتأكَّدُ بيقينٍ مدى صِدقِ النُّبـوءاتِ المُحمَّديةِ في الأُمَّةِ ، فظاهِرةُ العِلاقاتِ غَيرِ الشـرعيةِ وظاهرةُ العِلاقاتِ الجنسيةِ المُحرمةِ بكُلِّ أشكالِها لا تنفكُّ عن ممارستِها أغلبُ المُجتمعاتِ الحضاريةِ ، وخاصَّةً في العواصِمِ حيثُ تختلِطُ الشُّعوبُ والأُممُ ، وتزدادُ حركةُ الاقتِصادِ والسياحةِ وأسبابُ الترفِ واللهوِ وفُرصُ التمتُّعِ بالحرياتِ الشـخصيةِ والوظائفِ الرسميةِ وشبهِ الرسميةِ المُختلطةِ بَينَ الجِنسينِ .

ارتباط المخرجات الثقافية في العالم العربي والإسلامي بالعالم الآخر

كما أنَّ لِهذه الأمراضِ الاجتماعيةِ السيئةِ جِهاتُ اختِصاصٍ تتبنى إدراةَ العِلاقاتِ الجِنسـيةِ وتنظيمَها وتضعُ لها قواعِدَ التحصينِ الطبيِّ والمُمارسـةِ المُوجَّهةِ ضِمنَ الأعمالِ السـياحيةِ والفندقةِ والمسـارِحِ والملاهي ، وما يُسـمُّونها بالكازينوهاتِ وليالـي السـهراتِ ، وغيرِهـا مـن البُؤرِ والمواخيـرِ التي نُقِلَـت مِنَ العالـمِ الغربيِّ والشـرقيِّ الكافِرِ ، **وتُلاحَظُ في بعضِ البلادِ العربيةِ والإسـلاميةِ جُهودٌ لمُؤسَّساتٍ وجمعياتٍ غربيةٍ تحمِلُ صِفةَ الخِدماتِ الطبيةِ والنفسيةِ والوقايةِ البيئيةِ** .

والقـارِئ لِلإحصائياتِ المنشـورةِ فـي تقاريرِ المُستشـفياتِ ومراكِـزِ التحصينِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) .

مِـنَ الأوبئةِ يرى مِقدارَ النِّسـبِ المُتكاثِـرةِ مِنَ المُصابين بِالأمراضِ الجنسـيةِ عامًا بعـدَ عامٍ بَينَ الرِّجالِ والنِّسـاءِ في داخِـلِ بِلادِ العربِ والمُسـلِمين ، أمَّا مَن يُصابُ خارِجَها فحدِّثْ ولا حرجَ .

ولِأنَّ هذه العِلَلَ جُزءٌ مِن سـلاحِ الشَّـيطانِ في معركةِ الاحتناكِ والتزيينِ والإثارةِ فلا شـكَّ أنَّ الاهتِمامَ بها من تِلكَ الجِهاتِ في الحياةِ المُعاصِرةِ سـيبرُزُ وسـيزدادُ جليًّـا فـي الواقِعِ المُتطوِّرِ مادِّيًّـا وثقافيًّا وإعلاميًّا حتَّى يبلغَ إلـى أقصاه في نماذجِه التي قد تكلَّمَ عنها مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ في مِثلِ قَولِه : «**والذي نفسـي بيدِه، لا تفنـى هـذه الأُمَّةُ حتَّـى يقومَ الرجُـلُ إلى المـرأةِ فيفترِشُـها في الطريـقِ ، فيكونُ خِيارُهم يومئِذٍ مَن يقولُ: لَو واريتَها وراءَ هذا الحائِطِ** ... »[1] .

مستقبل الانحدار الخلقي في العالم الإسلامي

وصـدقَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ ؛ حيـثُ إنَّ الواقِعَ المُشـاهَدَ في كثيرٍ مِن بِـلادِ العربِ والمُسـلِمين اليَـومَ قد قـاربَ هذه الحالةَ ، إن لم يكُنْ قـد تجاوزَها إلى ما هو أقذرُ وأوسخُ وأفسدُ .

خطورة ما يدور خلف الكواليس في المسارح والأندية وغيرها

ومِنَ المعلومِ أنَّ كثيرًا مِنَ المُمارسـاتِ لا تظهرُ مكشـوفةً على الإعلامِ المحليِّ والرسـميِّ إلَّا في حُدودٍ مُعينةٍ ، ولكِنَّها عِنـدَ تتبُّعِها في الواقِعِ المُعاشِ تُلاحَظُ بَينَ الحيـنِ والآخرِ بِطريقةٍ وأُخـرى ، وخاصَّةً في الأنديةِ ودُورِ السـياحةِ والمُنتزهاتِ والفنـادِقِ وغيرِها . وقد وصفَها ﷺ بالسـنواتِ الخدَّاعاتِ في ظُهورِها المُتفشِّـي والمُتدرِّجِ ، وذكرَ فِيها : «**وتشيعُ فِيها الفاحِشةُ**»[2] . قالَ القُرطُبيُّ في كِتابِه «المفهم» تعليقًا على حديثِ أنسٍ الوارِدِ فيه : «**ويظهرُ الزِّنا**» : في هذا الحديثِ علَمٌ مِن أعلامِ النُّبوَّةِ إذ خبَّرَ عن أُمورٍ ستقعُ ، فوقعَت خُصوصًا في هذه الأزمانِ[3] .

وإذا كانَ هـذا فـي زمـانِ القُرطُبـيِّ فماذا يُقـالُ عـن زمانِنا وحاضِرِنـا المنقوضِ المقبوضِ ؟! ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

(١) «مسند أبي يعلى» (٦١٨٣) .
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٦٤) .
(٣) «فتح الباري» (١ : ١٧٩) .

٧٤. ظُهورُ الأمراضِ التي لم تكُنْ في الأسلافِ

ظهور وانتشار الأمراض الوبائية

ومِـنَ العلاماتِ الصُّغرى المنصوصِ علَيهـا في أحاديثِ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى انتِشـارِ العديدِ مِنَ الأمراضِ الوبائيةِ على غَيرِ سـابِقِ عهدِها في الأُممِ والشُّعوبِ، وقد برزَت هذه الظاهِرةُ وتفشَّتْ وخاصَّةً في مراحِلِنا الأخيرةِ، فظهرَت الأمراضُ الوبائيـةُ الخطيرةُ كالإيدزِ وإنفلونزا الطيورِ والخنازيرِ وحمى الكورونا وغيرِها مِنَ الأمـراضِ المُسـتعصيةِ التـي لا زالَ العُلمـاءُ يبحثون عن وسـائلِ عِلاجِها ومعرفةِ أسبابِ انتِشارِها في الشُّعوبِ إلى اليَومِ.

وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأَمْرَاضُ مُصَنَّعَةً بتَعَمُّدٍ بِأَيْدِي عَنَاصِرِ الشَّرِّ في العَالَمِ، لِأَسْبَابٍ سِيَاسِيَّةٍ أَوِ اقْتِصَادِيَّةٍ أَوْ عَبَثِيَّةٍ.

٧٥. نقضُ عُرى الإسلامِ والإيمانِ

نقض عرى الإسلام والإيمان عروة عروة

ومنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى نَقْضُ عُرَى الإسلامِ والإيمانِ، لِمَا رَوَى الحاكِمُ عن حُذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لتُنقضَنَّ عُرى الإيمانِ عُروةً عُروةً، وليكونَنَّ أئمةٌ مُضِلُّون، وليخرُجَنَّ على إِثرِ ذلِكَ الدَّجَّالون الثلاثةُ»[1].

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسـولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لتُنقضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً، كُلَّما نُقِضَت عُروةٌ تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها، أولُهُنَّ نقضًا الحُكمُ، وآخِرُهُنَّ الصلاةُ**»[2].

وهذه العلامةُ الخطيرةُ قد برزَت جليَّةً في واقِعِنا العربيِّ والإسـلاميِّ مرحلةً بعدَ أُخرى وتنقسِمُ إلى قِسمَين:

بداية النقض في العهد الأموي وما تلاه

القِسْـمُ الأَوَّلُ: النقـضُ الكائِـنُ داخِلَ الخَيمةِ الإسـلاميةِ، وقد بَـدأَ هذا النقضُ

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١١).

(٢) «مسـند أحمـد» (٢٢١٦٠) و«صحيـح ابن حبـان» (٦٧١٥) و«المعجم الكبيـر» للطبراني (٧٤٨٦) و«المسـتدرك علـى الصحيحين» للحاكم(٧٠٢٢) و«شـعب الإيمـان» للبيهقي (٧١١٨).

بـادئَ ذي بـدءٍ بِدولـةِ المُلْكِ العضوضِ في عهـد بني أُميةَ ، ثُمَّ تـلاه نقضُ عُرى العِلمِ في حُكمِ بني العبَّاسِ ، ثُمَّ في الصِّراعِ الداخليِّ بَينَ المُسلِمين خِلالَ عصرِ الدُّوَيـلاتِ ، وما ترتَّـب على ذلِكَ مِن رُؤى فكريةٍ مُتناقِضـةٍ ، مِنها ما نقضَ قرارَ الحُكمِ واستبدَّ به ، ومِنها ما نقضَ قرارَ العِلمِ وسيَّسَه ودنَّسَه .

نقض الحكم والعلم في مرحلة الاستعمار

القسـمُ الثاني ـ وهو الأنكى والأخطرُ ـ : ما عمَّ العالمَ العربيَّ والإسلاميَّ حُكمًا وعِلمًا ، ورَبَطَ هذين القرارينِ بِالكُفرِ والكافِرِ بعدَ إسـقاطِ خِلافةِ السُّـلطانِ عبدِ الحميدِ الثاني ، آخِرِ خُلفاءِ الإسلامِ قُبَيلَ مرحلةِ الاستِعمارِ .

وهـذا هـو النقضُ المُشـارُ إلَيـه في جُملـةِ الأحاديثِ مِـن قولِـه ﷺ : «**لَتُنقضنَّ عُرى الإسـلامِ عُروةً عُروةً**» . وقد تمَّ هذا النقضُ مرحلةً بعدَ أُخرى تحتَ إشـرافِ وهندسةِ الخُبراءِ من المُستشرِقينَ حتَّى آلَ العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ إلى نموذجَين مُتعارِضَين :

نماذج النقض في العالم العربي والإسلامي

- نمـوذجٌ عِلمانيٌّ علمنـيٌّ يرتبطُ بالفكرِ الغربيِّ والشـرقيِّ ومُخرجاتِه العلميةِ والثقافيةِ والاجتِماعيةِ والحزبيةِ والسياسيةِ ... إلخ .
- نمـوذجٌ دينيٌّ مُتطـرِّفٌ مُتناقِضٌ يعملُ على هدمِ ثوابتِ المذهبيةِ الإسـلاميةِ وحُـبِّ آلِ البيتِ وسُـلوكِ التصـوُّفِ والزُّهدِ الشـرعيِّ في الأُمَّةِ بِمُسـمَّياتٍ وأُحجياتٍ سياسيةٍ وشِبهِ سياسةٍ مُتطرِّفةٍ .

وكِلا النموذجَيـن يعمـلانِ تحـتَ ظِلِّ السياسـةِ العالميـةِ المُهيمنةِ علـى القرارِ الإنسانيِّ كُلِّه .

استمرار نماذج [illegible] [illegible] [illegible] قدرتها على تطوير الأُمَّة من غَير إسلام

ولا زالَـتْ هـذه النمـاذِجُ المُتناقِضةُ تُنفِّذُ الفِكرةَ تِلوَ الأُخرى لِاسـتمرارِ سياسـةِ النقـضِ الموعودِ في علاماتِ السـاعةِ وبِصورٍ مُتنوِّعـةٍ ومُتلوِّنةٍ ، يصعُبُ الإفصاحُ عنهـا بِوُضـوحٍ ؛ لِمـا يترتَّبُ على ذلِـكَ مِن إحـراجٍ واصطِدامٍ معَ عناصِـرِ الحركةِ المُتنفذةِ في الواقعَين العربيِّ والإسلاميِّ المُمزَّقِ ، وإنا للَّهِ وإنا إلَيه راجِعون ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

لقـدِ اعتقـدَ الكثيرون مِنَ الساسـةِ والقـادةِ وزُعماءِ الأحـزابِ والجماعاتِ التي

تتحـرَّكُ اليـومَ في السـاحةِ العربيـةِ والإسـلاميةِ أنهم يحمِلـونَ برامِـجَ إيجابيةً في المرحلةِ المُعاصِرَةِ، وأنَّهم أفضلُ النماذِجِ لإعادةِ الإسـلامِ والديانةِ في الشُّعوبِ، وخاصَّةً أنهم مُجمِعون على العملِ المُشتركِ ضِدَّ خُرافاتٍ وخُزعبلاتٍ وضلالاتِ المـدارِسِ التقليديـةِ مِـن جهـةٍ، ومُجمِعون علـى ربطِ الحضـارةِ المادِّيـةِ بالحياةِ وإبرازِها في أنصعِ صُورِها المُتأسلِمةِ.

هذا الفقه (مادة خام) لا زالت تنتظر الباحثين ولم تُفَعّل بعد

لكنَّهم ـ ولِلأسـفِ ـ لا يُدرِكون حجمَ المُغامرةِ التي يتداولونها بترسـيخِ القبضِ والنقضِ المنصوصِ علَيهِ في فِقهِ التحوُّلاتِ وعلاماتِ الساعةِ، لِأنَّ فِقهَ التحوُّلاتِ وعلاماتِ السـاعةِ «مادةٌ خامٌ» في مظانِّها في المراجِعِ والمؤلَّفاتِ الشـرعيةِ، ولم تُفعَّـلْ كفِقهٍ شـرعيٍّ يربِطُ بَينَ مُجريـاتِ الأحداثِ وبَينَ مقولاتِ مَـن لا ينطِقُ عنِ الهـوى ﷺ، وقد ذهـبَ ضحيةَ هذا الجهـلِ المُركَّبِ آلافُ الضحايا من شُـعوبِ المُسـلِمين ووقعوا ـ باسـمِ الإسـلامِ ونُصرتِه ـ في برامجِ الاحتِواءِ والالتِواءِ، التي يُهيمِنُ الكافِرُ على مُقدَّراتِها وقرارِها ومصيرِها المحتومِ.

الضحايا من الشعوب المشاركين في برامج الاحتواء والالتواء

فالكافِرُ يؤيِّدُ القبضَ والنقضَ كمبدأٍ شَـيطانيٍّ ناجِحٍ، كما يُؤيِّدُ التفرِقةَ والصِّراعَ بَينَ البشـريةِ تحتَ أيِّ مُسـمًّى فِكريٍّ أو ثقافيٍّ أو دينيٍّ أو اجتِماعيٍّ أو سياسـيٍّ أو اقتِصاديٍّ.

مرحلة التداعي والوهن ودورها في النقض

والمعلـومُ أنَّ مرحلـةَ الغُثائيَةَ التـي عبَّرَ عنها ﷺ بأنها «مرحلـةُ التداعي والوهنِ وحُـبِّ الدُّنيا وكراهيةِ المَوتِ ونزعِ المهابةِ مِن صُـدورِ العدوِّ»، إنَّما هي المرحلةُ الحديثـةُ التي بدأَت بِسـقوطِ قـرارِ الخِلافـةِ وبدءِ مرحلةِ الاسـتِعمارِ، ثُـمَّ مرحلةِ الاستِهتارِ، ثُمَّ مرحلةِ الاستِثمارِ، التي نحن اليَومَ في خِضمِّ أَتونِها وأوارِها..

شعارات الكتاب والسنة كظاهرة من ظواهر النقض

ونـرى اليَومَ كُلَّ حِزبٍ أو نِظـامٍ أو دَولةٍ تلوحُ بالبرامِجِ الجُزئيـةِ دينيةً وغيرَ دينيةٍ وكأنهـا الإسـلامُ ذاتُه، أو هي كِتـابُ اللَّهِ وسُـنَّةِ نبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ، بينمـا هي غارِقةٌ إلى النُّخاعِ في العمالةِ المقنَّعةِ لِبيوتِ المالِ الدَّوليةِ مُسـتعمَرةٌ مُسـتثمَرةٌ بيدِ رِجالِ الأعمـالِ الأجنبيـةِ، وها هي الأنظمةُ والجماعاتُ والأحـزابُ مُضطرةً بَينَ الحينِ والآخَرِ لِتقديمِ التنازُلاتِ تِلوَ التنازُلاتِ، وهو ما سمَّاه النبيُّ ﷺ بـ «نقضِ العُرى»

لإرضـاءِ المُتنفِذيـن على القـرارِ المحليِّ والعربـيِّ والعالميِّ «وآخِرُ مـا يبقى لهمُ الصلاةُ ، ورُبَّ مُصلٍّ لا أمانةَ له» .

ومعناه : أنَّه لا يبقى لهم مِن مُخالفةِ الكُفَّارِ غَيرُ فِعلِ الصلاةِ فقط ، بينما تجِدُ كافَّةَ شُؤونِ الإمارةِ والاقتِصادِ والتربيةِ والتعليمِ والثقافةِ والإعلامِ ـ وهَلُمَّ جرًا ـ صارَت جُزءًا مِن مشروعِ النِّظامِ العالميِّ المُوحَّدِ «العولمةِ» .

إنَّ كافَّـةَ البرامِـجِ المطروحةِ في السـاحةِ مُنذُ سُـقوطِ القرارِ الإسـلاميِّ العالميِّ بِتقسيمِ «تركةِ الرجُلِ المريضِ» قد دخلَت ـ طوعًا أو كرهًا ـ تحت «سياسةِ القبضِ والنقضِ» المنصوصِ علَيها في فِقهِ علاماتِ الساعةِ .

لا أمل في نجاح البرامج المطروحة حاليا لإنقاذ الأُمَّة

ولا أمـلَ فـي كونِها قـادرةً على إعـادةِ ترتيـبِ الأُمَّةِ الإسـلاميةِ والعربيـةِ ـ كُليًّا ـ إلـى حقيقـةِ الديانةِ الشـرعيةِ المُتكامِلةِ إطلاقًـا ؛ وإنَّما وظيفتُهـا الموجَّهةُ عالميًا محصورةٌ في تحسينِ فُرصِ الاستِقرارِ والاستِثمارِ ، وهو مطلبٌ هامٌّ في المُجتمعِ ولكـن معَ تفعيلِ الصِّراعِ الدينيِّ والحِزبيِّ السياسـيِّ داخِلَ المُجتمعاتِ المُتناقِضةِ المُتعارِضةِ؛ ليسـتثمِرَها العدوُّ المُشـتركُ سـاعةَ الحصادِ لمصلحتِـه ، ولا أكثرَ مِن ذلِكَ ... فهل مِن مُتأمِّلٍ ؟!

٧٦. فناءُ بعضِ الشُّعوبِ والقبائلِ

فناء بعض الشعوب علامة صغرى

تُشـيرُ أحاديثُ علاماتِ السـاعةِ الصغرى إلى إسـراعِ الهلاكِ في بعـضِ القبائلِ قبـلَ غيرِها مِن مُعاصريها ، ويكونُ السـببُ في ذلِكَ ما شـرحَته الأحاديثُ مُجملًا كالمُلـكِ أوِ الحميَّـةِ أوِ المُنافسـةِ ، وفُهِمَ مِن مُتابعـةِ الأحاديثِ المُتنوِّعـةِ أنَّ صِفةَ الهـلاكِ الشـامِلِ تكونُ بعـدَ مرحلةِ هدمِ الكعبةِ على يدِ الحبشـةِ في آخِـرِ الزمانِ ، ويُؤيِّدُ ذلِكَ حديثُ : «**يُبايعُ لِرَجُلٍ بَينَ الرُّكنِ والمقامِ ، وأوَّلُ مَن يستحِلُّ هذا البيتِ أهلُه** ـ أي : ينتهِكوا حُرُماتِه ـ **فإذا اسـتحلُّوه فلا تسـأَلْ عن هلكةِ العربِ ، ثُمَّ تجيءُ الحبشةُ ، فيُخرِّبونه خرابًا لا يعمُرُ بعدَه أبدًا ، وهمُ الذين يستخرِجونَ كنزَه**» [1] .

طلب الملك والحمية سبب في فناء بعض الشعوب

---

(١) «مسند أحمد» (٧٩١٠) و«مسند أبي داود» الطيالسي (٢٤٩٤) .

وعن طلحةَ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**مِنَ اقتِرابِ الساعةِ هلاكُ العربِ ...**» [1] .

هلاك العرب

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : «**أوَّلُ العربِ هلاكًا قُريشٌ وربيعةُ ، قالوا : وكيفَ؟ قالَ : أمَّا قُريشٌ فيُهلِكُها المُلكُ ، وأمَّا ربيعةُ فتُهلِكُها الحميَّةُ**» [2] .

وعن عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : إنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «**أوَّلُ الناسِ هلاكًا قُريشٌ ، وأوَّلُ قُريشٍ هلاكًا أهلُ بيتي**» [3] .

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أوَّلُ الناسِ هلاكًا قُريشٌ ، وأوَّلُ قُريشٍ هلاكًا أهلُ بيتي**» [4] .

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت : دخلَ عليَّ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقولُ : «**يا عائشةُ ، قَومُكِ أسرعُ أُمَّتِي بي لِحاقًا**» . قالَت : فلمَّا جلسَ قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جعلني اللَّهُ فداءَك ، لقد دخلْتَ وأنت تقولُ كلامًا ذعرني فقالَ : «**وما هو ؟**» قالَتْ تزعُمُ أنَّ قَومِي أسرعُ أُمَّتِكَ بِك لِحاقًا ؟ قالَ : «**نعم**» . قالَت : وبِمَ ذاك ؟ قالَ : «**تستحليهمُ المنايا وتنفس عليهم أُمَّتهم**» قالَت : فقُلتُ فكيفَ الناسُ بعدَ ذلِكَ أو عِندَ ذلِكَ؟ قالَ : «**دبى يأكُلُ شِداده ضِعافَه حتَّى تقومَ علَيهِمُ الساعةُ**» [5] ، والدبى : الجنادِبُ التي لم تنبُتْ أجنِحتُها .

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٩٢٩) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٤٧٧) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٥٥٧) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٨٧٠) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٠٢٠) .

(٤) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (١٧٣٧) و«صحيح الجامع الصغير» (٢٨٠٥) و«الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٩٠) و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١: ٣٨٨) .

(٥) «مسند أحمد» (٢٤٥٩٦) .

٧٧. ظاهِرةُ تركِ الجهادِ في سبيلِ اللّهِ رسمياً وبقائه شعبياً

ومِـن ظواهِـرِ علاماتِ السـاعةِ الصُّغرى تركُ الجِهادِ في سـبيلِ اللّـهِ على صفتِه الشـرعيةِ رسـميًّا ، فلا تسـتقيمُ له دَولةٌ مِنَ الدُّولِ العربيةِ أوِ الإسـلاميةِ المُجزَّأةِ ، بل يُسـتقبَحُ أمرُه ، ويُسـتصغَرُ شأنُ الداعي له ، وتشـتغِلُ الشُّعوبُ بما هو أدنى مِن ذلِكَ، تحقيقًا لِما أخبرَ به ﷺ مِن قَولِه : «**إذا تبايعتُم بالعِينةِ ، وأخذتُم أذنابَ البقرِ، ورضِيتُم بالزرعِ ، وتركتُم الجِهادَ ؛ سـلَّطَ اللّهُ علَيكم ذُلًّا لا ينزِعُه حتَّى ترجِعُوا إلى دينِكم**» [(١)] .

أسباب ترك فريضة الجهاد

ويعودُ تركُ فريضةِ الجِهادِ في هذه المراحِلِ لسببَين :

الأوَّلُ : انتِهاءُ العملِ بِقرارِ الجِهادِ رسـميًّا بِسقُوطِ قرارِ الحُكمِ الإسلاميِّ الذاتيِّ واستِتباعِ القرارِ لحملةِ شُروطِه المُدَونةِ .

الثاني : همينـةُ الكُفَّارِ بعدَ سُـقوطِ دَولةِ الخِلافةِ على قرارِ الحربِ وقرارِ السِّـلمِ والعملِ على صرفِ الأنظِمةِ العربيةِ والإسلاميةِ عنِ الجهادِ إلى سياسةِ الاستِسلامِ وقَبولِ التَّعايُشِ المُذِلِّ لِلمُسـلِمين بِسياسةِ الاسـتِعمار ثُمَّ الاستِهتارِ ثُمَّ الاستِثمارِ. وقـد برزَ هذا الأمـرُ واضِحًا وجليًّا في مراحِلِ التدرُّجِ السياسـيِّ الذي مرَّ بالأنظِمةِ العربيـةِ والإسـلاميةِ خِلالَ مرحلـةِ التطبيعِ ومرحلـةِ غرسِ الكيـانِ الصهيونيِّ في أرضِ فِلسطينَ ، وقد كانَت بعضُ الأنظِمةِ العربيةِ والإسلاميةِ تدعو إلى الجِهادِ في سبيلِ اللّهِ ضِدَّ الاحتِلالِ الصهيونيِّ ، بل وشاركَت جُيوشُها في المعارِكِ العسكريةِ، ولكنَّها آلَت فيما بعدُ إلى الهزيمةِ والانكِسارِ والخيانةِ ؛ نتيجةَ اختِراقِ العدوِّ الكافِرِ مواقِعَ القرارِ فِيها ، ونتيجةَ المُلابساتِ والتسييسِ الاستِعماريِّ المُبرمَجِ .

وبقِيَ الجِهادُ الشـعبيُّ القائمُ على صِفةِ الحزبيةِ السياسـيةِ ضِدَّ قُوى الاسـتِعمارِ والصهيونيـةِ ، كمـا هو في تحريرِ بعـضِ البِلادِ العربيـةِ مِنَ الاحتِلالِ إبـانَ مرحلةِ الدُّهَيمـاءِ ، أو كمـا هـو في فِلسـطينَ إلى اليَومِ ضِـدَّ اليهودِ المُحتلِّيـن ، أو كما هو

---

(١) «سنن أبي داود» (٣٤٦٢) .

في غيرِها مِن بِلادِ المُسـلِمين مُتَّخِذًا صِفةَ الصِّراعِ معَ الأنظِمةِ ، وتحتَ شِـعاراتٍ مُتنوِّعةٍ ذاتِ صِبغةٍ دينيةٍ مُسَيَّسةٍ ، أو صِبغةٍ قَوميةٍ أو فئويةٍ أو حزبيةٍ تحريشيةٍ قائمةٍ على سياسةِ «فرِّقْ تسُدْ» .

ومعَ هذا وذاكَ فلا تخلو هذه الدعواتُ مِن أفرادٍ مُخلِصين ومُجاهِدين في سبيلِ اللّـهِ ، ولكنَّ الهيـكلَ الإداريَّ الحِزبيَّ المُتَّخَذَ والأيديولوجياتِ المُتبعةَ في التنفيذِ تُبـرِزُ حـرجَ الربطِ بَينَها وبَينَ مفهومِ الجِهادِ الشـرعيِّ الحامِلِ صِفةِ «الجِهادُ لِتكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُليا» ، واللّهُ أعلمُ بِعبادِه ونيّاتِهم .

نموذج آخر للجهاد.. الجهاد بالكلمة، وهو الذي دخلت به شعوب كاندنوسيا وسيلان وغيرها في الإسلام

أمَّا الجِهادُ في سبيلِ اللّهِ بِالحكمةِ والموعِظةِ الحسنةِ معَ تجنُّبِ الصِّراعِ الدمويِّ التحريشـيِّ فهو دَيدنُ بعضِ الجماعاتِ الإسـلاميةِ ، ولا زالَ هذا النموذجُ مُنتشِـرًا مُنذُ عُهودِ الخِلافةِ إلى اليومِ ، ولا زالَ يؤدِّي دورَه الشرعيَّ الواجِبَ لإنقاذِ ما يمكِنُ إنقاذُه بِالحكمةِ ونشـرِ العِلمِ في المسـاجِدِ والأربطةِ والزوايـا والخلواتِ والمُدُنِ والقُرَى ، ولها الدَّورُ الفاعِلُ في إدخالِ مئاتِ الآلافِ مِنَ الكُفَّارِ وعبدةِ الأوثانِ إلى الإسـلامِ في العالمِ كُلِّه . ومِثالُها في أندونسـيا وجُزُرِ الفِلبينِ وشرقِ إفريقيا والهندِ وسيلانَ وغيرِها مِنَ البِلادِ بارزٌ وواضحٌ على مدى التاريخِ القريبِ والبعيدِ .

شعار هذا الجهاد «كلمة حق عند سلطان جائر»

وهذا النموذجُ مِنَ الجِهادِ بِالكلمةِ يتَّخِذُ مِن حديث رسولِ اللّهِ ﷺ شِعارًا عمليًّا: «**أفضلُ الجِهادِ في سبيلِ اللّهِ كلمةُ حقٍّ عِندَ سُلطانٍ جائر**» [1]، والسلطانُ الجائرُ في أحـدِ معاني الحديثِ هو المرحلةُ الجائرةُ ، التي يتعطَّلُ فِيها الجِهادُ في سـبيلِ اللّهِ على الوجهِ الشـرعي فيُسـتعاضُ عنه ولو إلى حينٍ بِالجِهـادِ بِالكلمةِ الطيبةِ ، وإليه يُشـيرُ أيضًـا حديثُ أبي جُحَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـالَ : «**أقلُّ ما تُغلبَون عليه مِنَ الجِهادِ الجِهادُ بِأيديكم ، ثُمَّ الجِهادُ بألسِـنتِكم ، ثُمَّ الجِهادُ بِقُلُوبِكم ، فأيُّ قلبٍ لم يعرفِ المعروفَ ، ولم يُنكِرِ المُنكرَ ؛ جعلَ أعلاه أسفلَه**» [2] .

حتى الجهاد بالكلمة لم يسلم من الطعن

وقد تعرَّضَ هذا النموذجُ مِنَ الجِهادِ في سـبيلِ اللّهِ بِالكلِمةِ الطيبةِ والحكمةِ إلى

---

(١) «مسند أحمد» (١١١٤٣) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٣٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٨٧٣٣) .

القذعِ والتقريعِ والتبديعِ ، خُصوصًا في مرحلةِ الغُثائيةِ المُعاصِرةِ ؛ نتيجةَ بعضِ مظاهِرِ الإفراطِ والتفريطِ والعاداتِ والعِباداتِ والاعتِقاداتِ ، التي شابَت بعضُ المجموعاتِ في عِلاقتِها بالأحياءِ والأمواتِ ، معَ أنَّ الحلَّ الأمثلَ لِلمُعالجةِ وإبقاءِ دَورِ الكلمةِ الطيِّبةِ يقتضي مُعالجةَ الإفراطِ لدى دُعاةِ السلامةِ والحِكمةِ ، ومُعالجةَ ما يقابِلُه مِنَ التفريطِ لدى المُنتقِدين والمُنازِعين لهم ؛ لِيُسهِمَ الجميعُ في إنقاذِ ما يُمكِنُ إنقاذُه مِن عِلاقةِ الأُمَّةِ بالإسلامِ ، وعِلاقةِ الإسلامِ بالأُمَّةِ ؛ حتَّى تستعيدَ الأُمَّةُ فرضيةَ الجهادِ في سبيلِ اللَّهِ على الوجهِ الشرعيِّ المطلوبِ .

٧٨. الطائفةُ المنصورةُ وبقاءُ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ «حَصريًّا» إلى يومِ القِيامةِ

الطائفة المنصورة علامة صغرى

ومِنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى بقاءُ الجهادِ، وقد تعدَّدَتِ الرِّواياتُ الخاصَّةُ بِمفهومِ بقاءِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ حصريًّا ، فمنها ما حملَ مفهومَ الجِهادِ بِالمُقاتلةِ، ومِنها ما حملَ معنى الجِهادِ بِالمُرابطةِ والثباتِ والالتِزامِ والأخذِ بالديانةِ على مدلولِ الأحاديثِ الجامِعةِ لِمفهومِ بقاءِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ ،ومِنها :

أحاديث الطائفة المنصورة

«**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي على الحقِّ منصورين**»[1] .

وفي لفظٍ : «**يُقاتِلونَ على الحقِّ ظاهِرينَ**»[2] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «**حتَّى يُقاتِلَ آخِرُهم المسيخَ الدَّجَّالَ**»[3] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «**لن يبرحَ هذا الدينُ قائِمًا ، يُقاتَلُ عليهِ عِصابةٌ مِنَ المُسلِمين حتَّى تقومَ الساعةُ**»[4] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «**لا تزال عِصابةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون على أمرِ اللَّهِ ، قاهِرين لِعدوِّهم ، لا يضرُّهم مَن خالفَهم حتَّى تأتيَ الساعةُ وهم على ذلِكَ**»[5] .

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١٠) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٦٥٣) .
(٢) «صحيح مسلم» (١٥٦) (١٩٢٣) .
(٣) «سنن أبي داود» (٢٤٨٤) .
(٤) «صحيح مسلم» (١٩٢٢) .
(٥) «صحيح مسلم» (١٩٢٤) .

الإشارة إلى الإسلام ووجود الطائفة المنصورة بها

وفي لفظٍ: «**يقذِفُ اللَّهُ بِهم كُلَّ مقذفٍ؛ حتَّى يُقاتِلوا فُصولَ الضلالةِ لا يضرُّهم مَن خالفَهم، حتَّى يُقاتِلوا الأعورَ الدَّجَّالَ، وكلُّهم أكثرُ أهلِ الشام**»[1].

وفي لفظٍ: «**لا تزالُ بِدِمشقَ عُصابةٌ يقاتِلون على الحقِّ حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وهم ظاهِرون**»[2].

وفي لفظٍ: قيلَ: يارسولَ اللَّهِ، فأنَّى هُم؟ قالَ: «ببيتِ المقدِسِ»[3].

وعن سلمةَ بنِ نُفَيلٍ الكِنديِّ قالَ: كُنتُ جالِسًا عِندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ رجُلٌ يا رسولَ اللَّهِ: أذالَ الناسُ الخَيلَ ووضعوا السِّلاحَ، وقالوا: لا جِهادَ قدْ وضعَتِ الحربُ أوزارَها، فأقبلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بوجهِه، وقالَ: «**كذبُوا! الآنَ الآنَ جاءَ القِتالُ، ولا يزالُ مِن أُمَّتي أُمَّةٌ يُقاتِلون على الحقِّ، ويُزيغُ اللَّهُ لهم قُلوبَ أقوامٍ، ويرزقُهم مِنهم حتَّى تَقُومَ الساعةُ، وحتَّى يأتيَ وعدُ اللَّهِ والخَيلُ معقودٌ في نواصيها الخَيرُ إلى يَومِ القِيامةِ، وهو يُوحَى إليَّ أنِّي مقبوضٌ غيرَ مُلبَّثٍ، وأنتم تتبعوني أفنادًا يضرِبُ بعضُكم رِقابَ بَعضٍ، وعُقرُ دارِ المؤمنين الشامُ**»[4]. إسنادُه صحيحٌ، وفي البابِ جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ وكلُّها يُفيدُ بقاءَ الجِهادِ الشرعيِّ في سبيلِ اللَّهِ، وخاصَّةً في الشامِ وبيتِ المقدِسِ، ومنه حديث عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ الحضرميِّ عن أبي أُمامةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ ظاهِرينَ لعدوِّهم قاهِرين لا يضُرُّهم مَن خالفَهم إلا ما أصابَهم مِن لأْواءِ، حتَّى يأتِيَهم أمرُ اللَّهِ وهم كذلِكَ**»، قالوا يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هم؟ قالَ: «**بِبَيتِ المقدِسِ وأكنافِ بَيتِ المقدِسِ**»[5].

وهنا نذكر الأحاديثُ الجامِعةُ لمفهومِ البقاءِ على الحقِّ دونَ ذكرِ الجِهادِ:

الطائفة المنصورة غير التي تجاهد بالسيف

- «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ منصورين، لا يضُرُّهم مَن خالفَهم، حتَّى**

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١: ٢٦٧).
(٢) «تاريخ دمشق» (١: ٢٥٦).
(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٤٣).
(٤) «سنن النسائي المجتبى» (٣٥٦١).
(٥) «مسند أحمد» (٢٢٣٢٠).

يأتيَ أمرُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ»[1] .

- وفي لفظٍ : **«لا يزالُ أهلِ المغربِ مِن أُمَّتي ظاهِرين إلى أن تَقُومَ السَّاعَةُ»**[2] .
- وفي لفظٍ : **«منصورين لا يضُرُّهم خُذلانُ مَن خذلَهم حتَّى تقومَ الساعةُ»**[3] .
- وفي لفظٍ : **«لا تقومُ الساعةُ إلا وطائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرين على الناسِ لا يُبالون من خذلَهم ، ولا من نصرَهم»**[4] .
- وفي لفظٍ : **«لا تزالُ طائفة من أُمَّتي قوَّامةً على أمرِ اللَّهِ لا يضرها من خذلها»**[5] .
- وفي لفظٍ : **«عزيزةً على الدينِ إلى يومِ القيامةِ»**[6] .
- وفي لفظٍ : **«لا يزالُ لِهذا الأمرِ عِصابةٌ على الحقِّ لا يضُرُّهم خِلافُ مَن خالفَهم حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وهم كذلِكَ»**[7] .

أحاديث الطائفة المنصورة تشير إلى بقاء الجهاد إلى يوم القيامة

وهذه الأحاديثُ بمُجملِها تشيرُ إلى وُجودِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ في أُمَّةِ الإسلامِ على وجهِه الصحيحِ ، وأنَّه لا ينقطِعُ أبدًا .

الطائفة المنصورة لا تنتمي إلى دَولة أو جماعة أو حزب

كما تُشيرُ إلى التِزامِ الطائفةِ المنصورةِ منهجَ الدِّيانةِ الإسلاميةِ لا تحيدُ عنه أبدًا، ولكنَّا عِندَ الإشارةِ بهذه الأحاديثِ لِلواقِعِ المُعاشِ فإنَّ الطائفةَ المنصورةَ ـ كما يظهَرُ ـ لا تنطوي تحتَ ظِلِّ سياسةٍ مُعاصِرةٍ ولا نظامٍ قائمٍ ولا حزبيةٍ أو فِئويةٍ مُسَيَّسةٍ ، وإنَّما هم عِبادُ اللَّهِ الصابِرون الصالِحون في كُلِّ موطِنٍ وأُمَّةٍ : لا تجمعُهم سياسةٌ مُحدَّدةٌ ، ولا مذهبٌ مُعيَّنٌ ، ولا إطارٌ مُسيَّسٌ ، ولا مُسمًّى خاصٌّ ، أتقياءُ

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١٠) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٩٢٥) بلفظ : **«أهل الغرب»**.

(٣) «صحيح ابن حبان» (٦١) .

(٤) «سنن ابن ماجه» (٩) .

(٥) «سنن ابن ماجه» (٧) .

(٦) «جامع الأحاديث» للسيوطي (١٦٣٧٥) ، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥:٥٥٣) .

(٧) «مسند أحمد» (٨٢٧٤) .

أخفيـاءُ يحفَظُ اللَّهُ بهم عِبادَه ، ويصونُ بهم ميراثَ النُّبوَّةِ حتَّى يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا .

وإن بـرزَ أحدٌ مِنهم أو جماعةٌ بِمُسـمَّى الجِهادِ فعلامتُهم إقامةُ الجِهادِ الشـرعيِّ على وجهِه الصحيحِ بعيدًا عن تسـييسِ التحوُّلاتِ والتكتُّلاتِ وسياسةِ المُنظماتِ والجماعاتِ المشبوهةِ المُخترِقةِ.. واللَّهُ أعلمُ .

٧٩. اختِفاءُ التعامُلِ بالنقدَين

تدمير المقياس المالي للبشرية الذهب والفضة

ومِـنَ العلامـاتِ الصُّغـرى التـي تحدَّثَ عـن وُقوعِها ﷺ فـي الأُمَّةِ مـا يقعُ مِنَ (العبـثِ الاقتِصـاديِّ) بالنقدَيـن وتداوُلِهمـا ، وهمـا ـ أي : النقـدان ـ ممثـلان في (الذهبِ والفِضَّةِ) أساسُ التنميةِ المَاليَّةِ المُتداولةِ عبرَ التاريخِ الإنسانيِّ كُلِّه .

وقـد نَبَّهَتِ الأحاديـثُ على أهميتِهما ووُجودِهمـا ، وكانَا مُتمثِّلَيـن في (الدينارِ والدِّرهمِ) وضرورتِهما في فِقهِ المُعاملاتِ الشرعيةِ ، وشرَّعَتِ التعامُلَ بهما ، كما شـرَّعَت مبـدأَ «الثمنيةِ» ، ونبَّهَت إلى شـرطِ قبضِ الثمنِ منهمـا وأهميتِه في صِحةِ العُقودِ ، فقد روى أحمدُ في مُسندِه : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبي مريمَ قالَ : كانَت لمِقدامِ بنِ معدِي كرِبَ جاريةٌ تبيعُ اللبنَ ، ويقبِضُ المِقدامُ الثمنَ ، فقيلَ له : سُبحانَ اللَّهِ! أتبيعُ اللبنَ وتقبِضُ الثمنَ ؟ فقالَ : نعم وما بأسٌ بِذلِكَ ، سـمِعْتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**ليأتِينَّ على الناسِ زمانٌ لا ينفعُ فيه إلا الدينارُ والدِّرهمُ**»[1] .

وفي «الكبيرِ» عن حبيبِ بنِ عُبيدٍ قالَ : رأَيتُ المِقدامَ بنَ معدي كرِبَ في السُّوقِ وجاريـةٌ لـه تبيعُ لبنًا وهو جالِسٌ يقبِضُ الدراهِمَ ، فقيلَ له في ذلِكَ ، فقالَ سـمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**إذا كانَ آخِرُ الزمانِ لا بُدَّ لِلنَّاسِ فيها مِنَ الدراهِمِ والدنانيرِ يُقيمُ الرجُلَ بِها دينَه ودُنياه**»[2] .

وفـي سـياقِ حديثِ ابنِ أبي مريمَ إشـارةٌ إلى هذه الأهميـةِ المُترتِّبةِ على الذهبِ

(١) «مسند أحمد» (١٧٢٠١) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٦٦٠) (٢٠: ٢٧٩) .

والفِضَّـةِ ، ولذا فإننا نجدُ الدِّراسـاتِ في الاقتِصادِ الإسـلاميِّ تُشـدِّدُ على ضرورةِ إيجـادِ عُملـةٍ ذهبيـةٍ وفِضِّيةٍ ، وإعـادةِ النقدِ الأصلـيِّ للمُعاملاتِ كحـلٍّ نِهائيٍّ في التقابُضِ ، ولِتأصيلِ مبدأِ الثمنيةِ في الإسلامِ .

ثُمَّ نبَّهَتِ الأحاديثُ الكريمةُ إلى ما يقعُ مِن نقضٍ لهذا الأصلِ الإنسانيِّ العظيم[1]، ومنعِ اليهودِ والنصارى كافَّةَ الشُّعوبِ مِنَ الوُصولِ إلى هذا الأمرِ ، وهذا المنعُ في حقيقتِه نقضٌ لِلأصلِ النقديِّ في التعامُلِ ، فهو مِن نقضِ عُرى الإسلامِ ، وإلى مِثلِ ذلِكَ يُشيرُ حديثُ مُسندِ أحمدَ (٨٠٣٦) : حدَّثَنا أبو النضرِ حدَّثَنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ عـن أبيـه عن أبي هُرَيرةَ أنَّه كانَ يقولُ : كيفَ أنتـم إذا لم تجتبوا دِينارًا ولا دِرهمًا ؟ فقيلَ له : كيف ترى ذلِكَ كائنًا يا أبا هُرَيرةَ ؟ قالَ : أي والذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بِيدِه ، عـن قَـولِ الصَّـادِقِ المصدوقِ . قالُوا : عـمَّ ذاكَ ؟ قالَ : «**تُنتهَكُ ذِمَّـةُ اللَّهِ عز وجل وذِمَّةُ رسـولِه** ﷺ **؛ فيشُـدُّ اللَّهُ قُلُوبَ أهلِ الذِّمَّةِ ؛ فيمنعون ما في أَيْديهم**»[2] . وفي رواية زيادة : «والذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بِيدِهِ لَيَكُونَنَّ» مرَّتَينِ[3] .

ومِن أعاجيبِ ما في هذا الحديثِ قولُه ﷺ : «**فيمنعونَ ما بِأيديهم**» ، والمقصودُ بِه كما يظهرُ ـ واللَّهُ أعلمُ ـ أنَّ كافَّةَ شُئونِ الاقتِصادِ وصكِّ العُملاتِ وتشريعِ قوانينِ النقدِ ونحوِ ذلِكَ يكونُ بأيديهم ، وهذا ما هو كائنٌ الآنَ[4].

---

(١) ولِلمِقـدامِ عِنـدَ الطبرانيِّ في «المعجـم الكبيرِ» (٦٥٩) (٢٠ : ٢٧٨) عـنِ النبيِّ ﷺ : «**يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا أبيض لم يتهن بالعيش**» .

وعن جرير قال لما رآني رسول الله ﷺ لا أمسك شيئا إنما أنفقه ؛ قال : «**يا جريرُ ، علَيكَ أن تُمسِكَ مالَكَ ؛ فإنَّ لهذا الأمرِ مُدةً**» . رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣٦٩) .

وفـي «المطالـب العاليـة» للحافـظ ابن حجـر العسـقلاني (١٤٨٤) قال مسـدد : حدثنا خالـد بـن عبدالله ، ثنا مالك ، عن يحيى بن سـعيد ، عن سـعيد بن المسـيب، قـال : «**قَطْعُ الدينارِ والدِّرهمِ مِنَ الفسادِ في الأرضِ**» .

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٨٠) .

(٣) «مسند أحمد» (٨٣٨٦) .

(٤) ولعـل في التكرار لقول أبي هريرة رضي الله عنه مع القسـم المغلظ : (والذي نفس أبي هريرة بيده ليكونـن) مرتين إشـارة لطيفـة إلى ما حصل للفسـاد في الأرض بتغييب مقياسـي (الذهب

وهـذا ما أشـارَ إلَيه النـصُّ النبويُّ بِوُضـوحٍ ، وجـاءَ تعليلُ ذلِكَ فـي حديثٍ ابنِ شيبةَ : حدَّثَنا خالدُ بن مُخلدٍ قالَ حدَّثَنا عليُّ بنُ صالِحٍ عن أبيه عن سعيدِ بن عمرٍو عن أبي حكيمٍ مولى مُحمَّدِ بن أُسـامةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «**كيف أنتم إذا لم يُجبْ لكم دينارٌ ولا دِرهمٌ ؟**» قالوا : ومتى يكونُ ذلِكَ ؟ قالَ : «**إذا نقضتُم العهدَ شدَّدَ اللَّهُ قُلُوبَ العدوِّ علَيكم فامتنعوا مِنكم**» [1] .

ولعـلَّ المقصودَ هنا بنقضِ العهدِ مُخالفتُهم لِلشـريعةِ في كافَّةِ شُـؤُونِ الاقتِصادِ والارتِبـاطُ بعجلةِ الاقتِصادِ العالميِّ كما قـالَ تعالى : ﴿**ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [البقرة:٢٧] .

والفضة) من خلال التآمر على البشرية، فإن رجال المال المتنفذين في العالم أبعدوا مقياس الفضة في ١٨٦٠م ، وعمموه على العالم ، وكانت ضربة قوية للاقتصاد الإنساني ، ثم ألغوا الغطـاء الذهبي فـي ١٩٧٣ م بقرار من البنـك وصندوق النقد الدوليين فتلاشـت بقايا آثار المعيـار النقدي تماما ، وفقهاؤنا يبحثون الآن عن مخارج ، وبعضهم يشـرع الموجود رأفة بالنـاس واجتهـادا منه ، ولذلك فقد انحصرت جهود كافة مؤسسـات الاقتصاد الإسـلامي اليوم فيما يسـمى بالاقتصاد الجزئي، وأما الاقتصاد الكلي ونظام العملات فتعتذر عنه بأنه شأن الحكومات وأنه لا ناقة لها فيه ولا جمل .

وبقينا الآن نعيش مرحلة النقد الورقي ، ولعلها المرة الأولى ، والمرة الثانية تعد لها العدة الآن (النقـد الإلكترونـي) عندما تسـحب الأوراق كلها ، وتتحول المعامـلات النقدية إلى الآلة (العملة العالمية الموحدة ، البنك العالمي) .

العملات الورقية ثم البنك العالمي والعملة الخفية الإلكترونية

وفيمـا يخـص العرب فـي مجريات التحـول النقدي نجـد أن العملة الفضيـة أو الذهبية العربيـة قـد ألغيت منـذ منتصف القرن « الخمسـينات » مـن أغلب الـدول ، وكانت اليمن مـن آخـر الدول العربية التي أبقت التعامل في كافة شـؤونها بنقدي الذهب والفضة ، حيث سـكت ورقتها مع مطلع الثورة في الستينات ، ووضعت للجميع العملة الورقية ، وفرضت عليهم فرضا ، وسار التعامل بها إلى اليوم ، وربما تأتي في المرحلة اللاحقة العملة العالمية الموحدة التي ستكون إلكترونية غير مرئية .

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٧١) بسند جيد .

٨٠. توقف الجزية والخراج وسقوط دولة الخلافة

ويُمْكِـنُ تسـميتُه (الضعفَ الاقتصـاديَّ للدولةِ الإسـلامية)، ويدل عليه حديث أبـي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**منعـتِ العـراقُ..**» وفي آخـره: «**وعدتُـم من حيـث بدأتُم**» كررها ثلاثا[١]، ويحتمل أن تكون إشـارةً إلى سـقوطِ الخلافة الإسـلامية وتشتُّتها إلـى دويـلات وانعدامِ بيتِ المال، ومنـعِ البلدانِ التي كانتْ تُـؤدِّي الخراجَ لدولةِ الخلافةِ خراجَها.

وفـي (إكمـالِ المعلم) (٨: ٤٥٧): قال القاضي عياض: وقولُه: «**يوشـكُ أهلُ العراقِ أن لا يُجبى إليهمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ**»[٢] هو مثلُ قولِه: «**مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَها... الحديث**»، وقد فسَّـره فـي الحديث أنّ معناه مَنْعَها الجزيةَ والخـراجَ، لغلبةِ الرومِ والعجمِ على البلاد.

وقـال الإمامُ النوويُّ في شـرحِ مسـلمٍ (١٨: ٥٣) عنـد أثرِ جابرٍ: (يُوشِـكُ أهلُ العـراقِ أن لا يُجبى إليهم)[٣]: قد سـبقَ شـرحُه قبل هذا بـأوراق. اهـ. يريد بذلك كلامـه الذي تقـدم عنه (١٨: ٢٨)، وفيـهِ: إن معناه: أنّ العجمَ والرومَ يسـتولون على البلادِ في آخر الزمان، فيمنعون حصولَ ذلك للمسـلمين، ثم قال فيه أيضاً: وَذَكَرَ في منع الرومِ ذلك بالشـامِ مِثْلَهُ، وهذا قد وجد في زمانِنا في العراق، والآن

---

(١) الحديـث في «صحيح مسـلم» (٢٨٩٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنَعَتِ العراقُ قَفِيزَها ودرهمها ومنعت الشام مُدْيَهَا ودينارها ومنعتْ مصرُ إِرْدَبَّهَا ودينارها، ثـم عُدتُـم من حيث بدأتُـم**» قالها زهيرٌ (وهو أحد رواة الحديث) ثلاث مرات: شـهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٩٦).

(٣) تمـام الأثـر في «صحيح مسـلم» (٢٩١٣): عـن أبي نضرة قال: كنا عنـد جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذاك، ثم قال: يوشـك أهل الشـام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم سـكت هنيّهة، ثم قال: قال رسـول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا**».

موجودٌ .

قال الشيخ محمد تقي العثمانيُّ في (تكملة فتح الملهمِ بشرح صحيح مسلم): (٦ : ٢٩٢) شارحاً حديث أبي هريرة رَضِوَاللّهُعَنْهُ (منعت العراق) : إنه إخبار بأن الكفار يسيطرونَ في آخر الزمان على معظم البلاد ، فيمنعون مسلمي هذه البلاد من الحصول على ما يحتاجونَ إليه من الأموالِ، ويؤيده ما سيأتي في باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل) من حديث جابر قال : يُوشكُ أهلُ العراق ألّا يُجبى إليهم قفيزٌ ولا درهمٌ .

ومن المعاصرين قال الدكتورُ عمرُ الأشقرُ في كتابه «اليومُ الآخرُ القيامةُ الصغرى» تحت عنوان (توقُّف الجزية والخراج) ص١٥٤-١٥٥ : كانتِ الجزيةُ التي يَدفَعُها أهلُ الذمة في الدولة الإسلامية والخراجُ الذي يدفعُه من يستغلُّ الأراضي التي فُتِحَتْ في الدولة الإسلامية من أهمِّ مصادرِ بيت مال المسلمين ، وقد أخبرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ذلك سيتوقفُ ، وسيفقدُ المسلمون بذلك مورداً إسلامياً هاماً ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِوَاللّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**مَنَعَتِ العراقُ دِرْهَمَهَا وقَفِيزَهَا، ومَنَعَتِ الشامُ مُدَّها ودِينَارَهَا ، ومَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا ودِينَارَهَا**.. الحديث». اهـ. ثم قال : فقد استولى الرومُ ثم التتارُ على كثيرٍ من البلاد الإسلامية ، وفي عصرِنا احتلَّ الكفارُ ديارَ الإسلام، وأذهبوا دولةَ الخلافةِ الإسلامية ، وأبعدوا الشريعةَ الإسلاميةَ عن الحكمِ. اهـ. ثم ذكر حديثَ مسلمٍ وشرحَ النوويِّ له وقال: وكلُّ هذه التعليلاتِ لسببِ منعِ تلك الإيراداتِ لخزينةِ الدولة الإسلامية التي كانت تقيمُ اقتصادَها على الشريعةِ الإسلاميةِ ، فإلى الله المشتكى(١).

٨١. حُصولُ الزلازِلِ والخسفِ وهلاكُ بعضِ البلادِ

ومن علاماتِ الساعةِ الصُّغرى ، التي يأتي بعضُها خِلالَ مراحِلِ العلاماتِ

(١) «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (١ :٢٥٤) ، تأليف مشهور حسن سلمان .

الكُبرى الأخيرةِ ، هلاكُ بعضِ المُدُنِ والعواصِمِ ، ومِنها المدينةُ المُنوَّرةُ، وهلاكُها كما يظهرُ مِن ظاهِرِ الأحاديثِ حُصولُ كارثةٍ طبيعيةٍ ـ كما تُسمَّى ـ أو عِدَّةِ كوارِثَ كالزلازِلِ التي تُفاجِئُ أهلَها ؛ فيضطرون إلى الخُروجِ مِنها ، وهي أحسنُ ما تكونُ ، وفِيها وردَت جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ مِنها :

- «**لتُترَكَنَّ المدينةَ على أحسنِ ما كانَت ، حتَّى يجيءَ الكلبُ على ساريةٍ من سواري المسجِدِ أو على عُودٍ من أعوادِ المِنبرِ**» ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، لمن تكونُ الثِّمارُ يومئذٍ ؟ قالَ : «**لِلطَّيرِ والسِّباعِ**»[1] .
- وروى الإمامُ أحمدُ عن مِحجَنِ بنِ الأذرع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّه صعِدَ معَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُحدًا ، فأقبلَ على المدينةِ فقالَ : «**ويلُ أُمِّها ، قريةٌ يدعها أهلُها كأينع ما تكونُ**»[2] . وفي لفظٍ : «**ويلُ أُمِّكِ ، يدعُكِ أهلُكِ وأنت خيرُ ما تكونين**»[3] . قالَ : قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ مَن يأكُلُ ثمرتها ؟ قالَ : «**الطَّيرُ والسِّباعُ**»[4] .
- وروى أحمدُ بِسندٍ حسنٍ عن عمرِ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «**ليسيرَنَّ راكِبٌ في جنبِ وادي المدينةِ فيقولَنَّ : لقد كانَ في هذه مرَّة حاضِرةٌ من المؤمنين كثيرٌ**»[5] .

قُلتُ : واللَّهُ أعلمُ : ومِثلُ هذه الظواهِرِ مربوطةٌ في جُملةِ الأحاديثِ بما يقع فيه النـاسُ مِنَ الكبائرِ وفِعلِ المعاصي مِنَ الظُّلمِ والفُحشِ وأكلِ الرِّبا والقتلِ وغيرِه، وقد عرفَ العالمُ الإنسانيُّ والعالمُ العربيُّ والإسلاميُّ عبرَ الأزمنةِ المُتلاحِقةِ مِن هذه الرجفاتِ والزلازِلِ الشيءَ الكثيرَ ، ومِنها البراكينُ التي تنفجِرُ بَينَ الحينِ

---

(١) «الموطأ» (٣٣١٠) و«صحيح ابن حبان» (٦٧٧٣) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣١١) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٣٤٧) .

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٧٤٦٣) (٧٠٧) (٢٠ : ٢٩٨) .

(٤) «مسند أحمد» (٢٠٣٤٧) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٤٧٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣١٥) .

(٥) «مسند أحمد» (١٤٦٧٨) .

والآخَرِ ، ولكنَّها في علاماتِ الساعةِ مقرونةٌ في عالمِنا العربيِّ والإسلاميِّ بِظُهورِ المعاصـي واستِخفافِ الشُّعوبِ بِالديانةِ والأمانـةِ ، وإلى ذلِكَ تُشـيرُ الأحاديثَ كقَولِـه ﷺ في رِوايـةِ البُخاريِّ : «**وحتى يُقبَضَ العِلمُ ، وتكثُـرَ الزلازِلُ ، ويتقاربَ الزمانُ ، وتظهرَ الفِتَنُ ، ويكثُرَ الهَرْجُ ، وهو القتلُ**»[1].

قـالَ الحافِظُ الغماريُّ في «مُطابقةِ الاختراعاتِ العصريةِ» (ص١١١) بعدَ إيرادِه هذا الحديثِ : وقد وردَ أن سببَ كثرةِ الزلازِلِ في الأرضِ هو الرِّبا وكثرةُ المُعاملةِ بِه ، وأكلُه» .

وقد سـجَّلَت أجهزةُ الأرصادِ في جزيرةِ العربِ عُمومًا جُزءًا مِن سلسلةِ الزلازِلِ والرجفـاتِ عبرَ تاريخِنا المُعاصِـرِ ، رُبَّما كانَ من آخِرِها زِلازلٌ حصلَت في منطقةِ العيسِ قريبًا مِنَ المدينةِ المُنوَّرةِ خِلالَ شهرِ جُمادى الأوَّلِ ١٤٣٠هـ ، ويبدو واللَّهُ أعلمُ أنَّ التفسيرَ النظريَّ المُتحدَّثَ بِه في أجهزةِ الإعلامِ هو كونُ هذه المناطِقِ تتأثرُ بالانصِداعـاتِ الجيولوجيةِ الكائنةِ تحتَ قِشـرةِ الأرضِ والمُمتدةِ على مسـافاتٍ كبيرةٍ مِن سلسـلةِ الصدعِ الكبيرِ ، الذي سبقَ أن تكوَّنَت منه فجواتُ البحرِ الأحمرِ وما حولَها في سابِقِ الزمانِ ، وأنَّ هذه الزلازلَ استمرارٌ طبيعيٌّ لِهذه الظاهِرةِ .

إذن فلا يُستبعَدُ أنَّ الذي أشارَ إلَيه ﷺ مِن تركِ المدينةِ وهي يانعةُ الثِّمارِ حُصولُ شيءٍ من هذه الانصِداعاتِ في آخِرِ الزمانِ بما يُؤدِّي إلى خُروجِ أهلِها مِنها ، واللَّهُ أعلمُ .

نقاش بين ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وفـي حديثٍ ذكرَه الحافِظُ في « فتحِ البـاري » (٤/ ١٠٣) قالَ : (تنبيه) أنكرَ ابنُ عُمـرَ علـى أبي هُرَيرةَ تعبيـرَه في هذا الحديـثِ بِقَولِه : «**خيرُ ما كانَـت**» وقالَ : إنَّ الصـوابَ «أعمرُ ما كانَـت» ، أخرجَ ذلِكَ عُمرُ بنُ شَـبَّةَ في «أخبـارِ المدينةِ»[2] مِن طريـقِ مسـاحقِ بنِ عمـرٍو أنَّه كانَ جالِسًـا عِندَ ابنِ عُمـرَ فجاءَ أبو هُرَيـرةَ فقالَ له : لـم تـرُدَّ علـيَّ حديثي ؟ فواللَّهِ لقد كُنـتُ أنا وأنتَ فـي بَيتٍ حين قـالَ النبيُّ ﷺ :

---

(١) «صحيح البخاري» (١٠٣٦) .

(٢) «تاريخ المدينة لابن شبة» (١: ٢٧٧) .

«**يخـرُجُ مِنهـا أهلُها خيرُ ما كانَت**» فقالَ ابنُ عُمرَ : أجـل ، ولكن لم يقُلْ : «**خيرُ ما كانَـت**» ، إنَّمـا قـالَ : «**أعمرُ ما كانَت**» . ولو قالَ : «خيرُ مـا كانَت» لكانَ ذلِكَ وهو حيٌّ هو وأصحابُه ، فقالَ أبو هُرَيرةَ : صدقْتَ ، والذي نفسـي بيدِه . وروى مُسـلِمٌ من حديثِ حُذَيفةَ أنَّه لمَّا سـألَ النبيَّ ﷺ عمَّـن يخرُجُ أهلُ المدينةِ مِنَ المدينةِ[1] ، ولِعُمـرَ بنِ شـبَّةَ [2]مِن حديثِ أبـي هُرَيرةَ قيل : يا أبا هُرَيرةَ ، مَـن يُخرِجُهم ؟ قالَ : أُمراءُ السُّوءِ[3] .

وأعجـبُ مـا في الأمرِ قَـولُ حُذَيفـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهو فقيـهُ التحوُّلاتِ وأمينُ سِـرِّ رسـولِ اللَّهِ ﷺ في هذا العِلمِ ـ فيما رواه أحمدُ في مُسندِه عن عبدِاللَّهِ بنِ يزيدَ عن حُذيفةَ أنَّه قالَ : أخبرني رسـولُ اللَّهِ ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ السـاعةُ ، فما مِنه شيءٍ إلَّا قد سألتُه ، إلَّا أني لم أساله ما يُخرِجُ أهلَ المدينةِ مِنَ المدينةِ [4] .

قـالَ الإمـامُ النـوويُّ في شـرحِ مسـلم[5] عند قولِـه ﷺ عـن المدينـةِ «**لَيَتْرُكُنَّهَا أَهْلُهـا عَلَى خَيْـرِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَـةً لِلْعَوافِي**»[6] : يعني السـباع والطير ، وفي الرواية الثانيـة : «**يَتْرُكُـونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ لا يَغْشَـاهَا إلّا العَوَافِي**» ، يريدُ : عَوَافِي السِّـباعِ والطَّيْرِ ، ثم يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المدينة يَنْعِقَانِ بعُنُقَيْهما فيَجِدَانِها وَحْشاً ، حَتّى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا على وُجُوهِهما)[7] .

أما (العوافي) فقد فَسَّـرَها في الحديثِ بالسِّـباعِ والطَّيْرِ ، وهو صحيحٌ في اللغةِ ، مأخـوذٌ من عَفوَتُهِ : إذا أَتَيْتَـهُ تَطْلُبُ معروفَه ، وأما معنى الحديثِ الظاهرُ المختارُ : أنّ هـذا التـركَ للمدينةِ يكونُ فـي آخرِ الزمان ، عنـد قيامِ السـاعة ، وتُوَضِّحُهُ قِصَّةُ

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) .
(٢) في «تأريخ المدينة» (١ : ٢٧٧) .
(٣) «فتح الباري» (٤ : ٩١) .
(٤) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) و«مسند أحمد» (٢٣٢٨١) .
(٥) (٩ : ١٥٩) .
(٦) «صحيح مسلم» (١٣٨٩) .
(٧) «صحيح مسلم» (١٣٨٩) .

الراعيين من مُزَيْنَة ، فإنَّهما يَخِرّانِ على وُجُوهِهِما حِينَ تُدْرِكُهُما الساعةُ ، وهما آخِرُ مَن يُحْشَرُ كما ثَبَتَ في صحيحِ البخاريِّ[1] ، فهذا هو الظاهرُ المختارُ .

هذا النزوح قد حصل في الماضي عند القاضي عياض

وقالَ القاضي عِياضٌ : هذا ما جَرَى في العَصْرِ الأَوَّلِ وَانْقَضَى ، وقال : وَهَذا مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدْ تُرِكَتِ المَدِينَةُ على أَحْسَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ حِينَ انْتَقَلَتِ الخلافةُ منها إلى الشامِ والعراقِ ، وذلك الوقتُ أَحْسَنُ ما كانتِ الدينُ والدنيا ، أمّا الدينُ فلِكَثْرةِ العلماءِ وكَمَالِهِم ، وأَمّا الدنيا فلِعِمَارَتِها وغِرَاسِها واتِّسَاعِ حالِ أهلِها ، قال : وذَكَرَ الأخبارِيُّون في بعضِ الفتنِ التي جَرَتْ بالمدينةِ وخافَ أهلُها أنّه رَحَلَ عنها أكثرُ الناسِ وبقيتْ ثمارُها أو أكثرُها للعوافي ، وَخَلَتْ مُدَّةً ثُمّ تَرَاجَعَ الناسُ إليها ، قالَ : وحالُها اليومَ قريبٌ مِن هذا ، وقَدْ خَرِبَتْ أَطْرَافُها .. هذا كلامُ القاضي والله أعلم[2] .

ولا زالَ في مدلولاتِ العلاماتِ الصُّغرى عشراتُ النماذجِ والصُّورِ وربَّما لا يتَّسِعُ المجالُ لِذكرِها بالتفصيلِ ، ولِهذا فقد جمعناها على صِفةِ بيانٍ عامٍّ لِتعدادِها وأسمائها ، وخاصَّةً أنَّها واسعةُ المدى والأطرافِ الزمنيةِ ، فهي تبدأُ مِن قبلِ البعثةِ المُحمَّديةِ وتنتهي بِالنفخِ في الصُّورِ ، كما سيأتي في الفصلِ اللاحقِ إجمالًا ، وقد قامَ بعضُ الباحثين بِتفصيلِها في ثنايا الكُتُبِ والمؤلَّفاتِ كالبرزنجيِّ في «الإشاعةِ»، وبوَّبَها الباحِثُ يوسُفُ الوابِلُ في كِتابِه «أشراطُ الساعةِ» تبويبًا مُتداخِلًا معَ العلاماتِ الوُسطى .

---

(١) «صحيح البخاري» (١٨٧٤) .

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٩: ١٥٩) .

٨٢. قِرَاءَةُ مَا اكْتُتِبَ مِنْ سِوَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

ومن علاماتِ الساعةِ الصغرى تِلَاوَةُ كتابٍ يُسَمَّى (المَثْنَاة) بَدِيلاً عَنِ القُرْآنِ، وإلى ذلكَ أَشَارَ حَدِيثُ عبداللهِ بنِ عمرو بن العاصِ حِينَما كانَ يُحَدِّثُ في المسجدِ ويقولُ: «**إنَّ مِنْ أشراطِ الساعةِ أن يُبْسَطَ القولُ ويُخْزَنَ الفعلُ، وإنّ من أشراطِ الساعةِ أن تُرْفَعَ الأشرارُ وتُوضَعَ الأخيارُ، وإن من أشراط الساعة أن تُقْرَأَ المَثْنَاةُ على رُؤُوسِ المَلَأِ لا تُغَيَّرُ**». قيل: وما المثناة؟ فقال: «ما اسْتُكْتِبَ من غيرِ كتابِ اللهِ». قيل: يا أبا عبد الرحمن، وكيف بما جاء من حديث رسول الله ﷺ. فقال: «**ما أَخَذْتُمُوه عمَّن تَأْمَنُونَهُ على نفسِه ودينِه فاعْقِلُوهُ، وعليكمْ بالقرآنِ فتَعَلَّمُوهُ وعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ، فإنَّكُمْ عنه تُسألون، وبه تُجْزَوْنَ، وكفى به واعظاً لمن كان يَعْقِلُ**».

وفي «شعب الإيمان» للبيهقي: قال أبوعبيد: سألتُ رجلاً من أهل العلمِ بالكتب الأولى قد عَرَفَها وَقَرَأَها عَنِ المَثْناةِ فقال: إنَّ الأحبارَ والرهبانَ من بني إسرائيل بعدَ موسى وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أَرَادُوا بَيْنَهُمْ مِن غيرِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فسَمَّوْهُ المَثْنَاةَ، كأنَّهم يعني أنَّهُمْ أَدْخَلُوا فيه ما شاؤُوا، وحَرَّفُوا فيه ما شاؤُوا على خلاف كتابِ اللهِ تباركَ وتعالى. اهـ. قال أبوعبيدٍ: فبهذا عرفتُ تأويلَ حديثِ عبدِاللهِ بنِ عمرٍو أنَّه إنما كَرِهَ الأخذَ عن أهلِ الكتابِ لذلك المعنى، وقد كانَ عندَهُ كُتُبٌ وقعتْ يومَ اليرموكِ فأظنُّه قالَ هذا لمعرفتِه بما فيها[1].

---

(١) «شعب الإيمان» (٤٨٣٥) وانظر «غريب الحديث» لأبي عبيد (ج ٤ / ص ٢٨٢).

والجدير بالذكر أن في بعض المذاهب نصوص غالية شاذة تطعن في ترتيب كتاب الله الذي يقرؤه المسلمون اليوم، وأنه سيحصل في آخر الزمان إعادة ترتيب ـ والعياذ بالله ـ لهذا المصحف، وأن هذا سيكون على يد غير العرب! لأن (المصحف الموجود) ليس مرتبا على (مصحف) الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وجاء في بعضها لفظة (المثاني) و(المثال) و(المستأنف). ومن ذلك: كأني بشيعة علي في أيديهم (المثاني) يعلمون الناس (المستأنف)، وفي رواية أخرى عنهم: كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ الفساطيط في مسجد كوفان، ثم يخرج إليهم (المثال المستأنف) أمر جديد على العرب

وهذا يشـيرُ إلـى خطورةِ الـدورِ اليهوديِّ فـي العالمِ فـي فرضِه لعقائـدِه الزائغةِ على الإنسـانية، حيثُ سمّى اليهودُ تفسـيرَ التوراةِ الذي اختلقُوهُ ووَضَعُوهُ من عندِ أنفسِهم (التلمود) ، وسَمَّوا مَتْنَه (المشناة) وشرحَه (جمارا) ، وهم يُقَدِّسُونَها غايةَ التقديس ، تقول (الموسـوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والملل المعاصرة) : التلمودُ : هو رواياتٌ شـفويةٌ تناقلها الحاخاماتُ ، حتى جَمَعَها الحاخامُ يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب أسماهُ (المشناة) ، أي : الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسـير ، وقد أتم الراباي يهوذا سـنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شـفوية . وقـد تم شـرح هذه المشـناة في كتاب سـمي (جمـارا) ، ومن (المشـنا) و(الجمـارا) يتكون التلمود، ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جدًّا تزيد على منزلة التوراة [1].

وقـد بَلَغَنَـا ـ وتَأَكَّدْنا من ذلك ـ أن قرآناً سُـمِّيَ (بالفرقان الحـق) وَزَّعَتْهُ جماعةٌ مجهولـةٌ في بعضِ بلادِ العربِ وهو يحملُ عباراتٍ وجملاً مخالفةً لكتابِ اللهِ عزَّ وجـلَّ وتَمَّتْ صياغتُه بطريقةٍ وضعيّةٍ واضحةٍ يُقصدُ بها إيجادُ التضاربِ مع مضيِّ الزمـنِ بين الأجيالِ الحائـرةِ، فيأتي زمنٌ لا يدري القارئُ أيُّ المصحفينِ على حقٍّ فيتركُ الناسُ القرآنَ لشكِّهم فيهِ ، نسأل الله الحفظ والسلامة.

شـديد . وفي رواية : كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنـزل ، فقلـت : يـا أميـر المؤمنين أو ليس هو كما أنـزل ؟ فقال : لا ، محي منه سـبعون من قريـش ، بأسـمائهم وأسـماء آبائهم ، وما تـرك أبو لهب إلا إزراء على رسـول الله ﷺ لأنه عمه .

ولسـنا بصدد نقاش هـذه الروايات وصحة أسـانيدها أو معانيها ولكن هـذا يثبت وجود إفراط وتفريط في تأريخنا الإسـلامي دخلت فيه الشعوبية والغلو والقبلية لإثارة التحريش ولو على حساب كتاب الله وحفظه من التحريف .

(١) «الموسوعة الميسرة» ص٥٩ .

عرضٌ عامٌّ لبقيَّةِ العَلاماتِ الصُّغرى

٨٣. ذَهابُ الصالِحين .
٨٤. ارتفاعُ الأسافلِ .
٨٥. ظُهورُ الرُّوَيبِضةِ .
٨٦. التِماسُ العِلمِ عِندَ الأصاغِرِ .
٨٧. صدقُ رؤيا المؤمِنِ .
٨٨. كثرةُ الكِتابةِ وانتِشارِها «الصحافةِ ودُور النشرِ» .
٨٩. التهاوُنُ بالسُّنَنِ .
٩٠. انتِفاخُ الأهِلَّةِ .
٩١. كثرةُ الكذِبِ وبُلوغُه الآفاقَ عبرَ الوسائلِ الإعلاميةِ .
٩٢. ارتِفاعُ الأُلفةِ مِنَ الناسِ .
٩٣. إذا لم يأمَنْ الرجُلُ جليسَه .
٩٤. التحيةُ لِلمَعرِفةِ .
٩٥. انتِشارُ شَهادةِ الزُّورِ .
٩٦. كثرةُ النِّساءِ .
٩٧. ظاهِرةُ مَوتِ الفجأةِ .
٩٨. وُقوعُ التناكُرِ والجفاءِ .
٩٩. عَودَةُ الجزيرةِ مُروجًا وأنهارًا .
١٠٠. كثرةُ المطرِ وقِلَّةُ النباتِ .
١٠١. كلامُ السِّباعِ والجماداتِ .
١٠٢. تمنِّي المؤمِنِ لِلمَوتِ مِن شِدَّةِ البلاءِ .
١٠٣. كثرةُ الرُّومِ وقِتالِهم المُسلِمين .
١٠٤. التدافُعُ على الإمامةِ في المساجِدِ، وفيه حديثُ: «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ**

أن يتدافَعَ أهلُ المسجِدِ لا يجِدونَ إمامًا يُصلِّي بهم»[1].

١٠٥. غُربةُ الإسلامِ.

١٠٦. ذَهابُ الخُشوعِ مِنَ الناسِ.

١٠٧. كثرةُ الذين لا يعرِفون معروفًا ولا يُنكِرون مُنكرًا.

١٠٨. كثرةُ القُرَّاءِ والخُطباءِ وقِلةُ الفُقهاءِ.

١٠٩. تعلُّمُ العِلمِ لِغَيرِ الدينِ.

١١٠. القُضاةُ الخونةُ والفُقهاءُ الكذَّابون (الكَذَبةُ) والقُرَّاءُ الفسقةُ.

١١١. ظُهورُ نارِ الحِجازِ

١١٢. مُشاركةُ المرأةِ لِلرجُلِ في التِّجارةِ

١١٣. استِبدال التلاعُنِ بالسلامِ.

١١٤. تشبُّهُ الرِّجالِ بِالنِّساءِ والنساءِ بِالرِّجالِ.

١١٥. طُغيانُ النِّساءِ وفِسقُ الشبابِ.

١١٦. التغايُرُ على الغِلمانِ.

١١٧. زخرفةُ المساجِدِ وتعليةُ المنابِرِ.

١١٨. اِنْحِسَارُ نَهْرِ الفُراتِ عَنْ كَنْزٍ مِن ذَهَبٍ.

١١٩. كثرةُ الشُّحِ.

١٢٠. ظهورُ النِّساءِ الكاسياتِ العارياتِ.

وفي السُّننِ والمسانيدِ وغيرِها مِن كُتُبِ الحديثِ عشراتُ الأحاديثِ الخاصَّةِ بِالعلاماتِ الأُخرى التي لم يتَّسِعُ المجالُ لِذكرِها.

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٨١) و«مسند أحمد» (٢٧١٣٨)، قلت: وقد حصل مثل هذا في بعض بلاد اليمن ـ إبان فترة الحكم الشيوعي ـ حيث انعدم في بعض القرى من يؤم الناس للصلوات وكذلك لصلاة الجنازة. وصدق رسول الله ﷺ.

مَوْقِفُ المُسْلِمِ المُسْتَبْصِرِ مِنَ الفِتَنِ وَأَئِمَّتِهَا المُضِلِّين

بما أنّ فقهَ التحولاتِ علمٌ يُفَصِّلُ علاماتِ الساعةِ وما يجري من الأشراطِ والفتنِ ومُضِلّاتِها ؛ فإنّ مسألةَ الاستبصارِ من المسلم واجبةٌ وضروريةٌ ، خاصةً أنّ رسولَ الله ﷺ حَذَّرَ في جملةِ أحاديثه من الفتنةِ والمشاركةِ فيها ، وعَلَّمَنا أن نستعيذَ باللهِ من الفِتَنِ ومِنْ مُضِلّاتِها ما ظهرَ منها وما بَطَنَ ، وما من عصرٍ من عصورِ الإسلام الأولى وما تَلَاها إلا والفِتَنُ محيطةٌ به وبأهلِه ، والمحفوظُ مَن حَفِظَ اللهُ والهالكُ مِن كلِّ وجهٍ مَنْ كان وَقوداً لأُوَارِها . ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾[المائدة:٤١] .

والواجبُ منّا فيما عُلِّمنا من أحاديثِ رسول الله ﷺ ومواقفه العمَليةِ ومواقفِ أصحابه وآلِ بيته أن نَتَفَهَّم مواقعَ الفتنِ ورُؤُوسَها ، ونُحَذِّرَ مِن الوُقُوعِ في ضِرامِها وتَحْرِيكِ أَسْبَابِها ، وخاصةً تلك الفتنُ المرتبطةُ بالسياسةِ والحكمِ وفتنِ الاختلافِ على العلمِ والمناصبِ، وما يترتبُ بسببها من المنافساتِ وحبِّ الرياساتِ .

وقد ورد في ذلك قولـه ﷺ : «**الفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا**»[1] ، وفيه إشارةٌ نبويةٌ إلى ابتعادِ المسلمِ عن أسبابِ الإثارةِ ودوافعِها بينَ النّاسِ ، لِمَا يَتَرَتَّبُ على ذلكَ السُّكونِ من جمعٍ لقلوبِ الأمةِ وصرفِ نظرِها عن المثالبِ والمعايبِ وإشغالِها بما هو أَنفعُ وأَهمُّ لأمرِ دينها ودنياها . وفي هذا يقولُ ﷺ لأنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «**يا بُنَيَّ إنْ قَدَرْتَ على أن تُصبحَ وتُمسيَ ليسَ في قلبك غشٌّ لأحدٍ فَافعلْ**» ، ثم قال : «**يا بُنَيَّ وذلكَ مِنْ سُنَّتِي .. ومَن أَحْيَى سُنَّتِي فقد أَحَبَّنِي ، ومَن أَحَبَّنِي كان مَعِي في الجَنَّة**» رواهُ الترمذيُّ في سُنَنِه[2] .

ومثلُ هذا الموقفِ المفيدِ هو فقهُ جملةٍ من الصحابةِ والتابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ ، ومنهم أتباعُ النمطِ الأوسطِ من آل البيتِ وصحابة النبي ﷺ

---

(١) «كنز العمال» (٣٠٨٩١) للمتقي الهندي وعزاه للرافعي في الأمالي عن أنس .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٦٧٨) .

وأتباعهـم الذينَ خَلَدُوا إلى السكونِ وتركُوا الخوضَ في أسبابِ الفتنِ رغمَ بيانِ أمرِها ووضوحِ صورِ أصحابِها كموقفِ الإمامِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وتضحيتِه بالسلطانِ ومركزِ القرار خوفاً من الفتنةِ الساحقةِ الماحقةِ، ومثله موقف الإمام عليٍّ زينِ العابدينَ الذي تجاوزَ الثأرَ والجدالَ وإضاعةَ المالِ والقيلَ والقالَ، ومثلُه مَن جاء من بعده من أئمة الدين المعتبرين، وهم قومٌ كثرٌ لهم في الأحاديث النبوية إشاراتٌ وبشاراتٌ، ولهم من فقهِ التحولاتِ مواقفُ ودَلَالاتٌ تمنعُ عنهم جانحةَ الاختلافِ وظاهرةَ الخلافِ، وتُبعدهم عن سياسةِ الدَّجْلِ والتَّسْييسِ، وأطماعِ فقهاءِ الفتنِ والتحريشِ، مع بقاء نفعِهم العامِّ في الأمةِ بالتعليم والدعوة إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وصونِ دماءِ الشعوبِ من الهلاكِ والدمارِ، ويؤيدُ هذه المواقفَ ما رواه أبو داود والنَّسائي عن عبد اللهِ بن عمرِو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «**كيفَ بِكَ إذا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النّاسِ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا وكانُوا هكذا؟**» وشَبَّكَ بينَ أَصَابِعِهِ، قال: بِمَ تَأْمُرُنِي؟ قال: «**الْزَمْ بَيْتَكَ وأَهْلَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ ما تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ ودَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ**»[1] «الإشاعة» ص ١٨٩.

والمشاهدُ اليومَ في حياةِ الأمة وقد سُلِبَ منها قرارُها وسُيِّسَ استقرارُها وصارَ أمرُها آيلاً إلى هندسةِ الكفارِ في السياسةِ والاقتصادِ والإعلامِ والتعليم والثقافةِ والمواقفِ؛ أنّ الموقفَ السليمَ من العبدِ المسلمِ ألّا يَزُجَّ بنفسِهِ في أَتُونِ هذه المؤامراتِ المسَيَّسَةِ وخاصةً عندَ التنازعِ بين أُولي الشأنِ على قَرَارَيِ الحكمِ والعلمِ.

فهذِه مسألةٌ محسومةٌ بالنصوصِ الشرعيةِ.. ولا اختلافَ على خطورتِها وشرّها، ويكفي عند ظهورِ إشاراتِها واحتدامِ مفتونِيها مصانعةُ الجميعِ ومداراتُهم مع تَجَنُّبِ الخوضِ في فتنتِهم أو المشاركةِ فيها، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال له رسول الله ﷺ: «**يا أَبا ذَرٍّ كيفَ أنتَ إذا كُنْتَ في حُثالَةٍ؟**» وشَبَّكَ بينَ أصابعِه،

---

(١) «عمل اليوم والليلة» للنسائي (٢٠٥) و«سنن أبي داود» (٤٣٤٣).

قال : ما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : «**اِصْبِرْ.. اِصْبِرْ.. اِصْبِرْ.. خَالِقُوا النَاسَ بأَخْلَاقِهِمْ وخَالِفُوهُمْ في أَعْمَالِهِمْ**»[1] رواه الحاكمُ والبيهقيُّ في «الزهد» ، وفي الحديث إشارةٌ بَيِّنَةٌ وواضحةٌ لكلِّ راغبٍ في النجاةِ والسلامةِ.. أَنْ يُخالِقَ النّاسُ بما يناسبُهم في واقعِهمُ المفتونِ مداراةً لهم وحِفْظاً لكرامةِ العِرْضِ والدِّينِ مع المخالفةِ لهم في أعمالِهم ومواقفِهم.

بل إنّ فقهَ التحولاتِ يَضَعُ للمسلمِ المندفعِ نحوَ الفتنةِ بسببٍ وآخرَ موقفاً سديداً حتى يَسْلَمَ ويُسَلِّمَ غيرَه ، فعَنْ أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تَقْرَبُوا الفِتْنَةَ إذا حَمِيَتْ ولا تَعْرِضُوا لها إِذَا عَرَضَتْ ، واضْرِبُوا أَهْلَها إذا أَقْبَلَتْ**» . وفي الحديث إشارةٌ إلى نموذجٍ من نماذجِ التعاملِ في التحولاتِ لمن أَوْقَعَتْهُ الأسبابُ في بعضِ المشاركةِ أو الموافقةِ أو الاستتباعِ لحاكمٍ أو عالمٍ أو صاحب إدارةٍ أو ملتزمٍ لوظيفةٍ لا يُمكنُ له التخلُّصُ منها ولا التأخرُ عنها ، فالموقفُ الشرعيُّ أن لا يدفعَ بنفسه دَفعاً إلى اختيارِ الموتِ أو القتلِ تحت هذه الفتنِ وراياتِها ، بل يتفهمُ ما قاله ﷺ في ما رواه أحمدُ وابنُ أبي شيبةَ والطبرانيُّ وغيرُهم من حديث خالد بن عرفطة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا خالدُ إنَّها ستكونُ بَعْدِي أحداثٌ وفِتَنٌ وفُرْقَةٌ واختلافٌ، فإذا كانَ ذلكَ فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عبدَ اللهِ المقتولَ لا القاتلَ فَافْعَلْ**»[2] .

ومن كافة الوجوهِ يجبُ على المسلمِ المدقِّقِ في علمِ الساعة وفقهِها المشروعِ أن يتجنبَ الفتنَ عموماً وخصوصاً ولو بالابتعادِ عن مكانها ومواقعها ؛ لحديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما رواه البخاريُّ (٣٣٣٤) وأحمدُ (٧٤٦٤) : «**ستكونُ فِتَنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْهُ، فمَن وجد منها ملجأً أو معاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ**»[3]. قال

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٤٩٤) و«الزهد الكبير» للبيهقي (١٩٢) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٤٩٩) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧١٩٧) و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠٩٩) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٧٨) .

(٣) «صحيح البخاري» (٧٠٨١) (٧٠٨٢) و«صحيح مسلم» (٢٨٨٦) و«مسند أحمد»

فـي «الفتـح» (١٣: ٣٠): ووقع تفسـيرُه عندَ مسـلمٍ في حديث أبي بَكْـرَةَ ولفظُه: «فـإذا نَزَلَـتْ فمَن كان له إبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِـهِ»، وذكرَ الغنمَ والأرضَ، قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إنْ لم يَكُنْ لَهُ؟ قال: «يَعْمَدُ إلى سيفِه فيَدُقَّ على حدِّهِ بحجرٍ ثم لِيَنْجُ إنِ اسْتَطَاعَ»[1]. قال في «الإشاعة» تعليقا على هذا الحديث: والمراءُ بالفتنةِ: ما ينشأُ عن الاختلافِ في طَلَبِ المُلْكِ حيثُ لا يُعْلَمُ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ.

وقـد تهاونَ المسـلمون فـي هذه المسـألةِ وظَنُّـوا أنّ كلَّ مَن دعا إلى فتنـةِ حُكْمٍ أو عِلْـمٍ إنمـا هو على هُدًى وبصيـرةٍ، فاختلطَ بذلك الحابلُ بالنابلِ، لعدمِ دراسـةِ الجميعِ فقهَ علاماتِ السـاعةِ من جهةٍ، ولتهاونِ الأمةِ في تَفَهُّمِ المواقفِ الشـرعيةِ عنـد الفتنِ من جهةٍ أخـرى، بل وَقَعُوا أيضاً في فتنةِ اللَجَـاجِ والاِحتجاجِ على من اختارَ العزلةَ ورَضِيَ لنفسِه السلامةَ من المُضِلّاتِ ورَاياتِها، ونظروا إليهِ كمخالفٍ للشـريعةِ الغرّاءِ ومعطّلٍ لدعوةِ الجهادِ في سـبيلِ الله، مع أنّ ظاهرةَ الجهادِ القائمِ فـي بلادِ المسـلمينَ غيـرُ مكتملةِ الشـروط ومخترقةٌ مِن أعداءِ الإسـلام في بعض الجهـاتِ، وبعضُهـا مُمَوَّلٌ ومهندسٌ لمصلحـةِ المرحلةِ وقادتِها، ولم تَسْـلَمْ من التسـييسِ والهندسـةِ كثيرٌ من مجموعاتِ العمـلِ الجهاديِّ المعاصـرِ إلا القليلُ، والقليلُ المشـارُ إليهم فـي أحاديث النبي ﷺ ببقائِهم على الحـقِّ ومقاتلتِهم دونه يصعبُ تحديدُ هُوِيَّتِهِمُ الشـرعيةِ في المرحلةِ المرتبكةِ المشتبكةِ التي سماها النبي ﷺ «أَيّامَ الهَرْجِ» كما هو في حديثِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ.. ومتى ذلك؟ ـ أي: المقاتلةُ على الملكِ ـ قال: «أيامَ الهَرْجِ»، قلت: ومتى؟ قال: «حِينَ لا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ»[2] «فتح الباري» كتاب الفتن (١٣: ٣٤-٣٥).

وتُحَدَّدُ هُوِّيَّةُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ على وجهِها الشرعيِّ والإيجابيِّ عندما تكونُ المجابهـةُ المباشـرةُ بينَ (المسـلمِ والكافرِ)، فحيثما كانتْ هـذه الصفةُ قائمةً في

(٧٧٩٦).

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٨٧) و«مسند أحمد» (٢٠٤٩٠).

(٢) «سـنن أبـي داود» (٤٢٥٨) و«الفتـن» لنعيـم بـن حمـاد (٣٤٢) و«مصنف ابن أبي شـيبة» (٣٧٤٢٩) و«مسند أحمد» (٤٢٨٦).

نواحـي أرضِ اللهِ على ضابطها الشـرعيِّ وهو (إعلاءُ كلمةِ اللـهِ) فالجهادُ معهمْ والمسـاندةُ لهم واجبةٌ ولازمـةٌ على كلِّ مَن تَعَيَّنَ عليه ذلـك في أرضهم ومكانهم وسـاحةِ معركتهـم ، كما هو في فلسـطينَ المحتلـةِ وفي بعض فصائلهـا الجهادية الخاليةِ عن التحريشِ الداخلي والتّسْيِيسِ الخارجي . أمّا غيرُ هذا فالخيرُ كلُّ الخيرِ في السـلامةِ وحسـنِ المعالجة للأمورِ حتـى يأتيَ أمرُ الله في عبـادِه وتنجليَ كربةُ الأمـةِ في شـأنِ قرارها العالميِّ واسـتقرارِها الحتميِّ ، وفي ذلك يقـولُ ﷺ : «**إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّـاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ الليلِ المظلمِ ، يُصْبِحُ الرجلُ فيها مُؤْمِناً ويُمْسِـي كافراً ويُمْسِـي مؤمناً ويُصْبِحُ كافراً ، القاعدُ فيها خيرٌ من القَائِمِ ، والماشـي فيها خَيْرٌ مِنَ الساعي ، فكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالحِجَارَةِ، فَإِذَا دُخِلَ ـ يَعْنِي على أحدٍ منكم ـ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ ..**»[1] .

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٥٩) .

القسمُ الثالِثُ العِلمُ بِالعلاماتِ الكُبرى

نصَّتِ الأحاديثُ الشريفةُ على العلاماتِ الكبرى اليقينيةِ ، وهي عشرُ علاماتٍ أو عشرُ آياتٍ مُتتابعةِ الوقوعِ إلَّا أنَّ الأحاديثَ لم تذكرْها جُملةً واحِدةً في حديثٍ واحدٍ ، بلِ اختلفَتِ رِواياتُ الأحاديثِ في التِّعدادِ ، ويكادُ أن يكونَ الحديثُ الذي أخرجَه مُسلِمٌ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشملَ الأحاديثِ ذِكراً لهذِه الآياتِ العشرِ وفيه :

حديث العلامات الكبرى

«**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكونَ عشرُ آياتٍ : طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها ، والدَّجَّالُ ، والدُخانُ ، والدابةُ ، ويأجوجُ ومأجوجُ ، وخروجُ عيسى بنِ مريمَ ، وثلاثةُ خُسوفاتٍ : خسفٌ بالمشرِقِ وخسفٌ بِالمغربِ ، وخسفٌ بجزيرةِ العربِ . ونارٌ تخرجُ مِن قعرِ عدنٍ أبين تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ تبيتُ معَهم حيثُ باتُوا ، وتقيلُ معَهم حيثُ قالوا**»[1] .

والذي يظهرُ مِنَ استِقراءِ الأحاديثِ وما تابعَه العُلماءُ حولَ ذلِكَ أن الترتيبَ الزمنيَّ في الأحاديثِ لِلآياتِ مُختلِفٌ مِن حديثٍ لِآخَرَ ، بعضُها يُشيرُ إلى تقديمٍ ، وبعضُها يُشيرُ إلى تأخيرٍ ، وخلاصةُ الأمرِ يرجِعُ إلى ثلاثةِ أحوالٍ :

ترتيب الآيات والظواهر

أوَّلُ الآياتِ العشرِ الدَّجَّالُ ، ثُمَّ عيسى ، ثُمَّ يأجوجُ ومأجوجُ ، ويكونُ طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها بعدَ ذلِكَ معَ بقيةِ الآياتِ ، وتكون علامةُ المهديِّ المُنتظرِ آيةٌ بَينَ العلاماتِ الوُسطى السابِقةِ والعلاماتِ الكُبرى اللاحِقةِ ، وخاصَّةً أنَّ كافَّةَ الرِّواياتِ الخاصَّةِ بِالعلاماتِ الكُبرى لم تذكُرْ الإمامَ المهديَّ في ترتيبِها ، وإنَّما ذكرَت أحاديثَ المهديِّ مُستقِلةً .

إن أوَّلَ الآياتِ العشرِ المهديُّ المُنتظرُ ، ثُمَّ الدَّجَّالُ ، ثُمَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ يأجوجُ ومأجوجُ ، ثُمَّ الدخانُ والخسوفاتُ الثلاثةُ ، ثُمَّ طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها وما تلاها مِنَ الآياتِ . وأوسعُ حديثٍ جمعَ الآياتِ العشرَ بِالتفصيلِ حديثُ واثلةَ بنِ الأسقعِ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكونَ عشرُ آياتٍ : (١) خسفٌ**

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٥٥) و«مسند أحمد» (١٦١٤٤) .

بالمشـرقِ (٢) وخسـفٌ بالمغـربِ (٣) وخسـفٌ فـي جزيـرةِ العـربِ (٤) والدَّجَّالُ (٥) والدُّخـانُ (٦) ونـزولُ عيسـى ابـن مريـم عَلَيْهِ السَّلَامُ (٧) ويأجـوجُ ومأجـوجُ (٨) والدابةُ (٩) وطلوعُ الشـمسِ مِن مغربِها (١٠) ونارٌ تخرجُ من قعرِ عدنٍ تسـوقُ الناسَ إلى المحشـرِ، تحشُرُ الذرَّ والنملَ»[1].

العلامات الكبرى قسمان

إنَّ العلاماتِ الكُبرى قِسـمان: قِسـمٌ فيه اسـتِمرارُ قَبولِ التَّوبةِ، والقسـمُ الثاني تُغلَـقُ فيـه التَّوبـةُ، وينعدِمُ فيـه الإيمانُ، فـالأولُ يجري الخِلافُ فـي ترتيبِه، وأمَّا الآيـاتُ التي نصَّتِ الأحاديـثُ فِيها بِغلقِ التَّوبةِ فهي مجموعـةٌ في حديثِ عبدِاللَّهِ بـنِ عمرٍو عن رسـولِ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قـالَ: «**إنَّ أوّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشـمسِ مِن مغرِبِهـا وخُـروجُ الدابةِ على النـاسِ ضُحًى، وأيتُها كانَت قبـلَ صاحِبتِها فالأُخرى على إثرِها قريبًا»**[2].

الإمام المهدي أول العلامات الكبرى

وفـي هـذا البحـثِ وضعنـا الإمـامَ المُنتظـرَ أوَّلَ الآياتِ الكُبـرى، كمـا اعتبرنا الخُسـوفاتِ الثلاثةَ واحِدةً بِمُسـمَّاها على قَولِ مَن أشـارَ إلى ذلِكَ الترتيبِ، واللَّهُ أعلمُ.

وممَّـن أكَّـدَ أنَّ المهـديَّ أوّلُ علامـاتِ السـاعةِ الكُبـرى الشَّـيخُ البرزنجـيُّ في الإشـاعةِ البابِ الثالثِ في الأشـراطِ العِظامِ والأماراتِ الغريبةِ التي تعقُبُها الساعةُ وهي كثيرةٌ، فمِنها المهديُّ وهو أوّلُها[3].

ويأتي تسلسُـلُ العلاماتِ الكُبرى «اليقينياتِ العشـرِ» على القولِ الثاني، وهو ما رتبْنا علَيهِ العرضَ في كتابِنا هذا كالتالي:

(١) المهديُّ المُنتظرُ.

(٢) الدَّجَّالُ.

(٣) عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) «المسـتدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٣١٧) و«المعجـم الكبير» للطبراني (٢٢: ٧٩ (١٩٥) وفي «المعجم الكبير» بلفظ: «**ونار تخرج من تَعْزِ عَدَن**».

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٤١).

(٣) «الإشاعة» ص١١٢.

(٤) يأجوجُ ومأجوجُ .
(٥) الخُسوفاتُ الثلاثةُ .
(٦) الدُخانُ .
(٧) طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها .
(٨) الدابَّةُ .
(٩) النارُ التي تخرُجُ مِن قعرِ عدنٍ .
(١٠) النفخُ في الصُّورِ .
وسيأتي تفصيلُها .

مرحلة الاستقرار

المرحلةُ المهديةُ ، المهديُّ المُبَشَّرِ بِه ،

المرحلة المهدية.. استقرار ، سلام ، تنمية.. وحكمة الاختلاف بَينَ العلماء حول شخصية المهدي وظهوره

وهـي المرحلـةُ التي كثُـر فِيها اللغـطُ والاختِلافُ بَيـنَ أهلِ العِلـمِ والمذاهِبِ ، والاختِلافُ في مثلِ هذه الأُمورِ حِكمةٌ ضروريةٌ لا يعلمُها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، ولكنَّها فِي دقائقِ علمِ فِقهِ التحوُّلاتِ ضرورةٌ شـرعِيةٌ لا بُدَّ مِنها للتمويهِ والسـترِ ولإشغالِ الأقـلامِ وذوي الأحلامِ والإسـلامِ بِالرواياتِ والأقوالِ فيما لا يلـزمُ فيه الإفصاحُ ولا البيانُ لِسـرٍّ يعلمُه الخالِقُ سُـبحانَه وتعالى ، حيـثُ إنَّ الاتِّفاقَ المُطلقَ في مِثلِ هذه الأُمورِ المصيريةِ يُبرِزُ لِلكافِرِ والأعداءِ أمرًا مِن أُمورِ المُسـتقبلِ رُبَّما بَنَى علَيهِ الخصـمُ مواقِـفَ ذاتَ أبعادٍ خطيـرةٍ على الناسِ ، ومـعَ هذا التمويهِ الشـرعيِّ فإنَّ الأذى والقتـلَ والتشـريدَ يصِلُ إلى العديدِ مِن شـرائحِ آلِ البيـتِ ، ومن ارتبطَ بِهم فـي أُخرياتِ الزمانِ ، ويسـتفحِلُ البلاءُ بَيـنَ حملةِ القرارِ لِمُلاحقتِهـم أخبارَ وآثارَ هـذا الإمامِ المُنتظرِ ، والكُلُّ لا يعلمون ولا يدرِكونَ حقيقةَ المسـألةِ ، وما أرادَ اللَّهُ بِها مِن خيرٍ لِلأُممِ والشُّعوبِ .

ولِأنها كذلِكَ ؛ فإنَّ تناوُلَها بالإجمالِ أولى مِن تناوُلِها بالتفصيلِ ، ونُحيلُ الراغِبَ فـي التفصيـلِ على ما كتبَ عنه الإمامُ في الإشـاعةِ لِلبرزنجيِّ ومـا نقلناه في التليدِ والطـارفِ ، ومـا صُنِّفَ في هـذا الموضوعِ لِجُملةٍ مِـنَ العُلماءِ والكُتَّـابِ مِن كافَّةِ المذاهِبِ الإسـلاميةِ ، سـواءٌ مِنَ القائلين بِميلادِه ونشأتِه في المرحلةِ اللاحقةِ ، أوِ القائلين بِغَيبتِه ثُمَّ رجعتِه ، وهذه الاختِلافاتُ لا تُسمِنُ ولا تُغني مِن جُوعٍ في تقريرِ الأمـرِ مِن واقِـعِ فِقهِ التحـوُّلاتِ ... وإنَّما هي جُزءٌ مِن حكمةِ الرحمنِ في إشـغالِ المُسلِمين وغيرِ المُسلِمين بِذلِكَ لِيأتيَ الوعدُ في حينِه على مُرادِ اللَّهِ[1] ... .

---

(١) وهناك من ادعى المهدية في زماننا هذا وفي الأزمان السـابقة ، وكل هذه الادعاءات تدخل تحت مدلول أحاديث «المدعين للنبوة» وظهور الدجالين الكذابين ، الذين يوهمون الناس

ومِن علاماتِ ظُهورِه :

تغير الأحوال قبيل مرحلة المهدي

- انقِطاعُ الطُّرُقِ عنِ المواصلاتِ المُعتادةِ . وكثرةُ الحُروبِ والفِتنِ ، وخاصَّةً في جزيرةِ العربِ كثمرةٍ مِن ثمراتِ المراحِلِ السابِقةِ ، يُشيرُ إلى ذلِكَ حديثُ ابنِ مسعودٍ : «**إذا انقطعَتِ التِّجاراتُ والطُّرُقُ وكثُرَتِ الفِتَنُ** ... الحديثَ»[1]، وحديثُ : «**لا يخرُجُ المهديُّ حتَّى يقتُلَ مِن كُلِّ تِسعةٍ سبعةً**» [2].

الإحباط النفسي لدى الصالحين قبل المهدي

- الإحباطُ النفسيُّ لدى المُسلِمين ، والضعفُ الكُلِّيُّ والشُّعورُ بالهزيمةِ أمامَ الأحداثِ المُتعاقِبةِ . يُشيرُ إلى ذلِكَ حديثُ : «**لا يخرُجُ المهديُّ حتَّى يبصُقَ بعضُكم في وجهِ بعضٍ**» [3].

صيحة في رمضان علامة كونية قبل ظهور الإمام

- صَيحةُ رمضانَ.. وإلَيها يُشيرُ الحديثُ : « قُلنا : وما الصَّيحةُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ : «**هدَّةٌ في النصفِ مِن رمضانَ ليلةَ جُمُعةٍ** ... إلخ »[4] . ويمكِنُ الرُّجوعُ إلى الكُتُبِ المُختلِفةِ التي وصفَتِ الصَّيحةَ أوِ الهدَّةَ .

الرايات السود من خراسان

- ظُهورُ الراياتِ السُّودِ مِن خُراسانَ لِنُصرةِ الإمامِ المهديِّ ، وفِيها حديثُ : «**إذا سمِعتُم بِالراياتِ السَّوداءِ قد أقبلَتْ مِن خُرسانَ فأتُوها ولَو حبوًا على**

بأنهم من الأنبياء ، أو أنهم المهدي الموعود به آخر الزمان ، ويجب الحذرُ من هؤلاء وأكاذيبهم ؛ فوعد الله حق وآياته كائنة لا محالة ؛ ولكنها تعرف بالنصوص الشرعية لا بالادعاءات والتخيلات النفسية والتوهمات الشيطانية .

وقد رأيت في بعض البلاد من يشير إلى فلان أو فلان من أهل البيت أو غيرهم بأنه المهدي ، ويلتف عليه المتعصبون والمتعلقون والواهمون ، وكأنما هو الوعد الحق ، وهو لا يعدو كونه جهلا بالنصوص ، واندفاعاً عاطفياً يشوه سمعة العترة الطاهرة ويجعلهم عرضة لأهل التسييس والتدنيس ... وللأسف !

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٠٠) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٥٨) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٦٠) .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٣٨) .

الثلـجِ»(١)، وعـن أميـرِ المُؤمنينَ عليِّ بـنِ أبي طالِـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : **«لو كنتَ في صُندوقٍ مُقفلٍ فاكسِرْ ذلِكَ القفلَ والْحَقْ بها»** (٢).

وجوب التحري في نصرة الرايات لتشابه الظواهر

ومفادُ هذه الأحاديثِ حثُّ المُسـلِمِ على نُصـرةِ الإمامِ ولُزومِ دعوتِه في حينِها، وظُهـورُ علاماتِهـا بيقيـنٍ ، وفي هذا المِضمارِ يجِبُ على كُلِّ مُسـلِمٍ ألَّا يستعجِلَ الظواهِـرَ ، ويذهـبَ مُندفِعًـا نحوَ مفهـومِ النُّصرةِ من غَيرِ تحـرٍّ وانتِباهٍ ؛ فإنَّ تشـابُهَ الظواهِرِ قد يُوقِعُ المُستعجِلَ في الخطأِ ؛ وخاصَّـةً في المظلومين مِن آلِ البَيتِ أو مُحِبِّيهم ، حيثُ يندفِعون ويتبِعون كُلَّ ناعِقٍ في المرحلةِ مُعتقِدين صِدقَ الإشاعاتِ وتشابُهَ العلاماتِ ، وبَينَ الأمرين بَونٌ كبيرٌ ومسافةٌ شاسِعةٌ ، وأمرُ اللَّهِ أعظمُ وأكبرُ مِن أن ينطويَ تحتَ مُؤسساتٍ وسياساتٍ تبحثُ عنِ السُّلطانِ والسيطرةِ ، وتُعمِّقُ الصِّـراعَ بَيـنَ المُصلِّين في المرحلةِ ، فقاعِـدةُ الفِعلِ وردِّ الفِعلِ هـي رائدةُ الدجلِ والدجاجِلـةِ عبـرَ تاريخِ التحـوُّلاتِ ، وأما ما نحن بِصددِه فسـلامةٌ ومحبَّةٌ ورحمةٌ ووِراثةٌ وخلافةٌ ، والأمرُ للَّهِ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

جاء في المطلع النبوي لهذا الكتاب حديث رواه ابن ماجه، وفيه أمور:

قـراءة مستقبلية من لسان من لا ينطق عن الهوى ﷺ

- تغير لون النبي ﷺ حتى اغرورقت عيناه بالدموع لما أقبل عليه فتية من بني هاشم، وفي هذه الحالة إشارة بَيِّنَةٌ إلى قراءة النبي ﷺ للمستقبل من خلال (ذراري آل البيت ومشاهدته لهم) ، وتذكرةٌ لما سيقع لهم في مستقبل الزمان.
- قوله ﷺ: **«إنَّا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا»**(٣)، وفيه تحديد شرعي لمصيرنا الحتمي في ضرورة التفهم لمراد الله فينا وهي الآخرة، وأنها الطريق الذي لا يزاحمنا فيها أحد إن توجهنا إليها ونفضنا الدنيا عن أيدينا، وهذا ما فعله سلفنا الصالح الذين جمعوا بين اختيارين أزليين :

الأول: المحافظة على شرف الاختيار الرباني بالتطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[الأحزاب:٣٣].

الثاني: اختيار الله لنا الآخرة على الدنيا ، فعمل السلف الصالح عند ظهور

---

(١) «الفتـن» لنعيـم بن حماد (٨٩٦) و«مسـند أحمـد» (٢٢٣٨٧) وأول الحديـث : «**إذا رأيتم الرايات** ... وآخره عند أحمد : «**فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي**» .

(٢) «كنـز العمـال» (٣١٥١٤) ، وقـد أفضنا الكلام عن هذه الرايات ومراحلها السـبع في كتابنا «رسـالةٌ شـخصيةٌ لأبناء وبنات السـادة العلوية مـن ذراري الإمام المهاجـر والفقيه المقدم ومن ارتبط بمنهجهم المبارك في داخل وخارج الديار الحضرمية» ، فانظره .

(٣) تقدم أول الكتاب .

الفتن والتزاحم على الدنيا وسلطانها وعرضها كان بالالتزام بالعمل للآخرة في أنفسهم وفي خويصتهم ومن ارتبط بهم اختياراً لا إجبارا.

- قوله: **«وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً»**، وقد حصل ذلك على مدى التاريخ المتحول جيلا بعد جيل منذ بداية الملك العضوض إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وفي هذه المراحل تعرض آل البيت إلى ما أشار إليه الحديث، ولم يسلم منهم إلا من التزم التوجيه النبوي ، واختار الله الدار الآخرة لهم ولأتباعهم ولأحفادهم.
- قوله: **«حتى يأتي قوم مِن قِبَل المشرق»**، وفيه إشارة إلى الالتزام من أجيال آل البيت بالسكون وعدم التدخل في الفتن الباترة والصراعات الدائرة على مدى تاريخ التحولات، وحتى أثناء ظهور هذه الرايات الآتية من قبل المشرق، يُلزم السكون على مدى المراحل السبع الموصوفة في الحديث:

الأولى: مرحلة الفتن السائدة.

الثانية: مرحلة ظهور رايات المشرق.

الثالثة: مرحلة سؤالهم الخير فلا يعطون.

الرابعة: المقاتلة حتى ينصرون.

الخامسة: يعطون ما سألوا فلا يقبلونه.

السادسة: يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي.

السابعة: فيملؤها قسطا كما ملأوها جوراً . وفي هذه الرواية يشير الضمير في قوله «**يملؤها**» إلى كافة القوى المتناحرة بما فيهم حملة الرايات السود أنفسهم.

وفي هذه المرحلة السابعة تكون مرحلة الامتداد والحركة للقسط والعدل، فمن أدرك ذلك منكم يا أحفاد وأسباط آل البيت فليأتهم ولو حبواً على الثلج، وأما ما قبل ذلك فإن السكون والعمل للآخرة مع كل الأطراف وعدم المشاركة في الفتن والملاحم والتحولات هو عين الاتباع الصحيح لتوجهات من لا ينطق عن الهوى ﷺ.#

مهمات المهدي وسياسته العلمية والعملية

وقد وصفَتِ الأحادِيثُ خَلْقَهُ وسيرتَه ، ونُحيلُ الراغِبَ في ذلِكَ إلى تفاصيلِ ما ذُكِرَ في «التليدِ والطارِفِ» وغيرِها مِنَ المُؤلَّفاتِ ، ونقتصِرُ هاهنا على ما نحنُ بِصددِه مِن جوامِعِ العلاماتِ ، ومنها أنَّه :

- يعملُ على نشرِ السُّنَّةِ وإماتةِ البدعةِ «**لا يوقِظُ نائمًا ، ولا يُريقُ دمًا**»[1] ، «**يُقاتِلُ**

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٤٠) ونصه : «**يُبَايَعُ المَهديُ بين الركنِ والمقامِ ، لا يُوقِظُ نائِماً ، ولا يَهريقُ دَماً**» .

على السُّنَّةِ، يقومُ بِالدينِ آخِرَ الزمانِ كما قام بِه النبيُّ ﷺ»[1].

- يملِكُ الدُّنيا كُلَّها كما ملكَها ذو القرنَين وسُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ينشُرُ دِينَ الإسلامِ في الأُمَمِ الكافِرةِ معَ قطعِ عقيدةِ التثليثِ فيما يبلُغُ إلَيه مِنَ البلادِ، أمَّا الانقِطاعُ الكامِلُ لِهذه الانحِرافاتِ فيكونُ على يدِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما بعدَ ذلِكَ.
- يحثو المالَ، ويفي بِحاجاتِ الشُّعوبِ الاقتِصاديةِ، أي: توزيعُ الثروةِ بِالعدلِ والإنصافِ.

انقطاع الربا والاقتصاد الرأسمالي

- يقطعُ المُعاملاتِ الرِّبويةَ وسياسةَ الاقتِصادِ الرأسماليِّ والشُّيوعيِّ وغيرِها مِن نظرياتِ الاقتِصادِ الوضعيةِ.
- يُوحِّدُ آراءَ الشُّعوبِ بِالعَودِ إلى نِظامِ الخِلافةِ وإنْهاءِ بدعةِ الحِزبيةِ والتَّكَتُّلِ والصِّراعِ الطبقيِّ والاعتِقاديِّ والطائفيِّ والسياسيِّ...إلخ.
- بل ويُعيدُ المُسلِمين إلى أُصولِ الديانةِ في أُسسِها المُشتركةِ بعيدًا عنِ التشريكِ والتبديعِ والتظليلِ عِندَ قَومٍ، وبعيدًا أيضًا عنِ الصِّراعِ المذهبيِّ المُسَيَّسِ بِكُلِّ صورِه وأشكالِه، وبعيدًا عنِ الإفراطِ والغُلُوِّ في الاعتِقادِ عِندَ الآخرين، وفيه عنِ الليثِ عن طاوُسَ قالَ: «علامةُ المهديِّ أن يكونَ شديدًا على العُمَّالِ جَوادًا بِالمالِ رحيمًا بِالمساكينِ» «الفِتَنُ» وقالَ: إسنادُه حسنٌ، حتَّى إنَّ بعضَ عُلماءِ مرحلتِه يشُكُّ في كَونِه هو المهديَّ المُبَشَّرَ به؛ لِما يراه فيه مِن مُخالفةِ ظاهِرِ الفتوى في المذهبِ، وإلى ذلِكَ أشارَ الإمامُ البرزنجيُّ في «الإشاعةِ».

شك بعض العلماء المذهبيين في حقيقة الإمام

- يُصحِّحُ مفهومَ الحُرياتِ وحُقوقِ الإنسانِ، ويعيدُها إلى موقِعِها الصحيحِ مِن مبادئِ الإسلامِ السَّمْحةِ، ويقطعُ التدخُّلاتِ الثقافيةَ المُنحرِفةَ بِكافَّةِ نماذِجِها وصورِها التعليميةِ والتربويةِ والإعلاميةِ والثقافيةِ.

---

(١) «المعجم الأوسط» (٦٥٤٠) و«الكبير» للطبراني (٢٦٧٥) من حديث طويل: «**يَقومُ بالدينِ في آخرِ الزّمانِ كما قُمتُ به في أول الزّمانِ**».

ظهور البركة في المنتجات المحلية

- ظُهورُ البركـةِ في الطعـامِ والإنتاجِ الزراعـيِّ والحيوانـيِّ بإقامةِ ودعـمِ مبدأِ الاكتِفـاءِ الذاتيِّ ، وتصحيـحِ العِلاقاتِ بَينَ الناسِ ؛ لِتسـودَ الرحمةُ والمحبَّةُ والوئـامُ ، خُصوصًـا فـي المرحلـةِ الأولـى مِـنَ اسـتقرارِ حياتِـه السياسـيةِ والاقتِصاديةِ .
- دُخولُ الإمامِ المهديِّ بعدَ ذلِكَ في المعارِكِ العسكريةِ ضِدَّ جُيوشِ السُّفيانيِّ الثاني حتَّى يأسِرَه ويقتُلَه بالشامِ .

معارك الإمام معَ السيفاني ومهادنة الروم

- مهادنـةُ الرومِ وطاعةُ مُلـوكِ الأرضِ لِلمهديِّ عِدةَ سـنواتٍ . وهي المرحلةُ التي تتقوى فِيها شَـوكةُ الإسلامِ والمُسلِمين ، وتُطبَّقُ الشريعةُ الإسلاميةُ في كافَّـةِ البِلادِ الإسـلاميةِ ، وتعودُ لِلأمَّةِ هيبتُها أمـامَ دُولِ العالـمِ ، وتُقامُ الهدنةُ تِلـوَ الهُدنـةِ معَ العديـدِ مِن دُولِ الكُفرِ فـي المرحلةِ ، بما فِيهـا «دَولةُ اليهودِ المعروفةُ في الأرضِ المُحتلَّةِ» ؛ إذ تجبُنُ عن شـنِّ حربٍ ضِدَّ قرارِ الإسلامِ لِعِـدةِ سـنواتٍ ، يبرُزُ فِيها أمـرُ اللّهِ بِالعدلِ والاسـتِقرارِ والأمـنِ والبركةِ في الأرزاقِ والنياتِ والإنباتِ .

المرحلةُ الثانيةُ مِنَ المهديةِ

انتقاض العرى وبدء الحروب

انتِقـاضُ العُرى معَ الرُّومِ التي كانَت مُهادِنةً لِلمهديِّ ، وتبدأُ الحربُ مِن جديدٍ ، وتغزو الرومُ الشامَ ، وتستولي علَيها ، وتقومُ المعارِكُ حيثُ ينتصِرُ الإمامُ المهديُّ علـى الـرُّومِ ، ويغزوهم في عُقرِ دارِهم ، ويأخذُ غنائمَهـم إلى بَيتِ المقدِسِ ، جاءَ فـي «الإشـاعةِ» «الملحمةُ العُظمى وفتحُ القُسـطنطينيةِ وخُروجُ الدَّجَّالِ في سـبعةِ أشهُرٍ»، وفي رِوايةٍ : «**سبع سنين**» .

انتصار الإمام على دَولة الكفر والصليب وأخذ كنوزهم

وفـي هذه المرحلـةِ تسـتثيرُ انتِصاراتُ الإمـامِ المهـديِّ «المسـيخَ الدَّجَّالَ» في مكمنِه فيبدأُ بِالحركةِ والظُّهورِ كما سـيأتي . وقد أشـارَت جُملةٌ مِنَ الآثارِ أنَّ هذه المرحلـةِ تمتـدُّ فِيها الحُروبُ ويعودُ الجِهادُ في سـبيلِ اللّهِ في أنحـاءٍ كثيرةٍ ، حتَّى إنَّ المُسـلِمين يغـزون الهِندَ ويفتحونها ، وأغلبُ الأحاديـثِ في هذا البابِ ضعيفةٌ إلَّا أنَّ بعضَهـا يُقـوي بعضَها ، وفِيها حديثٌ حسـنٌ ذكـرَه صاحِبُ كِتـابِ «الفِتَنِ» (ص٢٩٠ الخامِس/ برقْم ١١٥٢) عن جراحِ بنِ أرطأةَ قالَ : على يدِ ذلِكَ الخليفةِ اليمانيِّ الذي يفتحُ القُسطنطينيةَ وروميةَ ، على يديه يخرُجُ الدَّجَّالُ وفي زمانِه ينزِلُ عيسـى بـنُ مريـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وعلى يدَيـه ـ أي : الخليفـة اليماني ـ تكونُ غـزوةُ الهِندِ ، وهـو مِـن بني هاشِـمٍ[1] ، وغزوةُ الهِندِ التي قـالَ فِيها أبو هُرَيـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وعدَنا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غزوةَ الهِندِ ، فإن أدركتُها أنفقتُ فِيها نفسي ومالي ، فإنِ استشهدتُ كنـتُ مِـن أفضلِ الشـهداءِ ، وإن رجعتُ فأنـا أبو هُرَيـرةَ المحـرّرُ»[2] ، وفي ذاتِ الموضع أثر عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**عِصَابَتَانِ مِـنْ أُمَّتِـي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنْ النَّارِ عِصَابَـةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَـى ابْنِ**

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٨) .

(٢) «سنن النسائي المجتبى» (٣١٧٣) .

مَرْيَـمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»[1] . وأثـر آخر عن جراح بن أرطأة : «**علـى يدي ذلك الخليفة اليماني الذي يفتح القسـطنطينية وروميـة ، على يديه يخرج الدجال وفي زمانه ينزل عيسـى بن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **، على يديه تكون غزوة الهند ، وهو من بني هاشم**»[2] .

---

(١) «سنن النسائي المجتبى» (٣١٧٥) و«مسند أحمد» (٢٢٣٩٦) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٨) .

مرحلة الحصار

المرحلةُ الدَّجَّاليةُ : ظُهورُ المسيحِ الدَّجَّالِ [١]

المرحلة الدجالية وموقع الدجال من علامات الساعة

(١) تعتبر قضية الدجال الأعور قضيةً عالميةَ الفتنة والخطورة ، وليست خاصة بمرحلة ظهور الدجال في آخر الزمان ، وإنما يكون ظهوره على ركام سلسلة من التحولات المتلاحقة التي تمهد لظهور جذوره الأخيرة .

حيث إن ظهور المسيخ الدجال في آخر الزمان ومسحه للعالم الإنساني في أربعين يوماً إنما هو آخر فصول نشاطه الدجالي في العالم ونهايته الحتمية مع دولة اليهود الدجالية ، وسنتناول هذا الموضوع في كتابنا «السياسة الدجالية ومولودها المنتظر» ، ولهذا فإن من العلامات التي تتنامى منذ أن خلق الله الأرض إلى ظهورها في المرحلة الأخيرة كأول العلامات الكبرى هي فتنةُ «المسيخِ الدجالِ» وفي هذا الصدد أتت أحاديث رسول الله ﷺ مفصلة ومبينة لهذا التنامي الخطير في تاريخ التحولات العالمية ومنها :

- ما رواه أحمد عن هشام بن عامر الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال**» «مسند أحمد» (١٦٢٦٥) .
- وقال : «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال**» . رواه مسلم (٢٩٤٦) .
- وقال : «**إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة المسيخ الدجال ، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة**» . رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) .
- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور**» . رواه مسلم (٢٩٣٣) والبخاري في «الصحيح» (٧١٣١) .

ومن هذه الأحاديث نفهم خطورة الامتداد الدجالي ـ للدجل والدجاجلة ـ وأنه أشد خطرا على الأمة في تحولاتها بدءا من مرحلة قتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى مرحلة خروج المسيخ الدجال في آخر الزمان ، ومن هذه العلامات :

(١) ما ورد في مجموع العلامات الوسطى والصغرى جملة وتفصيلا .

موقِعُ الدَّجَّالِ مِن علاماتِ الساعةِ

تندرِجُ فِتنةُ المسيخِ الدَّجَّالِ بَينَ الأشراطِ والعلاماتِ المعروفةِ، يَخْدُمُ بعضُها البعضَ، من عهدِ آدمَ إلى نِهايةِ مرحلةِ الدَّجَّالِ، وقد أفاضَتِ الأحاديثُ الشريفةُ في الركنِ الرابعِ وما تفرَّعَ عنه «عن فِتنةِ الدَّجَّالِ» واختلفَ العُلماءُ في تفسيرِ هذا الأمرِ تبعًا لِلاختِلافِ الواردِ في الأحاديثِ عن شخصيتِه، ونحن هنا نضعُ فصلًا خاصًّا بِه لِما له مِنَ الأهميةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ، بل إنَّ كثيرًا مِن مُجرياتِ التاريخِ وانحرافاتِه له عِلاقةٌ وطيدةٌ بِهذا المخلوقِ المُفسِدِ، ولقد ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ النبيَّ ﷺ قدِ احتارَ في أمرِه، وظلَّ موضوعَ الدَّجَّالِ شاغِلًا لِلذَّاتِ النبويةِ، حتَّى تبيَّنَ له الأمرُ البيِّنُ في شأنِه، ولكنَّ الأهميةَ التي نطرُقُها هنا ترجِعُ إلى ثلاثةِ أُمورٍ:

أولُها: موقِعُ الدَّجَّالِ مِن تاريخِ الإنسانيةِ بِعُمومِها.

ثانيها: موقِعُ الدَّجَّالِ مِن تاريخِ الرِّسالةِ الخاتمةِ.

---

(٢) ظهور الأئمة المضلين الذين يروضون الشعوب حكما وعلما لفتنة الدجال، وفيهم يقول ﷺ فيما رواه أبو ذر، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «**لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي على أمتي**» (ثلاثاً) قال: قلت يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «**أئمةً مضلين**». رواه أحمد (٢١٢٩٦) وفي إسناده راو مختلف فيه، «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (١:٣٥١).

(٣) خفة الدين وإدبار العلم وغفلة المنابر عن ذكره. وضعف اليقين والإيمان وكثرة الإرجاف والإسفاف في مواقع الديانة ذاتها، ومنها الوزارات والمؤسسات القائمة بأمر الديانة في المجتمعات، وأما إدبار العلم فهو ذهابه وإهماله من قبل عموم الناس واشتغالهم بالبدائل ومناهج التعليم وتعليم الخدمات، إضافة إلى غياب العلم الخاص بالتحولات لغياب العلم بالركن الرابع من أركان الدين.

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ وهو نائم فذكرنا الدجال؛ فاستيقظ محمرا وجهه، فقال: «**غير الدجال أخوف على أمتي.. أئمةٌ مُضِلّون**». «مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٤٨٦) «مسند أبي يعلى (٤٦٦).

ثالثُها : أهميةُ دراسةِ الدَّجَّالِ فِكرًا وذاتًا ، وقد قالَ ابنُ ماجه : سمِعتُ أبا الحسنِ الطنافسيَّ يقولُ سمِعتُ عبدَ الرحمنِ المُحارِبيَّ يقولُ : (ينبغِي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ إلى المؤدِّبِ ؛ حتَّى يُعلِّمَه الصبيانَ في الكُتَّابِ) [1].

وعن حُذَيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ : «**لأنا لفِتنةِ بعضِكم أخوفُ عندي مِن فِتنةِ الدَّجَّالِ ، ولن ينجوَ أحدٌ مِمَّا قبلَها إلَّا نجا مِنها ، وما صُنِعَت فِتنةٌ ـ مُنذُ كانَتِ الدُّنيا ـ صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلَّا لفِتنةِ الدَّجَّالِ**»[2] .

ومعَ وُجودِ الاختِلافِ حولَ شخصيةِ الدَّجَّالِ فإنَّ الأمرَ المُهِمَّ فيما نحنُ بِصددِه ما يلي :

(١) **لِلدجالِ مرحلتان** : مرحلةُ فتنتِه التي بَينَ يدَيه ، ومرحلةُ ظُهورِ ذاتِه .

وكِلا المرحلتَين خطيرتان جدًّا في حياةِ الشُّعوبِ . بل إنَّ كُلَّ انحِرافٍ عن منهجِ الدياناتِ مُنذُ عهدِ آدمَ إلى ظُهورِ الدَّجَّالِ في آخِرِ الزمانِ ينطوي تحتَ مُسمَّى «فِتنةِ الدَّجَّالِ» ، ويُمهِّدُ لِلسياسةِ الدَّجَّاليةِ في الأرضِ مِن مرحلةِ الخفاءِ وحتى مرحلةِ ظُهورِه الأخيرِ ، ومرحلةُ ظُهورِه ستأتي في آخِرِ الزمانِ معَ نِهايةِ مرحلةِ الإمامِ المهديِّ وبدايةِ عهدِ عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلَّا أنَّ بعضَ الأحاديثِ ذكرَت خُروجَ الدَّجَّالِ وسيرَه في الأرضِ سابقًا ووُجودَ بصماتٍ عمليةٍ لِدولتِه في نِظامِ الحياةِ الإنسانيةِ، ومِنها :

حديثُ عِمرانَ بنِ الحُصَينِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**لقد أكلَ الدجالُ الطعامَ ومشى في الأسواقِ**» [3] .

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الدجال فقالَ : «**هو**

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٧٧) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٣٣٠٤) و«مسند أبي يعلى» (٢٨٠٧) وآخره : «والله لا يضر مسلما مكتوب بين عينيه كافر» .

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٣٩) (١٨ : ١٥٥) .

يومَهُ هَذَا قد أكلَ الطعامَ»[1].

وَعَن الحَسَـنِ عـن عبدِاللّهِ بنِ مُغَفَّلٍ أَنّ رَسُـولَ اللّهِ ﷺ قال : «**لَقَـدْ أَكَلَ الطّعَامَ وَمَشَى في الأَسْوَاقِ**» يعني الدّجَّالَ[2].

وهـذه الأحاديثُ بِمجموعِها تؤيِّدُ مسـيرةَ الدَّجَّالِ الاسـتِطلاعيةَ في الأرضِ مِن قبـلُ ، ومعرفتَه بِشُـؤونِ العالمِ ، ودراسـتَه لحياةِ الشُّـعوبِ وأوضاعِ الأُمـمِ ، واللّهُ أعلمُ[3] .

وقد أشرْنا في «التليدِ والطارِفِ» إلى حديثِ تميم الداريِّ والجَسَّاسَةِ ، إلّا أنَّه عادَ إلى الحركةِ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ لِيُكمِلَ مشـروعَه الدَّجَّاليِّ في العالمِ . ويبني قاعِدةَ دولتِـه المُسـتقبليةِ ؛ ولكنَّنا في كِتابِنا هـذا تجاوزْنا هذه الرِّوايةَ إشـفاقًا على بعضِ القُرَّاءِ الراغبين في تَوهينِ الصحيحِ والمُفيدِ متى ما وجدوا شَـيئًا مِنَ الخبرِ الواهِنِ أوِ الضعيفِ في جانبٍ مُعيَّنٍ ، بحيثُ يُفسِدون المنهجَ الموضوعَ ويُشوِّشونَ الفِكرةَ على المخدوعِ .

(٢) وموقـعُ الدَّجَّـالِ في الشُّـعوبِ يبدأُ مِـن موقِعِ «القـرارِ السياسـيِّ» : فالقرارُ السياسيُّ في كُلِّ مرحلةٍ هو مِحورُ التأثيرِ للدجلِ ، وموقِعُ المتنفِّذين مِنَ الدجاجِلةِ ، وسببُ النقضِ المُدمِّرِ لِلدياناتِ في الشُّعوبِ .

(٣) والفكرُ الإنسانيُّ المُسمَّى بِالـ«أيديوليجيات» هو «مادةُ الدجلِ العالميِّ» في الحياةِ البشـريةِ ، وأساسُه الكُفرُ ، والكُفرُ عقيدةُ الشَّيطانِ ، ومُهِمَّةُ الدَّجَّالِ ترويضُ الشُّـعوبِ بِالترغيبِ والترهيـبِ لِقَبولِ الانحِرافاتِ المُتنوِّعـةِ المؤديةِ إلى «الكُفرِ» عن طريقِ الهيمنةِ المُسَيَّسةِ على «قراري الحُكمِ والعِلمِ» .

(٤) أنَّـه مخلوقٌ مِنَ البشـرِ ، وأرجحُ الرِّواياتِ تُشِـيرُ إلى أنَّه مِـنَ اليهودِ ، وليسَ

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦٢١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير (٧٨٥٢) .

(٢) «المعجم الأوسط» (٨١٥٤) .

(٣) للاستزادة راجِعْ «سُبُلَ الهُدى والرشادِ» (١٠ : ١٦٦) .

ابنَ صيادٍ الذي في عهدِ النُّبوةِ ، وإنَّما ذاكَ مِن دجاجلةِ المرحلةِ . فالدَّجَّالُ مخلوقٌ منحَـه اللَّهُ قُـدُراتٍ علميةٍ وعمليـةٍ وامتِداداً في العُمـرِ لِحِكمةٍ إلهيةٍ فـي الوُجودِ ، وهذا ما يُؤكِّدُهُ حديثُ تميمٍ الداريِّ في الصحيحِ .

(٥) أنَّ لِلدجالِ عقيدةً وفِكرًا ، وهو ما يُسمَّى بالدَّجْلِ ، وهو تمويهُ الباطِلِ وإضفاءِ صورةِ الحقائقِ علَيه ، وله أُسلوبٌ إرهابيٌّ في معالجةِ الأُمورِ «سُلطةُ العُنفِ» وهذا ما تفسِّرُه كثيرٌ مِنَ الأفلامِ والمُسلسلاتِ والكارتونِ المُنْتَشِرَةِ اليَوْمَ ، وأيضًا سياسةُ دَولةِ اليهودِ كإحدى الظواهِرِ الثقافيةِ المُمهِّدةِ لِلمسيخِ الدَّجَّالِ .

(٦) هنـاك ارتِباطٌ وطيدٌ بَيـنَ الدَّجَّالِ والدجاجِلةِ وهم عُلماءُ الدينِ والدُّنيا الذين يُهندِسـونَ القضايـا والأديـانَ ، ويُحرِّفـونَ الكلِـمَ عن مواضِعِـه لِتحقيـقِ مُراداتِ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ في العالمِ .

(٧) أهـمُ مـا يمكِنُ في هذا العِلمِ «فِقهِ التحوُّلاتِ» وعلاقتِه بِسياسـةِ الدَّجَّالِ تتبُّعِ الأحاديثِ الواردةِ في هذا البابِ ، ولعلَّ أهمَّ حديثٍ يُبرِزُ لنا خُطورةَ هذا المخلوقِ وفِتنتِه وخاصَّةً لدى عوامِّ الأُمَّةِ وجهلةِ المُسـلِمين ما علَّمنا إيَّاه ﷺ مِنَ الاسـتعاذةِ المُسـتمِرَّةِ في الصلاةِ «مِن فِتنةِ المسـيخِ الدَّجَّالِ» ، وهذه إشارةٌ واضِحةٌ إلى أهميةِ الأمرِ وضرورةِ العِلمِ بِه .

(٨) أخبـرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الدَّجَّالَ كذاتٍ إنسـانيةٍ ليسَ خطرًا إلـى حدٍّ بعيدٍ ، وإنَّما الخُطورةُ في المراحِلِ التي تُصابُ فِيها الأُمَّةُ بِالفِتنِ ، وهي المشاريعُ المعرِفيةُ تربيةً وتعليمًـا ودعوةً وإعلامًا وثقافةً واقتِصاداً وقراراً سياسـيّاً التي تُحقِّقُ نجاحَ مسـيرةِ المسيخِ الدَّجَّالِ وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ : «**لستُ أخشى علَيكمُ الدَّجَّالَ ، ولكِن أخشى علَيكـم عُلماءَ الفِتنةِ**» . وفي الحديثِ الآخـرِ : «**غَيرُ الدَّجَّالِ أخوفَني على أُمَّتي مِنَ الدَّجَّالِ الأئمةُ المُضِلُّون**»[1] . أخرجَه أحمدُ والسُّيوطيُّ في الجامِعِ الصغيرِ . وعن شدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**مِن أخوفِ ما أخافُ على أُمَّتي**

---

(١) «سلسة الأحاديث الصحيحية» للألباني (١٩٧٩) .

أئمةٌ مُضِلُّون . وإذا وقعَ السَّيفُ لم يُرفَعْ إلى يومِ القيامةِ»[1] .

وعن أبي الطُّفَيلِ عن أبي سَريحةَ حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قالَ : «**أنا لِغيرِ الدَّجَّالِ أخوفُ عليَّ وعليكم**» قالَ فقُلنا : ما هو يا أبا سَريحةَ . قالَ : فِتَنٌ كأنَّها قِطعُ اللَّيلِ المُظلِمِ . قالَ : فقُلنا أيُّ الناسِ فِيها شرٌّ ؟ قالَ : كُلُّ خطيبٍ مِصقعٍ وكُلُّ راكِبٍ موضِعٍ قالَ : فقُلنا أيُّ الناسِ فِيها خَيرٌ ؟ قالَ : كُلُّ غنيٍّ خفيٍّ . قالَ : قُلتُ : ما أنا بِالغنيِّ ولا بِالخفيِّ . قالَ : «**فكُنْ كابنِ اللبونِ لا ظهرَ فيُركَبُ ، ولا ضرعَ فيُحلَبُ**» .[2]

وعلى هذا الأساسِ فإنَّ الدَّجَّالَ والدجاجِلةَ والدجلَ هم المُركَّبُ الثُّلاثيُّ الذي يُسيطِرُ على مجموعِ الحركةِ البشريةِ في العالمِ ، وهو ما خافَ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحذَّرَ منه سواءً في الأُممِ السابقةِ أو في أُمَّةِ الإسلامِ خُصوصًا ، ومِن ذلِكَ قَولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أصحابُ السُّننِ : «**إنّهُ لم تكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ منذُ ذَرَأَ اللّهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أعظمَ مِن فِتْنَةِ الدّجّالِ**»[3] .

وحديثُ : «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ**»[4] .

وهذه الأحاديثُ مُجتمِعةٌ فِيها دلالةٌ خطِيرةٌ على موقِعِ الدَّجَّالِ كمُؤامرةٍ ، وإنَّ أُسلوبَ المُؤامراتِ والعملَ المُبطَّنَ القائمَ على الصِّراعِ السياسيِّ عملٌ دجاليٌّ يخدُمُ الفِتنةَ المُنتظرةَ لِظهورِ المسيخِ الدَّجَّالِ ، وقد لُوحِظَ هذا في ما بعدَ قتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيثُ اتَّسعَتْ دائرةُ الفِتَنِ بَينَ المُصلِّينَ ، وقُتِلَ فِيها أيضًا سيِّدُنا عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما بعدُ على أيدي المُصلِّين .

واتسعَت هذه الدائرةُ الدَّجَّاليةُ بعدَ ذلِكَ لِتشمَلَ كافةَ العناصِرِ المُثيرةِ لِلفِتنِ ،

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» للداني (٥٤) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢) وقالَ : هذا حديث صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه . «إتحافَ الجماعةِ» (١ : ٤٩) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (٤٠٧٧) .

(٤) «سنن أبي داود» (٤٧٥٦) و«سنن الترمذي» (٢٢٣٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٧٦) و«مسند أحمد» (١٦٩٣) و«مسند البزار» (١٢٨٠) .

سـواءٌ في مستوى الحُكمِ أوِ العِلمِ أو في مُسـتوى تحريضِ الشُّعوبِ ، كما هو في مرحلـةِ الإمامِ الحسـنِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيثُ عاصـرَ الفِتنةَ الدَّجَّاليةَ مِـن جهتَين : مِن جِهةِ دُعـاةِ المُلكِ العضوضِ من جهة ، ودُعاةِ الحـربِ والانتِقامِ مِنَ المجموعاتِ التي شـاركَتْ فـي مقتلِ عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثُمَّ فـي مقتلِ والدِه الإمـامِ عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من جهة أخـرى . ثـم كيف تفادى الإمامُ الحسـنُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فـي مرحلتِه هَيمنةَ الفِتنـةِ فاجتهدَ رأيَـه بِقَبـولِ الصُّلحِ اختِيـارًا مِنه ، لا إجبارًا له كمـا فعلَ أهلُ الفِتنةِ مـعَ والِده عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فـي صِفِّينَ وما تلاها ، فكانَتِ التضحيةُ بِالقرارِ عِندَه أَولى في سـبيلِ حِفظِ الأُمَّةِ ودوامِ الاستِقرارِ . واتخذَتِ الفِتنةُ شكلَها الخطيرَ في المؤامرةِ فيما بعدَ ذلِكَ على شـهيدِ الإسلامِ الإمامِ الحُسَينِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وما ترتَّبَ على الغدرِ به مِنَ التسييس الدَّجَّاليِّ ، سـواءٌ عِندَ حملةِ قرارِ المُلكِ العضوضِ أو لدى المُتخاذِلين عن نُصرتِه مِن شيعتِه الدافعين له إلى الخُروجِ بأخذ البيعة له ثم خذلانه ساعة الابتلاء[1] .

لقـد كانَـت هـذه المراحِلُ مُنـذِرةً بِانحِرافٍ خطيرٍ فـي قرارِ الحُكـمِ وما تلاه مِن نقـضٍ فـي قضايا العِلـمِ ، وبهذه النواقِضِ اتسـعَ أمرُ الدجلِ والاختِـلافِ فيما بعدُ فـي دائرتَـيِ الحُكمِ والعِلمِ إلَّا مَـن رحِمَ اللَّهُ ، والذين رحِمَ اللَّـهُ هم أولئك الأئمةُ والأتباعَ ، الذين لزمُوا منهجَ النمطِ الأوسـطِ ، ودافعوا عنِ الحقِّ اجتِهادًا بِالسـيفِ حينًـا كضـرورةٍ ، وحينًـا بِالدعوةِ كهدفٍ ، وهـمُ الذين ينطبِقُ علَيهـم حديثُ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ الذي رواه العِرباضُ بنِ ساريةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وقد أشَرْنا إلَيه سلفًا ، وفيه يقولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**اسـمعوا وأطيعوا ولو تأمَّرَ علَيكم عبدٌ ، فإنَّه مَن يعشْ منكم فسـيرى اختِلافًا كثيرًا فعلَيكم بِسُنَّتي وسُـنَّةِ الخُلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا علَيها بِالنواجِذِ** ...»[2] . فكانَـت سـلامةُ الأُمَّـةِ هدفَهم ، ومسـألةُ القرارِ وسـيلةً لا غايـةً ، فمتى ما امتلكُـوه بِـلا مُنازعـةٍ عدلـوا فيـه ، ومتى مـا نوزِعوا فيه عدلـوا عنه لِما هـو أفضلُ

---

(١) كتبنـا فـي هذا الباب كتابنا « إحياء منهجية النمط الأوسـط من سـادة الصلح وبقية السـيف وبراءتهما من طرفي الإفراط والتفريط» وتوسعنا فيه ، وقد طبع فليراجع للاستزادة .

(٢) «سـنن أبي داود» (٤٦٠٧) و«سـنن ابن ماجه» (٤٣) و«مسند أحمد» (١٧١٤٢) و«صحيح ابن حبان» (٥) .

وأسلمُ ، وأفشلوا سياسةَ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ في استِثمارِ التحريشِ وضربِ المُسلِمِ بالمُسلِمِ .

وعن أبي الطُّفَيلِ عن أبي سَريحةَ عن حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه قالَ : «**أنا لغيرِ الدَّجَّالِ أخوفُ على أُمَّتي**» . قالَ : فقلنا : ما هو يا أبا سَريحةَ ؟ قالَ : «**فِتَنٌ كأنها قِطَعُ اللَّيلِ المُظلِمِ**» . قالَ : فقُلنا : أيُّ الناسِ فِيها شرٌّ ؟ قالَ : «**كُلُّ خطيبٍ مِصقَعٌ، وكُلُّ راكِبٍ مَوضِعٍ**» . قالَ : فقلنا : أيُّ الناسِ فِيها خَيرٌ ؟ قالَ : «**كُلُّ غنيٍّ خفيٍّ**» . قالَ : قُلتُ : ما أنا بِالغَنيِّ ولا بِالخفيِّ . قالَ : «**فكُنْ كابنِ اللبونِ لا ظهرَ فيُركَبُ ، ولا ضرعَ فيُحلَبُ**» [1]، وقد أشَرْنا في كِتابِنا «التليدِ والطارِفِ» إلى أوَّلِ ظُهورِ مراحِلِ فِتنةِ المسيخِ الدَّجَّالِ في الأُمَّةِ المُحمَّديةِ كما ورَدَت في النَّصِّ الشرعيِّ ، وهي مرحلةُ مقتلِ الخليفةِ الثالثِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وهي المرحلةُ التي ظهرَ فِيها الدجلُ السياسيُّ ، حتَّى تمكَّنَ أتباعُه مِنَ التأثيرِ على الواقِعِ الاجتِماعيِّ ، وتجرؤوا بِما نسجُوه مِن مُلابساتِ الحِيَلِ والتُّهمِ والقضايا على قتلِ سيِّدِنا عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكيف انتقلَتِ القضيةُ مِنَ المُطالبةِ بِإصلاحِ الواقِعِ السياسيِّ إلى قتلِ حامِلِ قرارِه ، وهذه المرحلةُ مفصلٌ هامٌّ في دراسةِ التاريخِ الشرعيِّ مربوطًا بِالأحاديثِ النبويةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ .

بل إن النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا رواه حُذَيفةُ بنُ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «**أوَّلُ الفِتَنِ قتلُ عُثمانَ ، وآخِرُها خُروجُ الدَّجَّالِ ، والذي نفسي بيدِه ، ما مِن رجُلٍ في قلبِه مِثقالُ حبَّةٍ مِن حُبِّ قتلِ عُثمانَ إلَّا تبعَ الدَّجَّالَ إن أدركَه ، وإن لم يُدركْه آمن بِه في قبرِه**»[2].

وأخرج أحمد عن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «**لا تَقْتُلُوا عُثْمَانَ فَإِنَّكُم إِنْ فَعَلْتُمْ لَمْ تُصَلُّوا جَمِيعاً أبداً**»[3].

وعن سَمُرةَ قالَ : «إنَّ الإسلامَ كانَ في حِصنٍ حصينٍ ، وإنَّهم ثلمُوا في الإسلامِ ثلمةً

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢)، وانظر «إتحاف الجماعة» (١: ٤٩) .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر(٣٩: ٤٤٧) .

(٣) «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل (٧٩٦).

بِقتلِهم عُثمانَ لا تُسدُّ إلى يومِ القيامةِ»[1] . وأخرجَ مُحمَّدُ بنُ سيرينَ قالَ : «لم تُفْقَدِ الخَيلُ البلـقُ في المغـازي والجُيوشِ حتَّى قُتِـلَ عُثمانُ»[2] . وفي هـذه الأحاديثِ والمروياتِ إشارةٌ خطيرةٌ إلى اندراجِ الفِتَنِ في أوضاعِ الأُمَّةِ السياسيةِ ، وإنَّ موقِعَ الدَّجَّالِ في العالمِ الإسلاميِّ والعربيِّ مُنذُ تِلكَ اللحظةِ ينطلِقُ مِنَ الاختِلافِ حولَ مسألةِ القرارِ .

(٩) **يتحـركُ « المسـيخُ الدَّجَّـالُ » ومعَـه مِن يهودِ أصبهانَ سـبعون ألفًـا ، وذلِكَ بعـدَ انتِصارِ الإمامِ المهديِّ علـى الروم** . وكانَ هذا الأمرُ يُثيرُ الدَّجَّالَ ، ويخرُجُ مِن مكمنِه كما وردَ في الحديثِ : «**إنَّه يخرُجُ في غضبةٍ يغضبُها**»[3] إلاَّ أنَّ الدَّجَّالَ يبدأُ بـادئَ ذي بدءٍ بدعـوى الإيمانِ والديانةِ والصـلاةِ والتقوى حتَّى يُميـلَ إلَيه الناسَ ويُحبُّونـه ، ولم يزل يظهرُ حتَّى يقدُمَ الكوفةَ على العِراقِ ، ثُمَّ يُظهِرَ ادِّعاءَه بالنُّبوةِ ؛ فيتفـرقُ عنه الناسُ ، ثُمَّ يدعي الأُلوهيةَ وتظهَرُ العلاماتِ الواضحِةَ بِكُفرِه ودجلِه . ويُعلِنُ عن هُويتِه .

(١٠) تشـتدُّ الحالـةُ الاقتِصاديـةُ على الناسِ مرحلـةً ويكثُرُ الجـوعُ والفقرُ حتَّى يتمنَّـى النـاسُ خُروجَه . ففـي حديثِ حُذَيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «**يأتـي علـى الناسِ زمـانٌ يتمنَّون فيه الدَّجَّال**» ، قُلتُ : بِأبي وأمِّي يا رسـولَ اللَّهِ مِمَّ ذاك ؟ قالَ : «**مِمَّا يلقونه مِنَ الضناءِ والعناء**» [4] ، ولعلَّه : مِنَ الغُثاءِ والعناءِ[5] .

(١١) يتبعُه سبعون ألفًا مِن يهودِ أصبهانَ[6] وثلاثةَ عشرَ ألفَ امرأةٍ[7] .

(١٢) يسيحُ في الأرضِ أربعين يومًا [8].

(١٣) يخـرُجُ فـي خِفَّةٍ فـي الدينِ وإدبارٍ مِـنَ العِلمِ ولا يبقى علـى وجه الأرض

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٩: ٤٨٣) .

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٩: ٤٩٣) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٣٢) .

(٤) «السلسلة الصحيحية» للألباني (٣٠٩٠) .

(٥) انظر «علامات الساعة» ليوسف الوابل ص٢٠٩.

(٦) «صحيح مسلم» (٢٩٤٤) .

(٧) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٥١٨) .

(٨) «المعجم الأوسط» للطبراني (٤٢٨٩) .

أحدٌ لله فيه حاجة[1] ، ويذهلُ الناسُ عن ذكرِه[2] .

(١٤) يفتِنُ الأعرابَ وأهلَ السوادِ والأطرافِ ، ويُحيي أمواتَهم ، ويأمُرُ السحابَ فيُمطِرَ والأرضَ فتُخرِجَ كُنوزَها رأيَ العينِ .

(١٥) طيُّ الوقتِ وطيُّ الأرضِ له ، «**تُطوى له الأرضُ منهلًا منهلا**[3] **طيَّ فروةِ الكبشِ**»[4].

(١٦) يغلُبُ على أهلِ فارِسٍ ، ثُمَّ يمُرُّ إلى العِراقِ ، وإلى الجزيرةِ العربيةِ ، ويدخُلُ أطرافَ مكَّةَ والمدينةَ ، ثُمَّ يُتابعُ مسيرتَه إلى الشامِ ، حيثُ جُندُ الإمامِ المُنتظَرِ تحتَ الحِصارِ في جبلِ الدُخانِ ببَيتِ المقدِسِ .

(١٧) يُشدِدُ الدَّجَّالُ وجنودُه الحِصارَ على الإمامِ المهديِّ ومَن معه ، ويُجهِدُهم جهدًا شديدًا .

(١٨) أشدُّ الناسِ على الدَّجَّالِ «بنو تميم» ، وفي هذا روى البزارُ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : ذكرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ « بني تَميم» فقالَ : «**هُم ضِخامُ الهامِ ، ثبتُ الأقدامِ ، أنصارُ الحقِّ في آخِرِ الزمانِ ، أشدُّ قومًا على الدَّجَّالِ**»[5] .

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٣) .

(٢) «مسند أحمد» (١٦٦٦٧) .

وفي «مستدرك الحاكم» (٨٦١٢) : «**ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجسٌ على رجس**» ، وانظر «إتحاف الجماعة» (٣: ١٥) .

(٣) «السنن الواردة في الفتن» للداني (٦٦٤) .

(٤) وفي حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «**الدجال يخرج في بغض من الناس ، وخفة من الدين ، وسوء ذات البين ، فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طي فروة الكبش** ... الحديث» «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢) .

(٥) «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (١٠٣٩) .

نِهايةُ الدَّجَّالِ ودولةِ اليهودِ

يُعسكِرُ الدَّجَّالُ وجيوشُه حولَ بيتِ المقدِسِ المُحاصرِ وبَينَ أرضِ فِلسطينَ بِكامِلِها، ويقطعون السبيلَ على مَن بقِيَ مِنَ المُسلِمين ، حتَّى إذا طالَ الحِصارُ «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ عِندَ المنارةِ البيضاءِ شرقَ دِمشقَ**»[1] ، ومِن دِمشقَ يتوجَّهُ إلى بيتِ المقدِسِ لِنُصرةِ الإمامِ المهديِّ في الجبلِ المُحاصرِ وقتَ صلاةِ الفجرِ ، فيُصلِّي مأمومًا ، فإذا انصرفَ دعاهم إلى الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ وشِعارُهم في معركتِهم « اِفْتَحْ» ، ويهرُبُ الدَّجَّالُ إلى عُمقِ فِلسطينَ فيتبعُه عيسى إلى «بابِ لُدٍّ» فيقتُلُه ويهزِمُ اللَّهُ اليهودَ .

وفي هذه المعركةِ تُخاطِبُ الشجرُ والحجرُ المُسلِمَ ، وتقولُ هذا يهوديٌّ خلفِي فاقتُلْه . والحديثُ رواه مُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ قال : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسلِمونَ اليهودَ فيقتُلُهم المُسلِمون ، حتَّى يختبئَ اليهوديُّ وراءَ الحجرِ والشجرِ ؛ فيقولُ الحجرُ والشجرُ يا عبدَاللَّهِ هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتُلْه، إلَّا الغرقدُ ، فإنَّه مِن شجرِ اليهودِ**»[2] .

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) و«سنن أبي داود» (٤٣٢١) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٢٢) .

اشتباهُ الدَّجَّالِ بابنِ صيَّادٍ

اضطربَ أمرُ التعيينِ المُطلقِ لِلدَّجالِ وشخصيتِه ، وجزمَ بعضُهم بِأنَّ «ابنَ صيادٍ» هو الدَّجَّالُ تبعًا لِما وردَ في بعضِ الرواياتِ عن بعضِ الصحابةِ الذين اعتقدوا ذلِكَ ، ومِنهم من جزمَ بِه كسيِّدِنا عُمرَ وعبدِالله بنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وجابِر بن عبدِاللَّهِ وغيرِهم[1] .

واستقرَّ الأمرُ بعدَ ذلِكَ لدى العُلماءِ بِأنَّ الدَّجَّالَ ليس ابنَ صيادٍ ، وإنَّما كانَ ابنُ صيادٍ أحدَ الدجاجِلةِ .

قالَ البَيهقيُّ في السُّننِ : إنَّ الدَّجَّالَ الأكبرَ الذي يخرُجُ في آخِرِ الزمانِ غَيرُ ابنِ صيادٍ ، وكانَ ابنُ صيادٍ أحدَ الدَّجَّالين الكذَّابين الذين أخبرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِخُروجِهم[2] .

---

(١) مما يستفاد في أمور العلامات اختلاف القول لدى الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في أمر الدجال .

(٢) عن «أشراطِ الساعةِ» لِيُوسُفَ الوابِل ص٣٠٠ بِتصرُّفٍ .

وسائلُ الحفظِ مِنَ الدَّجَّالِ

- التعوُّذُ باللَّهِ مِنَ فِتنةِ الدَّجَّالِ وخاصةً في الصلاةِ .
- التزامُ الأذكارِ والأورادِ وقِراءةِ القُرآنِ والمُحافظةِ على أعمالِ الطاعةِ الواجِبةِ والمندوبةِ .
- قراءةُ العشرِ آياتِ مِن سورةِ الكهفِ مِن أوَّلِها[1] وفي روايةٍ مِن آخِرِها[2]. والجمعُ بَينَ الرِّوايتَين أولى .
- الدراسةُ الشرعيةُ لِأسبابِ فِتنتِه وملابساتِها ، فمَن عُصِم مِن فِتنةٍ قبلَه عُصِمَ مِنهُ عِندَ ظُهورِه، وليتجنَّبَ مواقِعَ حركتِه وسيرِه ، لِقَولِه ﷺ : «**مَن سمِعَ بالدَّجَّالِ فلْينأَ عنه ؛ فو اللَّهِ إنَّ الرجُلَ ليأتيهِ وهو يحسبُ أنَّه مؤمِنٌ فيتبِعُه مِمَّا يبعَثُ مِنَ الشُّبُهاتِ ، أو لِما يبعثُ بِه مِنَ الشُّبُهاتِ**»[3] .

---

(١) وقد ورد ذلك في «صحيح مسلم» (٨٠٩) .

(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٩) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٣١٩) ، وفي الحديث ملحظ لخطورة الشبهات ، وهي المتناقضات في السلوك والعبادة والعقيدة ، وقد برزت هذه الأساليب فيما بين يدي الدجال بين المسلمين ، فتهمة الشرك في المصلين واحدة من هذه النقائض القائمة على تحجيم الشبهات في الاعتقاد والعبادات والولاء فليتأمل.. حتى يبلغ الأمر إلى الإصرار في الأحكام والفتوى ، ومع هذا لم يَتَّخِذِ النبيُّ ﷺ في الأمر قولا فصلا ، ولم يشنع على أحد منهم في خلافه للحق المعلوم لدى رسول الله ﷺ .

مَرحلةُ الانتصارِ

المرحلةُ العيسويَّةُ

ثبتَ في الأحاديثِ الشريفةِ الخاصةِ بعلاماتِ الساعةِ أنَّ نُزولَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ العلاماتِ الكُبرى ، وعلى هذا فإنَّ دِراسةَ هذه المرحلةِ مِنَ الضروراتِ الشرعيةِ في الرُّكنِ الرابعِ .

قالَ تعالى واصِفًا نُزولَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزمانِ : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزُّخرُف:٥٧] ... إلى قولِه تعالى : ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ﴾ [الزُّخرُف:٥٩-٦١] .

وفي هذه الآيةِ إشارةٌ واضِحةٌ في قَولِه : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : نُزولُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ علامةٌ مِن علاماتِ قُربِ الساعةِ ، وفي قِراءةٍ أُخرى مرويةٍ عنِ ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وغيرِهما مِن أئمةِ التفسيرِ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : علامةٌ وأمارةٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ بِسندِه عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيرِ هذه الآيةِ قالَ : هو خُروجُ عيسى بنِ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبلَ يومِ القيامةِ[1].

ولأهميةِ هذا الموضوعِ فقد تولَّى القُرآنُ ردَّ الشُّبهِ التي افتعلَها اليهودُ حولَ قتلِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلبِه قالَ تعالى : ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾[النِّساء:١٥٧] إلى قولِه تعالى مُبيِّنًا نُزولَ عيسى في آخِرِ الزمانِ : ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا﴾ [النِّساء:١٥٩].

وقد ثبتَ في الصحيحِ عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يؤكِّدُ نُزولَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزمانِ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٩١٨) .

واتخاذِه مَوقِفًا عمليًّا مِنَ اليهودِ والنصارى والدَّجَّالِ ، ومِن ذلِكَ قولُه ﷺ : «**ينزِلُ فيكم ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا ؛ فيكسِرُ الصليبَ ، ويقتُلُ الخِنزيرَ ، ويضعُ الجزيةَ**»[1] .

وثبتَ في الصحيحِ أنَّه ينزِلُ عِندَ المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دِمشقَ ، كما وردَ في حديثِ الطبرانيِّ وابنِ عساكِرَ عن أبي هُرَيرةَ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**ينزِلُ عيسى ابنُ مريمَ فيمكُثُ في الناسِ أربعين سنةً إمامًا**»[2] . وفي لفظِ الطبرانيِّ : «**يخرُجُ الدَّجَّالُ ، فينزِلُ عيسى بنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتُلُه ، ثُمَّ يمكُثُ في الأرضِ أربعين سنةً إمامًا عادلًا وحكمًا مُقسِطًا**»[3] .

وفي رِوايةِ أبي داودَ : «**حتَّى يأتيَ الشامَ مدينةَ فِلسطينَ بابَ لُدٍّ ـ أي : الدَّجَّال ـ فينزِلُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فيقتلُه ، ثُمَّ يمكُثُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أربعينَ سنةً إمامًا عدلًا وحكمًا مُقسِطًا**»[4] .

وفي رِوايةٍ : «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ فإذا رآه الدَّجَّالُ ذابَ كما تذوبُ الشحمةُ ، فيقتُلُ الدَّجَّالَ ، ويفرقُ عن اليهودِ فيُقتلونَ**»[5] .

وروى مُسلِمٌ عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قالَ : «سمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون عنِ الحقِّ ظاهِرين إلى يَومِ القيامةِ ، قالَ : فينزِلُ عيسى بنُ مريمَ ، فيقولُ أميرُهم : صلِّ لنا . فيقولُ : لا إنَّ بعضَكم على بعضٍ أُمراءُ تكرُمةَ اللَّهِ هذه الأُمَّةِ**»[6]، وفي هذا الحديثِ إشارةٌ إلى استِمرار الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ بِالشام ضِدَّ اليهودِ حتَّى يأتيَ الإمامُ المُنتظرُ وبعدَه الدَّجَّالُ ، ثُمَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الذي يكونُ قتلُ الدَّجَّالِ على يدِه .

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٢٢) (٢٤٧٦) .
(٢) «مسند أحمد» (٢٤٤٦٧) .
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٧٤) و«صحيح ابن حبان» (٦٨٢٢) .
(٤) «مسند أحمد» (٢٤٤٦٧) و«سنن أبي داود» (٤٣٢٣)، وراجع «التليد والطارف» ص٤٣٥ .
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٩٤) .
(٦) «صحيح مسلم» (١٥٦) .

والمعلومُ أنَّ أحاديثَ الدَّجَّالِ ونزولِ عيسى كُلَّها مُتواتِرةٌ ؛ يجِبُ الإيمانُ بها وتصديقُها ؛ لِأَنَّها جُزءٌ مِن أركانِ الدينِ .

وقد بشَّرَ النبيَّ ﷺ بعلاقتِه بعيسى عليه السلام ، حيثُ روى الإمامُ أحمدُ عن أبي هُرَيرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : «**الأنبياءُ إخوةٌ لِعلَّاتٍ ، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحِدٌ ، وإني أولى الناسِ بِعيسى بنِ مريمَ ، لِأَنَّه لم يكُنْ بيني وبينه نبيٌّ ، وإنَّه نازِلٌ فإذا رأيتُموه فاعرِفُوه**»[1] .

وفي هذا الحديثِ إشارةٌ مُهِمَّةٌ لِارتباطِ عيسى بنِ مريمَ بنزولِه ، وفي رِسالتِه تثبيتُ منهجِ الإسلامِ والشهادةِ الصادِقةِ على اليهودِ والنصارى بِانحرافِهم ، وقد وردَ في القُرآنِ إشارةُ عيسى عليه السلام لِرسالةِ النبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ ـ فيما سبَقَ ـ وأنَّ رسولَ اللَّهِ أخصُّ الناسِ بِه وأقربُهم إلَيه ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦] .

وفي الحديثِ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ أخبرني عن نفسِكَ قالَ : «**نعم ، أنا دعوةُ أبي إبراهيم وبُشرى أخي عيسى**»[2]، رواه ابن إسحاقَ في السيرةِ ، قالَ ابنُ كثيرٍ : إسنادُه جيِّدٌ ، وله شواهِدُ .

كما أنَّ «الإنجيلَ» ـ وهو كِتابُ عيسى عليه السلام قد أشار إلى فضل أمة محمد ﷺ بعمومها ، وعبَّرَ القُرآنُ عن ذلِكَ بِقولِه : ﴿ **ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ** ﴾ [الفتح : ٢٩] .

قالَ ابن كثير في «التفسيرِ» : فدعى عيسى اللَّهَ أن يجعلَه مِنهم ؛ فاستجابَ اللَّهُ دعاءَه وأبقاه ، حتَّى ينزِلَ آخِرَ الزمانِ مُجدِّدًا أمرَ الإسلامِ .

وقد ترجمَ الإمامُ الذهبيُّ لِعيسى عليه السلام في كِتابه «تجريدِ أسماءِ الصحابةِ» فقالَ : عيسى بنُ مريمَ عليه السلام صحابيٌّ ونبيٌّ ، فإنَّه رأى النبيَّ ﷺ لَيلةَ الإسراءِ وسلَّمَ علَيهِ ،

---

(١) «مسند أحمد» (٩٢٧٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٢٦) .

(٢) «الفردوس بمأثور الخطاب» (١١٣) رواه ابن هشام عن ابن إسحاق ، «سيرة ابن هشام» (١:١٦٦) .

فهو آخِرُ الصحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مَوتًا[1].

وقـد ذكرَ أهلُ العِلمِ أنَّ عيسـى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يحكُم بِالشـريعةِ المُحمَّديـةِ ، ويكونُ مِن أتباعِ مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِأنَّ دينَ الإسـلام خاتمةُ الأديانِ ، وباقٍ إلى قِيامِ السـاعةِ لا يُنسَخُ فيكونُ عيسـى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حاكِمٌ مِن حُكَّامِ هذه الأُمَّةِ ومُجدِّدًا لِأمرِ الإسـلامِ ، إذ لا نبيَّ بعدَ مُحمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ .

روى الإمامُ مُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قالَ : «**كيفَ إذا نزلَ فيكم ابنُ مريمَ وإمامُكم مِنكم**» . وقد فسَّرها بعضُهم في قَولِه : «**وإمامُكم مِنكم**»[2] وقد فسَّـرها بعضُهم فـي قَولِه : «**وإمامُكم مِنكم**» أي : مـا أمَّكم مِنكم وأمَّكم أي : قادَكم بِكِتابِ ربِّكم وسُنةِ نبيِّكم .

وفي عصرِ عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يُنزِلُ اللَّهُ الأمنَ على الأرضِ ؛ حتَّى ترعى الكائناتُ معَ بعضِها البعضُ ، ولا يخافُ بعضُها مِن بعضٍ . وروى الإمامُ مُسـلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّـه قالَ : قالَ رسـولُ اللَّـهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**واللَّهِ ، ليُنزِلَنَّ اللَّهُ عيسـى بنَ مريمَ حكمًا عـدلًا ، وليضعَنَّ الجِزيةَ ، ولتُترَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسـعَى علَيها ، ولتذهبَنَّ الشـحناءُ والتباغُضُ والتحاسُدُ ، وليُدْعَوُنَّ إلى المالِ فلا يقبلُه أحدٌ**»[3] .

وفـي هذا الحديثِ إشـارةٌ هامَّةٌ إلى انقطِاعِ سياسـةِ التحريشِ التـي كانَت تتبناها اليهـودُ والنصـارى والدجاجِلةُ ، ومن لفَّ لفَّهـم ممَّن ظلُّوا طـوالَ مرحلةِ الدجلِ والدجاجِلةِ يُفرِّقون بينَ الشُّـعوبِ ، ويسـرِقون الثرواتِ ، ويُحقِّقون لِلشَّيطانِ مبدأَ «فرِّقْ تسُدْ» .

وبِنـزولِ عيسـى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ونُصرتِه لِلإمامِ المهدي ومقتلِ الدَّجَّـالِ ومَن لفَّ لفَّه مِنَ اليهـودِ والكُفَّـارِ تنتهي كافَّةُ المشـاكِلِ الاجتِماعيةِ والاقتِصاديةِ ، ويعـودُ البقيةُ مِنَ اليهودِ والنصارى إلى الإسلامِ .

---

(١) «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١ : ٤٣٢) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٥٥) .

(٣) «صحيح مسلم» (١٥٥) .

ويؤكِّدُ ذلِكَ ما فسَّرَه أبو هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مِن حديثٍ رواه الشَّيخانِ عنه عن رسولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**والذي نفسي بيدِه، ليوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا فيكسِرُ الصليبَ، ويقتُلُ الخِنزيرَ، ويضعُ الحربَ، ويفيضُ المالُ حتَّى لا يقبلَه أحدٌ، حتَّى تكونَ السجدةُ الواحِدةُ خيرًا مِنَ الدُّنيا وما فِيها**» ثُمَّ يقولُ أبوهُرَيرة: واقرؤوا إن شئتُم: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾[النساء:١٥٩] (١).

وفي مُسندِ أحمدَ قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ إمامًا عادِلًا وحكمًا مُقسِطًا فيكسِرُ الصليبَ، ويقتُلُ الخِنزيرَ ويُرجِعُ السلمَ، ويتخِذُ السُّيُوفَ مناجِلَ، وتذهبُ حُمةُ كُلِّ ذاتِ حُمةٍ، وتُنزِلُ السماءُ رِزقَها، وتُخرِجُ الأرضُ بركتَها، حتَّى يلعبَ الصبيُّ بِالثُّعبانِ فلا يضُرُّه، ويُراعِي الغنمَ الذئبُ فلا يضُرُّها، ويُراعِي الأسدُ البقرَ فلا يضُرُّها**» (٢).

وقولُه: «**وتُتَّخَذُ السُّيوفُ مناجِلَ**»: المنجلُ: هو الآلةُ التي تُقطَعُ بها الحشائشُ. والمقصودُ أنَّ الناسَ لا يحتاجون إلى الجِهادِ ويشتغِلون بِالحرثِ والزراعةِ، ومعنى قولِه: «**وتذهبُ حُمةُ كُلِّ ذاتِ حُمةٌ**»: الحُمةُ بِالتخفيفِ السُّمُّ، أي: ينزِعُ اللَّهُ عن كُلِّ دابةِ ذاتِ سميةٍ سمَّها.

قالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ فيمكُثُ في الناسِ أربعين سنةً إمامًا**». رواه الطبرانيُّ وابنُ عساكِرَ عن أبي هُرَيرةَ، وقالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ: «**فيكونُ عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ في أُمَّتي حكمًا وعدلًا وإمامًا مُقسِطًا**»(٣).

أهم ظواهر مرحلة عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ

ومِن أهمِّ ظواهِرِ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ:

- نزولُه بِدمشقَ عِندَ المنارةِ البيضاءِ، ويذهَبُ إلى القُدسِ لنُصرةِ الإمامِ المهديِّ المُحاصَرِ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٨) «صحيح مسلم» (١٥٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٠٢٦١).

(٣) تقدم.

- هلاكُ المسيخِ الدَّجّالِ على يدَيه بِبابِ لُدٍّ مِن أرضِ فِلسطينَ .
- يُقيمُ أمرَ الشريعةِ المُحمَّديةِ في العالم كُلِّه .
- يقتُلُ الخِنزيرَ ، ويكسِرُ الصليبَ ، ويُدخِلُ النصارى إلى دينِ الإسلامِ .
- تُتركُ الصدقةُ في عصرِه - أي : الزكاةُ - لِعدمِ مَن يقبلُها اكتفاءً ، وتظهرُ الكُنوزُ في عهدِه ولا يرغبُ أحدٌ في اقتِناءِ المالِ لِقُربِ الساعةِ ، وتُرفَعُ الشحناءُ والبغضاءُ لِزوالِ أسبابِها .
- يَرعى الذئبُ مع الغنمِ كمظهرٍ مِن مظاهِرِ الأمنِ .
- تَرخصُ الخيلُ ويغلو الثَّورُ لِأنَّ الأرضَ كُلَّها تُزرَعُ والحربَ تنتهي .
- تنعمُ الأرضُ بِالأمانِ ويزدادُ الخيرُ في الأرضِ وتستمرُّ الزِراعةُ والموارِدُ المُتنوِّعةُ دونَ صِراعٍ ولا اختِلافٍ مدى حياتِه المُباركةِ .

مرحلة الانحدار

المرحلةُ اليأجُوجيّةُ

يأجوج ومأجوج لغز من ألغاز القرآن

في أُخرياتِ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وشُمولِ دَولةِ السلامِ والأمنِ في رُبوعِ العالمِ. وقبلَ أن يرحَلَ عيسى إلى مكّةَ والمدينةَ يظهرُ قومُ يأجوجُ ومأجوجُ الذين وصفهم اللَّـهُ في كتابِـه: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤] وقولِه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء:٩٦] وقد ظلَّ أمرُ يأجوجَ ومأجوجَ لُغزًا في أذهانِ العُلماءِ والمفُسِّرين حيثُ لم تُفصِحِ المصادرُ الأصليةُ عنهما بِخبرٍ بيِّنٍ، ولا زالَ الأمرُ كذلِكَ في حقيقتِهِ المجهولةِ(١).

---

(١) وهذا أصح ما يعتمد عليه في أمر يأجوج ومأجوج؛ حيث إن اكتشاف السد على الصفة التي وردت في كتاب الله أمر لم يتحقق إطلاقا، قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابه «المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خبر رب البرية» ما نصه: «السد حق ثابت، ولا ينفتح ليأجوج ومأجوج إلا قرب الساعة، فمن قال بعدم وجود سد على وجه الأرض ـ ومستنده في ذلك قول الكشافين من النصارى، وأنهم لم يعثروا عليه ـ يكفر.. اهـ.

وقال الشيخ حمود التويجري في «إتحاف الجماعة» (ص١٧٠/ الثالث): وبعض العصريين يزعمون أن يأجوج ومأجوج هم جميع دول الكفر المتفوقين في الصناعات الحديثة، وقد رأيت هذا القول الباطل في بعض مؤلفات المتكلفين من العصريين، وهذا القول قريب من القول الأول... إلى أن قال: وقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء:٩٦] إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء:٩٧]. وفي هاتين الآيتين أبلغ رد على من زعم إن يأجوج ومأجوج هم دول الإفرنج أو غيرهم من دول المشرق والمغرب، الذين لم يزالوا مختلطين بغيرهم من الناس ولم يجعل بينهم وبين الناس سد منيع يحول بينهم وبين الخروج على الناس.

قلت ـ والله أعلم: إن أغلب الباحثين في هذه المسألة إنما يفسرون الأخبار والآثار

شرطنا في قبول البحوث العلمية عن العلامات

وأمَّـا مـا قامَ بِه بعـضُ الباحثيـنَ المُعاصِرين حولَ تتبُّعِ واسـتِقصاءِ الدراسـةِ مِنَ الناحيـةِ التاريخيـةِ ، وأرضخَ الموضـوعَ إلى المُشـاهدةِ الميدانيةِ ودراسـاتِ عِلمِ الآثارِ ؛ فهو مسـألةٌ يُسـتأنَسُ بها خاصَّةً إذا حصلَ شـيءٌ مِنَ التطابُقِ بَينَ النُّصوصِ والدراساتِ .

وأمـا إذا كانَ الأمـرُ مُخالِفاً لِما وردَ في النُّصوصِ أو مُغايـراً لِما أجمعَ علَيهِ أهلُ العِلـمِ فـلا شـكَّ أنَّ مثـلَ هذه البُحـوثِ مُجردُ تصـوُّرٍ نظـريٍّ لا دليلَ علَيـهِ . ومِن هـذه النمـاذجِ التـي وضعناها هنا لِمُجـردِ الاسـتِفادةِ العامَّةِ ما وصلَ إلَيـه الباحِثُ حمدي حمزة أبو زَيدٍ يُشـيرُ فيه إلى معلوماتٍ جديدةٍ لا بأسَ مِن عرضِها للاطِّلاعِ والاسـتِفادةِ معَ يقينِنا أنَّها لا تُعدُّ بديلًا عنِ الحقِّ المُبينِ المُقرَّرِ في كِتابِ اللَّهِ أو ما صحَّ عنِ الأمرِ في سُنَّةِ رسولِه . يقول حمدي أبو زيد :

- كافَّـةُ الآيـاتِ القُرآنيةِ في سُـورةِ الكهفِ عـن يأجوجَ ومأجوجَ عِنـدَ مُطابقةِ مَوضوعِهـا بِلُغـةِ الصينِ المُترجمـةِ تتفِقُ وما في كُتُبِهم مِـن وقائعَ وأحداثٍ تاريخيةٍ وقعَت في بِلاد الصينِ في فترةِ دُخولِ ذي القرنَين إلَيها .

متابعة مختصرة للدراسة الميدانية الجديدة

- إن معرفةَ مضمونِ كلِمتَي «يأجوجُ ومأجوجُ» الصينيتَي الأصلِ بعدَ ترجمتِها لِلُّغةِ العربيةِ يُيسِّـرُ الوصولَ إلى تفسـيرِ العديدِ مِنَ الأحداثِ الهامَّةِ ، ويؤكِّدُ الحقائقَ القُرآنيةَ عن يأجوجَ ومأجوجَ .
- إن ترجمـةَ «يأجـوجُ ومأجـوجُ» هـي : «مُفسِـدون فـي الأرض» تعنـي أنَّ سُـكانَ قارةِ آسيا وسُـكانَ قارةِ الخَيلِ مُفسِدون في الأرضِ ، ومعنى (سُكان

ليـس على سـبيل الإنـكار لما في القرآن والسـنة ـ ونعـوذ بالله أن يفعل ذلك مسـلمٌ مؤمنٌ بالله ورسـوله ، أو أن يفعله لمجرد الاسـتباع لكلام المستكشـفين من النصارى وغيرهـم ـ فقولهم لا يعتبر حجة أمام كتاب الله وسـنة رسـوله ، وإنما هو عرض لفهم قد يصيب قائله أو يخطئ ، ولا يعد بديلا عما ذكره العلماء من الأمر المجمع عليه في هذا الشـأن، كما هو فـي بحث حول الموضوع يحتمـل الصواب ويحتمل الخطأ جمعه الباحث «حمدي حمزة أبو زيد» .

قـارةِ الخَيلِ) أي: مَن يُسـمون شـعبَ الخَيلِ وشـعبَ الرُّمـاةِ، وهم الدولُ المحيطـةُ بِالصيـنِ فـي تِلكَ الحِقبـةِ مِنَ الزمـنِ، والتي كانَـت للصينِ معَها حُدودٌ وعِلاقاتٌ، وهي اليابانُ وكوريا، ومنشـوريا، وسـيبيريا، ومنغوليا، ودولُ آسـيا الوُسـطى، وهمُ الذين يصِفُهم الصينيون فـي لُغتِهم بِيأجوجَ أو بنـي يأجـوجَ، وهؤلاء اعتادُوا على شـنِّ الحُروبِ قديمًا علـى الصينِ حتَّى قُرونٍ قريبةٍ، وكانَ آخِرُها ما حدثَ في القرنِ الثالثَ عشرَ الميلاديِّ على يدِ جنكيزَ خان وهولاكو الذَّين عاثوا في الأرضِ فسادًا.

- وبِنـاءً علـى المعلوماتِ والحفريـاتِ والتعليلاتِ التي توصَّـلَ إلَيها البحثُ صـارَ مِـنَ المُتوقَّعِ أن يكونَ «ما بَينَ السـدَّينِ» مكانًا محـدودًا أو معروفًا في أنحاءِ بِلادِ الصينِ، وأنَّ الاحتِمالَ الأكبرَ هو جِبالٌ معينةٌ شمالَ مدينةِ «جنج جـو» فـي مُقاطعةِ «هينـان»، وقد وُجِـدَ فِيهـا «ردمٌ مُحكمٌ وحاجِـزٌ عظيمٌ» كمـا وصفَه القُـرآنُ، وفصَّـلَ الباحِثُ صِفةَ الـردمِ وارتفاعِه ومـا تبقَّى منه. ووضعَ بحثًا مَيدانيًّا لِكافَّةِ جُزئياتِه ونماذجِ الموادِّ المُسـتخدمةِ فيه وأنواعِها كالعناصِرِ المعدنيةِ والقطرِ «الطينِ» والخشبِ والوقودِ وغيرِها.
- يُشيرُ الباحِثُ إلى أنَّ أحوالَ هذه الأُممِ عبرَ التاريخِ قائمةٌ على انعِدامِ الديانةِ الصحيحـةِ ووقوعِهم في انحِرافاتِ الجاهِليةِ معَ قسـوةِ الظُّروفِ الجُغرافيةِ والبيئيـةِ والمعيشـيةِ، وتوفُّـرِ أدواتِ التفـوُّقِ القِتاليِّ كالمهـاراتِ والخُيولِ وأدواتِ القِتـالِ ورُوحِ الغُرورِ والشُّـعورِ بِالقُوةِ والوُلوعِ باكتسـابِ معيشـةٍ بِالبطـشِ والوحشـيةِ وانعِدامِ الرحمةِ فـي مُعاملةِ الأعـداءِ والخُصوم. وقد وصفَهـم النبـيُّ ﷺ بمعنًـى مُتطابِقٍ: «**إنَّكـم تقولون لا عدوَّ لكـم، إنَّكم لا تزالـون تُقاتِلـون عـدوًّا حتَّى يخرجَ يأجـوجُ ومأجوجُ عِـراضَ الوجهِ صِغارَ الأعيُنِ صهب مِن كُلِّ حدبٍ ينسِلونَ كأنَّ وُجوهَهم المجانُّ المطرقةُ...**»[1].

---

(١) «مسـند أحمـد» (٢٢٣٣١). المجـان: جمـع المجـن وهو التـرس، الحـدب: الغليظ من الأرض في ارتفاع، الشعاف: جمع شعفة وهي أعلى شعر الرأس، يقصد صهب الشعور، الصهب: جمع الأصهب، وهو الأشقر، أي: الذي بشعره حمرة يعلوها سواد.

دول قارة الخيل وعلاقتها بالمرحلة اليأجوجية

• إنّ مفهومَ التفسيرِ مِن قولِه : ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ يضعُ سؤالًا هامًّا عن ماهيةِ وطبيعةِ الفتحِ أو مَن هُمُ الفاتِحون ، ومتى يكونُ زمنُ الفتحِ ، وما هي علاماتُ وآثارُ ذلِكَ الفتحِ معَ أنَّ جميعَ دولِ قارةِ آسيا ودولِ قارةِ الخَيلِ دولٌ تُوصَفُ بِالعُزلةِ والانغِلاقِ عن جميعِ دولِ العالمِ لِوُقوعِها في أقصى الطرفِ الشماليِّ لِلأرضِ وبَينَها وبَينَ القاراتِ الأُخرى بِحارٌ ومِساحاتٌ واسِعةٌ يصعُبُ الوصولُ إلَيها بِوسائلِ الموصلاتِ القديمةِ ، ويأتي الفتحُ المُشارُ إليه في القُرآنِ على معانٍ ، ومِنها :

١. الفتحُ بِالإسلامِ ، ودُخولُ هذه الشُّعوبِ في دينِ الإسلامِ ، فهل يعني أنَّ هذه الدُّولِ ستدينُ مُستقبلًا بِالإسلامِ ؟!

اليأجوجية في كتبَ غَير إسلامية مرحلة عدوانية يتحكم فيها الشيطان

٢. الفتحُ الوارِدُ في الآيةِ يعني احتِلالَ هذه القارةِ مِن قِبلِ دولٍ أُخرى أجنبيةٍ بِقوةِ السلاحِ وقد تعرضَت هذه القارةُ في القرنِ التاسعَ عشرَ والقرنِ العشرين لِلحُروبِ والاحتِلالِ الأجنبيِّ[١] .

٣. الفتحُ الواردُ في هذه الآياتِ يعني انفِتاحَ دولِ قارةِ آسيا ودولِ قارةِ الخَيلِ «يأجوجُ ومأجوجُ» على العالمِ كما هو الحالُ في هذا العصرِ المعروفِ بِالعولمةِ ، والمُتتبِّعُ لِتطوُّرِ وصعودِ دولِ «يأجوجَ ومأجوجَ» يَجِدُ بروزَ بعضِها كقُوَّةٍ مُؤثِّرةٍ على المسرحِ الدوليِّ كالصينِ واليابانِ وكوريا ، وأنَّ في هذا الفتحِ إشارةً إلى تكوُّنِ قوةٍ دوليةٍ وكُتلةٍ ذاتِ قُوةٍ عسكريةٍ ضارِبةٍ في المُستقبلِ ، وقد نقلَ المُؤلِّفُ نماذجَ عديدةً عنِ المَوسوعةِ البريطانيةِ تُشيرُ بِأنَّ الخَيلَ يُعتبرُ عند «جوج» قوةً عُدوانيةً يتحكَّمُ فِيها الشَّيطانُ ، وأنَّ هذه القوةَ ستظهرُ في آخِرِ الزمانِ ، كما

(١) فهل في هذا الاحتلال والحروب معنىً آخرُ من معاني ردة الفعل ونهوض هذه الدول عالياً حتى تتقوى وتمتلك القوة الكافية للاكتساح العسكري ، فيكون ذلك في صورة المستقبل كما ذكره القرآن ؟!

جاءَ في مقاطِعَ مِنَ الإنجيلِ والأسفارِ المسيحيةِ واليهوديةِ بأن «جوج» معبـر بِقوةٍ عُدوانيةٍ أُخرى هي «ماجوجُ» ، بينما جاءَ في مواضِعَ أُخرى بِأنَّ ماجوجَ مكانٌ ، وهو منشأُ أصلِ جوجَ» واللَّهُ أعلمُ .

المرحلة اليأجوجية في الإنجيل

وإن صحَّ بِأنَّ عِبارةَ «يأجوجُ ومأجوجُ» قد جاءَت ضِمنَ الإنجيلِ ؛ فهي في منزِلةِ وحـيٍ مِن عِنـدِ اللَّهِ ، لكنَّ عدمَ إمكانيةِ الكشـفِ عن أساسِـها وأصلِها اللُّغويِّ هو سـببُ تحريفِها عن مدلولِها الأصليِّ ، وأنَّها لم تنزِلْ في الإنجيلِ ، ولكِنَّها اقتُبِسَت مِنَ القُرآنِ الكريمِ ثُمَّ صُرِفَ نُطقُها لِيتلاءَمَ معَ طبيعةِ الألسنةِ المُتنوِّعةِ .

راجِعْ في هـذا الموضوعِ لِلتَّوضيـحِ والبيـانِ والتفصيلِ كِتابَ «بيانِ أسـرارِ ذي القرنيـن ويأجـوجَ ومأجوجَ» طبعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م تأليـف الباحِثِ حمدي بن حمزة أبو زيد .

رأيٌ آخر: السّدّ موجودٌ في القوقاز (جورجيا)

وذهـبَ بعـضُ الباحثين إلـى غَيرِ هذا القَولِ عـن «موقِعِ يأجـوجَ ومأجوجَ» كما هو فيما ذكرَه المُؤرِّخُ سـامي بنُ عبدِاللَّهِ المغلوث في كِتابِه «أطلسُ تاريخِ الأنبياءِ والرُّسُـلِ» ص١٢٦ نقلًا عن كِتابِ «مفاهيمُ جُغرافيـةٌ» لِلدكتورِ عبدِالعليمِ خضر ، وفيه : إنَّ السـدَّ الذي بناه ذوالقرنين موجودٌ حتَّى الآنَ فعلًا في جُمهوريةِ جُورجيا السـوفييتيةِ فـي فتحةِ «داريـال» بِجبالِ القُوقازِ الشـاهِقةِ . وجبالُ القُوقازِ الشـاهِقةُ تمتـدُّ مِنَ البحرِ الأسـودِ شـرقًا حتَّى بحرِ قزويـنَ غربًا ، ويبلُـغُ طُولُها ١٢٠٠ كم ، وهي جِبالٌ التِوائيةٌ شـامِخةٌ مُتجانِسـةُ التَّركيبِ مِن كُتلٍ هائلـةٍ مِنَ الحديدِ الصافي المخلوطِ بِالنُّحاسِ الصافي في سدِّ «داريال» .

تِلكَ الثغرةُ المسدودةُ بِالحديدِ والنُّحاسِ بَينَ فتحتَيها ٥٦٣٠ مِترًا ـ أي : ٥ كيلو و٦٣٠ مِترًا ـ ومِن خلفِها تِلكَ القبائلُ المُتوحِّشـةُ . أمَّا المُتغيِّراتُ الطبيعيةُ فلم تنلْ مِنَ السدِّ شَيئًا غَيرَ أنَّ جِسمَ الجبالِ الصخريِّ ـ أي : جِبال القُوقازِ ـ مِن جانبَي السدِّ قد تآكلَ بِفعلِ عوامِلِ التعريةِ على مدى هذا الزمنِ الطويلِ ، وصارَ هُناكَ فراغٌ فيما بَينَ الصُّخورِ الجبليةِ وجِسمِ السدِّ الحديديِّ النُّحاسيِّ الذي ظلَ شامِخًا إلى الآنَ ، ولا يستطيعُ الإنسانُ أن ينقُبَه أو يعلُوه .

ذكرنا هنا اختلاف الباحثين لمجرد الاستئناس

ونعودُ إلى ما ذكرنا سلفًا مِن أنَّ اختِلافَ الباحثين حولَ هذا الموضوعِ لا يُغيِّرُ مِن أمرِ الحقيقةِ شَيئًا، وإنَّما ذكرنا هذه الأقوالَ لِمُجرَّدِ الاستِئناسِ والاستِفادةِ العامَّةِ، ويظلُّ الأمرُ على ما أشارَت إلَيه الآياتُ والأحاديثُ إلى أن يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا.

يأجوج ومأجوج يكتسحون العالم العربي

وفي آخِرِ المرحلةِ العيسويةِ التي أشرْنا إلَيها سلفًا تتحرَّكُ قُوى يأجوجَ ومأجوجَ لاِكتِساحِ العالمِ حتَّى تبلُغَ إلى الشامِ حيثُ عِيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَن معَه، وإلى ذلِكَ يُشيرُ الحديثُ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِـي لاَ يَـدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّـورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، فَيَمُـرُّ أَوَائِلُهُـمْ عَلَى بُحَيْـرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْـرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَـى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ**»[1].

وفي هذه المرحلةِ الحرِجةِ يرغبُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَن معه إلى اللَّهِ ويجأرون بالدُّعاءِ لِيخلِّصَهم مِن هذه المحنةِ الشديدةِ، فبَينَما هم كذلك يُرسِلُ اللَّهُ على يأجوجَ ومأجوجَ وباءً عامًّا وفيروسًا مرضيًّا مُعديًا، يُصيبُ الجيشَ كُلَّه. فيضطرِبُ الجَيشُ، وتخورُ قُواهم، ويضعُفون ضعفًا شديدًا لِما يعتريهم مِنَ الحُمى والوعكِ والألمِ، ويتساقطون في الطُّرُقاتِ والمُدُنِ والأوديةِ والمنازِلِ مِن حيثُما كانوا مِن بِلادِ اللَّهِ صرعى أمواتًا لا يملِكون قُدرةً ولا قُوَّةً ولا جبروتًا.

الطغيان اليأجوجي قبل نهايتهم الحتمية

وقد وردَ ذلِكَ في الحديثِ الشريفِ بما معناه أنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ يفرحونَ بانتِصارِهم على أهلِ الأرضِ؛ فيقولون: «**لقد قتلْنا مَن في الأرضِ، هَلُمَّ فلْنقتُلْ مَن في السماءِ فيرمون بِنُشَّابِهم إلى السماءِ، فيردُّها اللَّهُ علَيهم مخضوبةً دمًا، فيرغبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **وأصحابُه فيُرسَلُ علَيهم النَّغَفُ في رِقابِهم**»[2]، وفي رِوايةٍ: «**رودًا كالنغفِ في أعناقِهم**»[3]. **فيُصبِحون موتَى كمَوتِ نفسٍ واحدةٍ لا**

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٠٤).

يُسمَعُ لهم حِسٌّ ، فيقولُ المُسلِمون : ألا رجلٌ يشتري لنا نفسَه فينظُرَ ما فعلَ هذا العدوُّ ، فيتجرَّدُ رجُلٌ مِنهم محتسِبًا نفسَه قد وطَّنَها على أنَّه مقتولٌ ، فينزِلُ فيجِدُهم موتى بعضُهم على بعضٍ فيُنادي : يا معشرَ المُسلِمين .. ألا أبشروا .. إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد كفاكم عدوَّكم فيخرُجون مِن مدائنِهم وحُصونِهم ويُسرِّحون مواشيهم . إلى أن قالَ – ويهبِطُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ فلا يجِدون موضِعَ شبرًا إلَّا ملأه زهمُهم ـ أي : نتنُهم مِنَ الجيفِ ـ فيؤذون الناسَ بِنتنِهم أشدَّ مِن حياتِهم فيستغيثون باللَّهِ ، فيبعثُ ريحًا صمانيةً غبرًا فتصير على الناسِ غمًّا ودُخانًا ، وتقعُ علَيهِمُ الزكمةُ ، ويكشِفُ اللَّهُ ما بهم . بعدَ ثلاثٍ ، وقد قذف جِيفَهم في البحرِ»[1] .

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنون يرغبون إلى الله في إهلاك قوم يأجوج ومأجوج

وفي رِوايةٍ : «فيرغبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابُه إلى اللَّهِ فيُرسِلُ طَيرًا كأعناقِ البُختِ تحمِلُهم فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللَّهُ تعالى ، ثُمَّ يُرسِلُ اللَّهُ مطرًا لا يمكن منه بيتُ مُدرٍ ولا وبرٍ ، فتُغسلُ الأرضُ حتَّى يتركَها كالزلِقةِ ـ المرآةِ ـ ثُمَّ يُقالُ لِلأرضِ أنبتي ثمرَكِ ، ورُدِّي بركتَكِ فيومئذٍ تأكلُ العُصابةُ مِنَ الرُّمانةِ ، ويستظِلون بقحفتِها ، ويوقِدُ المُسلِمون مِن قسي يأجوجَ ومأجوجَ ونشابِهم وأتراسِهم سبعَ سُفُنٍ»[2] .

ما بَينَ هلاك يأجوج ومأجوج وموت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومِنَ المعلومِ أنَّ بَينَ هلاكِ يأجوجَ ومأجوجَ وموتِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرحلةً تنعمُ فِيها الأُمَّةُ بالخيرِ والأمنِ والطاعةِ ، فقد روى أبو سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «لَيُحجَّنَّ البيتُ وليُعتمرَنَّ بعدَ خُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ»[3]، ورواه عبدُ بنُ حُمَيدٍ بِزيادةٍ ، ولفظُه : «إنَّ الناسَ يحجُّون ويعتمِرون ويغرسون النخلَ بعدَ خُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ»[4] .

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧ : ٥٠٧) .

(٢) «الإشاعة» ص ٣٢٤ .

(٣) «صحيح البخاري» (١٥٩٣) .

(٤) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٩٤١) .

رِحلةُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الشامِ إلى المناسِكِ

بعدَ هذهِ المرحلةِ يتوجَّهُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أرضِ الحرمَين الشريفين، ويستقر ويموتُ في المدينةِ المنورةِ، وإلى ذلِكَ تُشيرُ جُملةُ الأحاديثِ، ومِنها ما أخرجَه الحاكِمُ وصحَّحَه، ورواه ابنُ عساكِرَ عنه: «**ليهبِطَنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا، ويسلُكَنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعتمِرًّا، وليأتيَنَّ قبري حتَّى يُسلِّمَ علي، ولأرُدَّنَّ عليه السلام**». يقول أبو هريرة: (أيْ بَنِي أخي، إن رأيتُموه فقولوا: أبو هريرةَ يُقرِئُكَ السَّلامَ)[1]. وأخرجَ الترمذيُّ وحسَّنه، وابنُ عساكِرَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلام قالَ: «**مكتوبٌ في التوراةِ صِفةُ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدفَنُ معه**»[2]. وأخرجَ الطبرانيُّ: «**يُدْفَنُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَيَكُونُ قَبْرُهُ لأَرْبَعٍ**»[3]. وأخرجَ الحاكِمُ ووافقه الذهبي عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لهبِطَنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا، ويسلُكَنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعتمِرًا، وليأتيَنَّ قبري حتَّى يُسلِّمَ عليَّ ولأرُدَّنَّ علَيه**»[4].

موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالمدينة المنورة ودفنه بالحجرة الشريفة

قُلتُ: وأقولُ اقتِداءً بِفِعلِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقولِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَن وقفَ على كتابي وأدركَ الإمامَ المهديَّ وأدركَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فليُقرِئهما منِّي السلامَ، وليطلُبَ الدعاءَ والاستِغفارَ).

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤١٦٢).
(٢) «سنن الترمذي» (٣٦١٧).
(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٨٤).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» مع تعليقات الذهبي (٤١٦٢).

ظواهِرُ وعلاماتٌ هامَّةٌ مِنَ العلاماتِ الصُّغرى ما بَينَ مرحلةِ الإمامِ المُنتظَرِ حتَّى نِهايةِ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

القحطاني والجَهْجاه والمُقْعَد

تُشيرُ الأحاديثَ في بابِ العلاماتِ الصُّغرى إلى رِجالٍ يبرزون بِصفاتٍ وأسماءٍ مُعينـةٍ يكونُ لهم في هـذه المرحلةِ أدوارٌ في الحُكمِ والإمارةِ ما بَينَ عادِلٍ وفاجِرٍ، ومنهم «القحطانيُّ»، فقد أخرجَ الشَّـيخان عنه: «**لاتقومُ السـاعةُ حتَّى يخرُجَ رجُلٌ مِـن قحطانَ يسـوقُ الناسَ بِعصـاه**»[1]، ويكونُ أوَّلَ ظُهورٍ لِلقحطانـيِّ معَ المهديِّ في أوَّلِ زمانِه، كما يكونُ أميرًا على السـريةِ التي يُرسِـلُها المهديُّ إلى مدينةِ الرُّوم فيفتتِحُهـا في حالِ تابعيتِـه لِلمهديِّ لا في حالِ خِلافتِه، ثُـمَّ يخلُفُ المهديَّ رجُلٌ مِن أهلِ بَيتِه يسيرُ بِسيرتِه حتَّى وفاةِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيتولَّى رجُلٌ مِن قُرَيشٍ يُسمَّى «المقعـد» فـإذا مـاتَ تولَّى رجُلٌ آخرُ مِن قُرَيشٍ لا يُحسِـنُ السـيرةَ؛ فيخـرُجَ عليهِ المخزومـيُّ ولعلَّه «الجهجاه»، ويدعو إلى الفُرقةِ؛ فيخرُجَ علَيهِ القحطانيُّ بِسـيرةِ المهديِّ، وهو المُلقَّبُ بِالمنصورِ، ويمكُثُ إحدى وعشرين سنةً ثُمَّ يملِكُ الموالي ويغلِبُ الشـرَّ مِن بعدِه. وفي الجهجاه عن أبي هُرَيرةَ مِن حديثِ مُسـلِمٍ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتَّى يملِكَ رجُلٌ يُقالُ له الجهجاه**»[2].

ونقـلَ التويجريُّ[3] جملـةً مِنَ الأحاديثِ التي جاءَت فـي القحطانيِّ والجهجاه يُمكِنُ العودُ إلَيها لِلاستِفادةِ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٧١١٧) و«صحيح مسلم» (٢٩١٠).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩١١).

(٣) «إتحاف الجماعة» (٢: ٣١٤).

مرحلةُ الانهيارِ والعودِ إلى الجاهليةِ[1]

(١) يشار إلى هذه المرحلة بصفة الانهيار والعود إلى الجاهلية لما يطرأ فيها من تحول تام وتغير كامـل عـن مراد اللـه في خلقه . ومن أعظم التحـول والتغير حلول الشـرك في الأمة ، وهو عودة الكفر وعبادة الأصنام وعبادة الأوثان كاللات والعزى وذي الخلصة وغيرها على ما كانت عليه في مرحلة الجاهلية الأولى .

أما قبلَ هذه المرحلة ما بين عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ تصاعديا إلى عهد الرسـالة فإن الشـركَ الأكبرَ الموجـب للخلـود في النار منعـدمٌ من الأمة المحمديـة خصوصا وإنما يصيبهـا داء الأمم ويصيبها الإفراط والتفريط، وداء الأمم ، وهو البغضاء والحسد، وهي ـ كما سماها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حالقة الدين ، والإفراط والتفريط هو الغلو في الاعتقاد والولاءات وعكسُه .

ويكون فيها المسـخ والقـذف لاتخاذهم المعازف والقينات والدفوف وشـرب الخمر ، وهذه ظواهر منتشرة في الأمة والعياذ بالله ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة وخنازير**» . قالوا : يا رسول الله ، مسلمون هم؟ قال : «**نعم ، يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويصومون ويصلون**» . قالوا : فما بالهم يا رسـول الله ؟ قال : «**اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ، وشـربوا هذه الأشربة ، فباتوا على شـرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسـخوا** » كما ورد في «كنز العمال» (٣٨٧٣٥) و«الدر المنثور» للسيوطي (٢ : ٣٢٤) و«حلية الأولياء» (٣ : ١١٩) .

ولا يجوز أن تُنَزَّلَ أحاديثُ ظهور الشـرك في المسـلمين على هـذهِ المرحلةِ المذكورةِ، وإنمـا يكـون الشـرك الأكبـر محصـورا فيما بعد عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وفيهـا حديـث : «**لا تقوم السـاعة حتـى يرجع نـاس من أمتـي إلى عبـادة الأوثـان يعبدونهـا**» أخرجه الطيالسـي عن أبـي هريـرة «مسـند أبـي داود الطيالسـي» (٢٦٢٣) . وحديـث ثوبـان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «**ولا تقـوم السـاعة حتـى تلحـق قبائـل من أمتي بالمشـركين ، وحتـى تعبد قبائـل من أمتـي الأوثان**» «سـنن أبـي داود» (٤٢٥٢) و«مسـند أحمـد» (٢٢٣٩٥) . وحديـث : «**لا يذهـب الليـل والنهـار حتـى تعبـد الـلات والعزى**» . فقلت : يا رسـول اللـه ، إن كنت لا أظـن حين أنزل اللـه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة:٣٣] أن ذلـك تـام قـال : «**إنـه سـيكون مـن ذلك ما شـاء الله ، ثـم يبعـث الله ريحـا طيبة تتوفـى كل من في قلبـه مثقال حبة خـردل من إيمـان ، فيبقى من لا خيـر فيـه فيرجعـون إلـى ديـن آبائهـم**» . أخرجه مسـلم فـي «صحيحه» برقـم (٢٩٠٧)

و تبـدأُ مرحلةَ الانهيارِ بُعَيدَ مَوتِ عيسـى ﷺ بِسـنواتٍ ، وهـي مرحلةٌ طويلةٌ نِسبيًا ، تبدأُ بِمَوتِ عيسى ﷺ ، وبَينَ موتِه وطُلوعِ الشمسِ تأتي جُملةٌ مِنَ الآياتِ الكُبرى والوُسطى والصُّغرى وقد وصفَها كاتِبُ «الإشاعةِ» بِقَولِه : ثُمَّ يموتُ عيسى ﷺ ، ويتولَّى بعدَ عيسى ﷺ رجُلٌ مِن قُرَيشٍ يُسمَّى المقعدَ فإذا ماتَ تولَّى مِن قُرَيشٍ مِن لا يُحسِـنُ سـيرتَه ؛ فيخرُجَ علَيهِ المخزوميُّ ـ ولعلَّه «الجهجاه» ـ ويدعو إلـى الفُرقةِ ؛ فيخـرُجُ علَيهِ القحطانيُّ بِسـيرةِ المهـديِّ ، وهو المُلقَّـبُ بِالمنصورِ ، ويمكُثُ إحدى وعِشـرين سـنةً ، ثُمَّ تنتقصُ الدُّنيا ، ويملكُ الموالي ، ويغلِبُ الشرُّ إلى أن تطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبِها . اهـ . راجِع «التليدَ والطارفَ» ص ٤٥٠ – ٤٥١ .

القحطاني

وأخرجَ أحمدُ ومُسلِمٌ عن عُمرَ أبي عمرٍو رضي الله عنهما قالَ : «**ثُمَّ يُرسِلُ اللَّهُ** ـ يعني بعدَ مَوتِ عيسى ﷺ ـ **رِيحًا بارِدةً مِن قبلِ الشامِ فلا يبقى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبِه مِثقالُ ذرَّةٍ مِن إيمانٍ إلَّا قبضَه** – إلى أن قالَ – : **فيبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّةِ**

ظهور إبليس في جيل الانهيار والدعوة إلى عبادة الأصنام كما كانَت في الجاهلية

(٤/ ٢٢٣٠-٢٢٣١) .

وهذا الشرك الجماعي لا يكون بعد موت عيسى ﷺ ، ويؤيد انصراف معنى «الشرك» من أمة محمد ما بين الرسـالة ونزول عيسـى ﷺ حديث : «**لسـت أخشـى عليكم الشرك من بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم**» .

وعلى هذا الأساس يفسر علم فقه التحولات ظاهرة التشريك التي تبنتها مدارس القبض والنقـض في مرحلة الغثاء بأنها تهمـة لا دليل لها ، بل هي تهمة بدعية بحتة تبنت التحريف للنصوص القرآنية والحديثية .

وغايـة مـا يمكن قبوله فـي تصحيح الانحراف السـائد بين المسـلمين فـي الاعتقادات والعـادات والعبـادات ، يقـال في المسـلمين بعمومهم أنهـم وقعوا في الغلـو والإفراط أو الجفـاء والتفريـط ، وعلـى هذيـن الطرفيـن المتضاديـن تبنت أحكام التشـريك والتكفير الجائـرة مدارس القبـض والنقض من جهة ، وتبنت التفريط وثقافة الكفر مدارس العلمانية والتوليفية المعاصرة من جهة أخرى .

وكلا المدرسـتين خدمتـا «المنهـج المسـيس» بعلـم أو بغير علـم وشـددتا النكير على مدارس الإسـلام الأبوية المسندة مع أنهما في الجانب المقابل فتحتا الباب على مصراعيه لمدارس العلمانية والعلمنة والعولمة كي «تعيد هندسة الحياة المعاصرة بكل أنماطها» .

الطَيرِ وأحلامِ السِّـباعِ لا يعرِفون معروفًا ، ولا يُنكِرونَ مُنكرًا فيتمثَّلُ لهمُ الشيطانُ ، فيقولُ ألا تسـتحيونَ ؟ فيقولون ما تأمُرُنا ؟ فيأمُرُهم بِعِبادةِ الأوثانِ فيعبُدونها ، وهم في ذلِكَ دَارٌّ رِزقُهم حَسَـنٌ عَيشُـهم حتَّى يُنفَخَ في الصورِ [1]. وتمتازُ هذه المرحلةِ الأخيرةِ بما يلي مِنَ العلاماتِ الكُبرى والوُسطى والصُّغرى .

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) ، وراجع «التليد والطارف» ٤٥٧ .

الدابَّةُ

خُروج الدابة من مكَّة

ومِن علاماتِ الساعةِ الكُبرى ظُهورُ الدابَّةِ، واختُلفَ في ترتيبِ وقتِها بالنسبةِ لِلعلاماتِ الكُبرى الأخيرةِ، ويُشيرُ إلى هذا المعنى حديثُ عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: حفِظْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا لم أنسَه بعدُ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها، وخُروجُ الدابَّةِ على الناسِ ضُحًى، وأيهما كانَت قبلَ صاحِبتِها، فالأُخرى على إثرِها قريبًا**»[1]. رواه مُسلِمٌ.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ هو موت العلماء ورفع القرآن

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل:٨٢]. قالَ المُفسِّرون: هذه الآيَةَ الكريمةَ جاءَ فِيها ذِكرُ خُروجِ الدابةِ، وإنَّ ذلِكَ يكونُ عِندَ فسادِ الناسِ وتركِهم أوامرَ اللَّهِ وتبرِّيهم مِنَ الحقِّ، قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَقْعُ القولِ يكونُ بِموتِ العُلماءِ وذَهابِ العِلمِ ورفعِ القُرآنِ، ثُمَّ قالَ: أكثِروا تِلاوةَ القُرآنِ قبلَ أن يُرفَعَ، قالوا: هذه المصاحفُ تُرفَعُ، فكيفَ بما في صُدورِ الرجالِ! قالَ: يُسرى عليهِ ليلًا فيُصبِحون منه قفرًا، وينسون لا إله إلَّا اللَّهُ، ويقعون في قولِ الجاهِليةِ وأشعارِهم، وذلِكَ حينَ يقعُ القولُ عليهم**»[2]، وراجِعْ «أشراطَ الساعةِ» للوابِلِ[3].

بقاء الناس بعد الدابة مددا طويلة

وكما هو الحالُ في أخبارِ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها ص ٤٠٤. وطولِ زمانِها وكذلِكَ الحالُ في خُروجِ الدابةِ وآثارِ خُروجِها على الناسِ فيطولُ الزمنُ بعدَها.. كما روى الإمامُ أحمدُ عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعُه إلى النبيِّ ﷺ قالَ: «**تخرُجُ الدابَّةُ فتَسِمُ الناسَ على خراطيمِهم** - أي: أنوفِهم - **ثُمَّ يُغمرون** - أي: يكثُرون - **فيكم**

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٤١).

(٢) «تفسيرُ القُرطُبيِّ» (١٣/ ٢٣٤).

(٣) وجاء في «سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ٦٥٦) في الباب السابع « سبب خروجها » قال: «**ذلك حين لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر**».

حتَّى يشتري الرجُلُ البعيرَ ، فيُقالُ : ممن اشترَيتَه ؟ فيقولُ : مِن أحدِ المُخطَّمين»[1] .

ما بعد مرحلة خُروج الدابة

وروى الإمامُ أحمدُ والترمِذيُّ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «**تخرُجُ الدابةُ ومعَها عصا مُوسى وخاتمُ سُلَيمانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فتختِمُ الكافِرَ ـ أنفَ الكافِرِ ـ بالخاتمِ ، وتجلو وجهَ المؤمنِ بالعصاءِ حتَّى إنَّ أهلَ الخوانِ**[2] – أي : المُجتمِعون على الطعامِ فوقَ الخوانِ ـ والخوانُ : ما يوضعُ علَيهِ الطعامُ عِندَ الأكلِ ـ **يجتمِعونَ على خوانِهم ، فيقولُ هذا : يا مؤمِنُ . ويقول هذا : يا كافِرُ**» [3] .

وقد ذكروا أنها تخرُجُ مِن مكَّةَ المكرَّمةِ مِن أعظمِ المساجِدِ ، ورُويَ في ذلِكَ أحاديثُ مِنها :

ما رواه الطبرانيُّ في الأوسطِ عن حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ قالَ : «**تخرُجُ الدابةُ مِن أعظمِ المساجِدِ : فبَينَما هم إذ دبَّتِ الأرضُ ، فبينما هم كذلِكَ تصدَّعَت**» [4] .

وقيلَ : إنَّ لها ثلاثةَ خُروجاتٍ . كما جاءَ في حديثِ حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ عِند الحاكِمِ ، وقالَ : «**لها ثلاثُ خرجاتٍ**» [5] . وذكرَ الحديثَ بِطولِه ، ثُمَّ قالَ هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشَّيخين ولم يُخرجاه .

قالَ ﷺ : «**ثُمَّ بينَما الناسُ في أعظمِ المساجِدِ ـ على اللَّهِ ـ حُرمةً وأكرمِها المسجِدِ الحرامِ ، لم ترعْهم إلَّا وهي ترغو بَينَ الرُّكنِ والمقامِ تنفُضُ عن رأسِها التُّرابَ فَارْفَضَّ الناسُ عنها شتَّى**» [6] .

وعن أبي هُرَيرةَ وابنِ عُمرَ وعائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم : «**تخرجُ الدّابَّةُ بِأجيادٍ**» [7] .

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٠٩) .
(٢) وفي رِوايةٍ (الحواء) ، وهي بُيوتٌ مُجتمِعةٌ مِنَ الناسِ على ماءٍ .
(٣) «سنن الترمذي» (٣١٨٧) .
(٤) «المعجم الأوسط» للطبراني (١٦٣٥) .
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٩٠) .
(٦) «مسند الطيالسي» (١١٦٥) .
(٧) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٨٦٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٨٦) .

وجزمَ البيضاويُّ في تفسيره بأنها «الجساسةُ صاحبة الدجال»[1]. كما ورد في رواية ابن حماد والحاكم أنها تقتل إبليسَ بعد انقطاعِ دَوْرِهِ في الحياةِ، وقد فَرَغَ من العمل، ونَصُّ الحديثُ: «**خروج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها فإذا خرجت لطمت إبليس وهو ساجد**»[2].

وأخرجَ الطبرانيُّ وابْنُ مَرْدَوِيهِ عن عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «**إذا طَلَعَتِ الشمسُ مِن مغربِها خَرَّ إبليسُ ساجداً يُنادي ويَجْهَرُ: إلهي مُرْنِي أَسْجُدُ لِمَنْ شِئْتَ، فتجتمعُ إليهِ زَبانيةٌ فيقولونَ: يا سَيِّدَنا ما هذا التَّضَرُّعُ؟ فيقول: إنّما سألتُ رَبي أَنْ يُنْظِرَنِي إلى الوقتِ المعلومِ، وهَذَا الوقتُ المعلومُ**»[3].

(١) «تفسير البيضاوي» (١: ٢٧٨)، وانظر «الإشاعة» ص٣٦٠.

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٩٠).

(٣) المعجم الأوسط» للطبراني (٩٤).

الريحُ القابِضةُ لِلمؤمنين

الريح القابضة لمن بقي من المؤمنين

وهـي مِـنَ العلاماتِ الصُّغرى في هـذه المرحلةِ، وتظهرُ معَ هـذا الانهيارِ الذي يُصيبُ البشـريةَ مِن أمـرِ دينِهـا وعقيدتِها يبعثُ اللَّـهُ لِمَن بقيَ مِـنَ المؤمنين ريحًا تقبِـضُ أرواحَهـم، كما وردَ في أحاديثِ مَن لا ينطـقُ عنِ الهوى مِن مِثلِ قَولِه ﷺ فيما رواه عبدُاللَّهِ بنُ مسـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**يبعثُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ رِيحًا فِيها زمهريرٌ بارِدٌ لا تدعُ على وجهِ الأرضِ مُؤمِنًا إلَّا ماتَ بِتِلكَ الريحِ ثُمَّ تقومُ الساعةُ على شِرارِ الناسِ**»[1].

ارتباط هدم الكعبة بموت المؤمنين وبقاء عجاج من الناس

وعـن عبدِاللَّهِ بـنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**إنَّ مِـن آخِرِ أمرِ الكعبةِ أنَّ الحبشـةَ يغزون البَيتَ، فيتوجَّه المُسـلِمون نحوَهم فيبعثُ اللَّهُ علَيهم ريحًا أثرُها شـرقيةٌ؛ فلا يدعُ اللَّـهُ عبـدًا في قلبِه مِثقالَ ذرَّةٍ مِن تُقى إلَّا قبضَتـه، حتَّى إذا فرغوا مِن خيارِهم، بقيَ عَجـاجٌ مِنَ الناسِ لا يأمرون بِمعـروفٍ ولا ينهون عن مُنكر، وعمدَ كُلَّ حيٍّ إلى ما كانَ يعبُدُ آباؤهم مِنَ الأوثانِ، فيعبُدُه حتَّى يتسافدوا في الطُّرُقِ كما تتسافدُ البهائمُ، فتقومُ علَيهمُ الساعةُ، فمن أنبأكَ عن شيءٍ بعدَ هذا فلا عِلمَ له**»[2].

وما رواه مُسلِمٌ عنِ النواسِ بنِ سمعانَ: «**فبينما هم كذلِكَ إذ بعثَ اللَّهُ ريحًا طيِّبةً فتأخُذُهـم تحتَ آباطِهم فتقبِضُ رُوحَ كُلِّ مؤمنٍ وكُلِّ مُسـلِمٍ، ويبقى شِـرارُ الناسِ يتهارجون فِيها ـ أي: يتسافدون ـ كما تهارجُ الحمرُ فعلَيهم تقومُ الساعةُ**»[3].

قـالَ فـي «الإشـاعةِ»: (فيكـونُ على مِثلِ ذلِـكَ حتَّى لا يُولَـدُ أحدٌ مِن نـكاحٍ ثُمَّ يُعقِّمُ اللَّهُ النِّسـاءَ ثلاثين سـنةً، ويكونون كلُّهم أولادَ زِنا شِـرارَ الناسِ علَيهم تقومُ الساعةُ)[4].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦٦٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤١٠)، وانظر «إتحاف الجماعة» (٣: ٣٤).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٣٦).

(٤) ص٣٢٦.

هدمُ الكعبةِ

انهيار أهل مكَّة في مرحلة الخراب الأخير وانفتاح أبواب الشر والدمار

ومِن علاماتِ الساعةِ الصُّغرى قربَ نِهايةِ أمرِ الكَونِ والحياةِ هدمُ الكعبةِ المُشرفةِ وزوالُ بُنيانِها حجرًا حجرًا، فتخرُبُ خرابًا لا تعمُرُ بعدَه، وقد وردَ ذلِكَ في جُملةٍ مِن أحاديثِ الرسولِ ﷺ ومِنها: حديثُ أبي هُريرةَ وهو يحدِّثُ أبا قَتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُو يطوفُ بالبيتِ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يبايعُ لِرَجُلٍ بَينَ الرُّكنِ والمقامِ، وأوَّلُ مَن يستحِلُّ هذا البيَتِ أهلُه، فإذا استحلُّوه فلا تسألُ عن هلكةِ العربِ، ثُمَّ تجيءُ الحبشةُ فيُخرِّبونه خرابًا لا يعمُرُ بعدَه أبدًا، وهمُ الذينَ يستخرجونَ كنزَه**»[1].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**يُخرِّبُ الكعبةَ ذو السوَيقتَين مِنَ الحبشةِ**»[2].

وفي رِوايةِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كأني به أسودُ أفحجُ يقلعُها حجرًا حجرًا**» يعني: الكعبةَ[3].

ووردَ في رفعِ الرُّكنِ مِنَ البيتِ الحرامِ والقُرآنِ مِنَ الأرضِ حديثُ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**استمتِعوا مِن هذا البيتِ؛ فإنَّه قد هُدِمَ مرتَين، ويُرفَعُ في الثالثةِ**»[4].

أهم ظواهر هذه المرحلة

وذكرَ الفاكهي في «أخبار مكَّةَ» عن عُثمانَ بنِ ساجٍ قالَ: بلغني عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**أكثروا زِيارةَ هذا البيتِ قبلَ أنْ يُرْفَعَ، ويَنْسَى النَّاسُ مَكَانَهُ، وَأَكْثِرُوا تلاوةَ**

---

(١) «مسند أحمد» (٨١٢٩) «مسند أبي داود الطيالسي» (٢٤٩٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٤٤).

(٢) متفق عليه، «صحيح البخاري» (١٥٩١) (١٥٩٦) و«صحيح مسلم» (٢٩٠٩).

(٣) «صحيح البخاري» (١٥٩٥).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٦٧٥٣) و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٠٦).

القرآنِ قبلَ أَنْ يُرْفَعَ»[1] ، وعن حُذَيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قالَ : «**يُسرَى على كِتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في لَيلةٍ فلا يبقى في الأرضِ منه آيةٌ»**[2] .

ومن ظواهِر هذه المرحلةِ الخطيرةِ ما يلي :

- هدمُ الكعبةِ على يدِ ذي السويقتَين مِنَ الحبشةِ وسلبُ حليتِها .
- يُرفَعُ القرآنُ مِنَ المصاحِفِ والصُّدورِ .
- يُرفَعُ الرُّكنُ والقُرآنُ ورؤيا النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ .

(١) «أخبار مكة» للفاكهي (٣٠٦) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٦٠) .

ظهور الدخان كعلامة

الدخانُ

مِـنَ العلاماتِ الكُبـرى «الدخانُ» وفيه يقـولُ تعالى : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾[الدخان:١٠١١] .

واختلفَ المُفسِّرونَ في الدُّخانِ فذهبَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيرُه بِأنَّ «الدَّخانَ» هو ما أصابَ قُرَيشًـا في شِـدَّةِ الجُوعِ عِندَما دعا علَيهِمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينَ لم يستجِيبوا له فأصبحوا يَرَون في السماءِ كهيئةٍ «الدُخانِ» وفي هذا يقولُ : «**خمسٌ قد مضَينَ : اللِّزامُ، والرُّومُ ، والبطشةُ ، والقمرُ ، والدُخانُ**»[1] .

وفي قَولٍ آخرَ : هذا الدُّخانُ مِنَ الآياتِ المُنتظرةِ التي لم تأتِ بعدُ ، وهو قولُ ابنِ عبَّـاسٍ وبعـضِ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وذكرَ القُرطُبيُّ أن ابنَ مسـعودٍ كان يقولُ : هُما دُخانـانِ ، قـد مضى أحدُهما ، والذي بقيَ يملأُ ما بَينَ السـماءِ والأرضِ ، ولا يجِدُ المؤمِنُ منه إلَّا الزكمةَ ، وأما الكافِرُ فتُثقبُ مسامِعُه[2] .

وكلا الخبرين عنِ ابنِ مسـعودٍ صحيحان رُويا عن رسـولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وعلى هذا فالدُّخـانُ المشـارُ إلَيه في الأحاديثِ يدُلُّ على أنَّه سـيأتي في آخِـرِ الزمانِ . ولعلَّها قريـبٌ مِـنَ الدَّجَّـالِ ، أي : فـي المراحِلِ التي بعدَه ، وروى مُسـلِمٌ عـن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «**بادِروا بِالأعمالِ سِتًّا ... والدَّجَّالَ والدُّخانَ**»[3] .

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٨٢٥) و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨) .

(٢) «التذكرة» للقرطبي (١: ١٢٦٧) .

(٣) تقدم .

الخُسوفاتُ الثلاثةُ

الخسوفات الثلاثة ظواهر كونية كبرى وفيها تهيئة لظهور الشمس من مغربها

ومِن أشراطِ الساعةِ الكُبرى الخُسوفاتُ الثلاثةُ ، وإلَيها يُشيرُ الحديثُ الشريفُ عن حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**إنَّ الساعةَ لن تقومَ حتَّى ترَونَ عشرَ آياتٍ** ... » . وذكرَ مِنها ثلاثةَ خُسوفاتٍ : «**خسفاً بِالمشرِقِ ، وخسفاً بِالمغربِ ، وخسفاً بِجزيرةِ العربِ**»[1] .

وعن أُمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ : سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**سيكونُ بعدي خسفٌ بِالمشرِقِ وخسفٌ بِالمغربِ وخسفٌ في جزيرةِ العربِ**» . قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ أيُخسفُ بِالأرضِ وفِيها الصالِحون ؟ قالَ لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**إذا أكثرَ أهلُها الخبثَ**»[2] .

وقد أشارَ العديدُ مِنَ العُلماءِ إلى أنَّ هذه الخُسوفاتِ لم تحدُثْ إلى الآنِ ، وخاصَّةً أنها ظواهِرُ كَونيةٌ عظيمةٌ ، تختلِفُ عمَّا قد جرى مِنَ الخسفِ في بعضِ البِلادِ . وخاصَّةً أن حديثَ أُمِّ سلمةَ رَبَطَ هذه الخُسوفاتِ بِكثرةِ الخبثِ في الناسِ ؛ ولهذا رُبَّما صحَّ أنَّها فيما بَينَ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومرحلةِ الانهيارِ والعودِ إلى الجاهِليةِ الأخيرةِ ، شأنُها شأنُ الدُّخانُ ، واللَّهُ أعلمُ .

وفي بعضِ الرِّواياتِ أُدخِلَتِ الخُسوفاتُ الثلاثةُ في الآياتِ العشرِ الواجِبِ العِلمُ بها مِنَ العلاماتِ الكُبرى ، كما هو في حديثِ واثلةِ بنِ الأسقعِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكونَ عشرُ آياتٍ** :

(١) **خسفٌ بِالمشرِقِ**

(٢) **وخسفٌ بالمغربِ**

(٣) **وخسفٌ في جزيرةِ العربِ**

(٤) **والدَّجَّالُ**

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٥٨٠) (٢٣ : ٢٧١) و«المعجم الأوسط» (٣٦٤٧) .

(٥) والدُّخانُ

(٦) ونُزولُ عيسى

(٧) ويأجوجُ ومأجوجُ

(٨) والدابةُ

(٩) وطُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها

(١٠) ونارٌ تخرُجُ مِن قعرِ عدنٍ تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ ، تحشُرُ الذَّرَّ والنملَ» [١] .

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٣١٧) قال أبو عبد الله : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

النارُ الحاشرةُ

النار الحاشرة إحدى الظواهر الكونية الأخيرة

ومِن علاماتِ السـاعةِ الكُبرى النارُ التي تحشُـرُ الناسَ ، بل هي أوَّلُ الآياتِ بعدَ ما سبقَها مؤذنةً بِقيامِ الساعةِ فيكونُ مبعثُها مِنَ «اليمنِ»[1] . وبعضُها : «وتخرُجُ مِن بحرِ حضرَموتٍ»[2] . وبعضُها : «مِن قَعْرِ عَدَنٍ»[3] . واللَّهُ أعلمُ .

وجـاءَ فـي حديثِ حُذَيفةَ بنِ أَسـيدٍ في ذكرِ أشـراطِ السـاعةِ الكُبـرى قالَ ﷺ : **«وآخِرُ ذلِكَ نارٌ تخرُجُ مِن فِيْ اليمنِ تطرُدُ الناسَ إلى محشرِهم»**[4] .

وفي روايةٍ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا : **«ونارٌ تُخرُجُ مِن قعرةِ عدنٍ تُرحِّلُ الناسَ»**[5].

اليمن وعدن وحضرموت مواقع خُروج النار

وروى أحمـدُ والترمِـذيُّ عـن ابـنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـالَ : قـالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : **«سـتخرُجُ نـارٌ مِـن حضرمـوتَ أو مِـن بحـرِ حضرموتَ قبـلَ يَـومِ القيامةِ تحشُـرُ الناسَ»**[6].

وروى الإمـامُ البُّخاريُّ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عبدَاللَّهِ بنَ سـلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا أسـلمَ سـألَ النبيَّ ﷺ عن مسـائلَ ، وفيها : ما أوَّلُ أشـراطِ الساعةِ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ : **«أمَّا أوَّلُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرُ الناسَ مِنَ المشرِقِ إلى المغرِبِ»**[7] .

وقولُـه : **«أوَّلُ أشـراطِ السـاعةِ»** أي : قُربًـا مِن نِهايةِ النهايةِ ، فلا شـيءَ بعدَها مِن أُمورِ الدُّنيا أصلًا إلَّا ما يشغلُ الناسَ مِن مُجرياتِ التحوُّلِ مِن آيةٍ إلى آيةٍ .

ماهي النار الحاشرة؟

ولا شـكَّ أنَّ النارَ الحاشِرةَ مِنَ المشرِقِ إلى المغرِبِ ستستغرِقُ وقتًا زمنيًّا مسافةً وزمنًـا ورِحلـةً ... سـواءٌ كانَت نـارًا مُلتهِبةً كما فسَّـرَ بعضُهـم ، أو براكين وحُممًا

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٣٠) .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٢١٧) و«مسند أبي يعلى» (٥٥٥١) و«مسند أحمد» (٥١٤٦) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٣١١) و«سنن الترمذي» (٢١٨٣) و«مسند أحمد» (١٦١٤٣) .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .

(٥) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .

(٦) «سنن الترمذي» (٢٢١٧) و«مسند أحمد» (٥١٤٦) .

(٧) «صحيح البخاري» (٣٣٢٩) .

ناريةً، أو موادَّ سائلةٍ، أو معادِنَ مصهورةً، أو غَير ذلِكَ.

وقد وردَ في هذا الأمرِ ما يُوسِّعُ مشهدَ المعرفةِ لِمفهومِ النارِ الحاشِرةِ فقد وردَ في حديثِ البُخاريِّ ومُسلِمٍ عن أبي هُرَيرةَ أنَّهم على ثلاثةِ أفواجٍ: الأوَّلُ فَوجٌ راغِبون، وفَوجٌ طاعِمون كاسون راكِبون، والثاني فَوجٌ يمشون تارةً ويركبون أُخرى، يتعاقبون على البعيرِ الواحِدِ، والفوجُ الثالِثُ تحشرُهم النارُ فتُحيطُ بِهم مِن ورائهم وتسوقُهم مِن كُلِّ جانبٍ إلى أرضِ المحشرِ، ومَنْ تَخلَّفَ أَكَلَتْهُ النارُ، وأرضُ المحشرِ على ما وردَ أنها الشامُ، فقد روى الإمامُ أحمدُ عن حكيمِ بنِ مُعاويةَ المُزنيِّ عن أبيه فذكرَ الحديثَ وفيه قولُه: «**هاهُنا تُحشرون هاهُنا تُحشرون هاهُنا تُحشرون رُكبانًا ومُشاةً وعلى وُجوهِكم**»... قالَ ابنُ أبي بكرةَ: فأشارَ بيدِه إلى الشامِ فقالَ: «**إلى هاهُنا تُحشرون**»[1].

الأفواج المتعاقبة بالخروج خوفا من النار

وروى الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ عن عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**ستكونُ هِجرةٌ بعدَ هِجرةٍ تُجازُ إلى مهجرِ إبراهيمَ، ولا يبقى في الأرضِ إلَّا شِرارُ أهلِها تلفظُهم أرضُهم تُنذِرُهم نفس الله، تحشُرُهمُ النارُ معَ القِردةِ والخنازيرِ تبيتُ معَهم إذا باتُوا، وتَمِيلُ معَهم إذا مالوا، وتأكلُ مَن تخلَّفَ**»[2].

الهجرة الأخيرة إلى الشام

وأنكرَ بعضُهم أن تكونَ الشامُ أرضَ المحشرِ بدليلِ قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فأين الشامُ إذن؟ والإجابةُ أن الآيةَ لا تعني علاماتِ الساعةِ، وإنَّما تعني ما بعدَها مِن أرضِ المحشرِ الأخيرِ عِندَ النفخِ في الصُّورِ ثانيةً حيثُ تُشيرُ الآيةُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فالمحشرُ المُشارُ إلَيه اجتِماعُ الناسِ في ظاهِرِ الأرضِ، وأمَّا المحشرُ في الآياتِ فما بعدَ حياةِ البرزخِ، واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٠٠١١).

(٢) «مسند أحمد» (٦٨٧١).

اندراسُ الإسلامِ ثُمَّ اندراسُ كلمةِ التوحيدِ

اندراس الإسلام هو اندراس العمل بأوامره واجتناب نواهيه

مِنَ العلاماتِ الصُّغرى في هذه المرحلةِ كما أخرجَ ابنُ ماجه عن حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**يدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وشيُ الثوبِ – أي: يخلقُ ويبلى – حتَّى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صدقةٌ، وتبقى طوائفُ مِنَ الناسِ: الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ الكبيرةُ يقولون: أدركْنا آباءَنا على هذه الكلِمةِ (لا إلهَ إلَّا اللَّهُ) فنحن نقولُها**». **فقالَ رجُلٌ لِحُذَيفةَ: فما تُغني عنهمُ الكلِمةُ؟ فأعرضَ حُذَيفةُ؛ فأعادَ علَيهِ السؤالَ ثانيًا وثالثًا؛ فقالَ في الثالثةِ**: «**تُنجيهم مِنَ النارِ**»[1].

والاندراسُ هُنا يُشيرُ إلى إهمالِ كُلِّ شيءٍ يتعلَّقُ بالإسلامِ مِن عِباداتٍ ومِن عاداتٍ بدءًا بالتعليمِ والإعلامِ، ونهايةً بالقوانين والأحكامِ، وتتناسلُ الأجيالُ جيلًا بعدَ آخرَ على جهلٍ وجاهِليةٍ حتَّى يتحقَّقَ ما أشارَ إليه الحديثُ: «**ويبقى طوائفُ مِنَ الناسِ، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ الكبيرةُ يقولون: أدركْنا آباءَنا على هذه الكلِمةِ « لا إلهَ إلَّا اللَّهُ » فنحنُ نقولُها** ».

وتمرُّ على هذه الحالةِ مُدةٌ زمنيةٌ حتَّى تندرِسَ أيضًا كلِمةُ التوحيدِ ذاتُها، وينساها الناسُ، فقد أخرجَ أحمدُ بِسندٍ قويٍّ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ: لا إله إلَّا اللَّهُ**»[2]. وهو عِند مُسلِمٍ بلفظِ: «اللَّهُ الله»[3] فدلَّتِ الأحاديثُ على أنَّ المُرادَ بِالشرارِ في قَولِه: «**ويبقى فيها شرارها تلفظهم الأرض**

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٤٩) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٦٠).

(٢) «مسند أحمد» (١٣٨٣٣).

(٣) «صحيح مسلم» (١٤٨).

وتقذرهم »[1] **وفي رِوايةٍ : « ويبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطَّيرِ وأحلامِ السِّباعِ»**[2].

وأنَّه ما دامَ في النوعِ الإنسانيِّ مَن يقولُ هذه الكلِمةَ فلن تقومَ الساعةُ ، وإنَّما تقومُ علـى الكُفَّارِ الخُلَّصِ الذين لا يعرِفونَ نِكاحًا شـرعيًّا ، ولا يُولَدون مِن نكاحٍ ، ولا يعرِفون في الحياةِ دِينًا ولا ربًّا ، ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ**﴾[الأعراف : ١٧٩] .

(١) «مسـند أبـي داود الطيالسـي» (٢٤٠٧) و«مسـند أحمـد» (٦٩٥٢) و«المسـتدرك علـى الصحيحين» (٨٤٩٧) و«مسند الشاميين» للطبراني (٢٧٦١) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) .

طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها وانقِطاعُ التوبةِ

وهـي مِنَ العلاماتِ الكُبرى التي أخبرَ عن وُقوعِها نبيُّنا ﷺ فيما رواه الشـيخان عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تطلُعَ الشمسُ مِن مغربِها ، فإذا طلعَت فرآها الناسُ آمنوا أجمعون ، فذاك حينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾**[الأنعام:١٥٨] »[1]. ومِنَ المُقرَّرِ كما ثبت في معنى الآيةِ السـابقةِ أنَّ الشـمسَ إذا طلعَت مِن مغربِها لا يُقبَلُ الإيمانُ ممَّن لم يؤمِـنْ قبلَهـا كمـا لا تُقبلُ توبـةُ العاصي ؛ ذلِكَ لأنَّ طُلوعَ الشـمسِ مِـن مغرِبِها آيةٌ عظيمةٌ يراها كُلُّ مَن كانَ في ذلِكَ الزمانِ ، فتنكشِـفُ لهمُ الحقائقُ ويُشـاهِدونَ مِنَ الأهوالِ ما يلوي أعناقَهم إلى الإقرارِ والتصديقِ باللَّهِ وآياتِه .

انقطاع التوبة واستمرار ظاهرة طلوع الشمس من المغرب

ورُوِيَ عـن عِمـرانَ بنِ حُصيـنٍ أنَّه قالَ : «**إنَّما لم تُقبَلُ وقـتَ الطُّلوعِ حتَّى تكونَ صَيحـةٌ فيهلكُ فِيها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فمن أسـلمَ وتابَ في ذلِكَ الوقتِ ثُمَّ هلَكَ لم تُقبَلْ توبتُه ومن تابَ بعدَ ذلِكَ قُبِلَت توبتُه**»[2] .

والذي يُؤيِّدُ هذا ما رواه ابن أبي شيبة عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت : (إِذَا خَرَجَتْ أَوَّلُ الآيَاتِ حُبِسَتِ الْحَفَظَةُ وَطُرِحَت الأَقْلامُ وَشَهِدَتِ الأَجْسَادُ عَلَى الأَعْمَالِ)[3] .

والمُرادُ بأوَّلِ الآياتِ هُنا هو طُلوعُ الشـمسِ مِن مغرِبِها ، أمَّا ما كانَ قبلَ طُلوعِها مِنَ الآيات فإنَّ الأحاديث تدُلُّ على قبولِ التوبةِ وبقاءِ الإيمانِ .

وروى جريرٌ الطبريُّ عن عبدِاللَّهِ بنِ مسـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «**التوبةُ مبسوطةٌ ما لم تطلعِ الشمسُ مِن مغرِبِها**»[4] .

والـذي يظهـرُ مِـن بعـضِ النُّصـوصِ أنَّ مرحلـةَ التحـوُّلِ الكَونـيِّ فـي طُلـوعِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٣٥) .

(٢) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١ : ١٣٤٧) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٩٩) .

(٤) «تفسيرُ الطبريِّ» (١٤٢٣٩) .

انقطاع الهجرة والطبع على القلوب ونهاية العمل الصالح في الأمم

الشمسِ مِن مغرِبِها يستغرِقُ مُدةً زمنيةً طويلةً ، وردَتِ الإشارةُ إلَيها فيما رواه عبدُ اللَّهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يبقى الناسُ بعدَ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها عشرين ومائةَ سنةٍ**» اهـ[1] .

ويؤيِّدُ ذلِكَ أيضًا ما رواه ابن أبي شيبة عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت : «**إذا خرجَ أوَّلُ الآياتِ ، طُرِحَتِ الأقلامُ ، وحُبِسَتِ الحفظةُ ، وشَهِدَتِ الأجسامُ على الأعمالِ**»[2] .

وإنَّما قولُه : حديثُ عائشةَ : «إذا خرجَ أوَّلُ الآياتِ» المُرادُ بأوَّلِ الآياتِ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها بالنسبةِ لِما بعدَها ، أما ما كانَ مِنَ الآياتِ قبلَها فالتوبةُ مقبولةٌ ، والإيمانُ مُتحقِّقٌ بَينَ القَبولِ والردِّ ، ويمتدُّ هذا الأمرُ إلى يومِ القيامةِ .

وحديثُ مُسندِ الإمامِ أحمدَ مِن قولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لا تنقطِعُ الهِجرةُ ما تُقُبِّلَتِ التوبةُ ، ولا تزالُ التوبةُ مقبولةً حتَّى تطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبِها ، فإذا طلعَت طُبِعَ على كُلِّ قلبٍ بما فيه ، وكُفِيَ الناسُ العملَ**»[3] .

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٨٤٩) (١٩٧٩) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٩٩) .

(٣) «مسند أحمد» (١٦٧١) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٥٩) ، وانظر «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (٣٩٨) .

مَوْتُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ ٱللَّهُ

وهـي علامـةٌ صغرى من علاماتِ السـاعة ، وتأتي مصاحبةً لطلوع الشـمس من مغربهـا ، وثمـرةً من ثمراتهـا ، فقد ورد عنـد الطبرانـي : «**إذا طلَعَتِ الشَّـمسُ مِن مغرِبِها يخِرُّ إبليسُ سـاجدًا يُنادي: إلهي مُرْني أنْ أسـجُدَ لِمَن شِـئْتَ ، فتجتمِعُ إليه زَبَانيتُـه فيقولـونَ : يا سـيِّدَهم ما هذا التَّضرُّعُ ؟ فيقولُ : إنَّما سـأَلْتُ ربِّي أنْ يُنظِرَني إلـى الوقتِ المعلـومِ ، وهذا الوقتُ المعلومُ ، ثمَّ تخـرُجُ دابَّةُ الأرضِ مِن صَدْعٍ في الصَّفا ، فأوَّلُ خُطوةٍ تضَعُها بأَنْطاكيَّةَ ، ثمَّ تأتي إبليسَ فتلطِمُه**»[1] .

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١ : ٦٣) .

النفخ في الصور نِهاية الحياة الكونية

مرحلة الدمار

العلامةُ الأخيرةُ . . النفخُ في الصورِ

قال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[الزمر:68]
وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[الحج:2] ، وهذه الآياتُ وغيرُها تُشيرُ إلى النفخةِ الأولى ، وهي التي تقومُ بها الساعةُ ، وهي ما تسمى (بالراجفةِ) ، كما وردَ في قولِ ابنِ عباسٍ : و(الرادفةُ) هي النفخةُ الثانيةُ .

وقد وردَ في مجملِ الحديثِ أنّ قيامَ الساعةِ يكونُ في يوم الجُمُعَةِ ، ومنها حديثُ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يومُ الجمُعةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ ، وفيه خَرَجَ منها ، ولا تَقُومُ الساعةُ إلا يومَ الجمُعةِ**» رواهُ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والترمذيُّ[1] .

وفي روايةٍ أخرى : «**وفيهِ** ـ أي : يومَ الجمعةِ ـ **تقومُ الساعةُ ، وما مِنْ دَابَّةٍ إلّا وهِي مُصْخِيَةٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقاً مِنَ الساعةِ إلّا الإنسُ والجِنُّ**»[2] ، وفي روايةٍ أخرى: «**وَفِيهِ تَقُومُ السّاعَةُ ، ومَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا سَمَاءٍ ولا أرضٍ ولا جبالٍ ولا حَجَرٍ إلّا هنّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ**»[3]. وعن مجاهد أنه قال : الصورُ شيءٌ كهيئةِ البوقِ ، والصورُ كما ورد في الحديث : «**قَرْنٌ يُنْفَخُ**

---

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٤) .

(٢) «سنن أبي داود» (١٠٤٦) و«سنن النسائي المجتبى» (١٤٣٠) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٠٨٤) و«مسند أحمد» (١٥٥٤٨)، وانظر «إتحاف الجماعة» (٣:٢٥٠).

فِيهِ»[1].

وروى الشيخان عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: «**لتقومَنَّ الساعةُ وقد نشرَ الرجُلان ثوبَهما بَينَهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يليطُ حوضَه - أي يُلطِّخُه بِالطينِ - فلا يسقي فيه، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رفعَ أُكلتَه - أي: لُقمتَه - إلى فيه فلا يطعمُها**»[2].

وفي روايةٍ: «ويبقى شِرارُ الناسِ في خفةِ الطيرِ وأحلامِ السِّباعِ» إلى أن قالَ: «ثُمَّ يُنفَخُ في الصورِ فَلا يسمَعُ أحدٌ إلا أصغى لِيتًا ورفعَ لِيتًا»[3]. واللِّيتُ: صفحةُ العنُقِ - أي: أمالَ عُنُقَه كمن يستمِعُ النِّداءَ مِن فوقُ، قالَ: «وأوَّلُ مَن يسمعُه رجُلٌ يلوطُ حَوضَ إبلِه فيُصعَقُ ويُصعَقُ الناسُ»[4].

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٧٤٢) و«سنن الترمذي» (٢٤٣٠) و«مسند أحمد» (٦٥٠٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٠٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠).

التسلسلُ الزمنيُّ الشرعيُّ الجامِعُ لِسَيرِ العلاماتِ والأماراتِ إلى قيامِ الساعةِ

- بِشاراتُ الكُتُبِ السماويةِ لِلأُممِ بِظُهورِ الرِّسالةِ الخاتمةِ .
- ميلادُه ﷺ وما برزَ فيه مِنَ العلاماتِ .
- نشأتُه ﷺ وما رافقَها مِنَ الآياتِ البيِّناتِ .
- بعثتُه ﷺ والمرحلة النبوية .
- وفاتُه ﷺ .
- مرحلةُ الخِلافةِ الراشِدةِ ثلاثون عامًا .
- مرحلةُ المُلكِ العضوضِ (الأمويةِ – العبَّاسيةِ)[1] .
- مرحلةُ الدوَيلاتِ.. التداعي .
- مرحلةُ الغُثاءِ والوهنِ ونزعُ المهابةِ ، مَرْحَلَةُ الِاسْتِكْبَارِ وَالِاسْتِظْهَارِ.
- مرحلةُ الاستِتباعِ .
- الاستِعمارُ – الاستِثمارُ – الاستِهتارُ .
- العِلمانيةُ – العلمنةُ – العَولمةُ .
- مرحلةُ الاستِنفارِ «يقظةُ الشُّعوبِ» مِن نِهايةِ الفِتنةِ الرابعةِ إلى نهاية مرحلة الصيلمة.
- مرحلة السفيانية الأولى .
- مرحلة السفيانية الثانية.
- مرحلةُ الاستِقرارِ «المهديَّةُ» .
- مرحلةُ الدَّجَّالِ «الدَّجَّاليةُ» .

(١) وتنقسم المرحلة بعمومها إلى أقسام كما جاء الحديث : «**بدأ هذا الأمرُ بِنُبُوَّةٍ ورَحمَةٍ ثُمَّ خلافَةٍ ورَحمَةٍ ، ثم مُلكاً عَضوضاً ، ثم عُتُوّاً وجَبرِيَّةً**» . اهـ ص ٣٦٤ «الإشاعة» .

- مرحلةُ عيسى بنِ مريمَ وهي المرحلةُ النِّهائيةِ بَينَ الشُّعوبِ ، ووحدةِ الأديانِ تحتَ هَيمنةِ الإسلامِ «المرحلةُ العيسويةُ» .
- مرحلةُ الاجتِياحِ «بدءُ الانهيارِ» «اليأجوجيةُ» .
- مرحلةُ الشِّركِ وعبادةِ الأصنامِ «اللادِيانةُ» .
- تتابُـعُ الآياتِ والعلاماتِ «مرحلةُ اليأسِ من قَبولِ التَّوبةِ» «الدابةُ ، الدُخانُ ، الريحُ القابِضةُ ، طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها»[1] .
- موت إبليس.
- نِهايةُ الكونِ الإنسانيِّ «النفخُ في الصورِ» .

(١) «المعجم الأوسـط» للطبراني (٤٢٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**خروج الآيـات بعضهـا على أثر بعض ، يتابعن كمـا تتابع الخرز في النظـام**» ، وروى الإمام أحمد (٧٠٤٠) عـن عبـد اللـه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال : قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**الآيـات خرزات منظومات في سلك فان يقطع السلك يتبع بعضها البعض**» .

خاتمةُ الأُسسِ والمُنطلقاتِ

تـم كِتابُ الأُسُـسِ والمُنطلقاتِ بِحمدِ الله تعالى .. وقـد بذلتُ قُصارى جهدي في وضعِ الفِكرةِ التي جمعتُها حولَ هذا الموضوعِ الشـائكِ المتشابِكِ حسبما تهيَّأ لـي جمعُه مِنَ الأحاديثِ الشـريفةِ ، ومـا كتبَه أهلُ العِلمِ ، وحاولـتُ أن أتجنبَ ما اسـتطعتُ ما كانَ حديثًا موضوعًا أو شـديدَ الضعفِ[1] رغبةً في شُـمُولِ الاستِفادةِ مِنَ الكتابِ ، ومُسـاعِدًا لبعضِ القُرَّاءِ الذين ينصرِفون عنِ الاستِفادةِ مِنَ المواضيعِ المطروحةِ إلى مُناقشـةِ الجُزئياتِ ، التي تُناسِبُ مواقِفَهم الذاتيةَ ، فيشغلون الناسَ بِالمُتناقِضاتِ لِيفسُـدَ أثرَ الكِتـابِ وموضوعِه . ورُبَّما كانَ لهـمُ الحقُّ في الاهتِمامِ بِالصحيحِ وتجنُّبِ ما دونَ ذلِكَ لِما في الصحيحِ مِن قُوةِ الاسـتِدلالِ ، ولكِن لَيسَ لهمُ الحقُّ في صرفِ القُرَّاءِ عن فائدةِ الموضوعِ وأثرِه المعرِفيِّ في الحياةِ .

الاعتماد على النصوص الصحيحة والموثقة حسب الاستطاعة

وأتمنـى أن أجِـدَ المُلاحظـاتِ البنـاءةَ التي تعودُ علـى الجميعِ بِالفائـدةِ وخِدمةِ الفِكرةِ وتوسـيعِ دراسـتِها ، وخاصَّةً أنها بُنِيَت على اسـتِقراءِ حديثٍ صحيحٍ ، وهو حديـثُ جِبريـلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فـي وِحدتِـه الموضوعيـةِ ، ولا مجـالَ لِصـرفِ الموضوعِ لِلجُزئيـاتِ التي تشـغَلُ البعضَ حـولَ العلاماتِ وارتِباطِها بِـأركانِ الإيمانِ واليومِ الآخـرِ ، وأنَّ السـاعةَ لا أركانَ لهـا في علـمِ الأُصولِ ، وهاأنذا قـد فصَّلتُ في هذا الكتابِ أركانَ العِلمِ بِعلاماتِ السـاعةِ ، وربطتُ بَينَهـا وبَينَ واقعِ الحركةِ الحياتيةِ حسبما تهيَّأ لي معرفةُ ذلِكَ.. تحتَ ما عُرِفَ «بِفقهِ التحوُّلاتِ» .

الملاحظات البناءة ودورها في إغناء الموضوع

فـإن كانَ مـا وضعتُه هنا أقربُ إلى الصـوابِ فأحمدُ اللَّهَ على ذلِكَ ، وأسـألُه أن يقيِّـضَ مِن أهلِ العِلمِ من يعتني بِالفِكرةِ ويوسِّـعُ خِدمتَها رجـاءَ ثوابِ اللَّهِ وخدمة لعالمية القرآن والسنة .

وإن كانَتِ الفِكرةُ مُجرَّدَ نَزوةٍ ذاتيةٍ ؛ فأسـألُ اللَّهَ أن يغفِرَ لي خطأي وتجاوُزي ، وأن ينفعني بما سبقَ مِن خِدمةِ العُلماءِ لِلعِلمِ .

---

(١) إلا ما اضطُرِرْتُ إليه كشاهِدٍ معلولٍ لم أَقِفْ على غيره .

ولســتُ بِمُلزِمٍ أحَدًا بِما قُلتُه وما دوّنتُه إلزامًا ، إنَّما هي أفكارٌ مُســنَدةٌ إلى أُصولِهَا الشّرعيَّةِ ، فمنِ استحسنَهَا فالفائدةُ لِلجميعِ ، ومنِ استهجنَهَا فليّتقِ اللَّهَ ، ولْيَرْفِقْ في الأمرِ مِن كُلِّ وجوهِه ، فعَسَىٰ وعَسَىٰ.

والله مِن وراءِ القصدِ وهو حَسبِي ونعمَ الوكيلُ

قاموسُ الألفاظِ والتعريفاتِ المُستجدَّةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ

فِقهُ التحوُّلاتِ ما يجري مِن سُننِ التغيراتِ والحوادِثِ في المراحِلِ المُتقلِّبةِ في الأزمنةِ .

الخُلفاءُ الراشدون الوُرَّاثُ الشرعيون لِلثلاثةِ الثوابتِ ، والقائمون على تطبيقِها وأداءِ أماناتِها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام: ٨٩] . عبرَ الزمانِ ، وليس مُختصًا بِالخلافةِ الراشِدةِ .

سُنةُ الدلالةِ تفسيرٌ لِلرمزِ النصيِّ في فعلٍ أو تركٍ لم يندرِجْ تحتَ الأُصولِ الشرعيةِ المُقررةِ لدى العُلماءِ مِنَ استِنباطِ السُّننِ القَوليةِ والفِعليةِ والتقريريةِ .

التشريكُ إلصاقُ تُهمةِ الشِّركِ المُخرِجِ عنِ المِلةِ بِالمُسلِمِ ، وتنزيلُ الآياتِ التي أُنزِلَت في المُشركين على المُسلِمين .

التبديعُ إلصاقُ تُهمةِ البدعةِ المُضِلَّةِ على مَن له وجهٌ شرعيٌّ مِنَ السُّنةِ .

الاستِشراقُ عُلماءُ ومدارسُ العالمِ الغربيِّ والشرقيِّ المُشتغِلون بِعُلومِ الشرقِ الإسلاميِّ وتعليلِ وتحليلِ أفكارِه ووظائفِه سلبًا وإيجابًا .

الغُثاءُ مرحلةُ الوهنِ والتداعي الوارِدةُ في حديثِ «يُوشِكُ أن تداعى علَيكمُ الأممُ ... » إلخ .

تركةُ الرجُلِ المريضِ خريطةُ العالمِ الإسلاميِّ في أيامِ ضعفِ الخِلافةِ العُثمانيةِ.

الوهنُ حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ المَوتِ .

الإفراطُ الشديدُ الممقوتُ في حُبِّ الأولياءِ أو آلِ البيتِ .

التفريطُ المُتساهِلُ في الأخذِ بِحقائقِ الخُصوصياتِ وإنكارِ الانفعالاتِ المُثبتةِ.

سُننُ المواقِفِ سُلوكُ وتصرُّفاتُ المتبوعِ الأعظمِ ﷺ فيما يُعامِلُ به الموافِقَ والمُعارِضَ مِن سعةِ الأخلاقِ وعدمِ الأخذِ بِالجرايرِ .

سنةُ الخُلفاءِ ما اجتهدوا فيه مِنَ اتِّخاذِ المواقِفِ بعدَ النظرِ في السُّننِ الوارِدةِ بِما

تقتضيه المصلحةُ العامَّةُ مِن غَيرِ تحيُّزٍ ولا غمطٍ لأحدٍ .

الرُّشدُ تسلسُلُ فِقهِ الدعوةِ بِشرطِه .

الاهتِداءُ تسلسلُ سندِ الفِقهِ الداعي بِشُروطِه .

الشريعةُ مواقِفُ دعويةٌ لِذاتٍ مُطهرةٍ معصومةٍ وانعِكاساتٌ شرعيةٌ لِوحيٍ ربانيٍّ.

سُنةُ الدِّلالةِ ضابِطٌ شرعيٌّ يُحدِّدُ فِعلَ الشيءِ أو تركَه استِقراءً لِنصٍّ قُرآنيٍّ أو نبويٍّ لم يندرِجْ تحتَ ضوابِطِ عِلمِ الأُصولِ .

النبوةُ الأخلاقُ والأسانيدُ المُتصِلةُ .

فِقهُ الدعوةِ الكتابُ والسُّنةُ .

فِقهُ الداعي هو النُّبوةُ، أي: الأخلاقِ النبويةِ .

الأصلَانِ ومُعادِلهما كِتابُ اللَّهِ وسُنةُ نبيِّه ﷺ والأخلاقِ .

القواسِمُ المُشتركةُ أُسُس الدِّيانةِ المُتفقِ علَيها إجماعًا .

التحريشُ تسيسُ الخِلافِ ، والاختِلافُ لِلتفرقةِ .

عقيدةُ الشَّيطانِ الكُفرُ .

الغُثائيةُ مرحلةُ التداعي والوهنِ المنصوصِ علَيها بِحديثِ : « أنتم يومئذٍ غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ » .

الساعةُ جُزءٌ مِن أجزاءِ الزمانِ ، ويُعبرُ عنها بِالقيامةِ لأنَّها آخِرُ مراحِلِ الحياةِ الدُّنيويةِ وأوَّلُ المراحِلِ الأُخرويةِ .

الأشراطُ الظواهِرُ الكونيةُ المنصوصةُ في الأحاديثِ .

العلاماتُ السِّماتُ المُميزةُ لنماذجِ السُّلوكِ لِجماعةٍ أو مرحلةٍ أو أفرادٍ .

الأماراتُ الحديثُ المُطابِقُ لِما أخبرَ عنه ﷺ .

البِشاراتُ التنفُّساتُ المرحليةُ التي يُجري فِيها اللَّهُ النُّصرةَ والتأييدَ لِلأخيارِ .

الفِتنُ الابتِلاءاتُ العامَّةُ التي تُصيبُ الفردَ أوِ الأُمَّةَ .

مُضِلاتُ الفِتَنِ الابتِلاءاتُ المُخرِجةُ عن جادَّةِ الطريقِ إلى المُخالفةِ والانحِرافِ.

الثوابِتُ هي الأُسُسُ التي يقومُ علَيها الدينُ والعِلاقاتُ الشرعيةُ .

المُتغيِّراتُ هي الأحوالُ المُتنوِّعةُ بِالأسبابِ المنصوصةِ .

أن تلِدَ الأمةُ ربَّتَها الأمةُ اسمٌ يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ ، و(الرَّبَّةُ) هي سيدتُها ومالِكةُ قرارِها .

الثقافةُ الغازيةُ مادةُ الفِكرِ الأجنبيِّ المُخالِفِ لِلمشروعيَّةِ الدينيةِ .

الثقافةُ المُتحوِّلةُ خليطُ الفِكرِ والعِلمِ الأجنبيِّ الداخِلِ على عُقولِ المُسلِمين بِرغبتِهم وتحوُّلِ مفاهيمِهم .

الحضارةُ المادِّيةُ تجرِبةُ الشُّعوبِ المُلحِدةِ والكافِرةِ في بناءِ الحياةِ بعيدًا عنِ الدينِ .

الحُفاةُ الذينَ لا نِعالَ لهم .

العُراةُ الذين لا يلبَسون مِنَ الثيابِ إلَّا ما يستُرُ العورةَ .

رعاءُ الشاءِ يشتغِلون بِرعيِ الأغنامِ .

يتطاولون يتنافسون .

في البُنيانِ في إعمارِ المنازِلِ والأبراجِ .

الدُّهَيماءُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ صار فِيها العوامُّ هم الأسياد، والتحوت خِلالَ مرحلةِ الصِّراعِ ما بَينَ الرأسماليةِ والشُّيوعيةُ فيما سُمِّيَ بِالحربِ البارِدةِ .

السَّرَّاءُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ يتمُّ فِيها التآمُرُ المُشترِكُ بَينَ الكُفَّارُ وسلاطين ورؤساءِ قبائلِ البِلادِ العربيةِ .

الأحلاسُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ يبدأُ فِيها العملُ المُبطَّنُ لِلسَيطرةِ على بِلادِ المُسلِمين .

المثلثُ المدموجُ التربيةُ + التعليمُ + الدعوةُ إلى اللَّهِ

المُعادِلُ الرابعُ مبدأُ الاكتِفاءِ الذاتيِّ في الرزقِ .

أكلةُ القصعةِ الدُّولُ الاستِعماريةُ المُتآمِرةُ .

عِلمُ الخِدْماتِ الدِّراساتُ الحديثةُ ذاتُ العِلاقةِ بِالتطوُّرِ الحياتيِّ المُجرَّدِ .

الأبويةُ الشرعيةُ منهجُ الأنبياءِ والرسُلِ ومَن سارَ على منهجِهم مِن عُلماءِ الديانةِ.

الأنويةُ الوضعيةُ منهجُ العقلانيةِ المادِّيِّ الوضعيِّ .

المدرسةُ الأبويةُ مدرسةُ النُّبوةِ المُسندةُ بِالسندِ الأبويِّ الشرعيِّ .

المدرسةُ الأنويةُ مدرسةُ الشَّيطانِ الإبليسيةُ القائمةُ على مبدأِ « أنا خيرٌ منه » .

الدَّجَّالُ المسيخُ الأعورُ الذي سيظهرُ في آخرِ الزمانِ .

الدجلُ الفِكـرةُ والثقافـةُ الكافِرةُ ومـا تفرَّعَ عنها مِنَ التسـييسِ الفكريِّ والعقديِّ والسياسيِّ والاقتِصاديِّ والإعلاميِّ .

الدجاجِلةُ الـوُكلاءُ والعُملاءُ والسماسِـرةُ الذين يُمهِّدون العالـمَ لِسياسـةِ مرحلةِ الدَّجَّال .

النقضُ سياسةُ التبديعِ والتشريكِ ونقضِ المُبرمِ في العاداتِ والعِباداتِ الأبويةِ.

القبضُ قبضُ العِلمِ بِالمنهجِ المُسـيَّسِ وقبضُ العُلمـاءِ بعزلِهم عن حركةِ الواقِعِ والتأثيرِ فيه .

العِلمانيةُ مرحلةُ نزعِ القرارِ الإسلاميِّ بِسقوطِ الخِلافةِ .

العلمنةُ تأثُّـرُ المُسـلِمين بِالأحـكامِ الغربيـةِ ، وتبنيهـا فـي المجتمـعِ العربـيِّ والإسلاميِّ.

العَولمةُ مرحلةُ الاحتِواءِ السياسيِّ والاقتِصاديِّ تحتَ نِظامِ القُطبِ الواحِدِ .

العالميةُ الدعوةُ الإسلاميةُ ذاتُ الثوابتِ المُستقِرةِ عبرَ التاريخِ .

الفقرُ المُنسي تفعيـلُ الصِّـراعِ الاقتِصـاديِّ فـي المُجتمعاتِ الهالِكـةِ بالاقتِصادِ الرِّبويِّ .

الغنى المُطغي نهـبُ الثـرواتِ، والتوسُّـعُ السياسـيُّ بِالحُـروبِ، وطغيـان رأس المال، وصرفِ الأموالِ الطائلةِ في الِاستِثماراتِ ذاتِ الطابعِ الاستِهلاكيِّ المُجردِ الذي لا يخدمُ الإنسانيةَ.

المرضُ المُفسدُ الذي لا علاجَ له، سواءٌ كانَ مِنَ الأمراضِ الحسيةِ أو المعنويةِ.
الموتُ المُجهِزُ الموتُ الجماعيُّ في الحُروبِ والتفجيراتِ .
المدرسةُ الحرقوصيةُ مدرسةُ الخوارِجِ «أتباعُ حرقوصِ بنِ زُهيرٍ» .
المدرسةُ السلوليةُ مدرسةُ النِّفاقِ .
المدرسةُ المُسَيلِميةُ مدرسةُ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ .
المدرسةُ الوثنيةُ مدرسةُ الجاهِليةُ مِنَ العربِ .
المدرسةُ العِبريةُ مدرسةُ اليهودِ المُنحرِفةُ .
المدرسةُ الصليبيةُ مدرسةُ النصارى المُنحرِفةُ
قِراءةُ التاريخِ الشرعيِّ القِراءةُ الجامِعةُ بَينَ الدِّيانةِ والتاريخِ .
قِراءةُ التاريخِ الوضعيِّ القِراءةُ التاريخيةُ المُجرَّدةُ عنِ الأديانِ أوِ المحرِّفَةُ له .
العقلانيةُ تأكيدُ العقلِ والقوانين ورفضُ الغَيبياتِ .
الحصانةُ الشرعيةُ التوثيقُ القُرآنيُّ أو النبويُّ لِمرحلةٍ أو ذاتٍ أو جماعةٍ .
الخُلفاءُ مُسمَّى لِكافَّةِ الوارثين قرارَ العِلمِ بِالأخلاقِ والسندِ المُتصِلِ .
الخُلفاءُ مسمَّى لِكافَّةِ المدارسِ والأفرادِ ذاتِ الارتِباطِ بِالتسييسِ الدَّجَّاليِّ والمُنفِّذِين له .
الوسطيةُ الشرعيةُ الدعوةُ إلى اللَّهِ بِالحِكمةِ والموعِظةِ الحسنةِ على سُنَّةِ الورَّاثُ الحامِلين صفةَ النمطِ الأَوسطِ .
الاعتِدالُ الواعي الَّذِين يقيمون سُنَّةَ التوازُنِ الفكريِّ والاجتِماعي بَينَ الرعايا .
الأصولُ النصيةُ أصولُ الديانةِ الأربعةِ : الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، والعِلمُ بِعلاماتِ الساعةِ .
النمطُ الأوسطُ حملةُ منهجِ الأخلاقِ النبويةِ والأسانيدِ الأبويةِ .
التكليفاتُ الشرعيةُ أحكامُ الشريعةِ المُنزلِ بها على رسولِ اللَّهِ ﷺ .
عِلمُ الأصولِ العِلمُ الشرعيُّ المُقيدُ بِضوابِطِ العُلماءِ في عصرِ التدوين .

التسلسُلُ الشرعيُّ هو انتِقالُ العِلمِ والدعوةِ إلى اللَّهِ بالإجازةِ وحُسنِ التلقي .
أمةُ الإجابةِ كُلُّ مَن قالَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، مُحمَّدٌ رسولُ اللَّهِ .
أمةُ الدعوةِ كُلُّ مَن أدركَ مرحلةَ الإسلامِ وعلِمَ بها مِن الأُممِ .
الساعةُ نِهايةُ الكونِ بالنفخِ في الصُّورِ .
علاماتُ الساعةِ مُجملُ الأشراطِ مِن مرحلةِ الرِّسالةِ إلى قيامِ الساعةِ .
العلاماتُ جمعُ علامةٍ ، وهي الظاهِرةُ الدالةُ على مُطابقةِ الخبرِ النبويِّ بِمُجرياتِ الحياةِ .
الأمارةُ جمعُ أمرٍ ، وهي حصولُ أمرٍ مُعيَّنٍ سبقَتِ الإشارةِ إلَيه في أحاديثِ المُصطفى ﷺ .
الأشراطُ جمعُ شرطٍ ، وهي الظاهِرةُ الكونيةُ المُخالِفةُ لِلمألوفِ ، كما أشارَت إلَيه أحاديثُ أشراطِ الساعةِ .
الفِتنُ المُضِلةُ وهي الفواجِعُ والحوادِثُ المُوقعةُ في الانحِرافِ .
الهرجُ كثرةُ القتلِ خاصَّةً بَينَ المُسلِمين .
المرجُ فُضولُ الكلامِ وكثرةُ وسائلِه .
الملاحِمُ القِتالُ الشديدُ والحُروبُ بَينَ المُسلِمين والكُفارِ .
الإشاراتُ المُلاحظةُ المُهِمَّةُ التي أخبرَ النبيُّ ﷺ عن وُقوعِها في مُستقبلِ الزمانِ.
الدَّولةُ العليَّةُ اسمٌ آخرُ يُطلَقُ على دَولةِ القرارِ الإسلاميِّ الدَّولةِ العُثمانيةِ ، وتُسمَّى أيضًا في كُتُبَ التاريخِ بِدولةِ البابِ العالي .
يهودُ الدونمةِ مجموعةٌ مِن يهودِ تُركيا دخلوا الإسلامَ لِلنَّيلِ منه ، وارتقَوا في مناصبَ شتَّى عبرَ جمعيةِ تُركيا الفتاةِ ، حتَّى وصلوا آخِرَ المطافِ إلى قيادةِ الجيشِ والحُكمِ ، ودبروا إسقاطَ الخليفةِ عبدِالحميدِ الثاني ، وكانَ لهم دَورُ الإشرافِ على تحطيمِ قوةِ الدَّولةِ العُثمانيةِ وإغراقِها في الحربِ والديونِ والصِّراعِ المعروفِ بالتتريكِ ؛ مِمَّا أدى إلى قيامِ الثَّورةِ العربيةِ الكُبرى .

الاستِعمارُ مرحلـةُ امتِـدادِ الـدولِ الأُوروبيـةِ في البِـلادِ العربيةِ والإسـلاميةِ أثناءَ الحربين العالميتَين الأولى والثانيةِ وما بعدَهما .

الاستِهتارُ بدءُ هيمنةِ الدُّولِ الشُّـيوعيةِ في العالَمين العربيِّ والإسـلاميِّ ، وشـطرُ العالمِ إلى قُوتَين : رأسِماليةٌ وشيوعيةٌ .

الاستِثمارُ سقوطُ مرحلةِ الحربِ الباردةِ بَينَ الرأسِماليةِ والشُّيوعيةِ ، وبدءُ مرحلةِ العَولمةِ ، وسيادةُ النِّظامِ العالميِّ المُوحَّدِ .

الخِلافةُ المدونمةُ هي مرحلةُ سُـقوطِ الخليفةِ عبدِالحميدِ الثاني ثُمَّ تُسـلَّطُ يهودُ الدونمةِ ومن سـارَ في ركبِهم سياسـيًّا على قرارِ الدَّولةِ الإسـلاميةِ فـي تُركيا حتَّى نِهايـةِ الخِلافةِ بإعلانِ الدَّولةِ العِلمانيةِ ، وتولى فيها الحكم الظاهري ثلاثة خلفاء. ودامَت عشر سنواتٍ بَينَ عامَي (١٩٠٩م- ١٩١٩م) . ثم ٥ سنوات رضخت فيها تركيا لحكم عساكر الحلفاء بقيادة بريطانيا (١٩١٩م- ١٩٢٤م).

العهدُ الحميديُّ عهدُ السُّلطانِ عبدِالحميدِ الثاني .

الفوضى الخلَّاقةُ اصطِـلاحٌ مُعاصِـرٌ اسـتخدمَته القُوى العالميـةُ لتفعيلِ الصِّراعِ الداخِلـيِّ بَيـنَ الأنظِمةِ والدُّولِ بما يسـمحُ لها بالتدخُّلِ المُباشـرِ والصيدِ في الماءِ العكِرِ ضمن الشُّعوبِ .

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التويجري (ت: ١٤١٣هـ)، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ

٣. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (ت: ٢٧٢هـ)، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ

٤. أركان الدين الأربعة ، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور تحت الطبع

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ)، تحقيق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ

٧. الإشاعة في أشراط الساعة، للبرزنجي .

٨. أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله الوابل .

٩. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، ماليز روثفن

١٠. أطلس الفتوحات الإسلامية، أحمد عادل كمال

١١. أطلس تاريخ العرب والإسلام، سيف الدين الكاتب

١٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة:

الأولى ١٤٠٨، هـ

١٣. بغيـة الباحث عن زوائد مسـند الحـارث ، أبو محمد الحـارث بن محمد المعروف بابن أبي أسـامة (ت: ٢٨٢هـ) المنتقي : أبو الحسـن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) . ، تحقيق د. حسين أحمد صالـح الباكـري ، مركز خدمة السـنة والسـيرة النبويـة – المدينة المنـورة الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

١٤. التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد

١٥. تاريخ المدينة لابن شـبة ، عمر بن شـبة (واسـمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت: ٢٦٢هـ) تحقيق: فهيم محمد شـلتوت عام النشر: ١٣٩٩ هـ

١٦. تاريـخ دمشـق ، أبو القاسـم علي بن الحسـن بن هبة اللـه المعروف بابن عسـاكر (ت: ٥٧١هـ) ، تحقيق عمـرو بن غرامة العمـروي ، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ

١٧. تحقيق مواقف الصحابة مجلدان » ، د/ محمد أمحزون

١٨. التذكـرة بأحوال الموتى وأمور الآخـرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق ودراسـة : د : الصـادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبـة دار المنهاج الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

١٩. تعجيـل المنفعـة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، أبـو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق ، دار البشائر ـ بيروت الطبعة: الأولى ـ ١٩٩٦م

٢٠. تفسـير ابـن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بـن محمد ، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة

العربية السعودية الطبعة : الثالثة - ١٤١٩ هـ

٢١. تفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

٢٢. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ) ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٢٣. تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي -بيروت ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٢٤. تفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة : الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٥. تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ)الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) ، دار الفكر - بيروت

٢٦. التفسير من سنن سعيد بن منصور - محققا ، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت: ٢٢٧هـ) دراسة وتحقيق : د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، دار الصميعي الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٧. تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد ، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ

٢٨. التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف السيد أبو

بكر العدني ابن علي المشـهور الناشـر : مركز الإبداع الثقافي للدراسـات وخدمة التراث الطبعة : الثالثة ١٤٢٧هـ

٢٩. تهذيب الكمال في أسـماء الرجال ، يوسـف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبـو الحجاج، جمـال الدين ابن الزكي أبـي محمد القضاعي الكلبـي المزي (ت: ٧٤٢هــ) ، تحقيـق د. بشـار عواد معروف ، مؤسسـة الرسـالة – بيـروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ

٣٠. جامـع الأحاديـث (ويشـتمل على جمـع الجوامـع للسـيوطى والجامع الأزهـر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) جلال الدين السـيوطي (ت: ٩١١هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه : فريق من الباحثين بإشـراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)

٣١. جامع الأصول في أحاديث الرسول : مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجـزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) تحقيـق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشـير عيون الناشـر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى

٣٢. الجزيـرة العربيـة نجد والحجـاز » في الوثائـق البريطانيـة ، نجدة فتحي صفوة

٣٣. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسـن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، تحقيـق رمـزي منيـر بعلبكـي ، دار العلم للملاييـن – بيروت الطبعـة : الأولى ، ١٩٨٧م

٣٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ، السعادة – ١٣٩٤هـ

٣٥. در السحابة ، للشوكاني .

٣٦. الدعاء للطبراني ، سـليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسـم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب

العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

٣٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

٣٨. الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي محمد الهلابي

٣٩. الزهد الكبير ، أحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة : الثالثة ، ١٩٩٦ م

٤٠. سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ

٤١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

٤٢. السنة ، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٠٠هـ

٤٣. سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٤٤. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت

٤٥. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)

تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، شركة مصطفى البابي الطبعة : الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

٤٦. سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي ، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ

٤٧. السنن الصغير للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ

٤٨. السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٤٩. السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ

٥٠. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٤هـ

٥١. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) ، تحقيق د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة – الرياض الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ

٥٢. السيد محمد طاهر الدباغ ، د. محمد الجوادي

٥٣. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ

٥٤. السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ) تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الثانية ، ١٣٧٥هـ

٥٥. شرف أصحاب الحديث ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة

٥٦. الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ

٥٧. الشريف حسين بن علي والخلافة لنضال داود المومني

٥٨. شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ

٥٩. صحيح ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

٦٠. صحيح ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ) ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت

٦١. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ

٦٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، المكتب الإسلامي

٦٣. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦٤. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني – القاهرة الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٦٥. الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

٦٦. الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور ، الجزء الأول ، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور ، مركزر الإبداع الثقافي – عدن ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ

٦٧. العراق في أحاديث وآثار الفتن ، أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود آل سلمان ، مكتبة الفرقان ، الأمارات – دبي الطبعة : الأولى، ١٤٢٥ هـ

٦٨. عمل اليوم والليلة ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ، تحقيق د. فاروق حمادة ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ

٦٩. غريب الحديث ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٤ هـ

٧٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه : محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٧١. الفتن ، أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت: ٢٢٨هـ) ، تحقيق سمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد – القاهرة الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ

٧٢. الفردوس بمأثور الخطاب ، أبو شـجاع الديلميّ الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ

٧٣. فضائل الصحابة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشـيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق د. وصي الله محمد عباس ، مؤسسـة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣

٧٤. فضائل الصحابة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشـيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق د. وصي الله محمد عباس ، مؤسسـة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ

٧٥. فقه أشراط الساعة ، د. محمد أحمد إسماعيل المقدم

٧٦. فيـض القديـر شـرح الجامـع الصغيـر ، زين الديـن محمد المدعـو بعبد الـرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة : الأولى ، ١٣٥٦

٧٧. كشـف الأقنعـة عـن الوجـوه الغثائيـة المقنعـة ، لعبـد الوهاب بـن علي الحسيني ، ١٤١٥هـ

٧٨. كنز العمال في سـنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشـاذلي الهندي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ) ، تحقيق بكري حياني – صفوة السـقا ، مؤسسـة الرسـالة الطبعة : الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ

٧٩. لسـان العـرب ، محمد بن مكرم بن علـى، أبو الفضل، جمـال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٨٠. لوامع الأنوار البهية وسـواطع الأسـرار الأثرية لشـرح الـدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ

٨١. لورنس.. الحقيقة والأكذوبة ، صبحي العمري

٨٢. المؤامرة الكبرى على الإسلام ، علاء الدين المدرس

٨٣. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٨٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٨٥. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر

٨٦. المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ

٨٧. مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

٨٨. مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ

٨٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ

٩٠. مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى

٩١. مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٤

٩٢. مسند الشهاب ، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الثانية ، ١٤٠٧ هـ

٩٣. مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد - الرياض الطبعة : الأولى، ١٤٠٩هـ

٩٤. المصنف عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣

٩٥. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري ، دار العاصمة، دار الغيث - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

٩٦. معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان حمد بن محمد بن البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ) ، المطبعة العلمية - حلب الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ

٩٧. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد

المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة

٩٨. المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد شكور محمود الحاج ، المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ

٩٩. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة : الثانية

١٠٠. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية

١٠١. معرفة الصحابة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ

١٠٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت

١٠٣. المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ

١٠٤. المنتخب من مسند عبد بن حميد ، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (ت: ٢٤٩هـ) ، تحقيق صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل ، مكتبة السنة – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

١٠٥. منهجية النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية السيف وبراءتهما من

الإفـراط والتفريط المسـيس ، لأبي بكـر العدني ابن علي المشـهور الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ .

١٠٦ . الموافقـات ، إبراهيـم بن موسـى بـن محمد اللخمـي الغرناطي الشـهير بالشـاطبي (ت: ٧٩٠هـ) ، تحقيق أبو عبيدة مشـهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

١٠٧ . الموطـأ ، مالـك بـن أنـس بن مالـك بـن عامر الأصبحـي المدنـي (ت: ١٧٩هــ) ، تحقيـق محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسـة زايد بن سـلطان الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١٠٨ . ميـزان الاعتـدال في نقد الرجال ، شـمس الديـن أبو عبد اللـه محمد بن أحمـد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ

١٠٩ . النهايـة في غريـب الحديث والأثر ، مجـد الدين أبو السـعادات المبارك بـن محمد بـن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشـيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هــ) ، المكتبـة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هــ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي . سبل الهدى والرشاد ، الإمام الصالحي

مُلحَقٌ بِبعضِ الوثائِقِ

نماذج من مؤامرة (فتنة السراء) المقررة في فقه علامات الساعة

نص رِسالةٍ ١/ ٥٢٣ :

برقيةٌ مِن وزارةِ الخارجيةِ إلى المندوبِ الساميِّ في القاهِرةِ

٢٥ آب/ أغسطس ١٩١٥ م

الرقم ٥٩٨ / عاجِل / برقيتُكم المُرقمةُ ٤٥٠

الردُّ المُقترحُ على شـريفِ مكَّة تمَّ إقرارُه . وإذا ما وجدتُم ذلِكَ مُسـتصَوبًا ؛ فإنَّ لكم إضافةَ رِسالةٍ خاصَّةٍ بِالمعنى التالي :

«إنَّ حُكومـةَ صاحِـبِ الجلالـةِ على استِعدادٍ لِلبحثِ فـي اتِّفاقٍ أولـيٍّ لِضمانِ استِقلالِ الشـريفِ وحُقوقِه وامتيازاتِـه إذا مـا بعـثَ الشـريفُ بِنجلِه عبدِاللَّهِ أو بِمبعوثٍ مفوضٍ آخرَ إلى مِصرَ لِهذا الغرضِ . وفيما يتعلَّقُ بالخِلافةِ ، فإنَّ الشريفَ إذا ما نُودِيَ به خليفةً بالاتِّفاقِ معَ أبناءِ دينه ، فله أن يطمئنَّ إلى أنَّ حُكومةَ صاحِبِ الجلالةِ سـتُرحِّبُ بِعودةِ الخِلافةِ إلى عربيٍّ صحيحِ النسـبِ ، وكما جرى بيانُه من قبلُ في مُراسلاتِ اللوردِ كتشنرَ لشهرِ تِشرين الثاني/ نوفمبر الماضي» .

رِسالةٌ مِن مكماهونَ إلى الشريفِ حُسَينٍ

شـوال ١٣٣٣هـ/ أغسطس ١٩١٥م بِتصرُّفٍ (١ : ٥٢٥) : وإنَّ مصالِحَ العربِ هـي نفسُ مصالِـحِ الإنكليزِ ، والعكسُ بِالعكـسِ ، ولِهذه النسـبةِ فنحن نؤكِّدُ لكم أقوالَ فخامةِ اللُّوردِ كتشـنرَ التي وصلَت إلى سـيادتِكم عن يـدِ عليٍّ أفندي ، وهي التـي كانَ مُوضحًـا بهـا رغبتَنا في اسـتِقلالِ بِلادِ العربِ وسُـكانِها معَ استـصوابِنا لِلخِلافةِ العربيةِ عِند إعلانِها .

وإنَّـا نُصـرِّحُ هُنا مـرَّةً أُخرى أنَّ جلالـةَ ملِكِ بريطانيـا العُظمى يُرحِّبُ بِاسـتردادِ الخِلافةِ إلى يدِ عربيٍّ صميمٍ مِن فُروعِ تِلكَ الدَّوحةِ النَّبوِيَّةِ المُباركةِ .

ومعَ ذلِكَ فإنَّنا على كامِلِ الاسـتِعدادِ لِأن نُرسِـلَ إلى سـاحة دَولةِ السيِّدِ الجليلِ

ولِلبِـلادِ العربيةِ المُقدَّسـةِ والعـربِ الكِرامِ مِـنَ الحُبوبِ والصدقـاتِ المُقرَّرةِ مِنَ البِلادِ المصريةِ ، وسـتصِلُ بِمُجرَّدِ إشـارةٍ مِن سـيادتِكم وفي المكانِ الذي تُعيِّنونه . وقد عملِنا الترتيباتِ اللازِمةِ لِمُسـاعدةِ رسـولِكم في جميعِ سـفراتِه إلَينا ، ونحن على الدوامِ معَكم قلبًا وقالِبًا مُستنشِـقين رائحةَ مودَّتِكم الزكيةَّ ، ومستوثِقين بِعُرى محبَّتِكمُ الخالِصةِ ، سائلين اللَّهَ سُبحانَه وتعالى دوامَ حُسنِ العلائقِ بَينَنا .

رِسالةٌ مِنَ الشريفِ إلى مكماهونَ (١ : ٥٢٩)

والخلاصةُ يا حضرةَ الشهمِ المُبجَّلِ أنَّا على أكيدِ الإخلاصِ ، معترِفين بأرجحيةِ ولائكم رضيتُم عنَّا كما أُشير أم سخطتُم . نأبى أن نجعلَ في إشارتِكم في رقيمكم بـادئِ الذِّكـرِ بأنَّه لا يزالُ بعضُ أقوامِنا ـ في أقصى درجاتِ الاسترسـالِ في ترويجِ الطلـبِ العُثمانـيِّ ـ حُجَّـةً على آثـارِ الفُتورِ والتردُّدِ فـي رغائبِنا ، التي أنزه شـهامةَ أصالتِكـم علـى أن تقـولَ بأنها لَيسَـت مِن قـوامِ حياتِنـا . لا بل هي حياتُنـا المادِّيةُ والمعنويةُ والأدبيةُ . لأنِّي إلى هذه الساعةِ قائمٌ بِذاتي وبِجميعِ حواسي في إنِفاذِ ما كانَ مُوافِقًا لِلشـرعِ الإسـلاميِّ في بِلادي مِنَ الأوامِرِ ، وفي كافَّةِ ما له تعلُّقٌ بِه مِمَّا يكونُ عائدًا إلى باقي المملكةِ إلى أن يأتيَ اللَّهُ بِأمرٍ غَيرِ ذلِكَ .

رِسالةٌ مِنَ الجِنرالِ ماكسويلَ إلى اللُّوردِ كتشنرَ ص٥٥٩ في ١٦ تِشرين الأوَّل / أكتوبر ١٩١٥ :

إنَّنا في مُواجهةِ قضيةٍ كبيرةٍ تتعلَّقُ بِمُسـتقبلِ الإسـلامِ ، وإذا اسـتطعنا أن نحمِلَ الفرنسيين على إدراكِ هذه الحقيقةِ ، فإنهم قد يكونون أكثرَ مَيلًا إلى الموافقةِ على التسـويةِ . وأشـعُرُ بالتأكيدِ أنَّ أهميةَ الوقتِ بالِغةٌ جِدًّا ، وأنَّنا ما لم نُقدِّمْ لِلشَّـريفِ حالًا مُقترحاتٍ محدَّدةً ومقبولةً ، فإنَّنا قد نجِدُ عالمًا إسلاميًّا قائمًا ضِدَّنا .

ومن رِسالةِ وزيرِ الخارجيةِ إلى السفيرِ البِريطاني بارسي ص٥٧٥ :

سمعتُ أنَّ المُمثِّلَ الفرنسيَّ بِالقاهرةِ على اتصالٍ بِالعربِ ، علَيكم أن تطلُبوا مِنَ الحُكومةِ الفرنسـيةِ أن تُبقيَ الأمرَ في غايةِ السِّـريةِ ، وأن تثنوا المُمثِّلَ الفرنسـيَّ في القاهرةِ عنِ القيامِ بأيِّ نشاطٍ يتعلَّقُ بِهذا الأمرِ الدقيقِ جِدًّا ، وقد يحدُثُ ضررٌ كبيرٌ

، ويقعُ العربُ في أيدي الأتراكِ كُلِّيًّا ، بِنتيجةِ أيِّ إجراءٍ مُتسرِّعٍ ، وعلى أيِّ حالٍ فلا يجوزُ إبداءُ إشارةٍ إلى الخِلافةِ لِأنَّ العالَمَ الإسلاميَّ كُلَّه سيستنكِرُ أيةَ مُبادرةٍ أو تدخُّلٍ مِن جانبِ دَولةٍ غَيرِ مُسلِمةٍ في هذا الأمرِ .

ومِن نصِّ برقيةِ وزارةِ الخارجيةِ إلى المندوبِ السامي في مِصرَ ص٦٠١ وفِيها:

لكن معلوماتي أنَّ الشريفَ شخصٌ لا قيمةَ له ، ولا قُوةَ له لِتنفيذِ مُقترحاتِه ، وأنَّ العربَ لا وحدةَ لهم ولا احتِمالَ لاتِّحادِهم ، ولا أعتقِدُ بِحقيقةِ الثَّورةِ العربيةِ المُقترحةِ في الجَيشِ وغَيرِه ، ولا بِجدواها .

ثُمَّ أضافَ : إنَّ الفقرةَ التي تضعُ كُلَّ بِلادِ العربِ تحتَ الحِمايةِ البِريطانيةِ سوفَ تُرهِقُنا بِمسئولياتٍ مُربكةٍ وغَيرِ واضِحةٍ ، وتُدمِّرُ احتِمالَ عقدِ اتِّفاقٍ معَ فرنسا لِما نريدُ عقدَه ، لكنْ موقِعُنا الخاصُّ ومصالِحُنا في العراقِ تجِبُ المُحافظةُ علَيها على قدرِ الإمكانِ بعدَ تعهُّداتِ مكماهونَ . ص٢٠٦

نصُّ رِسالةِ السيِّدِ عليٍّ الميرغنيِّ إلى الشريفِ حُسَينٍ ص٦٠٥ ، وهو زعيمٌ سياسيٌّ ودينيٌّ كبيرٌ مِن أشرافِ السُّودانِ ، واستغلَّ الإنكليزُ معرِفتَه بِالشريفِ قبلَ الحربِ ، وكانَ الميرغنيُّ يكتُبُ رسائلَه إلى الشريفِ بِاطِّلاعِ الإنكليزِ وإيحاءٍ مِنهم:

« كِتابٌ »

مِنَ السيِّدِ عليٍّ الميرغنيِّ إلى الشريفِ حُسَينٍ

الخرطوم ١٧/ ١١/ ١٩١٥ م

بِريطانيا العُظمى عقدَتِ العزمَ أن تُساعِدَ العربَ على استِعادةِ حُكمِهِمُ المُغتصبِ وسُلطانِهم وعلى استِردادِ استِقلالِهم المفقودِ ، لقد أضاعَ العربُ هذا مُنذُ عِدَّةِ قُرونٍ بِسببِ عسفِ الأتراكِ ومساوِئِ حُكمِهم ، وها قد سنحَتِ الفُرصةُ الآنَ لاستِعادةِ كُلِّ ما ضاعَ ، إنَّني فقط أُقرِّرُ حقائقَ يعرِفُها العربُ أنفُسَهم أكثر منِّي . والوقتُ الراهِنُ هو أنسبُ الأوقاتِ لِلعربِ كي يطرحُوا عن أعناقِهم النِّيرَ الثقيلَ لِلحُكمِ التُّركيِّ ، وكي يُحقِّقُوا أمانيهمُ القوميةَ ومطامِحَهمُ الاستقلاليةَ ، ويُجدِّدوا

أمجادَ أسـلافِهِمُ العظمـاءِ . ولَيسَ علَيهِمُ الآنَ إلَّا أن يغتنِموا الفُرصةَ السـانِحةَ في هـذا الظرفِ المُلائمِ جِـدًّا ، ويثوروا كما يثورُ العربيُّ حقًّـا ، ويهتبلوا الفُرصةَ التي تُتـاحُ لهم بعدَ مُضيِّ هـذه القُرونِ العديدةِ ، وكيفَ يُمكِنُ لِلعـربِ أن يثوروا إذا لـم يحركْهم ويتولَّى قيادتَهمُ الرجُلُ المُناسِـبُ ، المُتحدِّرُ مِن أشـرفِ وأنسـبِ سُـلالةٍ مُقدسـةٍ مِن قُرَيشٍ ، الذي يسـتطيعون أن يجتمِعوا تحتَ رايتِه ويسـتردُّوا حُقوقَهمُ المغصوبةَ .

إنَّـه لأمـرٌ صحيـحٌ أنَّ بِريطانيا العُظمى بِالتعـاوُنِ معَ حُلفائها الكِبـارِ ، ترغبُ في قيـامِ حُكومـةٍ عربيةٍ قُرشـيةٍ ، وأن تحلَّ محـلَ هذا العرشِ التُّركـيِّ المُتداعي الذي طفحَ كيلُ مظالِمِه وعسفِه ، وهم يرغبون أن تنهضَ هذه الحُكومةُ القُرشيةُ وتؤسَّسُ مِثلمـا كانَـت قبـلَ عِدةِ قُرونٍ ، وأن تسـيرَ يدًا بيـدٍ معَ الحضارةِ الحديثـةِ ، وتنهضُ بِالعـربِ الكِـرامِ إلى قِمةِ الرُّقيِّ والرخاءِ . وإنَّ بِريطانيا العُظمى على اسـتِعدادٍ لِأن تكـونَ أصدقَ الأصدقـاءِ لِلعـربِ ، ولِأن تُعاضِدَهـم في جميعِ الأحـوالِ . وعلى العـربِ أيضًا أن يسـتفيقوا ويأخذوا المُبادرةَ فيبرهِنوا بِذلِـكَ لِلعالمِ أجمعَ أن الدمَّ العربيَّ الشريفَ ورُوحَ الحُريةِ وحُبَّ الاستِقلالِ ما تزالُ تجري في عُروقِهم .

والآنَ فـإنَّ بِريطانيـا العُظمـى على اسـتِعدادٍ لِأنْ تفعلَ أكثرَ بِكثيرٍ مِـن هذا . إنَّها تُحـاوِلُ أن تمُـدَّ يدَ العَونِ والمسـاعدةِ إلى أعظمِ زعيمٍ عربـيٍّ ، مِن أجلِ الحُصولِ علـى الاسـتِقلالِ التامِّ ولِنزعِ النِّيرِ الثقيلِ لِلحُكمِ العُثمانـيِّ ، حتَّى تُنقذَ بِذلِكَ الأُمَّةُ العربيـةُ الكريمـةُ مِن مخالِـبِ الظالمين وأنيـابِ اللِّصِّ الألمانيِّ المُتسـلِّطِ . وكما تعلمون ، فإنَّ المشروعَ كُلَّه ذُو طبيعةٍ دقيقةٍ ومُعقَّدةٍ إلى أقصى حدٍّ ، خاصَّةً لِكونِ بِريطانيا العُظمى على الرغمِ مِن أنها تُريدُ الخيرَ لِلمُسـلِمين ولِلأُمَّةِ العربيةِ حريصةً جِـدًّا على احتِرامِ مشـاعِرهم القبليةِ والدينيةِ . وهذا هو السـببُ الذي حدا بها إلى العمـلِ من وراءِ السِّـتارِ من أجلِ تحقيـقِ مطامِحِهم في تحرُّرِ أنفسِـهم من عُبوديةِ الأتـراكِ وليُحـرِزوا اسـتِقلالَ بِلادِهـم التامَّ . وبمـا أنَّ الأميرَ الشـريفَ هو في نظرِ العربِ أقوى وأشـرفُ الأمراءِ ، فإنَّ بريطانيا مُستعِدةٌ لِتقديمِ كُلِّ مُساعدةٍ ممكنةٍ له . وهذا هو السـببُ الذي دفعني لِمُحاولةِ المُراسـلةِ معَكم ، ولكي أستوضِحَ مِنكم

عن أسلمِ الطُّرُقِ لِتأمينِ ما تُريدون ، ولا حاجةَ بي لِلقَولِ إنَّ الغايةَ الأولى مِن هذه المُحاولاتِ تستهدِفُ أولًا راحةَ المُسلِمين وحمايتَهم ، وترمي ثانيًا لِلمُحافظةِ على شرفِ الخِلافةِ الإسلاميةِ وقُوتِها ، وثالثًا لِمُعاضدةِ العربِ مِن أجلِ المُحافظةِ على وحدةِ بلادِهم وصفائِها . وانطِلاقًا مِن ثقتِنا بِأنَّكَ الرجُلُ الوحيدُ الذي تمتلِكُ القُدرةَ على النُّهوضِ بِالقضيةِ العربيةِ وإنجاحِها ، فإنَّنا أوضحْنا تمامًا لِلمسئولِين هُنا كُلَّ ما نعرِفُه .

إنَّنا معَ عربٍ ومُسلِمين كثيرين لا نستطيعُ أن نرى رجُلًا آخرَ يمتلِكُ المواصفاتِ والمزايا اللازمةَ لِنَيلِ هذا الشرفِ أكثرَ مِن شخصِكمُ الشريفِ : في المعرِفةِ والخبرةِ وشرفِ المحتدِّ والمقدِرةِ . ولا يستطيعُ رجُلٌ عاقِلٌ القولَ إنَّ العملَ يمثِّلُ عصيانًا يضُرُّ بِمصالِحِ المُسلِمين ، على العكسِ ، فإنَّ المُسلِمين سيعتبرونه أقدسَ واجبٍ لِخِدمةِ مصالِحِ الدينِ . إنَّك لن تعملَ سِوى المُدافعةِ عن حُقوقِكَ المشروعةِ التي اغتُصِبَت وحُقوقِ أُمَّتِكَ وجميعِ المُسلِمين .

لقد أُعطِيَت لي أقوى التأكيداتِ بِأنَّ بِريطانيا العُظمى لن تتدخَلَ في الشُّئونِ الداخليةِ لِلبِلادِ العربيةِ أو الخِلافةِ العربيةِ ، ولكِنَّها ستبذُلُ كُلَّ ما في وُسعِها كما أسلفَتُ لِمُساعدةِ الدَّولةِ العربيةِ معنويًّا ومادِّيًّا ، حتَّى تنهضَ وتأخُذَ مكانَها اللائقَ بَينَ الدولِ الأُخرى . ولم يبقَ إلَّا أن تقومَ الأُمَّةُ كُلُّها قومةَ رجُلٍ واحِدٍ ، وأن يتَّحِدَ الزُعماءُ العربَ جميعًا بِحَيثُ يُضحِّي كُلُّ واحِدٍ مِنهم بِمطامِعِه الشخصيةِ مِن أجلِ مُعاضدةِ الرجُلِ الأوَّلِ في الأُمَّةِ بِالنسبةِ لِشرفِ محتدِّه ... إلخ . وأنَّ بِريطانيا العُظمى ستكونُ أوَّلَ دَولةٍ معَ حُلفائِها تعترِفُ بِاستقلالِ الحُكومةِ العربيةِ ، وسوفَ تُدافِعُ عن هذا الاستِقلالِ ضِدَّ أيِّ عُدوانٍ أجنبيٍّ ، حتَّى تتمكَّنَ مِنَ النُّهوضِ وتُصبِحَ عزيزةَ الجانِبِ وتأخُذَ مكانَها الصحيحَ بَينَ الدُّولِ وتكسِبُ احترامَها . كُلُّ هذه الحقائقِ أكدَّها ليَ المسئولون ، وتبادرَ لِذهني أن أُبلِّغَكم بِمضمونِها ، حتَّى تستطيعُوا تقديرَ المَوقِفَ كُلَّه تقديرًا واضِحًا ، ولكي تعرِفُوا الأسبابَ المُهِمَّةَ التي دفعَتْني لِلكِتابةِ إلَيكم بِشأنِ هذهِ المسألةِ ذاتِ الأهميةِ الكُبرى .

لقد أرادُوا أن يقولُوا : إنَّه حتَّى يأتيَ اليومَ الذي تُؤسَّسُ فيه الحُكومةُ العربيةُ ،

فإنَّ أيةَ مسألةٍ أُخرى تُعتبَر في الدرجةِ الثانيةِ مِنَ الأهميةِ . وعِندَما تُؤسَّسُ الحُكومةُ العربيةُ ، فيكونُ مِنَ السهلِ عِندَ ذلِكَ الاتِّصالُ برئيسِها والتوصُّلِ إلى اتِّفاقٍ يضمنُ مصالِحَ الفريقين . هذا معنى ما قالُوه لكم سابِقًا بشأنِ تأجيلِ بحثِ هذه المسائلِ . لقد أوضحوا كُلَّ هذا لي . أجلْ ، إنَّه لَصحيحٌ جِدًّا أنَّ إنشاءَ دَولةٍ عربيةٍ جديدةٍ أمرٌ صعبٌ في بادئِ الأمرِ ، ولكنَّه لن يكونَ صعبًا أكثرَ مِنَ اللازمِ لِرجُلٍ حكيمٍ ومُقتدِرٍ مثلُكم أن يوحِدَ كلمةَ الزُّعماءِ والأُمراءِ وكِبارِ الشيوخِ بَينَ العربِ ، مثلِ الإمامِ يحيى والإدريسيِّ وأُمراءِ نجدٍ وتُهامةَ والمناطِقِ الأُخرى .

وبعدَ أن حصلْنا على كُلِّ هذه التأكيداتِ المُهِمَّةِ مِنَ الدَّولةِ الوحيدةِ القادِرةِ على مُساعدتِنا في الوقتِ الحاضِرِ وفي المُستقبلِ ، تعلمون ولا شكَّ أنَّ الضرورةَ تقضي بِتحقيقِ الوحدةِ بَينَ العربِ في سبيلِ قضيةٍ عظيمةٍ ومُهِمَّةٍ كهذه . اهـ .

ومِن رِسالةٍ مِن مكماهونَ إلى وِزارةِ الخارجيةِ بِلندنَ ص٦٢٤ :

وعلَينا أن نتذكَّرَ مرَّةً أُخرى أنَّ الحركةَ العربيةَ الحاضِرةَ قائمةً على أُسُسٍ قَوميةٍ أكثر مِنَ الأُسُسِ الدينيةِ ، وتختلِفُ كثيرًا عن حركةِ الجامعةِ الإسلاميةِ التي تأنفُ الجماعةُ العربيةُ مِنَ العطفِ علَيها .

ثُمَّ يقولُ : وعلَينا إخبارُه بِأنَّنا ، لِأجلِ تسهيلِ جُهودِه في قضيتِنا المُشتركةِ ، نقومُ بإرسالِ بعضِ المبالِغِ إلَيه « مُنذُ وَقفِ إعاناتِ الحُكومةِ العُثمانيةِ لِلشريفِ أصبحَ في حاجةٍ ماسَّةٍ لِلمُحافظةِ على مكَّةَ والمدينةِ ولِلمُحافظةِ على قُواتِه . إنَّه مِنَ المرغوبِ فيه جِدًّا أن نساعدَه بسخاءٍ ، وأقترِحُ تخصيصَ مِنحةٍ قدرُها٥٠,٠٠٠ جُنيهٍ بِأقساطٍ حسبما تتقدَّمُ الأُمورُ . ولِأجلِ أن يكونَ المبلغُ فعالًا فإنَّه يجِبُ أن يكونَ كبيرًا ، والقسمُ الأكبرُ مِن أيةِ أموالٍ نُعطيه إياها سيجِدُ طريقَه إلى موانئِ تِجارتِنا نفسِها » .

ومِن ردِّ مكماهون على الشَّريفِ ص٦٥٠ :

وقد يسُرُّني أن أُخبِرَكم بِأنَّ حُكومةَ جلالةِ الملِكِ صادقَت على جميع مطالِبِكم وإنَّ كُلَّ شيءٍ رغِبتُم الإسراعَ فيه وفي إرسالِه فهو مُرسلٌ معَ رسولِكم حامِلِ هذا . والأشياءُ الباقيةُ ستحضُرُ بِكُلِّ سُرعةٍ مُمكِنةٍ ، وتبقى في بُور سُودانَ تحتَ أمرِكم لحينِ ابتِداءِ الحركةِ وإلاغنا إياها بِصورةٍ رسميةٍ « كما ذكرْتُم » وبِالمواقِع الَّتي يقتضي سَوقُها إلَيها والوسائطِ التي يكونونَ حامِلينَ الوثائقِ بِتسليمِها إيَّاهم .

إنَّ كُلَّ التعليماتِ التي وردَتْ في مُحرِّرِكم قد أعلمَنا بها مُحافِظَ بُور سودانَ ، وهو سيجريها حسبَ رغبتِكم ، وقد عملْتُ جميعَ التسهيلاتِ اللازِمةِ لإرسالِ رسولِكم حاملِ خِطابِكُمُ الأخيرِ إلى جيزانَ حتَّى يُؤدِّيَ مأموريَّتَه التي نسألُ اللَّهَ أن يُكلِّلَها بِالنجاحِ وحُسنِ النتائجِ ، وسيعودُ إلى بُور سودانَ وبعدَها يصِلُكم بِحِراسةِ اللَّهِ لِيقُصَّ على مسامِعِ دَولتِكم نتيجةَ عملِه .

وننتهِزُ الفرصةَ لِنوضِّحَ لدَّولتِكم في خِطابِنا هذا ما رُبَّما لم يكُنْ واضحًا لديكم ، أو ما عساه ينتُجُ عنه سوءُ تفاهُم ، ألا وهو أنَّه يُوجَدُ بعضُ المراكِزِ أو النُقطِ المُعسكِرةُ فِيها بعضُ العساكِرِ التُّركيةِ على سواحلِ بِلادِ العربِ ، يُقالُ : إنَّهم يُجاهِرون بِالعداءِ لنا ، والذين هم يعملون على ضررِ مصالِحِنا الحربيةِ البحريةِ في البحرِ الأحمرِ . وعليه نرى أنَّ مِنَ الضروريِّ أن نأخذَ التدابيرَ الفعالةَ ضِدَّهم. ولكِنَّنا قد أصدرْنا أوامِرَنا القطعيةَ أنَّه يجِبُ على جميعِ بوارِجِنا أن تُفرِّقَ بَينَ عساكِرِ الأتراكِ الذين يبدؤون بِالعداءِ وبَينَ العربِ الأبرياءِ الذين يسكُنون تِلكَ الجِهاتِ ، لِأنَّنا لا نُقدِّمُ لِلعربِ أجمعَ إلَّا كُلَّ عاطِفةٍ وُدِّيةٍ .

وقد بلغَتنا إشاعاتٌ مؤدَّاها أنَّ أعداءَنا الألِداءَ باذِلون جُهدَهم في أعمالِ السُّفُنِ ؛ ليبثوا بها الألغامَ في البحرِ الأحمرِ ولإلحاقِ الأضرارِ بِمصالِحِنا ، وإنَّا نرجوكم سُرعةَ إخبارِنا إذا تحقَّقَ ذلِكَ لديكم .

وقد بلغَنا أنَّ ابنَ رشيدٍ قد باعَ لِلأتراكِ عددًا عظيمًا مِنَ الجِمالِ ، وقد أُرسِلَت إلى دِمشقِ الشامِ ، ونُؤمِّلُ أن تستعمِلوا كُلَّ ما لكم مِنَ التأثيرِ علَيهِ ؛ حتَّى يكُفَّ عن

ذلِـكَ ، وإذا مـا صمَّمَ على ما هو علَيهِ أمكنَكم عملَ الترتيبِ معَ العُربانِ السـاكنين بينَه وبَينَ سُوريَّا أن يقبِضوا على الجِمالِ حالَ سَيرِها ، ولا شكَّ أن في ذلِكَ صالِحًا لِمصلحتِنا المُتبادلةِ .

الفهرس

هذا الكتاب

- مدخلٌ إلى علم فقه التحولات ، الخاص بتحليل علم الساعة وما بين يديها ، وما تفرع عن دراسة هذا العلم من سنتي المواقف والدلالة.
- الربط الواعي بين أركان الدين الثلاثة والركن الرابع ، وما يترتب على هذا الربط من تقسيم الأركان إلى ثلاثة ثوابت وركن متغير.
- تقسيم علامات الساعة إلى ثلاثة أقسام أساسية:

  القسم الأول العلم الواجب بالعلامات الكبرى.

  القسم الثاني العلم اللازم بالعلامات الوسطى.

  القسم الثالث العلم المطلق بالعلامات الصغرى.
- مفهوم الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ وإعادة قراءة التاريخ الإنساني على أساس شرعي تحت نموذجين:

  الأول: قراءة شرعية أبوية نبوية ربانية ، وبها يفسر التاريخ الشرعي.

  الثاني: قراءة وضعية عقلانية أَنَوِيّة شيطانية ، وبها يفسر التاريخ المادي العقلاني الوضعي.

  وتحليل منطلقات كل قراءة منهما وأثرهما في حياة البشرية منذ عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيام الساعة.
- عرضٌ عامٌّ للعلامات الصغرى والوسطى والكبرى، مع ربطها بكثير من صور الواقع ومجرياته كما تحدث عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ .
- دراسةٌ واعيةٌ للمرحلة الغثائية المميَّزة بعلامتي الإضاعة للأمانة والتوسيد وما ترتب عليها من حصول الغثاء ، والوهَن ، وحب الدنيا ، وهيمنة الكافر على كافة مقدَّرات الأمة، والدفع بالشعوب لإنجاح مبدأي (التحريش والمنافسة)، المحقق لقاعدة (فَرِّقْ تَسُدْ) ، وهي القاعدة التي يدفع بها الشيطان لتحقيق مبدأ الاحتناك في الشعوب والتحريش بين المصلين.
- عرض تحليلي لمرحلة سقوط الخلافة، واعتبار هذه المرحلة أخطر مراحل التحول في حياة الأمة الإسلامية، وما ترتب عليها من انهيارات وفشل واستتباع، وخاصة في شأن القرار الإسلامي الواحد والوحدة الإسلامية .
- تقسيم لما بقي من مراحل التاريخ الإنساني ومسيرة الحياة، من عهد الغثاء إلى قيام الساعة، وفقه المنظور الشرعي المثبت في أحاديث علامات الساعة.
- لغرض استجلاء المعنى وتمام الفائدة فقد وضع المؤلف في الخاتمة قاموسا لتوضيح كافة المصطلحات والألفاظ المستجدة في هذا الكتاب.

